

البَصَائِرُ

لِمُنْكِرِي التَّوَسُّلِ بِأَهْلِ الْمَقَابِرْ

من تأليفات

مولانا حمد الله الداجوي حفظه الله من شرور الغوي

فاضل مظاهر علوم سهارنپور

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة

HAKİKAT KİTÂBEVİ
Darüşşefeka Cad. No: 53 P.K.: 35
34083 Fâtih-İSTANBUL
Tel: 0212 523 45 56 Fax: 0212 523 36 93
http://www.hakikatkitabevi.com
e-mail: info@hakikatkitabevi.com
ARALIK-2016

الْبَصَائِرُ

لِمُنْكِرِي التَّوَسُّلِ بِأَهْلِ الْمَقَابِرْ

من تأليفات

مولانا حمد الله الداجوي حفظه الله من شرور الغوي

فاضل مظاهر علوم سهارنپور

ويليه

غَوْثُ الْعِبَادِ بِبَيَانِ الرَّشَادِ

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول-تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤٣٨	١٣٩٥	٢٠١٦

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**).

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء. واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين.[١]

(١) لاخير في تعلّم علم ما لم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج: ١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه)

تنبيه: إنّ كلاّ من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر – **الحقيقة** – في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا في إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت إلى البشريّة.

Baskı: İhlâs Gazetecilik A.Ş.
Merkez Mah. 29 Ekim Cad. İhlâs Plaza No: 11 A/41
34197 Yenibosna-İSTANBUL Tel: 0.212.454 30 00

خطبة الكتاب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الّذي هدانا إلى الصراط المستقيم وجعلنا متبعين لسالكي الدّين القويم. والصّلاة والسّلام على من هو وسيلتنا في الدارين الّذي دفع الله به بلاء الكفر والشّرك والالحاد في الدّين وعلى آله واصحابه الذين هم نجوم الهداية واليقين وأولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن تبعهم إلى يوم الدّين.

اما بعد: فيقول العبد المفتقر إلى الله القوي حمد الله الداجوي مسكناً الحنفي مذهباً القادري مشرباً المظاهري تلمذاً ابن فهّامة زمانه وعلاّمة أوانه مولانا عبد الحكيم ابن مولانا رحمة الله غفر الله لهما ورحمهما رحمةً واسعةً. لما كان بعض المتشددين ينكر التوسّل بالذوات الفاضلة وسماع الموتى وغيرهما من المسائل التي يتعصب فيها ويسيئ الادب في شأن الصلحاء والعلماء الرّبّانيين وصنف في ذلك كتاباً سمّاه بـــ(**البصائر للمتوسّلين بالمقابر**)[١]، وافرط في شأن المتوسّلين وشنّع عليهم تشنيعاً بليغاً حيث سمّاهم مشركين وغير ذلك من الخرافات في شأن العلماء الصّالحين فأردت الذّبّ عنهم غيرة في دين الله تعالى مع كثرة المشاغل من الدرس والتدريس والعوائق الدّنيويّة ومع اضطراب الحال وتشتت البال وذلك بايماء بعض اصدقائى وخلص اخوانى مولانا محمّد گل رحيم الاسماري الديوبندي وفقني الله تعالى لاتمام الرد على ذلك الكتاب وكتبه الأُخر المخالفة عن المذهب الاطهر والمشرب الاظهر بحرمة النّبيّ المطهر. **بيت:**

آمين آمين لا ارضى بواحدة * حتّى اضم اليها الف آميناً

فجمعت دلائل قاطعة وحججاً واضحةً لمن يدعي التوسّل إلى الله تعالى ببركة الأنبياء والأولياء المدفونين في المقابر ويدعي سماع الاموات في البرزخ جعلها الله وسيلة لهداية المنكرين لهما في هذا الدوران بجاه النّبيّ الامين. اللّهمَّ احفظنا من اساءة

(١) مؤلف كتاب «البصائر للمتوسّلين بالمقابر» ملا طاهر پنچپيرى المرداني الپاكستاني رئيس الوهّابيّة في الهند

الأدب باكابر الدّين بحرمة الأنبياء والأولياء سيّما سيّد الأنبياء وسند الأولياء ورسول الثقلين وسميته بـــ(**البصائر لمنكري التوسّل بأهل المقابر**) ورتبته على مقدمة ومقاصد اربعة وخاتمة فها أنا اشرع مستعينا بالله القوي المتين.

اما المقدمة، ففيها نكات:

النّكتة الاولى: في بيان حقيقة الموت بأنّه فناء محض وعدم بحت ام انتقال من دار الفناء إلى دار البقاء ومن دار الغرور إلى دار السرور.

فاعلم وفقك الله تعالى للعقائد الصّحيحة. إنّ الموت فيه اختلاف كما قال الامام الغزالي رحمة الله عليه[١] في كتابه المسمى بـــ(احياء العلوم ج:٤، ص: ٣٣٢) اعلم أنّ للناس في حقيقة الموت ظنوناً كاذبة قد اخطؤا فيها.

فظن البعض أنّ الموت هو العدم وأن لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وأنّ موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النباتات وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر. وظن قوم أنّه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتلذذ بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر.

وقال الآخرون إنّ الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وإنّ الأجساد لا تحشر اصلا.

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الّذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أنّ الموت معناه تغير حال فقط وأنّ الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمّا معذبة وإمّا منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإنّ الاعضاء آلات للرّوح تستعملها حتّى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب، والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة وكذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا

---

(١) ابوحامد محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥ هـــ. [١١١١ م.]

يتعلق بالأعضاء. فكل ما هو وصف للرّوح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقته وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله تعالى اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده. ثم قال [الغزالي] وحقيقة الانسان روحه ونفسه وهي باقية. نعم، تغير حاله من جهتين:

احدهما: أنّه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر املاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الاشياء منه او يسلب هو من هذه الاشياء فإنّ المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبى الرجل عن الملك والمال، والألم في الحالتين واحد.

وإنما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدّنيا شيء يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتّى إلى قميص كان يلبس ذلك القميص مثلاً إلى أن قال فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة.

والثاني: أن ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له حال الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفا له حال النوم (**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**).

ثم قال [الغزالي] نعم، لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت ما لم يعرف الحياة إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح ولم يؤذن لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيه ولا أن يزيد على (**قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبِّي** * الإسراء: ٨٥).

ثم قال [الغزالي] في الأخير: ويدل على أنّ الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة قال الله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ**

اللهِ اَمْوَاتاً * آل عمران: ١٦٩) ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (**يا فلان! يا فلان! قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا**) وقيل يا رسول الله أتناديهم وهم اموات؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم (**والّذي نفسي بيده أنّهم لاسمع لهذا الكلام منكم الاّ أنّهم لا يجيبون**) فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها والآية نص في ارواح الشهداء والميّت لا يخلو عن سعادة وشقاوة. قال عليه الصّلاة والسّلام (**لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فإنّها تعرض على اوليائكم من اهل القبور**). وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره**) وغير ذلك من الرّوايات.

وقد صرح العلامة السّيوطي رحمة الله عليه[١] في صدر كتابه المسمى بـــ(**بشرى الكئيب**) بهامش كتابه المسمى بـــ(**شرح الصّدور في احوال الموتى والقبور**) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**تحفة المؤمن الموت**).

وعن الحسن بن علي رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**الموت بطانة المؤمن**).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**الموت غنيمة المؤمن**).

واخرج أحمد بن حنبل رحمة الله عليه[٢] في مسنده عن محمود بن لبيد أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال (**يكره ابن آدم الموت والموت خير له من الفتنة**).

وايضاً ذكر العلامة السّيوطي رحمة الله عليه في باب فضل الموت (ص: ٥) قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح

---

(١) جلال الدّين عبد الرّحمن بن محمّد السّيوطي الشّافعي المتوفى بمصر سنة ٩١١ هـــ. [١٥٠٥ م.]

(٢) المتوفى ببغداد سنة ٢٤١ هـــ. [٨٥٥ م.]

بالبدن ومفارقة وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار والظاهر أنّ المراد بانقطاع التعلق المتعارف لا مطلقاً بالنظر إلى العام لما سنذكره عن عليّ القاري[١]. إنّ للرّوح تعلقاً بالبدن في المؤمن فلا يرد ما يرد.

واخرج أبو الشّيخ في تفسيره وأبو نعيم عن بلال بن سعد أنّه قال في وعظه: يا اهل الخلود! يا اهل البقاء! انكم لم تخلقوا للفناء وانما خلقتم للخلود والابد وانكم تنقلون من دار إلى دار.

واخرج الحاكم في (**المستدرك**) والطبراني في (**الكبير**) وابن المبارك في (**الزهد**) والبيهقي في (**شعب الإيمان**) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**الموت تحفة المؤمن**).

واخرج الطبراني في (**الكبير**) والحاكم في (**المستدرك**) عن عمر بن عبدالعزيز[٢] أنّه قال إنّما خلقتم للابد والبقاء ولكنكم تنقلون من دار إلى دار.

فهذه الرّوايات كلها تدل على أنّ الموت ليس بعدم محض وفناء بحت والفناء عن دار الفناء والخلود والبقاء في دار الخلود والبقاء فلا يرد أنّه ذكر العلامة السّيوطي رحمة الله عليه أنّه قيل لآدم عليه الصّلاة والسّلام: (**لد للفناء وابن للخراب**).

وايضاً قال مجاهد إنّ الرجل يبشر بصلاح ولده في قبره كما ذكره الحافظ ابن قيم في (**كتاب الروح**) والكلام في المقام له بسط الا أنّ فيما ذكرناه كفاية.

النّكتة الثانية: ليس المراد بانقطاع تعلق الروح عن البدن انقطاعاً كلياً بالنظر إلى كل الافراد بل في الجملة.

ويدل على ما ذكرنا ما ذكره عليّ القاري في (**المرقاة**) بخلاف روح المؤمن فإنّها تسير في ملكوت السّموات والارض وتسرح في الجنّة حيث تشاء وتأوي إلى قناديل تحت العرش ولها تعلق ايضاً بجسده تعلقاً كلياً بحيث يقرأ ويصلّي إلى أن قال

---

(١) علي بن محمّد الهروي القاري المتوفى بمكة المكرّمة سنة ١٠١٦ هـ. [١٦٠٧ م.]

(٢) المتوفى سنة ١٠١ هـ. [٧٢٠ م.]

فلا يشكل شيء منها بالآيات (ج: ٢، ص: ٣٣٥).

وايضاً قال عليّ القاري في (شرحه للفقه الاكبر) إنّ تعلقات الروح بالجسد خمسة انواع وذكر منها التعلق بالبدن حال البرزخ وسيأتي تفصيله في المقاصد الآتية وكذا ذكر اقسام التعلق الحافظ ابن قيم في (**كتاب الروح**).

النّكتة الثالثة: إنّ الحياة البرزخية هل هي خاصة بالشهداء ام عامة.

فنقول الحياة البرزخية غير مختصة بالشهداء بل عامة في الانبياء والأولياء على تفاوت مراتبهم كما قال المظهري[١] في تفسير قوله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتاً** * آل عمران: ١٦٩) والحق عندي أنّ هذه الحياة غير مختصة بالشهداء بل موجودة في الانبياء والأولياء كما دلّ عليه التّرتيب في قوله تعالى (**فَاُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَآءِ والصّالحِينَ وحَسُنَ اُولَئِكَ رَفِيقًا** * النساء: ٦٩).

النّكتة الرابعة: في تفصيل تفاوت الحياة البرزخية فنقول الحياة البرزخية القوية حياة الانبياء حتّى لا يجوز نكاح ازواجهم المطهرات بآحاد الامة وهذا اثر الحياة القوية وكونها امهات المؤمنين وجه آخر لحرمة نكاحهن ولا تنافي بين الوجهين فإنّ الحكم الواحد يثبت بدلائل شتى. صرح بالوجه الاول في المظهري. وورد في حديث الإسراء (**مررت بموسى فإذا هو يصلّي في قبره**) والصّلاة انما تكون بالجسد كما ذكره ايضاً خليل أحمد في (**عقائد علماء ديوبند**).

ثم حياة الشهداء على التّرتيب حتّى ورد تلاوة القرآن من القبر كما في حديث اخرجه التّرمذي ولذا يقولون بلسان القال **بيت**:

مرا زنده پندار چون خويشتن * بجان آمدم گر تو آئى بتن

كما ذكره علي التهانوي ايضاً في كتابه المسمى بـــ(**بزم جمشيد**) في واقعة الشاه عبد

---

(١) مؤلف هذا التفسير محمّد ثناء الله القاضي الپاني پتي الهندي خليفة الشّيخ مظهر جان جانان النقشبندي الهندي. المتوفى بپاني پت سنة ١٢٢٥ هــ. [١٨١٠ م.]

الرحيم والد الشاه ولي الله رحمهما الله تعالى والواقعة طويلة فانتظر لعلها تأتيك.

وقد ورد في شأن الانبياء عليهم السّلام: (**إنّ الله حرم على الارض اجساد الانبياء أن تأكلها**) وورد (**فنبي الله حي يرزق**) وورد (**صلّوا عليَّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) إلى غير ذلك من الرّوايات كما في (المشكاة) وغيره.

النّكتة الخامسة: إنّ الموت[١] صفة وجودية او عدمية.

قال المفسّر البغدادي الآلوسي في تفصيل قوله تعالى (**الّذي خَلَقَ الْمَوْتَ والْحَيَوةَ** * الملك: ٢) والموت على ما ذهب اليه الكثير من اهل السّنّة صفة وجودية تضاد الحياة واستدل على وجوديته بتعلق الخلق به وهو لا يتعلق بالعدم لأزلية الاعدام. واما ما ورد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما (انه تعالى خلق الموت في صورة كبش لا يمرّ بشيء الاّ مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء لا تمرّ بشيء ولا يجد رائحته شيء الاّ حيٌّ) فهو اشبه كلام بكلام الصّوفية لا يعقل ظاهره وقيل هو وارد على منهاج التمثيل والتصوير وذهب القدرية وبعض اهل السّنّة إلى أنه عدمي وهو عدم الحياة عما من شأنه وهو المتبادر الاقرب. واجيب عن الاستدلال بالآية إلى أنّ الخلق بمعنى التقدير وهو يتعلق بالعدمي كما يتعلق بالوجودي وأنّ الموت ليس عدما مطلقاً بل عدم شيء مخصوص ومثله يتعلق به الخلق والايجاد بناء على أنّه اعطاء الوجود ولو للغير دون اعطاء الوجود في نفسه وأنّ الخلق بمعنى الانشاء دون الايجاد وهو بهذا المعنى يجرى في العدميات، او أنّ الكلام على تقدير المضاف اي خلق اسباب الموت، او أنّ المراد بخلق الموت والحياة خلق زمان ومدة معيّنة لهما لا يعلمها الاّ الله تعالى فايجادهما عبارة عن ايجاد زمانهما مجازا ولا يخفى الحال في هذه الاحتمالات.

ومن الغريب ما قيل إنّه كني بالموت عن الدّنيا إذ هو واقع فيها وبالحياة كني عن الآخرة من حيث لا موت فيها فكأنه قيل خلق الدّنيا والآخرة والحق انهما بمعناهما الحقيقي والموت على ما سمعت والحياة صفة وجودية بلا خلاف.

---

(١) والتفاوت بين كونه عدماً محضاً او عدمياً ظاهر على ذي لب فلا يرد سؤال التكرار منه

النّكتة السادسة: في بيان الكرامة:

اعلم أنّ مطلق الكرامة بمعنى الشرف على غير ذوي العقول عام لكل بني آدم كما قال تعالى (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** * الإسراء: ٧٠) فهذه كرامة الآدمية.

وامّا الكرامة المصطلحة فهو ظهور امر خارق للعادة على يد مدعي الاسلام غير مدعي النّبوّة المعرض عن اللذات المنهمك في الطاعات لأن الامر الخارق للعادة اما صدر من مدعي النّبوّة او غيره:

والاول لا يخلو اما صدر منه قبل النّبوّة او بعدها، الاول ارهاص وتسمى معجزة تغليبا وتشبيها. والثاني معجزة.

والثاني لا يخلو اما صدر من المؤمن المعرض عن اللذات المستغرق في الطاعات او لا، الاول الكرامة والثاني لا يخلو اما أن يكون موافقا لدعواه او لا، والاول استدراج والثاني اهانة كما دعا مسيلمة الكذاب لاحد أن تصير عينه العوراء صحيحة فصارت الصّحيحة عوراء وقسم آخر تسمى معونة وهو أن يدعو المؤمنون عموماً لكشف الكربات فيكشف الله الكربات.

وإذا علمت هذا فاعلم أنّ كرامة الأولياء حق كما في (**شرح العقائد**): كرامات الأولياء حق خلافاً للمعتزلة ومن يحذو حذوهم وفي القصيدة الامالية **بيت**:

كَرَامَاتُ الْوَلِيِّ بِدَارِ دُنْيَا * لَهَا كَوْنٌ فَهُمْ اَهْلُ النَّوالِ

وفي (**شرح المواقف**) المقصد التاسع في كرامات الاولياء[١] وانها جائزة عندنا خلافاً لمن منع جواز الخوارق واقعة خلافاً للاستاذ أبي اسحاق[٢] والحليمى[٣] منا وغير أبي الحسين من المعتزلة. قال الامام في (**الاربعين**) المعتزلة ينكرون كرامات الأولياء ووافقهم الاستاذ أبو اسحاق منا واكثر اصحابنا مثبتوها وبه قال أبو الحسين

---

(١) نعم فرق بين الكرامة والولاية فإنّ الكرامة لابد لها من الولاية من غير عكس

(٢) ركن الدّين ابراهيم بن محمّد الشّافعي المتوفى سنة ٤١٨ هـ. [١٠٢٧ م.]

(٣) حسين بن حسن الجرجاني الشّافعي الحليمى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ. [١٠١٧ م.]

البصري من المعتزلة.

اما جوازها فظاهر على اصولنا وهي أنّ وجود الممكنات مستند إلى قدرته الشاملة بجميعها فلا يمتنع شيء منها على قدرته ولا يجب في افعاله تعالى غرض ولا شكّ أنّ الكرامة امر ممكن، إذ لا يلزم من فرض وقوعه محال لذاته اما وقوعها فلقصة مريم حيث حبلت بلا ذكر ووجد الرزق عندها بلا سبب وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة وجعلت هذه الامور معجزات لزكريا على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام وارهاصات لعيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام مما لا يقدم عليه منصف. وقصة آصف وهي احضاره عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة عين و لم يكن ذلك معجزة للنّبي سليمان على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، إذ لم يظهر على يده مقارنا لدعوى النّبوّة.

وقصة اصحاب الكهف وهي أنّ الله تعالى ابقاهم ثلاثمائة سنة وازيد نياما أحياء بلا آفة و لم يكونوا انبياء اجماعا. وشيء من هذه الامور الخارقة الواقعة في تلك القصص لم تكن معجزة لفقد شرطها كما اشرنا اليه وهي مقارنة الدعوى والتحدى، احتج من لم يجوز الخوارق اصلاً بما مر بجوابه انتهى.

قال الآلوسي البغدادي في تفصيل قوله تعالى (**وَاَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَاَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** * الجن: ٢٨) اي فرداً فرداً حال من فاعل (**يَسْلُكُ** * الجن: ٢٧) بتقدير قد اي بدونه جيئ به لمزيد الاعتناء بأمر علمه تعالى بجميع الاشياء وتفرد سبحانه بذلك على اتم وجه بحيث لا يشاركه سبحانه في ذلك الملائكة الذين هم وسائط العلم فكأنه قيل لكن المرتضى الرسول يعلمه الله تعالى بواسطة الملائكة بعض الغيوب عما له تعلق برسالته والحال أنّه تعالى قد احاط علماً بجميع احوال اولئك الوسائط وعلم جلّ وعلا جميع الاشياء بوجه حصري تفصيلي فاين الوسائط منه تعالى، او حال من فاعل، او جيئ به للاشارة إلى أن الرصد انفسهم لم يزيدوا و لم ينقصوا فيما بلغوا كأنه قيل ليعلم الرسول أن قد ابلغ الرصد اليه رسالات ربه في حال أنّ الله تعالى قد

علم جميع احوالهم وعلم كل شيء فلو انهم زادوا او نقصوا العلم سبحانه فما كان يختارهم الرصدية والحفظ. هذا ما ظهر لذهني القاصر ولست على يقين بامره بيد أنّ الاستدلال بقوله سبحانه وتعالى (**فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِه اَحَداً** * الجن: ٢٦) على نفي كرامة الأولياء بالاطلاع على بعض الغيوب مما لا يتم لأن قوله تعالى (**فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِه اَحَداً** * الجن: ٢٦) في قوة قضية سالبة جزئية لدخول ما يفيد العموم في حيّز السلب واكثر استعمالاته لسلب العموم وصرح به في ما ههنا في (**شرح المقاصد**)[١] لا لعموم السلب وهو سلب جزئي فلا ينافي الايجاب الجزئي كان يظهر بعض الغيب على ولي على ما قال بعض اهل السّنّة في قوله تعالى (**لاَ تُدْرِكُهُ ٱلاَبْصَارُ وهُوَ يُدْرِكُ ٱلاَبْصَارَ** * الانعام: ١٠٣) ولا يرد أنّ الاستثناء يقتضي أن يكون المرتضى الرسول مظهرا على جميع غيبه تعالى بناء على أنّ الاستثناء من النفي يقتضي ايجاب نقيضه للمستثنى ونقيض السالبة الجزئية الموجبة الكلية مع أنّه سبحانه لا يظهر احداً كائنا من كان على جميع ما يعلمه عزّ وجلّ من الغيب وذلك لانقطاع الاستثناء المصرح به ابن عبّاس رضي الله عنهما وكذا لا يرد أنّ الله نفى اظهار شيء من غيبه على احد الاّ على الرسول. وما ذكر في (**المفصل**) فيلزم أن لا يظهر سبحانه وتعالى من الملائكة على شيء منه لأن الرسول ههنا ظاهر في الرسول البشري لقوله تعالى (**فإنّه يَسْلُكُ** * الجن: ٢٧) هو ذلك ليس الاّ فيه. ويلزم ايضاً أن لا يظهر احداً من الانبياء الذين ليسوا برسل بناء على ارادة المعنى الخاص من الرسول ههنا وذلك لما ذكرناه اولاً.

وكذا لا يرد أنّه يلزم أن لا يظهر المرتضى الرسول على شيء من الغيوب التي لا تتعلق برسالته ولا يخل الاظهار عليها بالحكمة التشريعية إذ لا حصر لبعض المظهر فيما يتعلق بالرسالة وانما اشير إلى المتعلق بها لاقتضاء المقام لذلك وكون كل غيب يظهر عليه الرسول لا يكون الاّ متعلقاً برسالته محل توقف.

وللمفسرين ههنا كلام لا بأس بذكره بما له وما عليه حسب الامكان. ثم

---

(١) صاحب هذا الكتاب مسعود بن عمر الشهير بسعد الدّين التفتازاني الشّافعي المتوفى سنة ٧٩٢ هـ [١٣٨٩ م]

الامر بعد ذلك اليك فنقول لما كان مذهب اكثر اهل السنّة، القول بكرامة الوليّ بالاطلاع على الغيب وكان ظاهر قوله تعالى (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ** * الجن: ٢٦) دالا على نفيها ولذا قال الزمخشرى[١] ان في هذا ابطال الكرامات اي في الجملة لا سلباً كلياً وهي ما كان من الاظهار على الغيب لأن الذين تضاف اليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لأن اصحابها ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط انتهى. انجدوا واتهموا وايمنوا واشاموا في تفسير الآية على وجه لا ينافي مذهبهم ولا يتم عليه استدلال المعتزلي على مذهبه فقال الامام ليس في قوله تعالى (**عَلَى غَيْبِهِ** * الجن: ٢٦) صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه أنّه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا تبقى في الآية دلالة على أنّه سبحانه لا يظهر شيئاً من الغيوب لاحد ويؤكد ذلك وقوع الآية بعد قوله تعالى (**وَاِنْ اَدْرِي اَقَرِيبٌ اَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُون** * الانبياء: ١٠٩) والمراد به وقوع يوم القيامة.

ثم قال فإن قيل إذا حملتم الآية على القيامة فكيف قال تعالى (**اِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ** * الجن: ٢٧) مع أنّه لا يظهر هذا الغيب لاحد من رسله قلنا بل يظهره عند القرب من اقامة القيامة وكيف لا وقد قال تعالى (**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَئِكَةُ تَنْزِيلاً** * الفرقان: ٢٥) ولا شكّ أنّ الملائكة يعلمون في ذلك الوقت.

وايضاً يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعاً كأنه قيل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص وهو قيام القيامة احداً ثم قيل (**اِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** * الجن: ٢٧) حفظة يحفظونه من شر مردة الانس والجن انتهى. وتعقب بأن في غيبه ما يدل على العموم كما سمعت والسياق لا يأباه، اللّهمَّ الاّ أن يطعن في ذلك.

وايضاً ظاهر جوابه الاول عن القيل كون المراد بالرسول في الآية الرسول

(١) هو أبو القاسم محمود جار الله بن عمر المعتزلي الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ. [١١٤٤ م.]

الملكي ويأباه ما بعد من قوله تعالى (**فَإِنَّهُ يَسْلُكُ** * الجن: ٢٧) على أنّ علم الملائكة بوقت الساعة يوم تشقق السماء ليس من الاظهار للغيب. وابرازه للشهادة كاظهار المطر عند نزول وما في الارحام عند وضعه إلى غير ذلك.

وايضاً الانقطاع على الوجه الّذي ذكر بعيد جدا إذ فيه قطع المناسبة بين السّابق واللاحق بالكلية اللّهمَّ الاّ أن يقال مثله لا يضر في المنقطع. وقيل إنّ الاظهار على الغيب بمعنى الاطلاع عليه على اتم وجه بحيث يحصل به اعلى مراتب العلم والمراد عموم السلب ولا يضر في ذلك دخول ما يفيد العموم في حيّز النفي لأن القاعدة اكثرية لا كلية مطردة لقوله تعالى (**وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** * الحديد: ٢٣) وقوله سبحانه (**وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ اَثِيمٍ** * البقرة: ٢٧٦) وقد نص على ذلك العلامة التفتازاني فيكون المعنى فلا يظهر على غيبه احداً الاّ من ارتضى من رسول فإنّه سبحانه يظهره على شيء من غيبه بأن يسلك بين انتهى. ولا يرد كرامة الوليّ إذ ليست من الاظهار المذكور إذ لا يحصل له اعلى مراتب العلم بالغيب الّذي يخبر به وانما يحصل له ظنون صادقة ونحوها وكذا شأن غيره من ارباب الرياضات من الكفرة. وتعقب بأن من الصّوفية من قال كالشّيخ محيي الدّين[١] قدس سرّه بنزول الملك على الوليّ واخباره اياه ببعض المغيبات احيانا. ويرشد إلى نزوله قوله تعالى (**اِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** * فصلت: ٣٠) انتهى. وكون ما يحصل له إذ ذاك ظن او نحوه لا علم كالعلم الحاصل للرسول بواسطة الملك لا يخلو عن بحث بل قد يحصل بواسطة الالهام والنفث في الروع نحو ما يحصل للرسول.

وايضاً يلزم أن لا يظهر الملك على الغيب إذ الرسول المستثنى رسول البشر على ما هو الظاهر والتزام أنّه لا يظهر بالمعنى السّابق ويظهر بواسطته مما لا وجه له اصلاً إلى آخر ما قال فعلم أنّ اثبات الكرامة قول جمهور اهل السّنّة والجماعة خلافاً للمعتزلة واستدلالهم على نفيها غير تام كما عرفت من الاجوبة ولورود الأحاديث

(١) محمّد بن علي الشهير بمحيي الدّين ابن العربي المتوفى بدمشق سنة ٦٣٨ هـ. [١٢٤٠ م.]

الصّحيحة في اثبات الكرامات ولذا يذكرون في كتب الحديث باب الكرامات كما هو الظاهر لمن تتبع كتب الحديث ولذا ما ذكر من الحبل بلا فحل والرزق بلا سبب واحضار عرش بلقيس في ارتداد طرف من مسافة بعيدة دليل ظاهر على اثبات الكرامات خلافاً لمن خالف. وكذا قصة اصحاب الكهف المذكورة في القرآن وهي أنّ الله تعالى ابقاهم ثلاثمائة سنة وازيد نياما أحياء بلا آفة ولم يكونوا انبياء اجماعا وشيء من هذه الامور الخارقة الواقعة في تلك القصص لم تكن معجزة لفقد شرطها كما اشرنا اليه ومقارنة الدعوى والتحدي فهذا دليل قاطع على اثبات الكرامة.

النّكتة السابعة: في الكرامة بعد الممات بمعنى أنّ من كان صاحب كرامة وولاية في الدّنيا هل تبقى كرامته بعد الموت ام تنقطع بالموت.

فمذهب اهل الحق أنّه تبقى الكرامة بعد الموت كما أنّ النّبوّة لا تنقطع بالموت وكما أنّ ايمان المؤمن لا ينقطع بالموت وذلك لانه عقد الامام أبوداود[١] في سننه بابا بعنوانا (باب ما يرى من النور عند قبر الشهيد) وذكر في ذيله حديث عائشة رضي الله عنها كنّا نتحدث أنّه لا يزال نور عند قبر النجاشي وهذا ليس الاّ الكرامة بعد الموت فإنّ ظهور النور عند قبر مسلم بلا سبب ظاهر امر خارق للعادة وما هذه الاّ الكرامة.

وايضاً ذكر في (**الطريقة المحمّديّة**)[٢] كرامات الأولياء حق وذكر في حاشيتها المسماة بـــ(**الحديقة الندية**)[٣] كرامة الوليّ لا تنقطع بالموت كما أنّ رسالة الرسول لا تنقطع بالموت.

وايضاً ذكر المفسّر البغدادي الآلوسي في تفسيره في الجزء الثلاثين في تفسير (**فَالْمُدَبِّرَاتِ أمراً** * النازعات: ٥) وقيل إقسام بالنفوس الفاضلة حالة مفارقة الأبدان بالموت فإنّها تنزع من الأبدان غرقا اي نزعاً شديداً إلى أن قال فتصير بشرفها وقوتها

(١) ابوداود سليمان بن اشعث السجستاني الحنبلي المتوفى ببصرة سنة ٢٧٥ هـــ. [٨٨٨ م.]
(٢) مؤلف الطريقة المحمّديّة محمّد بن علي البركوي توفي سنة ٩٨١ هـــ. [١٥٧٣ م.] في ازمير
(٣) مؤلف الحاشية عبد الغني النابلسي توفي سنة ١١٤٣ هـــ. [١٧٣١ م.] في الشام

من (**الْمُدَبِّراتِ**) اي ملحقة بالملائكة او تصلح هي لأن تكون مدبرة كما قال الامام انها بعد مفارقة الأبدان قد تظهر لها آثار واحوال في الدّنيا فقد يرى المرء شيخه بعد موته فيرشده لما يهمه.

وقد نقل عن جالينوس أنّه مرض مرضاً عجز عن علاجه الحكماء فوصف له في منامه علاجا فافاق وفعله فافاق وقد ذكره الغزالي ولذا قيل وليس بحديث كما توهم (**اذا تحيّرتم في الامور فاستعينوا من اصحاب القبور**) اي اصحاب النفوس الفاضلة المتوفّين ولا شكّ في أنّه يحصل لزائرهم مدد روحاني ببركتهم وكثيراً ما تنحل عقد الامور بأنامل التوسّل إلى الله تعالى بحرمتهم وتفسير (**النازعات**) بالنفوس مروي عن السُدِّي، ثم قال نعم لا ينبغي التوقف في أنّ الله قد يكرم من شاء من اوليائه بعد الموت كما يكرمه قبل الموت بما يشاء فيبرئ سبحانه المريض وينقذ الغريق وينصر على العدو وينَزّل الغيث وكيت وكيت كرامة وربما يظهر عزّ وجلّ من يشبهه صورة فتفعل ما سئل الله بحرمته مما لا اثم فيه استجابة للسائل وربما وقع السؤال على وجه محظور شرعاً فيظهر سبحانه وتعالى ذلك مكراً بالسائل واستدراجاً انتهى.

فقد ظهر من هذه العبارات أنّ للأولياء بعد الوفاة مدد روحاني وهذا ليس إلاّ الكرامة بعد الموت. والمفسر البغدادي معتمدهم أيضا ولعلّهم ما اطلعوا على هذا الموضع وإلاّ لما اظهروا العقيدة عليه كما هو دَيْدَنُهُمْ فإنّهم لا يتركون من اساءة الأدب لا عالما ولا شيخا ولا مرشدا ولا مفسرا اذا خالفوا لعقيدتهم، اللّهمّ إنّا نعوذ بك من اساءة الأدب فإنّ سيّئ الأدب محروم من فيضان الرّب على ما قال مولانا الرومي **مصرع**:

بى أدب محروم بود أز فضل رب

وأيضا ذكر في التفسير المظهري في تفسير قوله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتًا** * آل عمران: ١٦٩) ان الصوفية العلية قالوا (إنّ أرواحنا أجسادنا وأجسادنا أرواحنا).

وقد تواتر عن كثير من الأولياء أنّهم ينصرون أولياءهم ويدمرون أعداءهم والظاهر ان النسبة في قول المفسر مجازية كما في انبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض. واعتقاد الموحد يجعل دليلا على ذلك على ما ذكر في كتب البلاغة.

وأيضا ذكر علي القاري (شرح المشكاة ج: ١، ص: ٣٣٥) بخلاف روح المؤمن فإنّها تسير في ملكوت السموات والأرض وتسرح في الجنة حيث تشاء. وتأوي إلى قناديل تحت العرش ولها تعلق كلي بجسدها أيضا بحيث تقرأ وتصلي إلى ان قال فلا يشكل شيء منها بالآيات.

وأيضا قال في ذلك المجلد (ص: ٣٤٢) ولا تباعد من الأولياء حيث طويت لهم الأرض وحصل لهم ابدان مكتسبة متعددة ووجدوها في اماكن مختلفة في آن واحد.

وأيضا ذكر في (المشكاة) في باب فضائل القرآن: تلاوة شهيد (سورة الملك) وسماع صحابي ضرب هناك خباءه وذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقريره عليه الصلاة والسلام هذا دليل بين على الكرامة بعد الموت وعلى تعلق الروح بحيث تقرأ.

وأيضا ذكر محمد أشرف علي التهانوي الهندي[١] في (بزم جمشيد) أنّ والد الشاه وليّ الله الدهلوي كان يجئ إلى مزار قطب الدين بختياركاكي[٢] رحمه الله فخطر في قلبه يوما هل يحصل له علم بزيارتي اياه فسمع من القبر شعرا معناه هكذا: احسبني حيا مثل نفسك إن كنت جئت بجسدك فإني جئتك بالروح، ثم ذكر في ذلك قصة طويلة لعلي أذكرها في المقاصد الآتية إن شاء الله تعالى.

فهذه كلها دلائل كرامات الأولياء بعد الوفاة ولهذا المطلب دلائل كثيرة الاّ أنّا اكتفينا بهذا القدر فإن القليل انموذج الكثير، والغرفة تنبئ عن البحر الكبير، والعاقل تكفيه الاشارة. والحال أنّه ذكر ههنا اقوال المفسرين والمحدثين الذين هم من

---

(١) حكيم الأمة محمد أشرف علي توفي سنة ١٣٦٢ هـ. [١٩٤٣ م.] في الهند

(٢) المتوفى سنة ٦٣٤ هـ.[١٢٣٧ م.]

الاحناف فإنّ الآلوسي البغدادي[١] وكذا صاحب المظهري وعليّ القاري ناقد المحدثين وعليّ التهانوي من أكابر الديوبنديين كلهم من الأحناف. الحمد لله فقد ثبت من كلام الأوائل والأواخر الكرامة بعد الممات.

النكتة الثامنة: في أنّه هل يكون قول غير المقلد كالقاضي الشوكاني[٢] وابن حزم وغيرهما حجة لنا -معاشر المقلدين- سيما الحنفيون، وهل يكون قول الظاهريين حجة لنا؟

فنقول إعلم أنّ المقلد يكون تمسكه بقول مجتهده لا بقول الظاهريين ولا بقول الشوكاني لما ذكر في (المسلم). وأمّا المقلد فمستنده قول مجتهده لا ظنه ولا ظنه على أنّه لو كان قول الظاهريين حجة لنا لزم أن نقول بالجهة والجمسية، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. ألا ترى إلى ما قال في (شرح العقائد الجلالي): وأكثر المجسمة المحدثون الظاهريون المتبعون لظاهر الحديث ولابي العباس أحمد ابن تيمية ميلٌ عظيم إلى الجهة والجسمية مع علوه كعبا في العلوم. (أبوالعباس تقي الدين أحمد ابن تيمية) (الفوائد البهية لعبد الحي بن عبد الحليم المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ).

وذكر في (بذل المجهود شرح سنن أبي دواد) في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام (**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم**) قال الظاهريون في الحديث لفظ البول لا الغائط فيجوز الغائط فهل يجوز لنا أن نتمسك باقوالهم؟ قال في البذل وهذا جمود ظاهر. وإن قلت إنّ الشوكاني وأمثاله متمسكون بالأحاديث قلنا أليس في رفع اليدين احاديث وكذا في التأمين بالجهر وهل يحتمل أنّ هذه الأحاديث خفيت على الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى؟ كلا، فإنّ زمان الأئمة زمان اشتهار الأحاديث.

والعجب من بعض مقلدي زماننا يرفعون أيديهم عند الركوع ويقولون في السند أليست أحاديث رفع اليدين مرفوعة؟ فإنّه قال العلامة الشعراني رحمة الله تعالى

---

(١) شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي كان مفتيا شافعيا في بغداد وتوفي بها سنة ١٢٧٠ هـ.[١٨٥٣م.]

(٢) محمد بن علي الشوكاني الزيدي الشيعي المتوفى بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ. [١٨٣٤ م.]

عليه[١] لكل مقلد مع امامه سلسلة فاذا نقصت حلقة انقصت السلسة ولذا حكم الفقهاء بحرمة التلفيق. فيا للأسف.

النكتة التاسعة: هل يكون لزوم الكفر كفرا أم لابد من التزام الكفر؟ وهل فرق بين لزوم الكفر والتزامه؟

فنقول إنّه فرق بين لزوم الكفر وإلتزامه فإنّ إلتزام الكفر كفر وأمّا لزوم الكفر فليس بكفر كمن سجد بغير وضوء على ظن أنّه متوضئ فإنّه ليس ملتزما لكفر فلا يكون كافرا بخلاف ما كان عالما فإن السجدة بغير وضوء كفر عند البعض.

قال في (حاشية الخيالي ص: ٧٧) في بيان مسلك النصارى في الأقانيم الثلاثة حيث قالوا بالأقانيم الثلاثة كما هي مسألة التثليث، قيل عليه اللزوم غير الإلتزام ولا كفر إلاّ بالإلتزام وجوابه: إنّ لزوم الكفر المعلوم كفر أيضا فلذا قال في (المواقف) من يلزمه الكفر ولا يعلم به فليس بكافر ولا شك أنّ لزوم الذاتية للإنتقال من أجلى البديهيات.

وذكر المفسر الآلوسي في (ج: ٤، ص: ١١٣) أنّه سئل الشيخ ولي الدين العراقي[٢] هل العلم بكونه عليه الصلاة والسلام بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او من فروض الكفاية فاجاب بأنّه شرط في صحة الايمان فلو قال شخص أُومِنُ برسالته ولا ادري أبشر أم جني أم لك ولا أدري أَمِنَ الْعَرَبِ أو من العجم فلا شك في كفره لتكذيبه القرآن وجحده ما تلقته قرون الإسلام خلفا من سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا أعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فإن جحد بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى. فانظر إلى العلماء المحققين المحتاطين في أمر التكفير.

وكذا يعلم من الحديث المعروف الذي فيه (اللّهمّ أنت عبدي وأنا ربّك) فهذه

---

(١) أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ. [١٥٦٥ م.]

(٢) ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي أبوزرعة الشافعي القاضي بالديار المصرية المتوفى سنة ٨٢٦ هـ. [١٤٢٣ م.]

كلمة كفر لا التزام فيه[١].

النكتة العاشرة: في تحقيق الايمان والكفر.

فاعلم أنّ معرفة الكفر يتوقف على معرفة الايمان لأن الكفر عدم الايمان عما من شأنه أن يكون مؤمنا فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة ولا شك أنّ معرفة الاعدام تتوقف على معرفة الملكات.

فنقول: الايمان في اللغة مأخوذ من الأمن، كأنّه آمَنَ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمَنَ به عن التكذيب والمخالفة.

وفي الاصطلاح: عبارة عن التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وعلم كونه من ضروريات الدين اجمالا فيما علم اجمالا وتفصيلا فيما علم تفصيلا ولا يشترك التفصيل على الكمال فإنّ الأئمة المجتهدين توقفوا في بعض المسائل كما نقل عن الإمام مالك[٢] رحمة الله عليه أنه سئل عن أربعين مسألة فأجاب عن الأربعة وقال في الباقية لا أدري وتوقف أبو حنيفة[٣] رحمة الله عليه في بعض المسائل مثلا الكلب متى يصير معلّما ووقت الختان وهكذا فعلم أنّ التفصيل الكلي في الايمان ليس بضروري ولذا ورد في الأثر أنّ من العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم.

واذا عرفت هذا فاعلم أنّ الكفر عبارة عن التكذيب الذي هو ضد التصديق. غاية ما في الباب أنّ الكفر على نوعين: كفر حقيقي بأن يكون تكذيب ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وكفر بالأمارة كشد الزنار وسجدة الصنم وغير ذلك مما عده الشارع علامة التكذيب.

والشرك اخص من الكفر. والشرك انواع: شرك في الذات بأن يعتقد احد ذاتا واجبا مثل ذات الواجب وشرك في الصفات مثل أن يعتقد أحد شركة الغير للواجب

---

(١) الحديث (...ثم قال من شدة الفرح اللّهمّ أنت عبدي وأنا ربّك أخطأ من شدة الفرح) رواه مسلم

(٢) الامام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي توفي سنة ١٧٩ هـ. [٧٩٥ م.] في المدينة المنورة

(٣) الامام الأعظم أبو حنيفة نعمان بن ثابت توفي سنة ١٥٠ هـ. [٧٦٧ م.] في بغداد

تعالى في الصفات المختصة به تعالى من العلم المحيط وغيره وشرك في العبادة بأن يعبد أحد غير الله تعالى عبادة بدنية او مالية او مركبة.

وههنا قسم رابع إلاّ أنّ إطلاق الشرك عليه صورة وهو الشرك في التسمية كما قال الملاّ علي القاري وأمّا التسمية بعبد النبي فظاهره شرك إلاّ أن يؤول. وكذا الشرك في الحكم والأمر والملك والاسم راجع إلى ما ذكرنا. وأمّا الشرك في الأمر والحكم والملك فراجع إلى ما ذكرنا. والشرك في التسمية كالتسمية بعبد النبي وعبد الرسول ظاهره شرك إلاّ أن يؤول بالخادم.

وأمّا الشرك في الاستعانة بأن يطلب أحد العون من الغير فإن كان يعتقد أنّ ذلك الغير مستقل وخالق للعون فهو شرك في الصفات وإلاّ فهو لس بشرك. ولذا ذكر الخازن[١] (ج: ٣، ص: ٢١) في قصة يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام في قوله تعالى (**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ اَنهُ نَاجٍ مُنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** * يوسف: ٤٢) والمعنى أنّ الشيطان أنسى يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام ذكر ربه عزّ وجلّ حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة[٢] عرضت ليوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام فإنّ الإستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة إلاّ أنّه لما كان مقام يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب الرسالة والنبوة، لا جرم صار يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام مؤاخذا بعد القدر فإنّ (**حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين**) انتهى.

وقال في (المدارك)[٣] في تفسير قوله تعالى (**اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** * يوسف: ٤٢) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة.

([١]) مؤلف لباب التأويل المشهور بتفسير الخازن علاء الدين علي المتوفى سنة ٧٤١ هـ. [١٣٤١ م.]

([٢]) الغفلة ههنا بمعنى الزلة

([٣]) مؤلف تفسير المدارك عبد الله النسفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ. [١٣١٠ م.] في بغداد

وعلم منه أيضا أنّ الإستعانة بالمخلوق في دفع الضرر أو جلب النفع جائز إلاّ أنّ شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعلى وأجلى ولذا ورد أنّه لما ألقي إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام في النار، جاءه جبرائيل فقال له ألك حاجة؟ فقال إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام أمّا اليك فلا فقال اذكره عند ربّك فقال علمه بحالي يغنيني عن سؤالي. وكذا نقل عن ابي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى **بيت:**

فلو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطر يوما حكمت بردتي

ألا إنّ هذا طور وراء طورنا ولنعم ما قال العارف **بيت:**

عقل در اسباب ميدارد نظر * عشق ميگويد مسبب را نگر

فتلك النكات عشرة كاملة فانتقشها على صحيفة خاطرك لتكون على بصيرة في المقاصد الآتية وتكون وسيلة لدرك المقاصد فإنّما المسائل بالوسائل والدعاوي بالدلائل وشرف الإنسان بالشمائل لا بالحلي والحلل.

المقصد الأول في إثبات سماع الموتى

أدلة سماع الموتى كثيرة ولنذكر قدرا ضروريا من ذلك.

منها حديث (قليب بدر) كما ذكره (الصحاح) أنّه عليه الصلاة والسلام ناداهم بأسمائهم (**يا أبا جهل! يا فلان!** (**قَدْ وَجَدْنَا مَاوَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً** * الاعراف: ٤٤)) فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله! أتكلم أجسادا بلا أرواح؟ فقال عليه الصلاة والسلام (**والذي نفسي بيده ما انتم بأسمع من هؤلاء ولكن لا يجيبون**) فهذا الحديث دليل واضح على أنّ الموتى يسمعون ولكن لا يجيبون بل سماعهم أشد من سماع الاحياء ولا يلزم من نفي الاجابة والجواب نفي السماع لأنّه ليس بينهما عينية ولا ملازمة فإنّ الأخرس يسمع ولا يقدر على الجواب وإن قلت أنّه في الإبتداء، قلنا وإن كان في الإبتداء إلاّ أنّه سماع الموتى والمقصود في هذا المقام اثبات نفس سماع الأموات ولا ندعي أنّ للأموات سماعا في كل وقت. وأما إنكار عائشة رضي الله عنها فإنّما هو لأجل تمسكها بظاهر قوله

تعالى (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * النمل: ٨٠) و(**وَمَا اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * فاطر: ٢٢) وقد اجاب العلماء أنّ في الآية نفي الإسماع ولا يلزم منه نفي السماع لا بنفسه ولا على قاعدة المطاوعة على ما سيجيئ في المقاصد الآتية.

ومنها قوله عليه الصلاة والسلام (**إنّ الميت ليسمع خفق نعالهم**) فهذا أيضا دليل على أنّ الميت يسمع صوتا خفيا وهو صوت خفق النعال وإن قلت أنّه في أول الوضع، قلنا المقصود في هذا المقام اثبات أن لا منافاة بين الموت والسماع ولا شك أنّه في أول الوضع ميت وإلاّ لما دفن ولما صلي عليه.

ومنها قوله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتًا** * آل عمران: ١٦٩) و(**بَلْ اَحْيَاءٌ وَلٰكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ** * البقرة: ١٥٤) قال في (التفسير المظهري ج:٢، ص: ١٢١) يعني إنّ الله يعطي لأرواحهم قوة الأجساد فيذهبون من الأرض والسماء والجنة حيث يشاؤون وينصرون اولياءهم ويدمرون اعداءهم، إن شاء الله تعالى ومن أجل ذلك الحياة لا تأكل الأرض اجسادهم.

قال البغوي[١] قيل إنّ أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام (**إنّ الشهداء اذا استشهدوا انزل الله جسدا كأحسن جسد ثم يقال لروحه ادخل فيه فتنظر إلى جسده الأول**...). ثم قال فذهب جماعة من العلماء إنّ هذه الحياة مختصة بالشهداء والحق عندي عدم اختصاصها بهم بل حياة الأنبياء اقوى منهم واشدّ ظهورا آثارا في الخارج حتى لا يجوز النكاح بأزواج النبي عليه الصلاة والسلام بعد وفاته بخلاف الشهيد. والصديقون أيضا أعلى درجة من الشهداء والصالحون يعني إنّ الأولياء ملحقون بهم كما يدل عليه الترتيب في قوله تعالى (**فَاُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ** * النساء: ٦٩) ولذا قالت الصوفية العلية: (أرواحنا أجسادنا وأجسادنا أرواحنا) وقد تواتر عن كثير من الأولياء أنّهم ينصرون أولياءهم ويدمرون اعداءهم ويهدون إلى

---

(١) حسين بن مسعود الشهير بمحيي السنة البغوي الشافعي المتوفى سنة ٥١٦ هـ. [١١٢٢ م.]

الله تعالى من يشاء الله تعالى.

وقد ذكر المجدد رحمه الله تعالى[١] أنّ أرباب كمالات النبوة بالوراثة قلت وهم الصديقون والمقربون في لسان الشرع يعطى لهم من الله تعالى وجودا موهوبا. ويدل على أنّ أجساد الأنبياء والشهداء وبعض الصلحاء لا يأكلها الأرض ما أخرجه الحاكم[٢] وأبو داود عن أوس بن أوس. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إنّ الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**) وأخرج ابن ماجة عن ابي الدرداء نحوه.

وأخرج مالك عن عبد الرحمن بن صعصعة أنّه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن جبير الأنصاري كان قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلي السيل وكانا في قبر واحد ممن استشهد يوم أُحُدٍ فحفر ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا، كأنهما ماتا بالأمس وكان بين حفرهما وغزوة أُحُدٍ ستٌ وأربعون سنة.

وأخرج البيهقي أنّ معاوية رضي الله عنه أَراد أن يجري كظامة (نهرًا)، نادى من له قتيل بأحد فليشهد فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابا ينبتون فاصابت المسيحات رِجْلَ رَجُلٍ منهم فانبعث دما ولقد كانوا يحفرون التراب فحفروا نثرة من تراب فاح عليهم ريح المسك. هكذا اخرجه الواقدي[٣] عن شيوخه وأخرج ابن ابي شيبة[٤] نحوه.

وأخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه وفيه فأصابت المسيحات قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث دما إلى غير ذلك من الروايات التي تدل على سلامة أجسادهم.

وقد صرح علي القاري بأنّ روح المؤمن لها تعلق كلي بجسده فثبت من هذا سماع الموتى بأن يقال أرواح الأنبياء والشهداء والأولياء لها تعلق بأجسادهم مع سلامة

---

(١) يعني الإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي المتوفى بسرهند سنة ١٠٣٤ هـ. [١٦٢٤ م.]

(٢) محمّد بن عبدالله الشهير بحاكم النيسابوري وهو صاحب كتاب المستدرك المتوفى سنة ٤٠٥ هـ.[١٠١٤م.]

(٣) أبو عبد الله محمّد بن عمر الواقدي المتوفى ببغداد سنة ٢٠٧ هـ. [٨٢٢ م.]

(٤) أبو بكر عبد الله بن محمّد الشهير بابن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥ هـ. [٨٥٠ م.]

أجسادهم وكل من شأنه هكذا فهو يسمع فالموتى المذكورون يسمعون وليس مرادنا سماع الموتى على وجه الإستغراق والعموم لكل الأموات في كل الأزمان.

وأيضا النصر والتدمير يدلان على أنّ حياتهم له تعلق بهذا العالم فإنّ نصر الأولياء وتدمير الأعداء يكون في الدنيا ومن لوازم الحياة السماع عند عدم المانع.

ومنها ما قال في (التفسير المظهري ج: ٢، ص: ٤٨٩)، والشهيد لا يبلى في القبر ولا تأكله الأرض وهذا أيضا أثر من آثار حياته.

وأيضا ذكر أنّهم وجدوا والد جابر ويده على جرحه فاميطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم قال جابر فرأيت أبي كأنّه نائم والتمرة التي كفن فيها كما هي والحزمة على رجليه كما هي وبين ذلك ست وأربعون سنة.

قال البغوي، قال عبيد بن عمر مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين انصرف من أُحُدٍ على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ (**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ** * الاحزاب: ٢٣) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**اشهد أنّ هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ألا فاتوهم وزوروهم وسلّموا عليهم فو الذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلاّ ردّوا عليه**) فعلم من ردّ السلام أنّهم يسمعون كلام المسلم عليهم وهذا هو سماع الموتى. و(المظهري) حنفي فعلم أنّ هذا مذهب الأحناف.

ثم قال (مسألة): هل يبلغ غير الشهيد درجة الشهيد؟ قلت: نعم، وما ورد في فضل الشهداء لا يقتضي نفي الحكم عمن عداهم وذكر بعده بسطور قال الشيخ الشهيد شيخي وإمامي رضي الله عنه رضي عني بسره السامي، أنّه يرى بنظر الكشف تجليات ذاتية على الشهداء كما بذلوا ذواتهم في سبيل الله.

ومنها ما أخرجه أحمد والحاكم حديث عائشة رضي الله عنها (**والذي نفسي بيده**...) وعن عكرمة قال: يعطى الموتى مصحفا في القبر يقرأ.

وعن الحسن قال بلغني إنّ المؤمن إذا مات ولم يحفظ القرآن أمر حفظته أن

يعلموه القرآن حتى يبعثه الله يوم القيامة مع أهله كذا في (شرح الصدور في احوال الموتى والقبور) للسيوطي (حاشية المظهري ج: ٤، ص: ٤٨٩)

ومنها ما قال السيوطي: الأحاديث والآثار تدل على أنّ الزائر متى جاء إلى المزور علم به المزور وسمع كلامه وأنس به وردّ عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم، ولأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لأمته أن يسلموا على أهل القبور سلام من يخاطبون ومن يسمع ويعقل.

ومنها ما ذكر الشيخ الدهلوي[١] رحمه الله في ذيل حديث (قليب بدر في كتاب الجهاد ص: ٣٧٣) إعلم أنّ هذا الحديث متفق عليه، صريح في ثبوت سماع الموتى وحصول علمهم على ما يخاطبون به وكذا في حديث مسلم من سمع قرع النعال وكذا ورد في زيارته عليه الصلاة والسلام لأهل بقيع الغرقد أنّه عليه الصلاة والسلام سلّم عليهم وخاطبهم لأنّ الخطاب مع من لا يفهم قبيح كما قال ومن القبيح خطاب من لا يفهم ويعد من العبث.

وكذا خطاب عائشة رضي الله عنها مع أخيها عبد الرّحمن كما ذكر في زيارة القبور. وذكر الشيخ ابن الهمام[٢] في (شرح الهداية) أنّ أكثر الحنفية على أنّ الميت لا يسمع وصرحوا في كتاب الايمان أنّه ان حلف لا اكلم فلانا فكلمه بعد ما مات لا يحنث لأنّ الفهم ليس للميت واجابوا عن حديث مسلم بأنّه مخصوص بوقت الوضع في القبر مقدمة للسؤال وقال الشيخ هذا التخصيص خلاف الظاهر ولا دليل على هذا التخصيص وظاهر الحديث أنّ هذا حاصل للميّت في القبر ويجابون عن الحديث المذكور الذي هو نص في هذا الباب مخالفا لمذهبهم بأنّ هذا كان مخصوصا به عليه الصلاة والسلام ومعجزته وزيادة الحسرة عليهم ولا يخفى أنّ الحمل على هذا مجرد احتمال وتأويل لابد له من دليل يدل على استحالة سماع الموتى والله تعالى قادر

---

(١) الشيخ عبد الحق الدهلوي توفي سنة ١٠٥٢ هـ. [١٦٤٢ م.] في دلهي

(٢) كمال الدين محمّد بن عبد الواحد المتوفى سنة ٨٦١ هـ. [١٤٥٦ م.]

على هذا وسببه الحواس، عادي بمجرد خلق الله كما تقرر في كتب المذهب.

وأجابوا تارة بأن هذا من قبيل ضرب المثل وحقيقة الكلام غير مراد وهذا أبعد من الجواب الأول واضعف ومبنى الايمان على العرف. وأقوى وجوه تأويلهم أنّ عائشة رضي الله عنها لما سمعت هذا الحديث عن عمر رضي الله عنه قالت كيف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا مخالفا عن الكتاب كما قال (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * النمل: ٨٠) و(**وَمَا اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * فاطر: ٢٢) كذا قال ابن الهمام.

وقال في (المواهب اللدنّية)[١] إنّ عائشة رضي الله عنها قالت إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر العلم فوهم عمر رضي الله عنه فقال مكان علم سمع.

وبالجملة أنّ عائشة رضي الله عنها انكرت سماع الموتى متمسكة بهاتين الآيتين ولكن العلماء أجابوا عن قولها رضي الله عنها ولم يقبلوا استدلالها بالنص القرآني ولابدّ لرد رواية الثقة من نص مثلها وفي الآية نفي الإسماع ولا يلزم منه نفي السماع وهو المتنازع فيه أو المراد بـــ(**مَنْ فِي الْقُبُورِ**) الكفار والمراد بعدم سماعهم عدم إجابتهم للحق بدليل أنّ هذه الآية نزلت في دعوة الكفار إلى الايمان وعدم إجابتهم الحق أو المراد بـــ(**الموتى**) موتى القلوب والمراد بـــ(**القبور**) أجسادهم.

وذكرنا في (المواهب اللدنية) أنّه ذكر في مغازي محمد بن اسحاق[٢] بإسناد جيد وذكر الإمام أحمد أيضا برسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها مثل حديث عمر رضي الله عنه فعلم من هذا رجوع عائشة رضي الله عنها إلى كلامهم لأنّ الرواية ثبتت عن الصحابة الكبار وعائشة رضي الله عنها ما حضرت في تلك القضية.

وقد ذكر في شروح (البخاري) مثل هذا وتمسك جماعة بقول قتادة[٣] في آخر الحديث لاثبات سماع الموتى ولا تخصيص في قول قتادة رضي الله تعالى عنه بالنبي

---

(١) مؤلف المواهب اللّدنّيّة أحمد القسطلاني الشافعي توفي سنة ٩٢٣ هـــ. [١٥١٧ م.]

(٢) المتوفى سنة ١٥١ هـــ. [٧٦٧ م.]

(٣) قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة ١١٨ هـــ. [٧٣٥ م.]

صلى الله عليه وسلم بأنّه على طريق المعجزة ولا تخصيص بهذه الأموات فإنّ الله تعالى قادر مطلق على أن يوجد في الأموات كلها.

وأيضا قال الشيخ الدهلوي رحمة الله عليه إن سلم أنّ السمع يكون بالسامعة وقد خربت السامعة بخراب البدن فنقول لا يلزم من نفي السماع نفي العلم لأنّ العلم بالروح وهو باق فيحصل العلم بالمبصرات والمسموعات لا على وجه الإبصار والإسماع وقد وردت أخبار كثيرة في علم الأموات بأحوال زائرهم حتى ورد أنّ زيارة يوم الجمعة أفضل لأنّه يعطى العلم للميت في هذا اليوم أكثر من سائر الأيام وأحوال الزائرين لهم أكشف.

وأيضا لا شكّ في حصول العلم للموتى بالآخرة والبرزخ وبحقيقة دين الإسلام كما قالت عائشة رضي الله عنها وهو متفق عليه في المراد بالحديث فيمكن العلم بأحوال الدنيا وأهلها ولا دليل على زوال علمها ونسيانها مع بقاء الروح.

وبالجملة الكتاب والسنة مملوءانِ بأخبار وآثار تدل على وجود علم الأموات بالدنيا وأهلها فلا ينكره إلاّ الجاهل بالأخبار والمنكر عن الدين المختار. ثم ذكر بعد ذلك مسألة الإستمداد بأهل القبور وسنذكرها في مقصد التوسل، إن شاء الله تعالى.

ومنها ما ذكر في (شرح الصدور ص: ٨٣) أخرج ابن عساكر[١] في تاريخه بسنده من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو قال أنا والله رأيت رأس الحسين رضي الله عنه حين حمل وأنا بدمشق وبين يدي الرأس رجل يقرأ (سورة الكهف) حتى بلغ قوله تعالى (**اَمْ حَسِبْتَ اَنَّ اَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** * الكهف: ٩) قال فانطق الله الرأس بلسان ذرب أي فصيح فقال اعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي انتهى. فعلم من هذا أنّ رأس الحسين كان يسمع تلاوة (الكهف) ولذا قال كذا مع أنّه رأس فقط بلا جسد. قلت إنّه من الخوارق قلنا لا يضرنا فإنّ فيه إثبات الكرامة بعد الممات.

---

(١) علي بن حسن الشهير بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ. [١١٧٦ م.]

ومنها ما أخرجه أبو نعيم[١] في (الحلية) من طريق عمر بن واقد عن يونس بن جليس أنّه كان يمرّ على المقابر بدمشق ينحر يوم الجمعة فسمع قائلا يقول هذا يونس بن جليس، قد هاجر يحجون ويعتمرون كل شهر ويصلون كل يوم خمس صلوات انتم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل. قال فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه فقال سبحان الله! اسمع كلامكم واسلم عليكم ولا تردون عليّ؟ قالوا قد سمعنا كلامك ولكنها حسنة وقد حيل بيننا وبين الحسنات والسيئات (شرح الصدور، ص: ٨٤).

ومنها ما اخرجه أبو نعيم عن عمرو بن دينار[٢] قال ما من ميت إلاّ وروحه في يد ملك ينظر إلى جسده، كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به ويقال وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك (شرح الصدور ص: ٣٧).

ومنها ما اخرج أبو الشيخ من مرسل عبيد بن مرزوق. قال: كانت امرأة تقم المسجد فماتت فلم يعلم بها النبي صلى الله عليه وسلم فمر على قبرها فقال (**ما هذا القبر؟**) قالوا أم محجن قال (**التي تقم المسجد؟**) قالوا نعم فصف الناس فصلى عليها ثم قال (**أي العمل وجدت أفضل؟**) قالوا يا رسول الله! أتسمع قال (**ما أنتم بأسمع منها**) فذكر أنّها أجابته قم المسجد (شرح الصدور، ص: ٣٨).

ومنها ما ذكر في (شرح الصدور، ص: ٩٤). قيل: الأرواح على افنية القبور قال ابن عبد البر[٣] وهذا اصح ما قيل قال واحاديث السؤال وعرض المقعد وعذاب القبر ونعيمه وزيارة القبور والسلام عليها وخطابهم مخاطبة الحاضر العاقل دالة على ذلك

قال ابن القيم: هذا القول إن أريد به الملازمة مع القبور لا تفارقها فهو خطأ يرده الكتاب والسنة وعرض المقعد لا دليل على أنّ الروح في القبر ولا على فنائه بل

---

(١) أبونعيم أحمد بن عبد الله الشافعي الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ. [١٠٣٩ م.]

(٢) أبو محمّد عمرو بن دينار المكي المتوفى سنة ١٢٦ هـ. [٧٤٣ م.]

(٣) جمال الدين أبو عمر يوسف بن عبد الله المالكي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ. [١٠٧١ م.]

على أنّ لها اتصالا بجسده به، يصح أن يعرض عليه مقعده فإنّ للروح شأنا آخر فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها، يرد عليه السلام وهي في مكانها هناك وهذا جبرئيل عليه السلام رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ستمائة جناح منها جناحان سد الأفق فكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه وقلوب المخلصين تتسع للايمان بأنّ من الممكن أنّه كان يدنو هذا الدنو وهو في مستقر من السموات. وفي الحديث في رؤية جبرئيل عليه السلام: (**فرفعت رأسي فإذا جبرئيل عليه السلام، صاف قدميه بين السماء والأرض يقول: يا محمد! أنت رسول الله وأنا جبرئيل فجعلت لا اصرف بصري إلى ناحية إلاّ رأيته كذلك**) وعلى هذا يحمل تنزله تعالى إلى سماء الدنيا ودنوه عشية عرفة ونحوه فهو منزه عن الحركة والانتقال وإنّما يأتي الغلط ههنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد أنّ الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا اشتغلت مكانا لم يمكن أن تكون في غيره وهذا غلط محض.

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح هناك كانت في مثل البدن ولها اتصال بالبدن بحيث تصلي في قبره وترد على من يسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإنّ شأن الأرواح غير شأن الأبدان وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض وإن كان غير تام للمطابقة من حيث أنّ الشعاع إنّما هو عرض الشمس وأمّا الروح فهي بنفسها تنزل. وكذلك رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في ليلة الإسراء في السموات. الصحيح: أنّه رأى الأرواح في مثال الأجسام مع ورود أنّهم أحياء في قبورهم يصلّون.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: (**من صلّى عليّ عند قبري سمعته ومن صلّى عليّ نائيا أبلغته**) أخرجه البيهقي في (الشعب) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال (**إنّ الله تعالى وكّل بقبري ملكا اعطاه اسماع الخلائق فلا يصلّي عليّ أحد إلى**

يوم القيامة إلاّ بلغني باسمه واسم ابيه) أخرجه البزار[١] والطبراني[٢] من حديث عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه مع القطع بأنّ روحه في أعلى علّيّين مع أرواح الأنبياء وهو في الرفيق الأعلى. فثبت بهذا أنّه لا منافاة بين كون الروح في علّيّين أو في الجنة أو في السماء وأنّ لها تعلقا بالبدن واتصالا بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ وإنّما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي ليس فيه ما يشابه هذا وامور البرزخ والآخرة على نمط غير هذا المألوف في الدنيا هذا كله كلام ابن القيم.

وقال في موضع آخر: للروح بالبدن خمسة أنواع من التعلق مغايرة. **الأول:** في بطن الأم **الثاني:** بعد الولادة **الثالث:** حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه. **الرابع:** في البرزخ فإنّها وإن كانت فارقته بالموت فإنّها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لم يبق لها إليه إلتفات. **الخامس:** تعلقها به يوم البعث وهو أكمل أنواع التعلقات ولا نسبة لما قبله إليه إذ لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا.

وقال في موضع آخر: للروح من سرعة الحركة والإنتقال الذي كلمح البصر ما يقتضي عروجها من القبر إلى السماء في أدنى لحظة وشاهد ذلك في روح النائم فقد ثبت أنّ روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدي العرش ثم ترد إلى جسده في أيسر ساعة.

ثم حكى ابن القيم بعد ذلك بقية الأقوال وأنّها بالجابية أو بئر زمزم وأنّ أرواح الكفار ببئر بَرْهُوت. وأورد ما أخرجه ابن مندة[٣] بسنده من طريق سفيان عن ابان بن ثعلب. قال: قال رجل: بت ليلة بوادي برهوت. فكأنّما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يا دومة! يا دومة! وحدثنا رجل من أهل الكتاب: أنّ دومة هو الملك الموكّل بأرواح الكفار.

---

(١) أحمد بن عمرو البزار العطقي المتوفى سنة ٢٩٢ هـ. [٩٠٥ م.]

(٢) سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ. [٩٧١ م.]

(٣) أبو عبد الله محمد بن اسحاق الشهير بابن مندة المتوفى سنة ٣٩٥ هـ. [١٠٠٥ م.]

ثم قال ابن القيم بعد ذلك بسطور ولا يحكم على شيء من هذه الأقوال بعينه بالصحة ولا غيره بالبطلان بل الصحيح أنّ الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوتا ولا تعارض بين الأدلة فإنّ كُلاّ منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة.

فمنها أرواح في أعلى علّيّين في الملإ الأعلى وهم الأنبياء وهم متفاوتون في منازلهم كما أراهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

ومنها أرواح في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم فإنّ منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو لغيره كما في (المسند) عن محمد بن عبد الله بن جحش أنّ رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله! ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال (**الجنة**) فلما ولى قال (**الاّ الدين سارّني به جبرئيل آنفا**).

ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

ومنهم من يكون محبوسا في قبره كحديث صاحب الشملة أنّه تشتعل عليه نار في قبره.

ومنهم من يكون محبوسا في قبره في الأرض لم تصلّ روحه إلى الملإ الأعلى فإنّها كانت روحا سفلية أرضية فإن الأنفس الأرضية لا تجتمع الأنفس السماوية كما أنّها لا تجامع معهن في الدنيا فالروح بعد مفارقتها تلحق باشكالها واصحاب عملها فـــ(**المرء مع من أحبّ**).

ومنها أرواح تكون في تنور الزيات وأرواح في نهر الدم إلى غير ذلك فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد وكلها على اختلاف محالها وتباين مقامها بها اتصال باجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم والعذاب كما كتب له انتهى كلام ابن القيم كذا في (شرح الصدور، ص: ٩٥-٩٦).

ولعمري هذا تحقيق انيق وتفصيل عجيب وسيف قاطع على اعناق المنكرين

فماذا بعد الحق إلاّ الضلال وابن القيم[١] ممن يتمسكون باقواله فلذا ذكرت أقواله.

ومنها ما قال ابن القيم في موضع آخر: الأحاديث والآثار تدل على أنّ الزائر متى جاء علم به المزور وسمع كلامه وأنس به وردّ سلامه عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وأنّه لا توقيت في ذلك قال وهو الأصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت.

ومنها ما ذكر علي القاري: إنّ ما نسب إلى الإمام الأعظم من إنكار سماع الموتى بناء على مسألة الإيمان بأن حلف أحد لا أكلّم فلانا أو لا أضرب فلانا فكلّمه بعد موته وضربه كذلك لا يحنث ليس بصحيح لأنّ مبنى الايمان على العرف ولا شكّ أنّ أهل العرف لا يعدونه كلاما لأنّ الكلام في العرف ما يكون مشافهة وعلم المتكلم أنّ المخاطب يسمع كلامه وكذا المتكلم يسمع جواب المخاطب ولا شكّ أنّ هذا مفقود في الميت لأنّه لا يسمع مطلقا.

ومنها ما ذكر في (الكبيري) أنّ الميت لا يزال يسمع الأذان ما لم يطين ولا شكّ أنه لفظ (لا يزال) يدل على الدوام لأنّ نفي النفي إثبات والأصل في الثابت ثباته ما لم يعلم خلافه.

ومنها ما ذكره العلامة محمد انور الشاه الكشميري[٢] في (فيض الباري شرح صحيح البخاري) إثبات السماع للموتى بتفصيل شاف كاف واف فيه إثبات قول المحق وإبطال قول المبطل (ج: ٢، ص: ٤٧) و(ج: ٢، ص: ٤٦٧) و(ج: ٢، ص: ٤٨٨). وكذا العلامة ابن حجر والمفسر البغدادي الآلوسي (ج: ٢، ص: ٥٧) و(المظهري ج: ٢، ص: ١٥٣) فعلم من هذه النقول إنّ سماع الموتى مسلك الأحناف والشوافع من المحدثين والمفسرين والأكابر الديوبنديين وغيرهم الذين

---

(١) أبو عبد الله حافظ محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ. [١٣٥٠ م.] وهو من أشهر تلاميذ ابن تيمية

(٢) المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ. [١٩٣٣ م.]

يعتقدهم المنكرون فكيف تنكر هذه الفرقة المحدثة.

والأدلة لسماع الموتى كثيرة ما ذكرت عشرا عشيرا منها. فإنّ القليل انموذج الكثير والغرفة تنبئ عن البحر الكبير وما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه، بل يذكر بعضه ولعل المنصف يكفيه هذا والمتعصب لا يفيده الدفاتر والأسفار ولنعم ما قال العارف **بيت:**

آنكه اورا نبود از توفيق داد * كى كند تصديق او ناله جماد

فالعجب من هؤلاء النيام الغافلين الذين احاطت غشاوة التعصب على أبصارهم بل على بصائرهم (**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلاَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** * الحج: ٤٦) اللّهمّ اهدهم وارفع غشاوة التعصب عن ضمائرهم لينطبع دلائل الحق في طبائعهم ويرفع هذا الفاسد والاختلاف عن الامة المحمدية المرحومة ومنشأ كل ذلك الافراط والتفريط فانّ الاقتصاد في هذا الزمان فقيد كالكبريت الأحمر فإنّ الطبائع عموما مائلة إلى اللّدد والعناد إلاّ من شاء الله هدايته وسداده (**وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** * البقرة: ٢١٣).

المقصد الثاني في إثبات التوسل إلى الله تعالى

في الحاجات ببركة الأنبياء والأولياء وبحرمتهم وشرفهم وقربهم من الله حين الحياة وبعد الوفاة فإنّه قد انكر عنه مفرطوا زماننا ولنذكر قدرا ضروريا من ذلك ليصير تبصّرا لمن أراد أن يتبصر وتذكرا لمن أراد أن يتذكر والله الهادي إلى سواء السبيل وعليه التوكل والتعويل

فاعلم أنّ إثبات المسألة يحتاج إلى تحقيق لفظ (الوسيلة والبركة) فإنّ مدار المسألة نفيا وإثباتا على هذا والمقاصد مبنية على المبادئ كما أن المسائل بالوسائل. ونقدم تحقيق لفظ (الوسيلة) فإنّ التوسل مأخوذ منه.

فالوسيلة معناها الحاجة كما في قول القائل **بيت:**

إنّ الرجال لهم إليك وسيلة * أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

كما ذكر القاضي البغدادي بحوالة ابن الأنباري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

وأيضا جاء معناها القرب كما في قول علي كرم الله وجهه **بيت:**

وإذا مررت بآية في ذكرها * وصف الوسيلة والنعيم المعجب

فاسأل الهك بالانابة مخلصا * دار الخلود سؤال من يتضرع

وبمعنى ما يتوسل به ويتقرب يقال توسلت اليه تقربت اليه.

وبمعنى الدرجة في الجنة كما في حديث (**سلوا الله لي الوسيلة**).

والوسيلة بمعنى ما يتقرب به مصرح في تفسير (روح المعاني) وكذا في (تاج اللغة)[١] فإنّه ذكر فيه التوسل نزديكى جستن ويعدى بإلى كما يقال توسلت إلى فلان وبالباء كما يقال توسلت به.

والوسيلة بمعنى الذريعة، لها شواهد كثيرة في كتب الفن كما في (التلويح ص: ١٣) إذاً العمل هو الوسيلة إلى نيل الجنات ورفع الدرجات ومثله في تفسير (البيضاوي) وغيره من كتب فنون مختلفة كما في (خطبة شرح المطالع).

والبركة معناها الزيادة والنماء حسية أو عقلية وكثرة الخير ودوامه ونسبتها إلى الله عزّ وجلّ على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه جلّ وعلا عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك كما في نظائره مما لا يتصور نسبته اليه تعالى كالتكبر وعلى الثاني بإعتبار كثرة ما يفيض منه سبحانه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها. قيل ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى.

ثم قال بعد ذلك بسطور فلذا قيل ههنا في معنى الآية (تعالى وتعاظم بالذات

---

(١) مؤلف هذا الكتاب إسماعيل بن حماد الجوهري النحوي المتوفى سنة ٣٩٨ هـ. [١٠٠٧ م.]

عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الكامل الاحاطة والاستيلاء على كل موجود) وقوله تعالى (**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** * الملك: ١) تكميل لذلك لأنّ القرينة الأولى تدل على التصرف التام في الموجودات على مقتضى إرادته سبحانه ومشيئته من غير منازع ولا مدافع ولا متصرف فيها غيره عزّ وجلّ كما يؤذن به تقديم الظرف في قوله (**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** * الملك: ١) وهذا قول على القدرة الكاملة الشاملة ولو اقتصر على الأولى لأوهم أنّ تصرفه تعالى مقصور على تغير احوال الملك كما يشاهد من تصرفات الأملاك المجازي فقرنت بالثانية ليؤذن بأنّه عزّ سلطانه قادر على التصرف وعلى الايجاد للأعيان المتصرف فيها وعلى ايجاد عوارضها الذاتية وغيرها إلى آخر ما قال (روح المعاني في ج: ١، ص: ٣٢٩).

ومما جاء البركة بمعنى كثرة الخير قوله (**حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ اِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ** * الدخان: ١-٣) قال في (المدارك) كثيرة النفع والخير فعلم منه أنّ البركة بهذا المعنى توصف بها الليلة. وكذا قوله تعالى (**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا** * ق: ٩) فعلم أنّ البركة يوصف بها الماء. وكذا قوله تعالى (**مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ** * النور: ٣٥) فعلم أنّ البركة توصف بها الشجرة. وكذا قوله تعالى (**اِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** * طه: ١٢) قال السيوطي في تفسيره: المطهر أو المبارك فعلم أنّ البركة توصف بها الوادي.

وكذا قوله تعالى حكاية عن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا اَيْنَ مَا كُنْتُ** * مريم: ٣١) فعلم أنّ البركة توصف بها الذوات الفاضلة.

ولو تتبعت محاورات القرآن والحديث وجدت البركة يوصف بها الطعام والمال والأولاد كما في الدعاء المأثور (**اللّهمّ بارك في ماله وأولاده وعمره**) وكما في (**اللّهمّ بارك على محمد**...) فعليك بالاستقراء في القرآن وكتب الحديث سيما كتاب الأطعمة. وفيما ذكرنا كفاية للبيب الحنيف. نعم، بين بركة الخالق والمخلوق فرق فإنّ بركة الخالق ذاتي وبركة المخلوق مستعار وكم من فرق بين ما بالذات وما

بالعرض وهكذا كلّ الصفات فإنّ الاشتراك في الصفات فيما بين الواجب والممكن اسميّ لا حقيقي كما هو مشروح في كتب الكلام في بحث الصفات ولذا فسر في (المدارك) (**تبارك**) أي تعاظم عن صفات المخلوقين.

فالحاصل أنّ البركة لها معان جَمَّة يراد في كل مقام ما يناسبه ولذا قال الشيخ في (أشعّة اللّمعات) في معنى قوله عليه الصلاة والسلام (**إنّكم ترزقون بضعفائكم وفقرائكم**) به بركت فقراء.

وكذا قوله تعالى (**وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا اَقْوَاتَهَا** * فصّلت: ١٠) قال صاحب (المدارك) بالماء والزرع والشجر والثمر والضمير فيها راجع إلى الارض وقيل بارك فيها واكثر خيرها. وقال (الخازن ص: ٨٦) أي في الأرض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه.

وإذا انتقش هذا على صحيفة خاطرك، فاعلم أنّ التوسل على انواع:

منها التوسل بالأعمال الصالحة ولا ريب في جوازه لاحد كما في قوله تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** * المائدة: ٣٥) قال المفسرون في تفصيله أي بالأعمال الصالحة.

وكما في حديث (الغار) المذكور في (البخاري) فإنّه ذكر فيه التوسل من كلّ من الثلاثة بعمله الصالح وهذا مما لا ريب فيه لاحد.

ومنها التوسل بالذوات وهو على نوعين قبل الوفاة وبعد الوفاة أمّا قبل الوفاة فهو أيضا جائز كما في واقعة عمر رضي الله تعالى عنه عن أنس رضي الله تعالى عنه أنّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنه بن عبد المطلب فقال اللّهمّ إنّا كنّا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا وإنّا نتوسل إليك بعم نبيّنا فاسقنا فسقوا. رواه البخاري (المشكاة ص: ١٢٤) وهذا صريح في جواز التوسل بالذوات.

تنبيه: إستدل المنكرون عن جواز التوسل بالذوات الفاضلة بعد الوفاة أنّه لو كان التوسل بعد الوفاة جائزا لتوسل عمر رضي الله تعالى عنه بالنبي عليه السلام مع أنّه توسل بعباس رضي الله تعالى عنه وتقريبه بالنظم القياسي هكذا التوسل بعد الوفاة غير جائز لأنّه لو كان جائزا لما توسل عمر رضي الله تعالى عنه بالاحياء والتالي باطل فالمقدم مثله.

أقول بتوفيق الله تعالى وتوقيفه: هذا استدلال عجيب لأنّا لا نسلّم الملازمة بين المقدم والتالي فإنّه لا يلزم من جواز التوسل بعد الوفاة توسل عمر رضي الله تعالى عنه حتى يلزم من بطلان التالي بطلان المقدم فإنّ التوسل كما هو جائز بالأحياء كذلك جائز بالأموات وعمر رضي الله تعالى عنه فعل أحد الجائزين وهذا كما يستدل أحد بأنّ التوسل بالأعمال الصالحة ليس بجائز وإلاّ لما توسل عمر رضي الله عنه بالذات وهذه سفسطة ظاهرة على أنّه لا يدلّ على عدم بصيرته في العلوم الآلية فإنّ تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه كما تقرر في الأصول في بحث الوجوه الفاسدة أنّ تخصيص الشيء بالذكر في النصوص لا يدلّ على نفي ما عداه كما في قوله عليه الصلاة والسلام (**الماء من الماء**) ولذا نقول الغسل بالاكسال واجب. لأنّ الحديث يعلم منه أنّ الإنزال موجب للغسل وامّا أنّ الإكسال موجب أم لا فمسكوت عنه ولم يتعرض له لا نفيا ولا اثباتا بل ينظر إلى الدليل الآخر. والحكم لا يثبت في المسكوت لأنّ الحكم الشرعي لابدّ له من دليل شرعي ولا دخل للرأي في إثبات الأحكام (التلويح[١] ص: ٣٤). فكذا ههنا التوسل بالأحياء ثبت من فعل عمر رضي الله تعالى عنه. أمّا التوسل بالأموات فمسكوت في الدليل المذكور والحكم لا يثبت من الدليل المذكور في المسكوت عنه فكيف يثبت فيه عدم جواز التوسل بالأموات ولو كان هذا الإستدلال صحيحا كما هو مزعوم المنكرين المعاندين فيستدل المعاند مثلهم بأن يقول التوسل بغير العباس رضي الله تعالى عنه لا

(١) مؤلف التلويح سعد الدين مسعود الشافعي توفي سنة ٧٩٢ هـ. [١٣٨٩ م.] في سمرقند

يجوز وإلاّ لتوسل عمر رضي الله تعالى عنه بغيره من الصحابة مع كثرة الصحابة وافضلية عمر رضي الله تعالى عنه وهذا مما لا ريب في بطلانه لعاقل فضلا عن فاضل ولله درّ الأحناف في الدقة والإحتياط والمعاندون غافلون وفي أودية الحيرة يهيمون **(اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون)**.

وأيضا توسّل عمر رضي الله تعالى عنه كان في الحقيقة بالنبي صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله (اللّهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبينا وإنّا نتوسل إليك بعم نبينا صلى الله عليه وسلم) فهذه الإضافة دليل على أنّ المنظور فيه قرابة النبي صلى الله عليه وسلم. وأيضا يدلّ عليه دعاء عباس رضي الله تعالى عنه بعد دعاء عمر رضي الله تعالى عنه (اللّهمّ إنّ القوم توسّلوا بي إليك لمكاني من نبيك) كما ذكره حجة الإسلام والشيخ في شرحه فانظر إلى هذا الإستدلال الركيك.

ومن الدلائل بجواز التوسل بالأحياء ما رواه أبو داود ذكر في (المشكاة[١] في باب فضل الصدقة) عن أبي جرى جابر بن سليم. قال: أتيت المدينة فرأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا إلاّ صدروا عنه. قلت: من هذا؟ قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلّم. قال: قلت: عليك السلام يا رسول الله! مرتين قال: **(لا تقل عليك السلام. عليك السلام تحية الميت. قل السلام عليك)** قلت: أنت رسول الله؟ قال **(أنا رسول الله الذي إن أصابك ضر فدعوته كشفه عنك وإن أصابك عام سنة فدعوته انبتها لك أو إذا كنت بأرض فقدٍ أو فلاةٍ فَضلَّتْ راحلتُكَ فدعوته رّها عليك)** (المشكاة ص: ١٦١).

فعلم منه أنّ النبي صلى الله عله وسلّم وسيلة إلى الله تعالى في قضاء الحاجات من دفع الضر وإنبات النبات وإنزال المطر وردّ الضّالّة.

وأمّا التّوسّل بعد الوفاة فهو على نوعين:

التّوسّل إلى الله بالأنبياء وهو جائز أيضا خلافا للمنكرين المعاندين ودليلنا قوله

(١) مؤلف المشكاة محمد ولي الدين الشافعي توفي سنة ٧٤٩ هـ. [١٣٤٧ م.]

تعالى (**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ** * البقرة: ٨٩) قال المحمود الآلوسي في تفسيره: نزلت في بني قريظة كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلّم قبل مبعثه، قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه وقتادة والمعنى: يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين كما روى السدّيّ أنّه كان اذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين اخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم موضع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إنّا نسألك بحق نبيّك الذي وعدتنا أن تبعث في آخر الزمان أن تنصرنا على عدونا اليوم فينصرون. فالسين للطلب والفتح متضمن معنى النصر بواسطة على (روح المعاني ج: ١، ص: ٣٢٠) وهكذا ذكر في غيره من التفاسير إلاّ أنّه اقتصر على تفسير (القاضي) (الآلوسي) لأنّ المنكرين يظهرون الإعتقاد في حقه.

فعلم أنّهم يتوسّلون به عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه بل قبل ولادته وكان هذا توسلا بروحانيته وهذا المعنى لا يختلف بعد الوفاة فإنّ الروحانية لا تزول بل تزيد وإن قال المنكر هذا تمسك بفعل اليهود وقولهم قلت: كلا. فإنّه تمسك بتقرير الشرع فإنّه تعالى ذكر استفتاحهم ولم ينكر عليه بل أنكر على كفرهم وقال (**فَلَمَّا جَاءَهُمْ** * البقرة: ٨٩). وقد ثبت في الأصول أنّ شرائع من قبلنا اذا قص الله ورسوله ولم ينكر عليه كان دليلا على جوازه وتقريره، كما في كتاب سليمان على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام (**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** * النمل: ٣٠) وأيضا قال تعالى (**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ** * المائدة: ٤٥) وأيضا حكم الإسرائيليات في كتب الحديث مشهور إن وافق شرائعنا نصدقها وإن خالفها نكذبها وإن لم نعلم لا نصدق ولا نكذب.

ومنها ما روى أبو الجوزاء قحط أهل المدينة قحطا شددا فشكوا إلى عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا فيه كوى إلى السّماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقفٌ ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت

العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق رواه الدارمي (المشكاة ص: ٥٣٧).

قال صاحب (المرقاة) وقد قيل في سبب كشف قبر النبي صلي الله عليه وسلم إنّ السماء لما رأت قبره بكت وسال الوادي من بكائها. قال تعالى (**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ** * الدخان: ٢٩) حكاية عن حال الكفار فيكون امرها على خلاف ذلك بالنسبة إلى الأبرار.

وقيل إنّه عليه الصلاة والسلام كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء كما ورد **بيت**:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الإستشفاع فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب.

وقال الشيخ وهذا في الحقيقة استشفاع بالذات الشريف وكشف القبر مبالغة في ذلك فعلم من هذا الحديث وتقرير العلماء الأعلام جواز التوسّل به عليه الصلاة والسلام بعد الوفاة فضلا عن أن يكون شركا.

ومنها ما ذكر في (الحصن الحصين[١] في آداب الدعاء) وان يتوسل إلى الله تعالى بأنبيائه والصالحين من عباده وقال في (حاشية الحرز الثمين) قال المؤلف هو من المندوبات وذكر حديث عمر رضي الله تعالى عنه في الإستسقاء وذكر حديث عثمان بن حنيف في شأن الأعمى وقال صحيح على شرط الشيخين والترمذي قال حسن غريب ولحديث أبي أمامة الذي ذكرنا في (المصباح) رواه الطبراني في (المعجم الكبير) و(كتاب الدعاء) انتهى.

وقال في ذيل قوله (الصالحين) أي عموما أو خصوصا وهم ما عدا الأنبياء من الصديقين والشهداء والعلماء والأولياء إذ الصالح من يقوم بحق الله بكماله ثم بحق

(١) مؤلف الحصن الحصين ابن الجزري محمد الشافعي توفي سنة ٨٣٣ هـ. [١٤٢٩ م.] في شيراز

عباده وقد سبق التوسل بالأعمال الصالحة (ص: ٣)، مع الحاشية وعلم منه التوسل بغير الأنبياء أيضا.

ومنها ما ذكر في (الحصن الحصين ص: ١٥١): ثم يدعو (**اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبي الرحمة. يا محمد! إنّي أتوجّه بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتقضى لي اللّهمّ فشفّعه فيّ**).

قال في (الحاشية قوله يا محمد!) إلتفات إليه وتضرع لديه لتتوجه روحه إلى الله تعالى ويغني السائل عمّا سواه وعن التوسّل إلى غير مولاه.

وقال في (الحاشية) بعد هذا القول بسطور: وأمّا التوسّل بالنبي عليه الصلاة والسلام بعد خلقه في مدة حياته فمن الإستغاثة به عند القحط وعدم الإمطار وكذلك الإستغاثة به من الجوع ونحو ذلك ومن ذلك إستغاثة ذوي العاهات به وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف أنّ رجلا ضريرا أتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني. قال فامره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء (**اللّهمّ! إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبي الرحمة يا محمد! إنّي أتوجّه بك إلى ربّي في قضاء حاجتي لتقضى لي اللّهمّ فشفّعه فِيَّ**) وصححه البيهقي وزاد فقام وقد ابصر.

وأمّا التوسّل به بعد موته في البرزخ فهو اكثر من أن يحصى وفي كتاب (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام) للشيخ محمد[١] أبي عبد الله بن موسى بن النعمان طرف من ذلك ولقد حصل لي داء أعيا الأطباء وأقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٧٣ ثلاث وسبعين وستمائة بمكة زادها الله شرفا ومَنَّ عليّ بالعود إليها في عافية بلا محنة فبينا أنا نائم إذا رجل ومعه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء أحمد بن علي القسطلاني المالكي المتوفى سنة ست وثلاثين وستمائة من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف

---

(١) المتوفى سنة ٦٨٣ هـ. [١٢٨٤ م.]

النبوي ثم استيقظت فلم أجد بي شيئا مما كنت أجده وحصل لي الشفاء ببركة النبي المصطفى (المواهب اللدنية في الفصل الثاني في زيارة القبر الشريف) وفي شرحه للزرقاني (ج: ٨، ص: ٣١٨).

وبركته عليه الصلاة والسلام ما نقصت بعد الوصال بل زادت.

ومنها ما ذكر في (الحصن الحصين ص: ٣٢) في بيان مواضع الاجابة. قال الحسن البصري[١] في رسالته إلى أهل مكة أنّ الدعاء يستجاب هناك في خمسة عشر موضعا في الطواف وعند الملتزم وتحت الميزاب وفي البيت وعند زمزم وعلى الصفا والمروة وفي المسعى وخلف المقام وفي عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات الثلاث. قلت: وإن لم يجب الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أي عند قبره ففي أي موضع يستجاب فعلم من هذا أنّ الدعاء عند قبره عليه الصلاة والسلام يستجاب وما هو الاّ لبركة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها ما ذكر في (الخازن) عن أبي عمران واسمه اسلم. قال: كنا بمدينة الروم فاخرجوا لنا صفا عظيما من الرّوم فخرج إليهم رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس: سبحان الله! يلقي بيديه إلى التهلكة فقام أبوأيوب الأنصاري[٢] فقال أيّها الناس! إنّكم لتؤوّلون هذه الآية هذا التأويل وإنّما نزلت هذه الأية فينا -معاشر الأنصار- لما أعزّ الله الإسلام وكثُر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ اموالنا قد ضاعت وانّ الله قد اعزّ الإسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام يرد علينا ما قلنا (**وَاَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ** * البقرة: ١٩٥) فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم. وقال

(١) حسن بن أبي الحسن اليسار البصري المتوفى ببصرة سنة ١١٠ هـ. [٧٢٨ م.]

(٢) خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري توفي سنة ٥٠ هـ. [٦٧٠ م.] في استنبول

الترمذي حديث غريب صحيح. مات أبو أيوب رضي الله تعالى عنه في آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية ودفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (الخازن ج: ١، ص: ١٢١) فهذا أيضا دليل على التبرك بالأولياء والتوسل بهم إلى الله تعالى بعد الوفاة فهو امر مندوب فضلا عن أن يكون شركا.

ومنها ما ذكره العلامة السيوطي في تفسيره في دليل قوله تعالى (**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** * يوسف: ١٠١) من آبائي فعاش بعد ذلك اسبوعا او اكثر وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون في قبره فجعلوه في صندوق مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه (الجلالين ص: ١٩٩).

قال الخطيب[١] أي تنازع المصريون وتخاصم أهل مصر في قبره أي في المحل الذي يدفن فيه فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء لبركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجري عليه الماء وتصل بركته إلى جميعهم. قال عكرمة: دفن في الجانب الأيمن من النيل حيث يتفرق الماء بمصر فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فنقل إلى الجانب الأيسر فاخصب ذلك الجانب وأجدب الآخر فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان إلى أن أخرجه موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ودفنه بقرب آبائه بالشام.

فعلم من هذين القولين التوسل بيوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام بعد الوفاة ومثل ما ذكر في (الخازن أيضا ج:٣، ص:٤٥) وكذا في (المدارك ص:٤٤).

ومنها ما ذكر في (المشكاة ص: ٣٦٦) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها أنها أخرجت جبة طيالسية كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها رواه (مسلم) فهذا صريح في التوسل بجبة النبي صلى الله عليه وسلم في الإستشفاء

---

(١) الخطيب البغدادي أحمد الشافعي توفي سنة ٤٦٣ هـ. [١٠٧١ م.]

للمرضى وما ذلك إلاّ لإتصالها ببدنه الشريف.

ومنها ما ذكر في (المشكاة) وعن عثمان بن عبد الله بن موهب: قال أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة فأخرجت من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تمسكه في جلجل من فضة فخضخضته له فشرب منه قال فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراء رواه (البخاري) (المشكاة ص: ٣٨٣) فعلم منه الإستشفاء بشعره عليه الصلاة والسلام وما ذلك إلاّ التوسّل بشعره صلى الله عليه وسلم.

والحاصل أنّه علم من كلام الإمامين الهمامين البخاري ومسلم التوسّل والإستشفاء بثيابه وشعره عليه الصلاة والسلام وما ذلك إلاّ للإتصال ببدنه الشريف فما باله عليه الصلاة والسلام بنفسه لكن المعاندين صاروا صما وعميا.

ومنها ما ذكر في (بذل المجهود شرح سنن أبي داود) في ذيل السند الأول حدثنا مسدد بن مسرهد انتهى. إنّ هذه رقية العقرب مع البسملة وما هذا إلاّ التوسّل بأسامي الصالحين. وعلم من هذا جواز إبقاء آثاره عليه الصلاة والسلام من الثياب والشعر والظفر مثلا ويدل على أهمية التبركات ما ورد في المتفق عليه عن أنس رضي الله تعالى عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أتى منى فاتى الجمرة فرماها، ثم أتى إلى مترله بمنى ونحر نسكه ثم دعا بالحلاق وناول الحالق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فاعطاه اياها ثم ناول الشق الأيسر فقال احلق فحلق فاعطاه أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس. قال الشيخ الدهلوي وكذا قلم الأظفار وقسمها على الحاضرين وبقيت هذه التبركات إلى يومنا (ج: ٢، ص: ٢٨١).

فعلم من أمره عليه الصلاة والسلام بتقسيمها إهتمام التبركات والنجديون يعدوها شركا. اعاذنا الله من إساءة الأدب.

ومنها ما روي عن مصعب بن سعد قال رأى سعد أنّ له فضلا على من دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**هل تنصرون وترزقون إلاّ بضعفائكم**) قال

الشيخ ببركة الفقراء (ج: ٤، ص: ٢١٥).

ومنها ما ذكر في (**الطريقة المحمدية**) فياغيات المستغيثين ويامجيب المضطرين ويا ارحم الراحمين وياغافر المذنبين بحرمة حبيبك المصطفى ونبيك المجتبى(ص:٢٤-٧٢).

ومنها ما ذكر الآلوسي البغدادي في تفسيره في ذيل قوله تعالى (**فَالْمُدَبِّرات أمراً** * النازعات: ٥) وقيل إقسام بالنفوس الفاضلة حالة مفارقة الأبدان بالموت فإنّها تنزع من الأبدان غرقا اي نزعاً شديداً من اغرق النازع في النفوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهي إلى النصل لعسر مفارقتها اياها حيث الفته وكانت مطمئنة لها لاكتساب الخير ومظنة لازدياده فتنشط شوقا إلى عالم الملكوت وتسبح به فتسبق إلى حظائر القدس فتصير لشرفها. وقوتها من (**الْمُدَبِّراتِ**) اي ملحقة بالملائكة او تصلح هي لأن تكون مدبرة كما قال الامام إنها بعد المفارقة، قد تظهر لها آثار واحوال في الدّنيا فقد يرى المرء شيخه فيرشده لما يهمه.

وقد نقل عن جالينوس أنّه مرض مرضاً شديدا عجز عن علاجه الحكماء فوصف له في منامه علاجا فافاق وفعله فافاق وقد ذكره الغزالي ولذا قيل وليس بحديث كما توهم (اذا تحيّرتم في الامور فاستعينوا من اصحاب القبور) اي اصحاب النفوس الفاضلة المتوفّين ولا شكّ في أنّه يحصل لزائرهم مدد روحاني ببركتهم وكثيراً ما تنحل عقد الامور بأنامل التوسّل إلى الله تعالى بحرمتهم وتفسير (**النازعات**) بالنفوس مروي عن السُدِّي.

ثم قال وكذا في حملها على النفوس الفاضلة ايهام صحة ما يزعمه سخفة العقول من أنّ الأولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق والنصر على الاعداء وغير ذلك مما يكون في عالم الكون والفساد على معنى أنّه تعالى فوض اليهم ذلك ومنهم من خصَّ ذلك بخمسة من الأولياء والكل جهل وإن كان الثاني اشد جهلاً. نعم لا ينبغي التوقف في أنّ الله قد يكرم من يشاء من اوليائه بعد الموت كما يكرمه بما شاء قبله فيبرئ سبحانه المريض وينقذ الغريق وينصر على العدو

ويترّل الغيث وكيت وكيت كرامة وربما يظهر عزّ وجلّ من يشبهه صورة فتفعل ما سأل الله بحرمته مما لا اثم فيه وربما وقع السؤال على وجه محظور شرعاً فيظهر سبحانه وتعالى ذلك مكراً بالسائل واستدراجاً به (ج: ٣ ص: ٢٤–٢٥).

ومنها ما ذكر الآلوسي البغدادي في تفسيره ذيل قوله تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** * المائدة: ٣٥) حيث قال الوسيلة ما يتوسّل به إلى الله تعالى ويتقرب من فعل الطاعات وترك المعاصى. من وصل إلى كذا تقرب اليه بشيء.

واخرج ابن الانباري[١] عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّ الوسيلة الحاجة **بيت**:

ان الرجال لهم إليك وسيلة * أن يأخذوك تكحّلي وتخضّبي

والمعنى اطلبوا متوجهين حاجاتكم فإنّ بيده مقاليد السّموات والارض. وفسر بعضهم الوسيلة بدرجة في الجنّة وهذا لا يناسب المقام.

قال الآلوسي واستدل بعض الناس على هذه الآية باستغاثة الصّالحين وجعلهم وسيلة ومنهم من يقول لغائب او ميّت: يا فلان ادع الله تعالى ليرزقني كذا وكذا ويروون (**إذا اعيتكم الامور فاستعينوا بأهل القبور**) او (**فعليكم بأهل القبور**) وكل ذلك بعيد عن الحق[٢].

وتحقيق الكلام أنّ الاستغاثة بمخلوق وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه. لا شكّ في جوازه إن كان المطلوب منه حياً. وقد يكون الطالب افضل كما قال عليه الصّلاة والسّلام لعمر رضي الله تعالى عنه حين استأذنه للعمرة (**يا اخي لا تنسنا من دعائك**) وكما في اويس القرني[٣] واما إذا كان ميّتاً فلا يستريب عاقل أنّه غير جائز بل من البدع التي لم يفعلها احد من السلف من النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ولا

---

(١) أبو البركات ابن الانباري عبد الرّحمن الشّافعي توفي سنة ٥٥٧ هـ. [١١٨١ م.] في بغداد

(٢) هذا الكلام يشير إلى ضلالة الآلوسي

(٣) اويس بن عامر القرني المتوفى سنة ٣٧ هـ. [٦٥٨ م.]

من ضجيعيه. نعم، السلام والدعاء مشروعان. فإذا كان هذا هو المشروع في زيارة سيّد الخليقة وعلة الايجاد فما ذا تبلغ زيارة غيره.

واما القَسَم على الله بالغير من خلقه مثل (اللّهمَّ! اني اقسم عليك او اسألك بفلان الاّ ما قضيت لي حاجتي) فعن ابن عبد السّلام جواز ذلك في النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام دون غيره لأن الغير ليس له درجة. ونقله المناوي[١] في شرحه الكبير للجامع الصغير ودليله ما رواه التّرمذي من رواية عثمان بن حنيف وفيه (**اللّهمَّ اني أسألك واتوجه اليك بنبيّك نبيّ الرحمة يا رسول الله اني اتوجه بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتقضى لي اللّهمَّ فشفّعه فيّ**) ونقل عن أحمد مثل ذلك.

قال الآلوسي ومن الناس من منع التوسّل بالذوات مطلقاً وهو الّذي يرشح به كلام ابن تيميّة ونقله عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وأبي يوسف رحمه الله تعالى وغيرهما من العلماء الاعلام واجاب بأن فيه حذف المضاف ففيه جعل الدعاء وسيلة وهو جائز مندوب. وقد شنّع تاج الدّين السبكي[٢] كما هو عادته على المجد فقال ويحسن التوسّل والاستغاثة بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى ربه ولم ينكر احد من السلف والخلف حتّى جاء ابن تيميّة فانكر ذلك وابتدع ما لم يقله عالم وصار بين الانام مثلة. ورد قول السبكي المفسّر بأنّه ليس في الادعية التوسّل بالذوات ولو فرض وجوده فبتقدير المضاف.

وايضاً كان عمر رضي الله تعالى عنه يتوسّل بالعبّاس ولو كان التوسّل به بعد الوفاة جائزاً لما توسّل بعبّاس رضي الله تعالى عنه وما ذكر من قياس غيره من الارواح المقدسة عليه مع التفاوت في الكرامة مما لا يكاد يسلم. وما ذكر في (البخاري) من أنّ فيه دلالة على الاقسام على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حيّاً وكذا بغيره امّا الاول فكتوسّل الصّحابة (اللّهمَّ إنّا كنّا نتوسّل اليك بنبيّنا) وامّا الثاني

---

(١) عبد الرؤف بن تاج العارفين المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ هــ [١٦٢١ م.]

(٢) عبد الوهاب بن علي تاج الدّين السبكي المتوفى بدمشق سنة ٧٧١ هــ. [١٣٧٠ م.]

فكتوسّل عمر رضي الله تعالى عنه بقوله (إنّا نتوسّل إليك بعم نبيّنا) ففيه أنّ هذا التوسّل ليس من باب الإقسام بل من باب التوسّل والاستشفاع وهو أن يطلب من الشخص الدعاء والشفاعة ويطلب من الله تعالى أن يقبل دعاءه وشفاعته ويؤيد ذلك أنّ العبّاس رضي الله تعالى عنه كان يدعوهم وهم يؤمنون لدعائه حتّى سقوا.

وقد ذكر المجد أنّ لفظ التوسّل بالشخص والتوجه اليه وبه وفيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح. فمعناه في لغة الصّحابة أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوجه والتوسّل في الحقيقة بدعائه وشفاعته ولا محذور فيه واما في لغة كثير من الناس، فمعناه أن يسأل الله بذلك ويقسم به عليه وهذا هو محل النزاع.

قال الآلوسي وما يذكره بعض العامة إذا كانت لكم إلى الله حاجة فاسألوا الله بجاهي فإنّ جاهي عند الله عظيم لم يروه احد من اهل العلم ولا هو شيء في كتب اهل الحديث.

قال الآلوسي وما رواه القشيري[١] عن معروف الكرخي قدس سرّه أنّه قال لتلامذته: إن كانت لكم حاجة فاقسموا عليه فانّي الواسطة بينكم وبين الله جلّ جلاله. الاّ أنّه لا يوجد له سند يعول عليه عند المحدثين[٢].

قال الآلوسي واما ما رواه ابن ماجة[٣] في دعاء الخارج إلى الصّلاة (**اللّهمَّ انّي أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فانّي لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك. أن تنقذني من النّار وأن تدخلني الجنّة**) ففي سنده (العوفى) وفيه ضعف وعلى تقدير أن يكون من كلام النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّ حق السائلين أن يجبهم وحق الماشين في طاعته أن يثيبهم والحق بمعنى الوعد الثابت المتحقق الوقوع فضلاً لا وجوباً كما في قوله تعالى (**وَكَانَ**

---

(١) عبد الكريم القشيري الشّافعي توفي سنة ٤٦٥ هـ. [١٠٧٢ م.] في نيشابور

(٢) ذلك بحكم الوراثة

(٣) ابن ماجه محمّد توفي سنة ٢٧٣ هـ. [٨٨٦ م.]

حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ * الروم: ٤٧) وفي الصّحيح من حديث معاذ (**حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ، إِذَا فَعَلُوا ذلِكَ، أَنْ لاَيُعَذِّبَهُمْ**). فالسؤال حينئذٍ بالاجابة والاثابة وهما من صفات الله تعالى الفعلية والسؤال بهما ما لا نزاع فيه لاحد فيكون هذا السؤال كالاستعاذة في قوله (**اللّهمَّ اني اعوذ برضائك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك**) فمتى صحت الاستعاذة بمعافاته صح السؤال باثابته وعلى نحو ذلك يخرج سؤال الثلاثة لله عزّ وجلّ باعمالهم على أنّ التوسّل بالاعمال معناه التسبب بها لحصول المقصود ولا شكّ أنّ الاعمال الصّالحة سبب لثواب الله تعالى لنا ولا كذلك الذوات والأشخاص انفسها والناس قد افرطوا اليوم في الاقسام على الله تعالى فأقسموا عليه عزّ شأنه بمن ليس في العير ولا في النفير وليس عنده من الجاه قدر القطمير واعظم عن ذلك أنّهم يطلبون من اصحاب القبور نحو اشفاء المريض واغناء الفقير ورد الضالّة وتيسير كل عسير وتوحي اليهم شياطينهم خبراً إذا اعيتكم الأمور وهو حديث مفترى على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم باجماع العارفين بحديثه ولم يروه احد من العلماء وقد نهى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم عن اتخاذ القبور مساجد ولعن على ذلك فكيف يتصور منه الامر بالاستغاثة والطلب من اصحابها. سبحانك هذا بهتان عظيم. وعن أبي يزيد البسطامي[١] قدس سرّه استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون. ومن كلام السجاد إنّ طلب المحتاج من المحتاج سفه في رأيه وضلة في عقله. ومن دعاء موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام (وبك المستغاث) وقال عليه الصّلاة والسّلام لابن عبّاس رضي الله تعالى عنه (**إذا استعنت فاستعن بالله**). وقال تعالى (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** * الفاتحة: ٥) وبعد ذلك لا ارى بأساً في التوسّل إلى الله بجاه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم حيّاً وميّتاً ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة الله تعالى مثل المحبة التامّة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول

---

(١) أبو يزيد طيفور بن عيسى الشهير ببايزيد البسطامي المتوفى سنة ٢٦١هـ. [٨٧٥ م.]

القائل (الهي اتوسّل بجاه نبيك أن تقضي لي حاجتي، الهي اجعل محبّتك له وسيلة في قضاء حاجتي) ولا فرق بين هذا وقولك الهي اتوسّل برحمتك أن تفعل كذا بل لا ارى بأساً في الإقسام على الله بجاهه بهذا المعنى والكلام في الحرمة كالكلام في الجاه ولا يجري ذلك في التوسّل والإقسام على الذات البحت. نعم لم يعهد التوسّل بالجاه والحرمة عن احد من الصّحابة ولعل كان ذلك تحاشيا منهم عما يعلق في اذهان الناس إذ ذاك وهم قريبوا عهد بالتوسّل بالاصنام. ثم اقتدى بهم من خلفهم من الأئمة الطاهرين وقد ترك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هدم الكعبة وتأسيسها على قواعد ابراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لكون القوم حديثى عهد بالكفر كما ثبت ذلك في الصّحيح وهذا الّذي ذكرته انما هو لدفع الحرج عن الناس والفرار عن دعوى تضليلهم كما يزعمه البعض في التوسّل بجاه عريض الجاه صلّى الله عليه وسلّم لا للميل إلى أن الدعاء كذلك افضل من الادعية المأثورة التي جاء بها الكتاب والسّنّة فإنّه لا يستريب عاقل منصف في أنّ ما علمه الله ورسوله ودرج عليه الصّحابة الكرام وتلقاهم من بعدهم بالقبول افضل واجمع وانفع واسلم.

بقي ههنا أمران: الاول أنّ التوسّل بجاه غير النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا بأس به ايضاً إن كان المتوسّل بجاهه مما علم أنّ له جاهاً عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته واما من لا قطع بصلاحه في ذلك فلا يتوسّل بجاهه لما فيه من الحكم الضمني على الله تعالى بما لم يعلم تحققه منه عزّ شأنه وفي ذلك جرأة عظيمة على الله تعالى.

الثاني إنّ الناس قد اكثروا من دعاء غير الله من الأولياء الأحياء والاموات وغيرهم مثل (يا سيّدي فلان اغثني) وليس ذلك من التوسّل المباح في شيء واللائق بحال المؤمن عدم التفوّه بذلك وأن لا يحوم حول حماه وقد عدّه الناس من العلماء شركاً وأن لا يكنه فهو قريب ولا ارى احداً ممن يقول ذلك إلاّ وهو يقصد أنّ المدعو الحيّ الغائب او الميّت المغيب يعلم الغيب ويسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير او دفع الاذى والاّ لما دعاه ولا فتح فاه (**وَفِي ذَلِكُمْ بَلاَءٌ مِنْ**

رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب الاّ من الله القوي الغني الفعال لما يريد ومن وقف على سر ما رواه الطبراني في معجمه من أنّه كان منافق يؤذي المؤمنين فقال قوموا بنا نستغيث برسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم من هذا المنافق فجاؤا اليه فقال (**إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله**) لم يشك في أنّ الاستغاثة باصحاب القبور الذين هم سعداء واشقياء ألهاهم عذابهم وحبسهم في النيران عن اجابة مناديهم وتقلبهم في الجنان عن الاصاغة إلى ناديهم امر يجب اجتنابه ولا يليق بارباب العقول ارتكابه ولا يغرنك أنّ المستغيث بالمخلوق قد تقضى حاجته وتنجح طلبته فإنّ ذلك ابتلاء وفتنة منه عزّ وجلّ وقد يتمثل الشيطان للمستغيث في صورة الّذي استغاث به فيظن أنّ ذلك كرامة له هيهات هيهات انما هو شيطان اضله واغواه وزين له هواه وذلك كما يتكلم الشيطان في الاصنام ليضل بها عبدتها الطعام وبعض الجهلة يقول إنّ ذلك من تطور الروح او من ظهور ملك بصورته كرامة ولقد ساء ما يحكمون لأن التطور والظهور وإن كانا ممكنين لكن لا في مثل هذه الصورة وعند ارتكاب هذه الجريرة نسأل الله تعالى باسمائه أن يعصمنا عن ذلك ونتوسّل اليه بلطفه أن يسلك بنا وبكم احسن المسالك انتهى كلام القاضي البغدادي (ج: ٦، ص: ١٢٩)[١].

ولا يخفى أنّه قد ذكرنا لك سابقاً قبيل هذا القول كلام المفسّر المذكور حيث قال ولا شكّ أنّه يحصل لزائرهم مدد روحاني ببركتهم.

وقوله نعم لا ينبغي التوقف الخ. إنّ المفسّر المذكور قائل بالتوسّل بروحانيّتهم وقائل بحصول المدد بروحانيّتهم.

وايضاً قال في هذا المقام إنّ التوسّل بجاه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبجاه غير النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذا علم أنّ له جاهاً فهذا القول ايضاً صريح في جواز التوسّل إلى الله تعالى.

---

(١) كلام الآلوسي عندي لا علميّ. (الفقير حسين حلمي)

وايضاً ذكر المفسّر (إذا تحيّرتم في الامور) انتهى. أنّه ليس بحديث حيث قال هناك ولذا قيل وليس بحديث كما توهم (إذا تحيّرتم في الامور فاستعينوا من اصحاب القبور) اي اصحاب النفوس الفاضلة. فعلم أنّ المفسّر انما ذكر الرد على كونه حديثاً لا على نفس مضمونه والاّ لما ذكره في مقام التأييد وما ذكر هنا انما هو كلام ابن تيمية[١] ولا يخفى أنّه قيل فيه ما قيل.

منه ما قال الصاوي[٢] في تفصيل قوله تعالى (**فَاِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ** * البقرة: ٢٣٠) اي طلقة ثالثة سواء وقع الاثنان مرة او مرتين والمعنى فإن ثبت طلاقها ثلاثاً في مرةٍ او مرّاتٍ فلا تحل انتهى. لما إذا قال لها انت طالق ثلاثاً او البتة وهذا هو المجمع عليه واما القول بأن الطّلاق الثلاث في مرة واحدة لا يقع الاّ طلقة فلم يعرف الاّ لابن تيميّة من الحنابلة وقد ردّ عليه ائمة مذهبه أنّه الضال المضل ونسبتها إلى الامام الاشهب من المالكية باطلة انتهى. (حاشية الجلالين. ص: ٣٥).

ومنه ما قال الدّواني[٣] في شرحه على العقائد واكثر المجسمة هم الظاهريون المتبعون لظاهر الحديث والكتاب واكثرهم المحدثون ولابن تيميّة أبي العبّاس أحمد[٤] واصحابه ميل عظيم إلى اثبات الجهة ومبالغة في القدح في نفيها ورأيت في بعض تصانيفه أنّه لا فرق عند بداهة العقل بين أن يقال هو معدوم او يقال طلبته في جميع الامكنة فلم اجده ونسب النافيين إلى التعطل هذا مع علو كعبه في العلوم العقلية والنقلية كما يشهد به من تتبع تصانيفه (الدّواني على العقائد العضدية ص: ٦٧) فكيف يكون قول ابن تيميّة حجّة علينا.

وايضاً ردّ السبكي قول ابن تيميّة كما قال المفسّر وقد شنع تاج الدّين

---

(١) أحمد ابن تيميّة الحنبلي توفي سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في الشام

(٢) أحمد بن محمّد الصاوي المالكي المتوفى سنة ١٢٤١ هـ. [١٨٢٥ م.]

(٣) جلال الدّين محمّد اسعد المتوفى سنة ٩٠٨ هـ. [١٥٠٢ م.]

(٤) أحمد بن عبد الحليم المتوفى سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.]

السبكي كما هو عادته فقال ويحسن التوسّل والاستغاثة بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى ربه ولم ينكره احد من السلف والخلف حتّى جاء ابن تيميّة فانكر ذلك وابتدع ما لم يقل عالم وصار بين الانام مثلة انتهى كلام السبكي. فانظر ايها المنصف إلى تشنيع السبكي عليه ونسبة خلاف اجماع السلف والخلف ونسبة الابتداع اليه فهل لمنصف أن يترك اجماع السلف والخلف بقول شخص واحدٍ سيّما الخلف والسلف القائلون بحسنه وابن تيميّة يقول في التوسّل ما يقول فيه فترك اجماع السلف والخلف بقول رجل واحد بعيد عن الانصاف.

وما ذكر أنّ معنى التوسّل في لغة الصّحابة أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسّل في الحقيقة بدعائه وشفاعته ولا محذور فيه ولا يخفى أنّه لا انحصار للتوسّل في هذا المعنى الا ترى إلى قول القائل: **بيت:**

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فانه لا ذكر فيه للدعاء ولا للشفاعة فكيف الانحصار.

وما قال إنّ معناه في لغة كثير من الناس أن يسأل بذلك ويقسم به عليه وهو محل النزاع ولا يخفى أنّ معنى التوسّل طلب ذريعة اجابة الدعاء إلى الله تعالى بالاعمال الصّالحة والنفوس الفاضلة فالتوسّل بقربهم من الله تعالى وروحانيّتهم وما زال ذلك القرب والروحانيّة بموتهم.

وما قال ما رواه القشيري[١] عن معروف الكرخي[٢] إن كانت لكم حاجة فاقسموا عليه فانّي الوسيلة بينكم وبين الله جلّ جلاله فالآن لا يوجد له سند يعوَّل اليه عند المحدثين فلا يخفى أنّه لا يستلزم عدم وجود السند الآن أن لا يكون له سند في الاصل والمسألة لا تصادم اصول الدّين.

وما قال في حديث ابن ماجة إنّ في سنده العوفي وفيه الضعف لا يخفى أنّ

---

(١) عبد الكريم بن هوازن القشيري الشّافعي المتوفى سنة ٤٢٥ هـ. [١٧٠٢ م.]

(٢) المتوفى سنة ٢٠٠ هـ. [٨١٥ م.] في بغداد

السلف والخلف لما كانوا قائلين بجواز التوسّل كان منجبراً على أنّ المفسّر ايضاً قائل بجواز الإقسام على الله تعالى.

وما قال إنّ التوسّل بالذوات ليس في الادعية المأثورة فلا يخفى أنّ التوسّل المذكور مقرر في الآية والأحاديث كما نبّهناك قبل.

وما قال إنّ طلب الدعاء من شخص إن كان المطلوب منه حيّاً جاز ومن الميّت لا. فلا يخفى أنّه إذا كان سماع الموتى ثابتاً كما في المقصد السّابق اي حرج في دعاء الميّت كما في الحديث (**ان اعمالكم تعرض عليّ فإن وجدت خيراً حمدت الله تعالى وإن وجدت غير ذلك استغفر الله لكم**) أليس هذا تصريح بالدعاء والدعاء من الميّت اعجب ام تلاوة سورة تامّة كسورة الملك واداء صلاة كاملة كصلاة موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام فهيهات التنبه للرمزة الدقيقة الشأن واللمحة الخفية المكان سيّما إذا صرح به العلماء الاعلام منهم المحدث الدّهلوي رحمه الله حيث قال في شرحه المعروف بـــ(اشعّة اللّمعات، ج: ٣، ص: ٣٧٤).

وبالجمله كتاب وسنت مملو ومشحونند بأخبار وآثار كه دلالت ميكند بر وجود علم مرموتىرا بدنيا واهل آن پس منكر نشود آنرا مگر جاهل بأخبار ومنكر دين وگفتم من بخدا توفيق: واما استمداد بأهل قبور منكر شده آنرا بعض فقهاء واگر انكار از جهت آن است كه سماع وعلم نيست مر ايشانرا بزائران واحوال ايشان پس بطلان او ثابت شد. واگر بسبب آن ست كه قدرت نيست مر ايشانرا دران موطن تا مدد كند بلكه محبوس وممنوع اند ومشغولند بآنچه عارض شده است مر ايشانرا از محنت وشدت وآنچه باز داشته شده است از ديگران كه اين كليه نمىماند خصوصاً در شان تيقن كه دوستان خدا اندكه حاصل شود ارواح ايشانرا از قرب در برزخ ومنزلت وقدرت بر شفاعت ودعا وطلب حاجات مر زائران را كه متوسّل بايشان اند چنانچه در روز قيامت خواهد بود وچيست دليل بر نفى آن إلى أن قال ليت شعري چه ميخواهند ايشان بإمداد وإستمداد كه اين

فرقه منكرند آنرا آنچه ما مى فهميم ازان اين است كه داعى محتاج فقير إلى الله دعا ميكند خدا را وطلب ميكند حاجت خود را از جناب عزت وغناى وى وتوسّل ميكند بروحانيت اين بندهٔ مقرّب ومكرّم در دركاه عزت وى وميكويد خداوندا ببركت اين بندهٔ مكرّم ومقرّب كه رحمت كردهٔ بر وى واكرام كردهٔ اورا بلطف وكرمى كه بوى دارى بر آورده كردان حاجت مرا كه تو معطى، كريمى.

يا ندا ميكند اين بندهٔ مكرّم ومقرّب را كه اى بندهٔ خدا وولى وى شفاعت كن مرا وبخواه از خدا كه بدهد مسئول ومطلوب را وقضا كند حاجت مرا پس معطى ومسئول ومأمول پروردكاراست تعالى وتقدس. ونيست اين بنده در ميان مكر وسيله. ونيست قادر وفاعل ومتصرف در وجود مكر حق سبحانه انتهى.

فعلم من كلام هذا الشّيخ الامام الفاضل أنّ دعاء الميّت ايضاً ممّا لا ينكر وكيف يكون ذلك شركاً فإنّه ينجرّ إلى امر عظيم وجرأة عظيمة على اكابر الدّين. نعوذ بالله من الاساءة والجرأة على اكابر الدّين.

وما ذكر أنّ ابن تيميّة نقل عدم جواز التوسّل عن الامام الهمام أبي حنيفة والقاضي أبي يوسف رحمهما الله تعالى رحمةً واسعة كيف يصح ذلك مع نقل القصيدة المشهورة عن الامام أبي حنيفة عند حضور الروضة الشّريفة **شعر**:

يا اكرم الثقلين يا كنْز الورى * جد لي بجودك وارضني برضاك

انا طامع بالجود منك لم يكن * لأبي حنيفة في الانام سواك

وقال زين العابدين: **بيت**:

يا رحمةً للعالمين * ادرك لزين العابدين

محبوس ايدي الظالمين * في موكب والمزدحم

فمن نظر في تلك القصيدة علم من مسلك أبي حنيفة رحمة الله عليه فلا نعتمد على نقل ابن تيمية. نعم لا ينبغي أن يعتقد أنّ ارواح المشائخ حاضرة ناظرة في كل وقت وكل مكان فإنّ ذلك مما لا يقول به عاقل وأفعال العوام مما لا يتمسّك به بل

لا بدّ من التّعليم باحسن الطرق واقرب السبل لا مثل هذه المتشددين المفرطين فإنّ المعروف لا يترك لاجل منكر كما هي القاعدة المتقررة عند الفقهاء بل يجب التّعليم على وجه يبقى المعروف ويزول المنكر. الا ترى إلى ما قال المفسّر البغدادي وهذا الّذي ذكرته انما لدفع الحرج عن الناس والفرار عن دعوى تضليلهم كما يزعمه البعض فعلم أنّ دعوى تضليلهم كما يفعله المتشددون امر يجب الفرار عنه.

وايضاً قال المفسّر المذكور في (ج: ٤، ص: ١١٣) أنّه سئل الشّيخ وليّ الدّين العراقي رحمة الله عليه هل العلم بكونه عليه الصّلاة والسّلام بشراً ومن العرب شرط في صحة الإيمان أو من فروض الكفاية فاجاب بأنّه شرط في صحة الإيمان. فلو قال شخص أومنُ برسالته ولا ادري أبشر او ملك ام جنّيّ او لا ادري أمن العرب ام من العجم فلا شكّ في كفره لتكذيبه القرآن وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفاً عن سلف وصار معلوماً بالضّرورة عند الخاص والعام ولا في ذلك خلافاً فلو كان عيباً لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فإن جحد بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى كلامه.

وعلم منه ردّ قول من أنكر عن بشريّة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقال إنّه نور. نعم اطلاق النور عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم جاء في القرآن والحديث (**قَدْ جَآءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ** * المائدة: ١٥) والمراد من النور محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم لكونه مهتدياً هادياً كما أنّ النور ظاهر بنفسه مظهر لغيره وقال عليه الصّلاة والسّلام في الدعاء المأثور (**اللّهمَّ اجعل في قلبي نوراً**) إلى أن قال (**واجعلني نوراً**) وقال علي القاري في شرحه لانقلابه نوراً لأن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مستجاب الدعوات. نعم القول بالنور بلا انكار البشريّة لا يكون كفراً ولا ممنوعاً كما يفعله متشدّدوا زماننا فانظر إلى هذا المفسّر كيف احتاط في التكفير والتضليل.

ومن ههنا علم ما ذكرت سابقا في النكات أنّ لزوم الكفر ليس بكفر بل التزام الكفر كفر هكذا شأن المحققين المرتاضين المحتاطين لا كامثال شيوخ هذا الزمان وأمّا ما قال من قول أبي يزيد البسطامي فيذكر الجواب عنه فيما سيأتي بأن

التوسّل ثابت بالادلّة القطعية ولكلام الصّوفية محامل فإنّ طورهم وراء طور العقل المتوسط ولنعم ما قال السالك: **بيت:**

عقل در اسباب ميدارد نظر * عشق ميگويد مسبب را نگر

وهذا كما قال أبو الحسن الشّاذلي رحمه الله تعالى: **بيت:**

فلو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري يومًا حكمت بردّتي.

وعلم من قول الآلوسي الجواب عن شبهتهم بأن السلف ما توسّلوا بالذوات بعد الوفاة وهو قوله نعم لم يعهد التوسّل بالجاه انتهى. فعلم أنّ عدم معهودية التوسّل إنّما كان سدًّا للباب لا لعدم جوازه. ألا ترى إلى ما قال الامام الشافعي[١] رحمة الله عليه اني لأتبرك بأبي حنيفة رحمة الله عليه واجيئ إلى قبره فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وسألت الله عند قبره فتقضى سريعاً. شامي (ج:١، ص:٣٩) فعلم من فعل الامام الشّافعي رحمة الله عليه أنّ جواز التوسّل امر ثابت في زمن الأئمة المجتهدين ففعل الامام الشّافعي رحمة الله عليه دليل ظاهر على جواز التوسّل بالأولياء المدفونين في المقابر.

وايضاً علم من ترك القنوت في صلاة الفجر تأدّباً علم الاموات باحوال زائرهم ورعاية ادبهم.

ومن الدلائل على جواز التوسّل ما ذكر العلامة الشامي [ابن عابدين] قوله ومعروف الكرخي بن فيروز من المشائخ الكبار مجاب الدعوات يستسقى بقبره وهو استاذ السّري السّقطي رحمة الله عليه (رد المحتار ج: ١، ص: ٧٢).

واما ما ذكر المفسّر الآلوسي من حديث الطبراني أنّه (**لا يستغاث بي انما يستغاث بالله**) فنقول لما ثبت من الادلة القطعية جواز التوسّل علم أنّه عليه الصّلاة والسّلام انما نهاهم تواضعاً وهذا كما قال عليه الصّلاة والسّلام (**السيّد الله**) حين قالوا له انت سيّدنا في حديث مطرف بن عبد الله بن الشّخير قال انطلقت في وفد بني عامر

---

(١) الامام محمّد بن ادريس الشّافعي توفي سنة ٢٠٤ هـ. [٨٢٠ م.] في القاهرة

إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقلنا انت سيّدنا فقال (**السيّد الله**) فقلنا وافضلنا فضلاً واعظمنا طولاً فقال (**قولوا قولكم او بعض قولكم ولا يستجرينّكم الشيطان**) (المشكاة ص: ٤١٠، باب المفاخرة) فإنّه يعلم من هذا الحديث أنّه لا يقال له السيّد مع أنّه ورد في الحديث (**انا سيّد ولد آدم ولا فخر**) وكما قال عليه الصّلاة والسّلام (**لا تخيروني على يونس بن متى**) مع أنّه عليه الصّلاة والسّلام خير الخليقة وظاهره يقتضي أن لا يقال له السيّد فإذًا لا يقال للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم السيّد فكيف يجوز أن يقال لغيره مع أنّ المنكر قائل بجواز قول السيّد للنّبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وغيره بل يقول في المجالس (**اَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ** * هود: ٧٨) فيقول له بعض متبعيه لبيك يا سيّدنا فانظر بعين الانصاف.

أو المعنى لا يستغاث مني لما في حديث جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه فإنّا نستشفع بك على الله عليك فقال (**سبحان الله**) إلى أن قال (**ويحك أنّه لا يستشفع بالله على احدٍ**) انتهى. (المشكاة، ص: ٥٠٩، كتاب الفتن) فعلم أنّ الانكار ما كان على الاستشفاع برسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بل على العكس.

ومن الدلائل على جواز التوسّل بعد الوفاة ما قال صاحب (الدر المختار)[١] شارح (تنوير الابصار) في خطبته واتممت نعمتك علينا حيث يسرت ابتداء تبييض هذا الشرح المختصر تجاه منبع الشريعة والدّرر وضجيعيه الجليلين أبي بكر وعمر بعد الاذن الشّريف منه صلّى الله تعالى عليه وسلم. قال العلامة الشامي في ذيله وكان الاذن للشارح حصل منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم صريحاً برؤية المنام أو بالالهام وببركته صلّى الله تعالى عليه وسلّم فاق هذا الشرح على غيره كما فاق متنه حيث رأى المصنف النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقام له مستقبلاً واعتنقه عجلا والقمه عليه الصّلاة والسّلام لسانه الشّريف كما حكاه في المنح فكل من المتن والشرح من آثار بركته عليه الصّلاة والسّلام. (رد المحتار، ج: ١، ص: ٩).

---

(١) صاحب الدر المختار محمّد علاء الدّين الحصكفي الحنفي توفي سنة ١٠٨٨ هــ. [١٦٧٦ م.] في الشام

فعلم أنّ جواز التوسّل امر معروف في السلف حتّى أنّ المصنفين يبتدئون تصانيفهم تجاه القبر الشّريف فالعجب من هؤلاء المتعصبين الذين حصلت غشاوة التعصب على بصائرهم وبالغوا في تضليل الناس ونسبتهم إلى الشّرك اعاذنا الله من سيمائهم هذه.

ومنها ما ذكر خليل بن أحمد رحمة الله عليه[١] في كتابه المعروف بـــ(عقائد علماء ديوبند) في (ص: ١٢-١٣):

سؤال كيا وفات كى بعد جناب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كا توسل لينا دعاؤن مين جائز هى ياهين تمهارى نزديك سلف صالحين يعنى انبياء صديقين وشهداء وأولياء كا توسّل بهى جائز هى يا نا جائز؟

جواب همارى نزديك اور همارى مشائخ كى نزديك دعاؤن مين انبياء وصلحا وأولياء وشهداء وصديقين كا توسّل جائز هى آن كى حيات مين هويا بعد وفات باين طور كه كهى كه "يا الله مين بوسيلۀ فلان بزرگ كى تجهه سى دعا كى قبوليت اور حاجت برارى چاهتا هون. يا اس جيسى اور كلمات كهى. چنانچه اس كى تصريح فرمائى هى همارى شيخ المشائخ مولانا محمّد اسحاق صاحب دهلوى ثم المكي نى پهر مولانا رشيد أحمد صاحب گنگوهى نى بهى اپنى فتاوى مين اس گو بيان فرما يا هى جو چهپا هوا هى علماء كى بر ڤه مين موجود وهى يهپلى جلد ص: ٩٣ پر مذكور هى. **فائده** همارى اكابر مرشد العرب والعجم حضرت حاجى امداد الله صاحب مهاجر مكى اور شيخ المشائخ قطب العالم حضرت مولانا رشيد أحمد گنگوهى اور حكيم الامت حضرت مولانا شاه محمّد اشرف علي صاحب نى اپنى بزرگان كى شجرى تصنيف فرمائى بين جوان كى يهان شائع اور معمول بها هى إلى آخر ما قال فعلم من هذا الجواب أنّ التوسّل بالانبياء والأولياء جائز مطلقا سواء كان حين الحياة او بعد الوفاة. وعلم منه جواز

---

(١) خليل أحمد السهارنپوري توفي سنة ١٣٤٦ هـــ. [١٩٢٧ م.] في المدينة المنوّرة

التوسّل بشخص معيّن ايضاً فإنّه ذكر فيه لفظ فلان. وعلم ايضاً أنّ هذه طريقتهم سلفاً وخلفاً منقولة عن مشائخ الشريعة والطريقة وهم اكابر العلماء الديوبنديين.

وايضاً مسائل هذا الكتاب مجمع عليها لأن في آخره تصاديق علماء العرب والعجم وفضلاء الحرمين ومشائخ جامع الازهر وفي تلك التصاديق تصاديق علماء الحنفيّة والشّافعية والحنبلية والمالكية.

فعلم من هذا أنّ التوسّل المنكر عند المنكر مجمع عليه عند علماء العرب من المذاهب الاربعة وعلماء العجم فكان جوازه قطعيّاً بحيث لا يبقى فيه ريب فضلاً عن أن يكون شركاً فهل هذه المشائخ افتوا بجواز الشّرك. سبحانك هذا بهتان عظيم فإنّ هؤلاء المنكرين قد اتهموا العلماء الديوبنديين. نعوذ بالله من الجرأة والاساءة بل علماء الديوبند قائلون بجواز الاستفادة من قبور الاكابر كما قال في (ص: ١٨):

اب رها مشائخ كى روحانيت سى استفاده اوران كى قبرون اور سينون سى باطنى فيضان پهنچنا سو بيشك صحيح هى اس طريقه سى جو اهل حق اور خواص كو معلوم هى نه اس طريق سى جو عوام مين رائج هى.

وهذا ايضاً في دليل واضح على جواز التوسّل على رغم انف المنكرين الناكبين. اللّهمَّ ثبتنا على العقائد الصّحيحة المرضية.

وايضاً هذه الفرقة أنكروا عن ورد (دلائل الخيرات) وقالوا إنّ في (دلائل الخيرات)[١] الفاظاً موهمة للشرك مع أنّ مشائخ الديوبند قاطبة قائلون بثواب قاريه كما قال في (ص: ١٦). همارى شيخ مولانا گنگوهى وديگر مشائخ دلائل خيرات برها كرتى تهى. اور مولانا حضرت حاجى امداد الله صاحب مهاجر مكى قدس سره نى اپنى ارشادات مين تحرير فرما يا هى اور مريدون كو امر بهى كيا هى كه دلائل خيرات كا ورد كرين. اور همارى مشائخ هميشه دلائل خيرات روايت كرتى تهى. اور مولانا گنگوهى رحمه الله بهى اپنى مريدون كو اجازت ديتى تهى.

---

(١) مؤلف دلائل الخيرات محمّد الجزولي المالكي الشّاذلي توفي سنة ٨٧٠ هـــ. [١٤٦٥ م.]

وايضاً هذه الفرقة أنكروا عن الحياة البرزخية. المشائخ المذكورون اثبتوها بالطريق الاكمل كما قال في (ص: ١٤):

هماری نزديك اور هماری مشائخ کی نزديك حضرت صلى الله عليه وسلم اپنی قبر مبارك مین زنده هین اور آپ کی حيات دنيا کی سی هی بلا مكلف هونی کی اور به حيات مخصوص هی آنحضرت صلى الله عليه وسلم كيساتهه اور تمام انبياء وشهدا كيساتهه به حيات برزخی نهين هی جو حاصل هی تمام مسلمانون كو بلكه سب آدميون كو چنانچه علامه سيوطی نی اپنی رساله (انباء الأذكياء بحياة الأنبياء) مين بتصريح لكها هی چنانچه فرما تی هين كه علامه تقي الدين سبكی نی فرمايا هی كه كه انبياء وشهداء کی حياة قبر مين ايسی هی جيسی دنيا مين تهی اور حضرت موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كا اپنی قبر مين نماز پرهنا اس کی دليل هی كيونكه نماز زنده جسم كو چاهتی هی بس ثابت هوا كه حياة دنيوی هی اور اس معنی كر برزخی بهی هی كه عالم برزخ مين حاصل هی.

اور هماری شيخ مولانا محمد قاسم[١]. صاحب قدس سره كا ايك رساله بهی نهايت دقيق اور اچهوتی طرز كا بيمثل جو شائع هو كر لوگون مين شائع هی اس كا نام آبحيات هی.

فعلم من هذا الكلام أنّ حياة الانبياء والشهداء حياة جسدانية ولذا ذكر العلامة السّيوطي في كتابه المسطور المسمى بـــ(شرح الصّدور في احوال الموتى والقبور - باب احوال الموتى في قبورهم وانسهم فيها) فهم يصلّون فيها ويقرؤن ويتزاورون ويتنعمون ويلبسون وذكر في ذلك الباب ما يناسب المقام.

وايضاً ذكر في باب زيارة القبور وعلم الموتى بزوّارهم ورؤيتهم لهم. واما نتن اجساد الاموات ففى غير الانبياء ومن اُلْحِلقَ بهم ولذا ذكر السّيوطي باب نتن الميّت وبلاء جسده الاّ الانبياء ومن الحق بهم وإن شئت التفصيل فعليك بـــ**(شرح**

---

(١) محمّد قاسم النانوتوي باني دار العلوم في ديوبند توفي سنة ١٢٩٧ هــ. [١٨٧٩ م.] في الهند

الصّدور). وايضاً مسألة التوسّل في (عقائد علماء ديوبند ص: ١٥).

سؤال: كيا جائز هى مسجد نبوى مين دعا كرنى والى كويه صورت كه قبر شريف كيطرف منه كر كى كهراهو اور حضرت صلى الله عليه وسلم كا واسطه ديكر حق تعالى سى.

فذكر في جواب هذا السؤال ما حاصله: إنّ التوجه إلى القبر الشّريف والقبلة كلاهما جائزان لكن التوجه إلى القبر اولى ولذا افتى الامام حين سأل عنه خليفة عن هذه المسألة وذكر جواز التوسّل ايضاً واحال على (زبدة المناسك).

ومن الدلائل على جواز التوسّل بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعد الوصال ما ذكر في مقدمة (البخاري) ومولانا أحمد علي السهارنفوري[١] (ص: ٤). وروي عن عبد القدوس بن همام، قال: سمعت عدة من المشائخ يقولون: حوَّل البخاري تراجم جامعه بين قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ومنبره وكان يصلّي لكل ترجمة ركعتين انتهى. ولا يخفى أنّ هذا الفعل ما كان الاّ لحصول البركة في كتابه كما فعله مصنف (الدر المختار) وهذا ليس الاّ معنى التوسّل بعد الوفاة.

فالحاصل إنّ مسألة التوسّل مما قرره المفسّرون والمحدثون قديماً وحديثاً سلفاً وخلفاً والمنكر معاند بل صرح الامام الغزالي رحمة الله عليه فىكتابه (جواز الرحلة إلى قبور الانبياء والاولياء) حيث قال: وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث اي حديث (**لا تشدوا الرحال**...) في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما بيّن لي الامر كذلك بل الزيارة مأمور بها. قال عليه الصّلاة والسّلام (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ولا تقولوا هجرا**) والحديث انما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد الاّ وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر وأمّا المشاهد [المقابر] فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عزّ وجلّ نعم، لو كان في

---

(١) أحمد علي السهارنپوري الديوبندي توفي سنة ١٢٩٧ هــ. [١٨٧٩ م.]

موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحل إلى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية إنّ شاء. ثم ليت شعري، هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى ويحيى على نبيّنا وعليهم الصّلاة والسّلام وغيرهم فالمنع من ذلك في غاية الاحالة فإذا جوز هذا فقبور العلماء والأولياء والصلحاء في معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من اغراض الرحلة كما أنّ زيارة العلماء في الحياة من المقاصد. (احياء العلوم ج: ١، ص: ١٦٩).

فقد صرح الامام الموصوف بجواز الرحلة إلى قبورهم وتعجب من المنكرين والعجب أنّهم لا ينظرون إلى الاستثناء: هل هو متصل والمقدر مسجد في جانب المستثنى منه فيكون التقدير (لا تشدوا الرحال إلى مسجد من المساجد) الحديث ام المقدر موضع والتقدير: (لا تشدوا الرحال إلى موضع من المواضع) فعلى هذا يمنع الرحلة لطلب العلم والتجارة والحج. وهذا اظهر لزوماً وفساداً فعلم أنّ المستثنى منه مسجد فلا يدخل فيه مشاهد الانبياء والأولياء وصرح به في (الفتح) واما قصد غير المساجد لزيارة صالح او قريب او صاحب او طلب العلم او تجارة او نزهة فلا يدخل فيه اي في النّهي.

ومن تمسك بالعموم كابن تيميّة فقال بتحريم شد الرحال إلى قبر سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وسيّما قال صاحب (الفتح) وهي من ابشع [اقبح] المسائل المنقولة عن ابن تيمية. (فتح البارى[١]: ج: ٣، ص: ٤٢).

ومن المتسميين بسمة شيخ القرآن في السّنّة الحاضرة تمسك بانكار ابى ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه على أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في خروجه إلى الطور وقال: لو ادركتك قبل أن تخرج ما خرجت واستدل بهذا الحديث ولم يدر ذلك الشّيخ أنّ الزيارة كان لمحض الطور لا لزيارة نبيّ او صالح فكيف الاستدلال وهذا كالمثل المشهور بين الطلبة، الفاء بمعنى الشرط. فاندفع جميع الاعتراضات.

---

(١) مؤلف فتح الباري أحمد ابن حجر العسقلاني توفي سنة ٨٥٢ هـ. [١٤٤٨ م.] في القاهرة

ومن الدلائل على التوسّل بعد الوفاة: ما قال الامام الشّافعي رحمة الله عليه: قبر موسى الكاظم ترياق مجرب لاجابة الدعاء.

وقال الامام الغزالي رحمة الله عليه: من يستمد به في حياته يستمد به بعد مماته

ومنها ما ذكر في تفسير (روح البيان): وفيه اشارة إلى أن السجدة لآدم على نبيّنا وعليه الصلاة والسّلام وهو مقبور كالسجدة له وهو غير مقبور إذ الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام أحياء عند ربهم وكذا اكمل الاولياء. قدس الله اسرارهم كما قال الصائب: **بيت**:

شو بمرگ ز امداد اهل دل نوميد * كه خواب مردم آگاه عين بيداريست

والشيطان الرجيم غفل عن هذا فنكل عن قبول الحق الصريح. ومثله من ينكر الأولياء او زيارة قبورهم والاستمداد منهم. نسأل الله العصمة ونعوذ بالله من الخذلان. (روح البيان ج: ٢، ص: ٩٠)[١].

ومما يكشف عن عقائد علماء ديوبند في باب التوسّل: ما قيل في قصيدة مدحية لرشيد أحمد الجنجوهي رحمة الله تعالى عليه.[٢] **شعر**:

قصوى مرادى قصارى منيتي ابدا * غوثي ملاذي معاذي منتهى املي

كتر العلوم وكهف الناس قاطبة * بحر الفهوم وعون الخلق في الخيلي

قيل في تشريح هذا الشعر: كهف الناس لأن له عند الله وجاهة وقربة فيرجى قبول دعائه وايضاً ببركة أولياء الله تدفع البلايا عن المخلوق وإن كانوا مستحقين لها (قصيدة مدحية: ص: ٣).

ومن الدلائل على التوسّل بعد الوفاة ما قال السيّد السند في تشريح قول (شرح المطالع) فلذلك وقع التوسّل بافضل الوسائل. فإن قيل: هذا التوسّل، انما يتصور إذا كانوا متعلقين بأبدان واما إذا تجردوا عنها فلا. إذ لا جهة مقتضية

---

(١) مؤلف روح البيان اسماعيل حقي الصّوفي الجلوتي البروسوي توفي سنة ١١٣٧ هـــ. [١٧٢٥ م.] في بروسه

(٢) رشيد أحمد الديوبندي توفي سنة ١٣٢٣ هـــ. [١٩٠٥ م.]

للمناسبة. قلنا يكفيهم أنّهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة همّة عالية فإنّ اثر ذلك باق فيهم ولذلك كانت زيارة مراقدهم عليهم السّلام معدة لفيضان انوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهدهم اصحاب البصائر ويشهدون به (حاشية شرح المطالع: ص: ٦).

ومن الدلائل على التوسّل والافادة والاستفادة من الأولياء المدفونين، ما ذكره مولانا المحدث الشاه عبد العزيز الدّهلوي[١] في تفسيره بعد بحث دقيق بسيط في ترجيح الدفن على الاحراق. وتوجه روح بزائرين مستأنسين ومستفيدين به سهولت ميشود كه بسبب تعيين مكان بدن گويا مكان روح هم متعين است وآثار اين عالم از صدقات وفاتحها وتلاوت قرآن مجيد چون دران بقعه كه مدفن بدن اوست واقع شود به سهولت واقع ميشود پس سوختن گويا روح را بى مكان كردن است ودفن كردن گويا روح را مكان ساختن است بنابرين كه از اولياى مدفونين وديگر صلحاى مؤمنين انتفاع واستفاده جارى است وآنها را افاده واعانت نيز متصور بخلاف مرده هاى سوخته كه اين چيزها اصلاً نسبت بآنها در اصل مذهب آنها واقع نيست. تفسير عزيزي سورهٔ عبس (ص: ٥٠).

فعلم من كلام هذا المحدث: الافادة والاستفادة والانتفاع والاعانة من الأولياء المدفونين في المقابر.

ومنها ما قال هذا المحدث في موضع آخر بعد تفصيل: واين حالت عوام مردگان است وبعضى از خواص أولياء الله را كه آله جارحه تكميل وارشاد بني نوع خود گردانيده اند درينحالت هم تصرف در دنيا داده است واستغراق آنها بجهت كمال وسعت مدارك آنها مانع توجه باين سمت نميگردد. واويسيان تحصيل كمالات باطنى از آنها مى نمايند وارباب حاجات ومطالب حل مشكلات خود از آنها مى طلبند ومى يابند وزبان حال آنها درانوقت هم مترنّم باين مقالات است.

---

(١) عبد العزيز بن ولي الله الدّهلوي توفي سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٤ م.] في دلهي

مصرع: من آیم بجان گر تو آئی بتن

(تفسیر عزیزي، سورة الانشقاق: ص: ١١٣) فهذا ایضاً صریح في ابقاء التصرف لخواص الاولیاء.

ومما یدل علی تصرفات الاولیاء ما قال ذلك المحقق في تفسیره في موضع آخر: چهارم تأثیر اتحادی که شیخ روح خودرا که حامل کمالیست بارواح مستفید بقوت تمام متحد سازد تا کمال روح شیخ بارواح مستفید انتقال نماید واین مرتبه اقوی ترین مراتب تأثیر است چه ظاهراست که بحکم اتحاد روحین هر چه در روح شیخ است بروح تلمیذ میرسد وبار بار حاجت استفاده نمی ماند در أولیاء الله این قسم تأثیر به ندرت واقع شده از حضرت خواجه باقی بالله قدس سرّه[١] منقول است که روزی در خانهٔ ایشان چند کسی مهمان شدند وما حضر موجود نبود اوقات حضرت خواجه در فکر ضیافت مهمانان در تلاش ما حضر شدند اتفاقاً نانوائی متصل بخانهٔ ایشان دکان داشت برین تشویش مطلع شده یك قرص نان پخته با نهاری مکلف مرغن بخدمت ایشان آورد ایشان باین سلوك او بسیار خوش شدند فرمود بخواه هر چه میخواهی او عرض کردکه مرا مثل خود سازید فرمودند که تحمل اینحالت نمیتوانی کرد چیزی دیگر بخواه او بر همین سؤال اصرار داشت وخواجه رحمة الله علیه اعراض فرمودند تا که الحاح او بسیار شد ناچار اورا در حجرهٔ بردند تأثیر اتحادی بر وی کردند چون از حجره بر آمدند در میان خواجه ودر میان نانوائی در صورت وشکل هیچ فرق نمانده بود مردم را امتیاز مشکل افتاد اینقدر بود که حضرت خواجه هشیار بودند آن نانوائی مدهوش وبیخود آخر بعد از سه روز در همین حالت سکر وبیهوشی قضا کرد رحمة الله علیه (تفسیر عزیزي، بارهٔ عمّ: ص: ٢٢٥) وهذا التصرف وإن كان من الحيّ الاّ اني ذكرته طردا لانّه تصرف وتأثير عظيم، كما قال العارف الرومي في كتابه المعروف

---

(١) محمّد بن عبد السّلام الباقی بالله المتوفی سنة ١٠١٢ هــ. [١٦٠٣ م.] في دلهی

بـــ(المثنوي). **بيت:**

أولياء را هست قدرت ازاله * تير جسته باز گرداند ز راه

وبعض الحمقاء من المتّسمين بسمة التوحيد عد هذا الشعر في كتابه المسمى بـــ(رسالة توحيدية) المملوءة من الخرافات شركاً فانظر إلى هذه الجرأة العظيمة نعوذ بالله منها فإذا كانت جرأتهم واصلة إلى هذا الحد فمن أنا وأنت؟ ولواهب عمري لقد تناهت جرأتهم إلى حد تقشعر من سماع كلامهم جلود المنصفين وتمج كلامهم آذان العاقلين (**وَاللهُ يَدْعُوا إلى دَارِ السّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَآءُ إِلَىَ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** * يونس: ٢٥) والعجب كل العجب: إنّ مشائخهم واساتذتهم يقرون بهذه المسألة وهم ينكرونها فهذا دليل على عنادهم وإنّهم عن الصراط لناكبون وكيف ينكرون عن المدد الروحاني والحال إنّ اثر هذا المدد قد يوجد في الخارج ويشاهد.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن القيّم عن (كتاب المنامات) لابن أبي الدّنيا[١] عن شيخ من قريش قال رأيت رجلاً بالشّام قد اسود نصف وجهه وهو يغطّيه فسألته عن ذلك فقال قد جعلت لله عليّ أن لا يسألني عن ذلك احد الاّ اخبرته به كنت شديد الوقيعة في عليّ ابن أبي اطالب رضي الله عنه. فبينا انا نائم ذات ليلة إذ اتاني آت في منامي فقال لي: أنت صاحب الوقيعة فيّ فضرب شق وجهي فاصبحت وشق وجهي اسود كما ترى.

وذكر مسعدة عن هشام بن حسان عن واصل مولى ابن عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة. قال: كنت عند عائشة رضي الله تعالى عنها فاتتها امرأة مشتملة على يدها فجعلت النساء يولعن لها. فقالت: ما اتيت الاّ من اجل يدي إنّ أبي كان رجلاً سمحاً واني رأيت في المنام حياضاً، عليها رجال، معهم آنية، يسقون من اتاهم فرأيت ابى. فقلت: اين امي فقال: انظري، فنظرت فإذا امي ليس عليها الاّ قطعة خرقة فقال: انها لم تتصدق الاّ بتلك الخرقة وشحمة من بقرة ذبحوها فتلك

---

(١) ابن أبي الدّنيا عبد الله توفي سنة ٢٨١ هـــ. [٨٩٤ م.] في بغداد

الشحمة تذاب وتطرف بها وهي تقول وا عطشاه! قالت: فاخذت اناء من الآنية فسقيتها فنوديت من فوقي: من سقاها، ايبس الله يده فاصبحت يدي كما ترين. (كتاب الروح: ص: ٢٩٨).

ومن ذلك: ما في ذلك الكتاب (المائة) ما قد اشترك في العلم عامة اهل الارض من لقاء ارواح الموتى وسؤالهم لهم واخبارهم اياهم بأمور خفيت عليهم فرأوها عياناً وهذا اكثر من أن يتكلف ايراده.

واعجب من هذا الوجه الحادي والمائة: إنّ ارواح النائم يحصل لها في المنام آثار فتصبح تراها على البدن اعياناً وهي من تأثر الروح في الروح كما ذكر القيرواني في (كتاب البستان) عن بعض السلف. قال: كان لي جار يشتم ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فلما كان ذات يوم اكثر من شتمهما فتناولته وتناولني فانصرفت إلى مترلي وأنا مغموم حزين فنمت وتركت العشاء فرأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم. فقلت: يا رسول الله فلان يسبّ اصحابك قال (**من اصحابي؟**) قلت ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال (**خذ هذه المدية فاذبحه بها**) فاخذتها فأضجعته وذبحته ورأيت كانت يدي اصابت من دمه فألقيت المدية واهويت بيدي إلى الارض لامسحها فانتبهت وأنا اسمع الصراخ من نحو داره. فقلت: ما هذا الصراخ؟ قالوا: فلان مات فجأة فلما اصبحنا جئت، فنظرت اليه فإذا خط موضع الذبح. (كتاب الروح: ص: ٢٩٧). فانظر إلى هذا المدد الروحاني والتصرف، كيف بقي اثره في الخارج الاّ أنّ من في قلبه زيغ ويشككك في امثال هذه ويوقع الاحتمالات الركيكة المشككة.

ومن ذلك: ما ذكر في ذلك الكتاب وكان نافع القارئ إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقيل له: كلما قعدت تتطيب. فقال ما امسّ طيبا ولا اقربه ولكن رأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في المنام وهو يقرأ في فمي فمن ذلك الوقت، يشم من فِيَّ هذه الرائحة.

وذكر مسعدة في (كتاب الرؤيا) عن ربيع بن زيد الرقاشي. قال اتاني رجلان

فاغتابا رجلاً فنهيتهما فاتاني احدهما بعد. فقال: اني رأيت في المنام: كأن زنجيا أتاني بطبق عليه جنب خنزير لم ير قط لحم اسمن منه فقال لي كُلْ فقلت آكل لحم الخنزير؟ فتهددني. فاكلت، فاصبحت وقد تغير فمي فلم يزل يجد الريح في فمه شهرين.

وذكر ابن أبي الدّنيا عن أبي حاتم الرازي عن محمّد بن علي قال: كنّا بمكة في المسجد الحرام قعوداً. فقال رجل، نصف وجهه اسود ونصفه ابيض. فقال: ايها الناس اعتبروا بي فانّي كنت اتناول الشّيخين واشتمهما فبينما أنا نائم ذات ليلة، إذ اتى بي آت فرفع فلطم وجهي وقال لي: يا عدو الله يا فاسق ألستَ تسب ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاصبحت وأنا على هذه الحالة.

وقال محمّد بن عبد الله المهلبي: رأيت في المنام كأني في رحبة بني فلان وإذا النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم جالس على اكمة ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وعمر رضي الله تعالى عنه واقفان قدامه صلّى الله عليه وسلّم فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله إنّ هذا يشتمني ويشتم ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقال **(جئ به يا ابا حفص)** فاتى برجل فإذا هو العمان وكان مشهورا بسبهما فقال النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام **(اضجعه)** فاضجعه ثم قال **(اذبحه)** فذبحه. قال: فما نبهني الا صياحة. فقلت: ما لي، لا اخبره، عسى أن يتوب فلما تقربت من داره سمعت بكاء شديداً فقلت ما هذا البكاء؟ فقالوا: العمان، ذبح البارحة على سريره فدنوت من عنقه، فإذا من اذنه إلى طريقة حمراء كالدم المحصور (ص: ٣٠٠).

وقال القيرواني: اخبرني شيخ لنا من اهل الفضل. قال اخبرني أبو الحسن المطلبي امام مسجد النّبيّ صلّى الله عليه وسلم: قال: رأيت بالمدينة عجباً كان رجل يسبّ ابا بكر وعمر رضي الله عنهما فبينا نحن يوماً من الايام بعد صلاة الصبح، إذ اقبل رجل وقد خرجت عيناه وسالتا على خديه فسألناه: ما قصتك؟ فقال: رأيت البارحة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعلي رضي الله عنه بين يديه ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما. فقالا: يا رسول الله؟ هذا الّذي يؤذينا ويسبنا. فقال لي

رسول الله صلّى الله عليه وسلم (**من امرك بهذا يا ابا فيس؟**) فقلت له علي رضي الله تعالى عنه وأشرت اليه. فاقبل عَلَيَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه بوجهه ويده وقد ضم اصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بها إلى عيني. فقال إن كنت كذبت ففقأ الله عينيك وادخل اصبعيه في عيني. فانتبهت من نومي وأنا على هذه الحال فكان يبكي يخبر الناس واعلن بالتوبة.

وقال القيرواني: اخبرني شيخ من اهل الفضل. قال: اخبرني فقيه. قال: كان عندنا رجل يكثر الصوم ويسرده، ولكنه كان يؤخر الفطر فرأى في المنام كأن اسودين آخذين بضبعيه وثيابه إلى تنور محمى ليلقاه فيه. فقلت لهما على ماذا؟ قالا: على خلافك لسنة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنّه امر بتعجيل الفطر وانت تؤخره. قال: فاصبح ووجهه قد اسود من وهج النّار فكان يمشي متبرقعاً في الناس. واعجب من هذا، الرجل يرى في المنام وهو شديد العطش والجوع والالم أنّ غيره قد سقاه واطعمه او داواه بدواء فيستيقظ وقد زال عنه ذلك كله وقد رأى الناس من هذا اعجب.

وقد ذكر مالك عن أبي الرجال عن عمرة عن عائشة: أنّ جارية لها سحرتها وأنّ سيّدها دخل عليها وهي مريضة. فقال: انك سحرت قالت: ومن سحرني؟ قال: جارية في حجرها صبي قد بال عليها. فدعت جاريتها فقالت حتّى اغسل بولا في ثوبي فقالت:. اسحرتني؟ قالت نعم. قالت: ومن دعاك إلى هذا؟ قالت: اردت تعجيل العتق فامرت اخاها أن يبيعها من الاعراب ممن يسيئ ملكها فباعها ثم إنّ عائشة رضي الله تعالى عنها رأت في منامها أن اغتسلي من ثلاثة آبار يمد بعضها بعضاً فاستسقى لها فاغتسلت فبرأت.

وكان سماك بن حرب، قد ذهب بصره فرأى ابراهيم الخليل على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام فمسح على عينيه وقال: اذهب إلى الفرات فانغمس فيها ثلاثاً. ففعل فابصر.

وكان اسماعيل بن بلال الحضرمي، قد عمي فاتى في المنام فقيل له: قل: يا

قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيف بمن شاء ردّ عليّ بصري. فقال الليث بن سعد[١] رأيته قد عمي ثم ابصر.

وقال عبيد الله بن أبي جعفر اشتكيت شكوى فجهدت منها فكنت اقرأ (آية الكرسي) فنمت فإذا رجلان قائمان بين يديّ. فقال احدهما لصاحبه أنّه يقرأ آية فيها ثلاثمائة وستين رحمةً: أفلا يصيب هذا المسكين فيها رحمة واحدة؟ فاستيقظت ووجدت خفة.

وقال ابن الخراز كنت اعالج رجلاً ممعوداً فغاب عنّي ثم لقيته فسألته عن حاله. فقال: رأيت في المنام انساناً زي ناسك متوكئاً على عصاً وقف عليّ وقال: انت رجل ممعود؟ فقلت، نعم فقال عليك بالكباء والجلنجبين فاصبحت فسألت عنهما فقيل الكباء: المصطكى والجلنجبين: الورد المربى بالعسل. فاستعملتهما اياماً فبرأت. فقلت له: ذلك جالينوس. والوقائع في هذا الباب اكثر من أن تذكر.

قال بعض الناس: اصل الطب من المنامات ولا ريب أنّ كثيرا من اصوله مستندة إلى الرؤيا وبعضها من التجارب والالهام والقياس. من اراد الوقوف فلينظر في تاريخ الاطباء و(كتاب البستان) للقيرواني وغير ذلك (ص:٣٠٠ إلى ص:٣٠٣).

وبعد ما انتقش هذا على صحيفة خاطرك ايها المنصف إلاّ اراك شاكاً في هذه المسألة لما علمت من كلام المفسّرين والمحدثين والفقهاء والعلماء الديوبنديين سلفاً وخلفاً ثم نذكر في باب التوسّل اقوال الصّوفية قدس الله اسرارهم تبركاً باقوالهم. رزقنا الله اتباعم ومحبّتهم.

فمن كلام الامام الرّبّاني المجدد للالف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي قدس سرّه في الرسالة المسماة بـــ(معارف لدنية) حيث قال: وهذا المقام هو اتم مقامات الدعوة إلى الحق سبحانه ولكل منازل التكميل والارشاد الأئمة المناسبة إلى الخلق للفيضة لكمال الافادة والاستفادة (**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ**

---

(١) المتوفى سنة ١٧٥ هـــ. [٧٩١ م.] وهو من اصحاب الامام مالك رحمه الله

الْعَظِيمِ * الحديد: ٢١) وكل من الاحوال المذكورة والكمالات المسطورة حصل لي بطفيل افضل الانبياء واكمل البشر عليه وعليهم من الصلوات افضلها ومن التسليمات اكملها. اللَّهمَّ ثبتنا على متابعته واحشرنا في زمرته عليه الصّلاة والتسليمات وعلى آله الطيبين ويرحم الله عبدا قال آميناً (ص: ٥١).

والعجب من منكري التوسّل، كيف ينكرون التوسّل مع هذه الدلائل الواضحة والحجج القاطعة؟ ولنعم ما قال الشّيخ المجدد الفاروقي السرهندي في هذه الرسالة (ص: ٥٣). **بيت:**

نماند بعصيان كسى در گرو * كه دارد چنين سيّدي پيشرو

وقال العارف الشيرازي[١] رحمة الله عليه مشيراً إلى مسألة التوسّل: **بيت:**

مور مسكين هوسى داشتكه بركعبه رسد * دست بر پاى كبوتر زد وناگاه رسيد

وايضاً قال في مرضع آخر. **بيت:**

خدا يا بحق بني فاطمه * كه بر قول إيمان كنم خاتمه

ومما يدل على جواز التوسّل ما ذكره مولانا عبد الغفور[٢] العبّاسي القرشي النقشبندي رحمة الله عليه متع الله الناس بطول بقائه في كتابه المعروف بـــ(**الدعوات الفضيلة**) نقلا عن (**المشكاة**) وكان عليه الصّلاة والسّلام يستفتح بصعاليك المهاجرين. وذكر الموصوف المذكور بعد هذا فائدة حيث قال:

اهل سلوك مين مقبولان الهى كى توسل سى دعا كر نا بكثرت شائع هى اس حديث سى اس كا اثبات هوتا هى اور شجره پرهنا جو اهل سلوك كى يهان معمول

---

(١) الحافظ محمّد الشيرازي توفي سنة ٧٩١ هـــ. [١٣٨٩ م.]] في شيراز

(٢) عبد الغفور القرشي مرشده محمّد فضل علي مرشده محمّد سراج الدّين مرشده محمّد عثمان الداماني مرشده دوست محمّد القندهاري مرشده أحمد سعيد الفاروقي المجددي قدس الله تعالى اسرارهم العزيز أحمد سعيد المجددي الدّهلوي توفي سنة ١٢٧٧ هـــ. [١٨٦١ م.] في المدينة المنوّرة. دوست محمّد توفي سنة ١٢٨٤ هـــ. [١٨٦٧ م.] محمّد عثمان توفي سنة ١٣١٤هـــ. [١٨٩٦ م.] في موسى زئى. سراج الدّين توفي سنة ١٣٣٣ هـــ. [١٩١٥ م.] فضل علي توفي سنة ١٣٥٤ هـــ. [١٩٣٥ م.]

هی اس کی بھی یہی حقیقت اور غرض هی. ثم ذكر حديث أبي داود وقال (**ابغوني في ضعفائكم فانما ترزقون اوتنصرون بضعفائكم**) (دعوات فضلية ص: ١٣٠).

وقال في موضع آخر: الهی فیض تجلیات صفات ثبوتیه که از لطیفهٔ مبارك آن سرور دو عالم صلّی الله تعالی علیه وسلّم در لطیفهٔ روح حضرت نوح وحضرت ابراهیم علیهما الصّلاة والسّلام افاضه فرمودهٔ بحرمت پیران کبار در لطیفهٔ روح من القا کن.

وذكر في مواضع متعددة بحرمت پیران کبار وبوسیلهٔ پیران عظام وطفیل پیران عظام كما في (ص: ١٥٤-١٥٦).

ثم ذكر في خاتمة الكتاب المذكور السلسلة الشّريفة بلسان عربي مبين ابتداؤها: (الهي بحرمة شفيع المذنبين الّذي أرسلته رحمةً للعالمين، سيّدنا ومولانا محمّد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم) وانتهاؤها بقوله: (الهي بحرمة سيّدنا ومولانا محمّد فضل علي القرشي رحمة الله تعالى عليه، ارحم الحقير الفقير احقر الدراويش عبد الغفور العبّاسي النقشبندي المجددي وارزقه كمالا في القرب والاحسان.

ومن ههنا علم جهل بعض المتسمين بسمة الشّيخوخة في العهد القريب ولا ادري في اي فن تلك الشّيخوخة؟ فإنّ للشّيخوخة انواعاً حيث قال في كتاب صنفه عن قريب وسمّاه (جواهر التوحيد) الصادق عليه مثل البلاغة (ان من لا يعرف الفقه، قد صنف فيه كتاباً).

بلکه بعض گدی نشینون نی اپنی مریدون کی لئی جو اور او وظائف تصنیف کی هین آن مین با قاعده تلاوت اور روزانه درد کی لئی اولیاء کرام اور مشائخ عظام کی اسماء کرامیه کی فهرست لکھه دی هی مشرکین عرب بھی عباد الصالحین کی نامون کی تلاوت اس لئی کرتی تھی که هماری حاجات پوری هو جا دین اور تبرك حاصل هو جاری اور زمانه حال کی اولیا پرست بھی اس غرض سی پرهتی هین ور نه اس مین اور کیا غرض هوسکتی هی؟

فانظر إلى هذا الاحمق حيث سوى بين المشركين القائلين (**مَا نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ** * الزمر: ٣) والقائلين (**هَؤُلآءِ شُفَعَآؤُنَا عِنْدَ اللهِ** * يونس: ١٨) وبين الصّالحين القارئين للسلاسل بقصد التوسّل. فكم من فرق فإنّ ذكر السلاسل له اصل كما مر.

ثم انظر إلى لفظ اوليا پرست فإنّ لفظ پرست معناه من پرستش وهي العبادة فأي شخص من المريدين يعبد شيخه؟ هل هذا الاّ بهتان عظيم، على أنّ تلاوة السلاسل امر ثابت من اكابر ديوبند كامداد الله الديوبندي واشرف علي التهانوي وغيرهما.

وايضاً قد عرفت أنّ تلاوة سند اول لأبي داود رقية العقرب واي شرك فيها فإنّ السؤال انما يكون من الله بحرمة مشائخ السلسلة وهذا امر معروف سلفاً وخلفاً كيف يكون شركاً؟

على أنّ رقية السّم والسميات باسامي المشائخ معمولة لمولانا واولانا شيخ الحديث استاذ الاساتذة حضرة نصير الدّين الغرغشتوي –اطال الله فيوضه– حيث قال: كان مرشدنا يقول لرقية السّم والسميات: الهي بحرمة الشّيخ عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه، الهي بحرمة دوست محمّد القندهاري رحمة الله عليه وهي معمولة له.

والعجب كل العجب أنّهم لا ينظرون إلى ما يصدر من افواههم ويكتبون باقلامهم وليس هذا الاّ اثر الماضي على الاضافي. فافهم وتأمل الحال وتذكر الماضي.

وهذا كلام معترض في البين فإنّ القلم ما رفع لرد هذا الشّيخ بل لشيخ آخر وهذا العبد الضعيف كان يتعجب من جرأته بمثل هذه الخرافات الواهيات لكن بعد الاطلاع على احواله الماضية زال ذلك التعجب الماضي في الاستقبال الاضافي.

ومن الدلائل على التوسّل: ما ذكر الصاوي في تفصيل قوله تعالى (**وَالَّذِينَ آمَنُوا اَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ** * البقرة: ١٦٥) اي فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله تعالى واما محبة مثل الانبياء والأولياء فمن المحبة لله تعالى.

إن قلت: إنّ الكفّار كذلك يحبون الانداد ليقربوهم إلى الله زلفى فيقتضي انها

ايضاً من المحبة لله.

اجيب بأنّهم كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ففرق بين المحبة والعبادة فلا يعبد الاّ الله لا غيره بخلاف المحبة من اجل كون ذلك المحبوب مثلاً مقرّباً من الله تعالى كالانبياء والأولياء ومن عبدهم كفر. (الصاوي: ج: ١، ص: ٦٨).

فعلم من هذا جواب المنكرين حيث يقيسون حال متوسّلي زماننا على حال المشركين حيث قال: وهكذا حال مشركي هذا الزمان، يتوسّلون بأهل المقابر.

فانظر إلى هذا القياس الفاسد كما يعلم من كلام الصاوي الظاهر في الفرق بين المحبة والعبادة فإنّ العبادة كما يعلم من جد النجديين في (كتاب التوحيد) العبادة التذلل غاية التذلل بخلاف المحبة فهذا قياس من غير علة مشتركة بل مع الفارق ولقد غلب على طبعهم مثل هذا القياس الفاسد.

والعجب أنّهم ينكرون عن التوسّل بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد الوفاة والحال أنّه عليه الصّلاة والسّلام واسطة لكل موجود كما ذكره الصاوي في (ص: ١٧٦) وفي ذلك اشارة إلى أنه عليه الصّلاة والسّلام واسطة لكل موجود حتّى لأبيه آدم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام.

ومنها ما ذكره الصاوي في تفسير قوله تعالى (**اَرْبَاباً** * آل عمران: ٨٠) اي بل نحبهم ونعتقدهم أنّهم عبيد مكرّمون، لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يضرون ولا ينفعون، فنتوسّل بهم إلى الله لذلك لا لكونهم ارباباً. (الصاوي:ج:١ ص: ١٤٦) فعلم أنّ المالك للنفع والضّرر هو الله تعالى والانبياء والأولياء وسائط ووسائل فأي شرك فيه؟

ومنها ما ذكره في تفصيل قوله تعالى (**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** * المائدة: ٥٦) والمعنى يختار الله، يعبده ويلتجئ اليه ويختار رسوله وليّاً بأن يؤمن به ويتوسّل به ويعظّمه ويوقّره ويختار الذين آمنوا أولياء بأن يعينهم وينصرهم ويوقّرهم إذا حضروا ويحفظهم إذا غابوا. (ص: ٢٥٣).

ومنها ما ذكره في تفصيل قوله تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** * المائدة: ٣٥) قوله (**مَا يُقَرِّبُكُمْ إِلىَ اللهِ**) اي يوصلكم اليه وقوله (من طاعة) بيان لـــ(ما) سواء كان فرضاً او نفلاً كما في الحديث القدسي (ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتّى احبه فإذا احببته كنت سمعه الّذي يسمع به) الحديث. فالتقوى ههنا ترك المخالفات وابتغاء الوسيلة فعل المأمورات ويصح أنّ المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة وترك المنهيات المحرمة والوسيلة ما يقرّبه اليه مطلقاً. ومن جملة ذلك محبة انبياء الله تعالى واوليائه والصدقات وزيارة احباب الله وكثرة الدعاء وصلة الرحم وكثرة الذكر وغير ذلك. فالمعنى كل ما يقرّبكم إلى الله تعالى فالزموه واتركوا ما يبعدكم عنه.

إذا علمت ذلك فمن الضّلال البين والخسران الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله تعالى زاعمين أنّ زيارتهم من عبادة غير الله. كلا بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ألا لا إيمان لمن لا محبة له**) (ص: ٢٤٥).

فالحاصل إنّ التوسّل في المحبة والمحبة من افضل القربات وكيف لا نحبّ وأنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يدعو لنا في البرزخ كما ذكره الصاوي في تفصيل قوله تعالى (**اِنَّ صَلوتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ** * التوبة: ١٠٣) هذا في حياة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم واما بعد وفاته فدعاء الخليفة يقوم مقام دعائه.

وايضاً الاعمال تعرض عليه صباحاً ومساءً فإن رأى خيراً حمد الله تعالى وإن رأى غير ذلك استغفر لنا، كما ورد في الحديث (**حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، تعرض عليّ اعمالكم صباحاً ومساءً فإنّ وجدت خيراً حمدت الله وإنّ وجدت سوءً استغفرت لكم**) فدعاء رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في حياته ومماته ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وخالف عن ذلك. الصاوي (ج: ٢، ص: ١٤٢).

وبالجملة كاشف الضر ليس الاّ الله تعالى ونسبة النفع والضّرر إلى غير الله تعالى باعتبار إنّ الله تعالى اجرى ذلك بيده.كما قال الصاوي في تفصيل قوله تعالى

﴿**وَاِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ الاَّ هُوَ وَاِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِه** * يونس: ١٠٧﴾ اي لا دافع ولا مانع له حقيقة الاّ الله فنسبة النفع والضّرر لغير الله تعالى باعتبار أنّ الله تعالى اجرى ذلك على ايديهم لا باعتبار أنّهم الخالقون فإنّ نسبة ذلك لهم من هذه الحيثية كفر. (الصاوي ج: ٢، ص: ١٧٥).

فعلم من التفاصيل المذكورة أنّ زيارة الصّالحين أحياء واموتاً، امر مرغوب نعم، زيارة الصّالح الحيّ افضل من زيارة الصّالح الميّت كما قال (الصاوي: ج: ٢، ص: ٢٨١) ومن ههنا زيارة الصّالح الحيّ افضل من زيارة الصّالح الميّت فالحاصل إنّ مسألة التوسّل مما لا يستريب فيه بعد هذه الدلائل الواضحة. الا ترى إلى قول العاشق الصادق. **بيت**:

يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

والنجديون يعدون هذا الشعر شركاً.

والشّيخ النانوتوي مولانا محمّد قاسم باني دار العلوم الديوبندية قال في ترجمة هذا: **شعر**:

مددكر اى كرم احمداكه تيرى سوى * نهين هى قاسم بيكس كا كوئى چارهٔ كار

جو نوهى هميكونه پوچهى تو كون بوچيگا * بنى گاكون همارا تيرى سوا غمخوار

كما ذكره مولانا السيّد حسين أحمد المدني[١] رحمة الله تعالى عليه رحمةً واسعة في (الشهاب الثاقب في الرجم على المفتري الكاذب: ص: ٧١).

وايضاً ذكر مولانا الموصوف المذكور في ذلك الكتاب (ص: ٥٥-٥٦) أنّ مولانا الجلجوهي رحمة الله عليه قد خلط تراب الحجرة المباركة النبوية بالكحل وكان يكتحل به.

وكانت عنده قطعة من الغلاف المتبرك فكان يريها المريدين وكان يقبّلها ويضعها على العينين.

---

(١) حسين أحمد المدني الديوبندي توفي سنة ١٣٧٧ هـ. [١٩٥٧ م.]

وذكر في (ص: ٥٧) أنّ بعض معتقديه ارسل اليه الزيت المحرق في الحجرة المطهرة النبوية فشربه من فرط المحبة. فانظر إلى اكابر ديوبند كيف قائلون بالتوسّل والتبركات والمدد الروحاني والنجديون يعدونها شركاً.

وايضاً ذكر عليّ القاري في (نزهة الخاطر الفاتر) في ترجمة الشّيخ عبد القادر رحمة الله عليه: من استغاث بي في كربة كشفت عنه ومن توسّل بي في حاجة قضيت عنه وذكر بعد ذلك اشعاراً. **بيت:**

أ يدركني ضيم وانت ذخيرتى * واظلم في الدّنيا وانت نصيري

(نزهة الحاطر: ص: ٦١) قال عليّ القاري وقد جرب ذلك مراراً فصح.

ومن ذلك ما ذكر في (الحصن الحصين: ص: ١٢٧) (وإذا انفلتت دابة فليناد اعينوا يا عباد الله رحمكم الله) قال ملا عليّ القاري في (الحرز الثمين) وروى ابن السني عن ابن مسعود مرفوعاً (**إذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فإنّ لله عباداً تحبسه**). قلت: حكى بعض شيوخنا الكبار في العلم انفلتت له دابة اظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقال له حبسها الله عليهم في الحال.

وكنت انا مرة مع جماعة فانفلتت بهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام. ذكره النووي في (الاذكار).

وقال في (الحصن الحصين) وإن اراد عوناً فليقل (**يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني**) قال في (الحرز الثمين) اي رواه الطبراني عن زيد بن علي عن عقبة بن غزوان عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال (**إذا ضل احدكم شيئاً واراد عوناً وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني فإنّ لله عباداً لا تراهم**) قال المؤلف وقد جرب ذلك. قال عليّ القاري وهذا حديث يحتاج اليه المسافرون وأنّه مجرب.

وقال في (الحصن الحصين) وإذا خدرت رجله فليذكر احب الناس اليه وفي حاشيته: خدرت مرة رجل عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما فقال يا محمّد

عليه الصّلاة والسّلام فكأنما نشط من عقال.

وعن مجاهد قال: خدرت رجل رجل عند ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما فقال له اذكر احب الناس اليك فقال محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فذهب عنه.

وإذا بَلَّ الانسان بريقه اظافير اليد والرجل خدرت زال عنه ذلك مائة الفوائد (الحصن الحصين مع حاشيته ص: ١٧٤). فانظر إلى هذه الرّوايات تمسك بها العلماء المحققون المحدثون فالمنكر عن التوسّل ليس الاّ معاند او مكابر. كيف يتمشى انكاره مع الّذي انتقش على صحيفة خاطره.

والعجب أنّهم لا ينظرون إلى الدلائل المذكورة فكيف يصح أن تهمل هذه الدلائل بكلام صدر عن ابن تيميّة وقد قيل فيه ما قيل. **بيت:**

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة * وإن كنت تدري فالمصيبة اعظم

ومن الدلائل على جواز التوسّل ما ذكره الشّيخ أحمد الصاوي في (سورة الكهف) قال بعضهم علّموا اولادكم اسماء اهل الكهف فإنّها لو كتبت على باب داركم لم تحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق.

وقال ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما خواص اسماء اهل الكهف تنفع تسعة اشياء: للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب على خرقة وترمى في وسط النّار تطفئ باذن الله ولبكاء الاطفال ومحمى المثلثة والصداع تشد على العضد الايمن ولام الصبيان وللركوب في البحر والبر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الاشهق (ص:٩).

ومن هذا: ظهر ايضاً بطلان قول الشّيخ الجديد في (جواهر التوحيد) كما ذكر سابقاً.

ومنها ما ذكره ذلك الشّيخ في تفصيل قوله تعالى (**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ** * العنكبوت: ٤١) حيث قال وحمل المفسّرون الأولياء على الاصنام مخرج للأولياء بمعنى المتولّين في خدمة الرب فإنّ اتخاذهم بمعنى التبرك بهم والالتجاء اليهم والتعلق باذيالهم مأمور به وهم اسباب عادية تنزل الرحمات والبركات

عندهم لا بهم خلافاً لمن جهل وعاند وزعم أنّ التبرك بهم شرك (ج: ٣، ص: ١٩٧).
وايضاً قال في (ص: ٧). وبهذا تعلم أنّ حب الصّالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم.
ومنها ما ذكر في (الجزء الرابع ص: ٦٠). حيث قال فالكفر هو العبادة بأن يقترب إلى غيره كما يتقرب اليه واما زيارة الصّالحين والانبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل هي من باب التسبب في نفع الغير لأن الترضي عن الأولياء والصّلاة والسّلام على الانبياء دعاء للغير بذلك ولا شكّ أنّ ذلك الغير ينتفع به والمتسبب له مثله لما ورد أنّ الملك يقول له ولك مثل ذلك. فآل الامر إلى أن زيارة الصّالحين والتوسّل بهم من جملة طاعات الله تعالى وصاحبها محبوب الله تعالى لأن احب عباد الله إلى الله انفعهم لعباده وصدق عليهم أنّهم يصلّون ما امر الله به أن يوصل فليست معصية فضلاً عن كونه شركاً كما اعتقده ذووا الجهل المركب والعقيدة الزائغة انتهى. واصحاب العقيدة الزائغة ههنا الفرقة المسماة بالوهّابيّة كما ذكره الشّيخ في الجزء الثالث (ص: ٢٥٥). حيث قال وقيل هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرّفون تأويل الكتاب والسنّة، ويستحل بذلك دماء المسلمين واموالهم هو مشاهد الآن في نظائرهم وهم فرقة بارض الحجاز يقال لهم الوهّابيّة (**وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ اَلآ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَاَنْسَيهُمْ ذِكْرَ اللهِ اُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ اَلاَ إنّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** * المجادلة: ١٨-١٩) نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم.
اقول وهكذا حال من يدعي التوحيد في زماننا وينسبون من خالف عقيدتهم الزائغة إلى الشّرك اعاذنا الله من عقائدهم الزائغة ودمر الله عليهم (اللّهمَّ آمين).
ومنها ما ذكره ذلك الشّيخ في تفسير قوله تعالى (**وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ اِلَهًا آخر** * القصص: ٨٨) قوله (**تدع**) اشار بذلك إلى أن المراد بالدعاء العبادة وحينئذ فليس في الآية دليل على ما زعمه الخوارج من أنّ الطلب من الغير حيّاً او ميّتاً شرك فإنّه جهل مركب لأن سؤال الغير من حيث اجراء الله النفع والضّرر على يده قد يكون واجباً لانه

من التمسك بالأسباب ولا ينكر الأسباب الاّ جحود او جهول (ج: ٣، ص: ١٩٠).

وعلم من هذا الكلام أنّ التوسّل من قبيل التمسك بالاسباب لا أنّه فوق الاسباب كما يقوله المنكرون ومنشأ ذلك الاخذ بظواهر النصوص مع أنّه قال الشّيخ أحمد الصاوي (فالخارج عن المذاهب الاربعة ضالّ ومضلّ) وربما ادّاه ذلك إلى الكفر لأن الأخد بظواهر الكتاب والسّنّة من اصول الكفر (ج: ٣، ص: ٩).

ومنها ما قال ذلك الشّيخ في سورة (الشّورى) في تفسير قوله تعالى (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أولياء** * الزمر: ٣) قوله اي الاصنام تفسير للمفعول الاول فهو محذوف، والثاني هو قوله اولياء. والمعنى والذين اتخذوا الاصنام آلهةً معبودةً قائلين (**مَا نَعْبُدُهُمْ الاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى** * الزمر: ٣) تدل عليه الآية الاخرى. واما الأولياء بمعنى المتولّين في خدمة ربهم وتولاهم بمحبّته ومعرفته فمحبّتهم والتعلق بهم من جملة طاعات الله تعالى لأنّهم الوسيلة لنا إلى الله تعالى ورسوله. وليست محبّتنا وتوسّلنا بهم شركاً الا إذا كانت على وجه العبادة كالسّجود مثلاً. فاعتقاد أنّهم يؤثّرون بالذات في نفعهم وضررهم خلافاً للخوارج الضّالّين المضلّين حيث زعموا أنّ كل احد توسّل إلى الله بأحد فهو مشرك (ج: ٤، ص: ٢٧).

ومنها ما ذكره ذلك الشّيخ في (ج: ٣، ص: ٢٥) وبتفسير الأولياء بالارباب اندفعت شبهة الخوارج إنّ محبة الأولياء وزيارتهم اشراك. واستدلّوا بمثل هذه الآية فيقال إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنّهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته فاختارهم واحبهم فهذا الاعتقاد منج من المهالك ومورث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم في دار السّلام لما ورد (**المرء مع من احب**) انتهى.

ولا يخفى أنّه إن كان المراد من الشّرك في الذات فظاهر إنّ احداً من المتوسّلين لا يعتقدون الأنبياء والأولياء واجبة بالذات.

وإن كان المراد الشّرك في الصفات فظاهر إنّ احداً لا يعتقد أنّ الانبياء والأولياء مستقلون في النصر والضّرر لا في الحياة الدّنيويّة ولا في الحياة البرزخية.

وإن كان الشّرك في العبادة فليس في التوسّل معنى العبادة فإنّ عبادة الغير مطلقاً باطلة حيّاً وميّتاً فلا تخصيص في الأموات.

وإن كان الشّرك في الاستعانة فلا يعتقدون لهم الاستقلال.

وإن كان الشّرك في التسمية فليس له احتمال ههنا.

وإن كان في الامر والحكم والملك فهو راجع إلى هذه الاقسام وإذا انتفى الشّرك بحذافيره، فما معنى الشّرك؟

وإن كان الشّرك في اصطلاحهم فلهم أن يصطلحوا على ما شاؤا ولا يكونون ملزمين علينا كما لا يخفى على ذوي البصائر.

وبعد هذا فنقول قد قرب نصاب الدلائل في مسألة التوسّل إلى التكميل وعلم أنّ التوسّل بالانبياء والأولياء في الحياة الدّنيويّة والبرزخية كليهما جائزان بل التوسّل بآثارهم وثيابهم ايضاً ثابت كما علمت مما مضى، بل اشرف علي التهانوي نقل في رسالته (الشفاء بنعل المصطفى) من كتاب (فتح المتعال في مدح خير النعال)[١] للعلامة الحافظ المحدث التلمساني رحمة الله عليه أنّ توسّل احد بنقش نعل سيّد الاحرار والعبيد فهو ايضاً جائز.

وكذا نقله من رسالة (الاستبراك بنعل سيّد الاحرار والعبيد) وذكر ههنا طريق التوسّل ومن نفع بالتوسّل به وذكر اشعاراً ذوقية. **شعر**:

يا طالباً تمثال نعل نبيّه * ها قد وجدت إلى اللقاء سبيلا
فاجعله فوق الرأس واخضعن له * وتفال واوله التقبيلا
من يدعي الحب الصّحيح فإنّه * يثبت على ما يدعيه دليلاً

وذكر له آثاراً عجيبة الاّ أنّ العوام لما زاد غلوهم فيه حيث كتبوا الآيات القرآنية على نقش النعل المبارك فخالف فيه مولانا المفتي كفاية الله الدّهلوي رحمه الله فبعد بحث طويل حكم اشرف علي التهانوي المذكور بضبط الرسالة لأجل الغلو لا

(١) مؤلف فتح المتعال أحمد المغربي المقري توفي سنة ١٠٤١ هـ [١٦٣١ م.]

لأن ذلك التوسّل غير جائز كما يدل عليه كلام اشرف علي التهانوي إلى مولانا الدّهلوي في آخر كلامه. **بيت:**

ندانى كه مارا سر جنگ نيست * وگرنه مجال سخن تنگ نيست

فانظر إلى هؤلاء العلماء الاعلام اصحاب الشريعة والطريقة والفقه والتصوف فإنهم قائلون بالتوسّل بنقش نعل النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم لأن نقش نعله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وشعره المبارك كما ذكر فيما سبق من الأحاديث الصّحيحة وليكن هذا آخر ما كتبنا في مسألة التوسّل الّذي هو مقصد ثان وجزء ثالث من اجزاء الكتاب. **بيت:**

من آنچه شرط بلاغ است با تو در گفتم * تو خواه از سخنم پندگير وخواه ملال

ولنشرع في المقصد الثالث فنقول:

المقصد الثالث في التنقيد على ما ذكر في بحث الانكار من سماع الموتى في كتاب البصائر

فنقول سماع الموتى حق كما ثبت بالادلة الواضحة في المقصد الأول الّذي سيق لاثبات سماع الموتى.

وما ذكر من الاستدلال في (ص: ٨) بقوله تعالى (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * النمل: ٨٠) و(**وَمَآ اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * فاطر: ٢٢)

فنقول قد ذكر في المقصد الاول إنّ هذا التقريب غير تام لأن الدعوى نفي السّماع والدليل يدل على نفي الإسماع.

وإن قلت إنّ نفي الإسماع مستلزم لنفي السّماع بناء على قاعدة المطاوعة.

فنقول قد ذكرنا إنّ الإسماع مطلق ومطاوعه مطلق السّماع وقد نفي ههنا إسماع النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما يدل عليه الخطاب مع النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في كلا الآيتين ونفي الخاص لا يستلزم نفي العام فكيف يثبت نفي السّماع المطلق والاّ فلم يقيده المفسّر سماع افهام وقبول وكيف التطبيق مع

الأحاديث الدّالة على السّماع كما في حديث (قليب بدر) وكما في حديث (**انه ليسمع قرع نعالهم**).

وإن قلت إنّه في اول الوضع.

قلنا اولاً لا تخصيص في الحديث ولئن سلم فنقول الميّت في اول الوضع ايضاً ميت. ولذا قال عمر رضي الله تعالى عنه للنّبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم حين ناداهم النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم (أتكلم اَجْسَاداً بلا ارواح؟) فإذا كان في اول الوضع ميّتاً فعلم أنّه ايضاً مخالف لعموم النص فلا بدّ من التوفيق وهو أن يكون المراد بالسماع السّماع المتعارف الّذي يترتب عليه الجواب. والاّ فالشّيخ الدّهلوي والحافظ ابن القيّم كيف قالا بسماع الموتى.

اما كانت الآيتان معلومتين لهما وكذا لغيرهما من العلماء القائلين بسماع الموتى واما التشبيه فهو دليل لنا لأن الموتى إن كانوا لا يسمعون مطلقاً كما قلتم فكيف التشبيه فإنّ الكفّار يسمعون وإن كانوا لا يسمعون سماعاً يترتب عليه القبول والجواب فهو مطلوبنا.

وما قال (**وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَاءُ وَلاَ ٱلاَمْوَاتُ** * فاطر: ٢٢) فنقول لا يلزم من سماع الموتى مساواة الموتى مع الأحياء وإن كان هذا قولاً بالمساواة لزم القول بنفي ادراك العذاب والثواب والا يلزم المساواة مع أنّهم قالوا بادراك الميّت العذاب والثواب فكما أنّ نفس ادراك الثواب والعذاب من الميّت لا يستلزم المساواة فكذا نفس السّماع ايضاً لا يستلزم المساواة فإنّ بين الأحياء والأموات تفاوتاً من وجوه:

وما ذكر من قول الامام الرازي في (ص: ٩) إنّ الأحياء لا يساوون الاموات فنقول بموجبه ودعوى السّماع لا يلزم المساواة.

وما ذكر من قول الامام الرازي رحمة الله عليه إنّ الميّت لا يدرك شيئاً.

إن كان على عمومه الظاهر من وقوع النكرة في سياق النفي لزم عدم ادراك العذاب والثواب والتالي باطل فالمقدم مثله فلا بدّ من التقييد.

وما ذكر في (ص: ١٠) إنّ عدم سماع الموتى موافق لإصول الحنفيّة رحمة الله عليهم. فنقول أصول الحنفيّة انما هي مسائل الأيمان بأن حلف احد لا يكلم فلانا ولا يضربه فكلمه وضربه بعد الموت لا يحنث لأن الميّت لا يسمع ولا يتألم. فنقول اجاب عنه صاحب (المرقاة) في (شرح المشكاة) إنّ مبنى الأيمان على العرف فالمراد نفي الألم المتعارف والسّماع المتعارف فهذه المسائل مبنيّة على اصول الحنفيّة أنّ مبنى الأيمان على العرف لا على أنّ الميّت لا يسمع ولا يتألم مطلقاً لأنه قد ورد (**كسر عظام الميّت ككسرها حياً**) ومن لزومه الايلام كما ذكر سابقاً مفصلاً.

وما قال في (ص: ١١) إنّ نفي الاصل يستلزم نفي الفرع فقد ذكر الجواب عنه آنفاً وسماع الموتى لا يكون الا بإسماع الله تعالى كما قال (**اِنَّ اللّٰهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَآءُ** * الفاطر:٢٢)

وما قال إنّ مشيئة الله لإسماع الموتى غير معلومة لنا فنقول إذا كانت الدلائل دالة كيف لا يكون معلوماً ولذا قال الحافظ ابن عبد البر ثبت عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال (**ما من مسلم يمرّ على قبر اخيه كان يعرفه في الدّنيا فيسلّم عليه إلاّ ردّ الله عليه روحه حتّى يردّ عليه السّلام**) فهذا نص في أنّه يعرفه ويردّ عليه السّلام نقله الحافظ ابن القيّم (فى كتاب الروح ص: ٤). وكذا قال الحافظ قد شرع النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم السّلام على الاموات والخطاب معهم ولولا ذلك لكان الخطاب بمنزلة الخطاب مع المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا. وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميّت يعرف زيارة الحيّ ويستبشر به ولذا عقد ابن أبي الدّنيا في (كتاب القبور) باباً سمّاه باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء ثم ذكر الحافظ ابن القيّم في هذا روايات كثيرة من (ص: ٥، إلى ص: ١٣).

وما ذكر في (البصائر ص:١٣) فيكون الميّت هناك بعد سؤال الملكين ميّتاً بلا روح فنقول إن كان المراد بلا تعلق روح اصلاً فممنوع لما ثبت أنّ للرّوح تعلقاً بالرّوح ولذا يقرأ ويصلّي ويتفاوت ذلك المتعلق بحسب تفاوت المراتب كما نقلت سابقاً من

(المرقاة) و(المظهري) وإن كان بلا تعلق روح كالحياة الدّنيويّة فذلك لا يضرّنا.

وما قال في (ص: ١٥) إنّ أخبار الآحاد لا يخص النص فنقول إن كان الانكار عن سماع الموتى مطلقاً سواء كان في اول الوضع او في بقاء الوضع فذلك مردود عليه برواية (قليب بدر) كما في حديث الصّحيحين (**وان الميّت يسمع قرع نعالهم**) كما في (صحيح مسلم) وإن كان الانكار عن سماع الموتى بقاء والاقرار به ابتداء فنقول قد سلم تخصيص العام وإن كان ابتداء والعام إذا خص او لا يخص ثانياً بدليل ظنّي كما ثبت في كتب الاصول في بحث العام فعلم أنّ هذا موافق لإصول الأحناف لا مخالف. نعم مخالف لإصولك ولا تلزمنا.

وما قال في (ص:١٦) إنّ اكثر الرّوايات في سماع الموتى فيهم الوضّاعون وما ثبت فقد ردّها عائشة رضي الله تعالى عنها.

قلنا قد ذكرنا إنّ انكار عائشة رضي الله تعالى عنها كان مستنداً إلى النص لكون الحديث مخالفاً للكتاب وقد ذكرنا أنّه لا مخالفة على أنّ الشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه صرح برجوع عائشة رضي الله تعالى عنها كما نقله من (المواهب اللّدنيّة) والعجب أنّه ينظر انكار عائشة رضي الله تعالى عنها ولا ينظر إلى اقرار غيرها. أما كان الشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه عالماً بالمذهب كما ذكر في السّابق.

وما ذكر في (ص: ١٥) إنّ أحاديث القراءة خلف الإمام تبلغ حد الشهرة مع أنّ الامام رحمة الله عليه لا يخص النص بل يطلق على العموم فما ذا لهذا المثبت للسماع بترك اصول مذهبه.

قلنا الأحاديث في باب القراءة خلف الامام معارضة لأحاديث آخر من قوله عليه الصّلاة والسّلام (**من كان له امام فقراءة الامام قراءة له**) وقوله عليه الصّلاة والسّلام (**انما جعل الامام ليؤتم به**) وقوله عليه الصّلاة والسّلام (**ما لي أنازع في القرآن**) إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار وكذا قوله تعالى (**وإذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَانْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** * الاعراف: ٢٠٤) فلذا قال الامام بعدم القراءة خلف الامام

مع أنّ في بعض الآثار الوعيد على القراءة خلف الامام لا أنّ عند الامام الاعظم العام يخص بالخبر المشهور فإنّ علماء الاصول صرّحوا بأن الخبر المتواتر يجوز به نسخ القرآن اصلاً ووصفاً. والخبر المشهور يجوز به النسخ وصفاً اي نسخ العموم والاطلاق لا اصلاً، والخبر الواحد لا يجوز به النسخ اصلاً، لا اصلاً ولا وصفاً وهذا مما لا يخفى على من له ادنى مس بكتب الأصول. الا ترى إنّ الأحناف يقيدون قوله تعالى (**حتّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ** * البقرة: ٢٣٠) بالدخول بنكاح صحيح بحديث الوسيلة لأن العلماء تلقته بالقبول. والعجب أنّهم كيف يتمسّكون لدعاويهم بلوازم بعيدة.

وما قال إنّ معنى السّماع العلم. فنقول سياق حديث (قليب بدر) يأبى هذا التأويل لانه عليه الصّلاة والسّلام قال في جواب عمر رضي الله تعالى عنه (**والّذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع من هؤلاء ولكن لا يجيبون**) فإنّه عليه الصّلاة والسّلام. لما قال (**ما انتم بأسمع**) والظاهر أنّهم كانوا يسمعون قوله عليه الصّلاة والسّلام فكذا الموتى. وانكار عائشة رضي الله تعالى عنها انما هو عن تلك الرّواية وهذا على تقدير عدم الرّجوع وقد نقلنا سابقاً عن الشّيخ إنّ في مغازي محمّد بن إسحاق[١] باسناد جيّدٍ ومن الامام أحمد بإسناد حسن روى حديث عمر رضي الله عنه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ايضاً فهذا دليل على رجوعها. (اشعّة اللّمعات ج: ٣، ص: ٣٧٤) على أنّه إن سلم العلم للموتى والعلم بالمسموعات ايضاً داخل في العلم كالعلم بالمبصرات الاّ أنّه لا يكون على وجه الإسماع والإبصار وهذا على تقدير خراب البدن على أنّ خراب بدن الكل بطريق الايجاب الكلّي في حيّز المنع كما مرَّ مِنَ (**المظهري**) وغيره سلامة اجسام الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام والملحقين بهم.

وما قال انها تأوّلت بالعلم اي يعلمون بالعذاب لا أنّهم يسمعون بالاذن.

فهذا التأويل جدير بأن يضحك به لأن انكار عمر رضي الله تعالى عنه هل كان عن العلم بالعذاب ام عن السّماع حيث قال يا رسول الله أ تكلم اجساداً بلا

(١) محمّد بن اسحاق امام الأئمة توفي سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.] في نيشاپور

ارواح. فإنكاره كان عن التكلم حيث قال إنّهم لا يسمعون كلامك فأي فائدة فيه فالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم اظهر له أنّهم يسمعون بطريق ابلغ. والظاهر أنّ هذه الواقعة كانت عند حضور أشخاص كثيرة لأنها واقعة (غزوة بدر). وما أنكر على عمر رضي الله تعالى عنه في رواية الحديث احد غير عائشة رضي الله تعالى عنها وانها ما حضرت تلك الواقعة فالعجب من هذه التأويلات المستبشعة وإذا كان سماع الموتى أمراً مخالفاً عن مذهب الاحناف كيف قال الشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه.

وبالجملة الكتاب والسّنّة مملوءان بالأخبار والآثار الدّالة على العلم للميت فلا ينكره إلا جاهل او منكر عن الدّين. (ج: ٣، ص: ٣٧٤) أ ينسب الجهل والانكار عن الدّين إلى الاحناف قاطبة كلا وحاشا.

وما قال في (ص: ١٧) أنّه عليه الصّلاة والسّلام نهى أن يسبّ قتلى بدر من المشركين وقال (**لا تسبّوا هؤلاء فإنّه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون، تؤذون الأحياء**) وضم الشّيخ معه الضميمة بأن هذه الرّواية تدل على أنّهم لا يسمعون.

فنقول اولاً إنّ هذا حديث مرسل وحديث عمر رضي الله تعالى عنه الدّال على السّماع مرفوع.

وثانياً أنّه لا يعلم أنّ ذلك السّب كان عند قتلى بدر قريباً والظاهر إنّ هذا كان بعيداً إذ في صورة القرب قال عليه الصّلاة والسّلام (**ما انتم بأسمع من هؤلاء**) ولا ندّعي السّماع من ايّ مكان.

وثالثاً أنّه عليه الصّلاة والسّلام قال (**لا يخلص اليهم**) اي لا ضرر لهم بسبّكم لأنّهم في عذاب عظيم لا أنّهم لا يسمعون.

وما قال إنّه نزل قوله تعالى (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * النمل: ٨٠) في خطاب النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم لقتلى بدر بأنّهم لا يسمعون كلامك.

فاعجب العجاب إذ في المتّفق عليه (**ما انتم بأسمع من هؤلاء**) بل كان من الضّروريات أن ينبّه عليه ليثبت الرّجوع عن الكلام السّابق.

وايضاً لا معنى لبحث عائشة رضي الله تعالى عنها بل تقول رأساً إنّ الآية نزلت في ردّ كلام النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع الكفّار فالعجب كل العجب.

على أنّ عليّا القاري صرح في (ج:٣، ص: ٣٣٥) بخلاف روح المؤمن فإنّها تسير في ملكوت السّموات والارض وتسرح في الجنّة حيث شاء وتأوى إلى قناديل تحت العرش ولها تعلق ايضاً بجسده تعلقاً كلياً بحيث يقرأ ويصلّي إلى أن قال فلا يشكل شيء منها بالآيات بل صرح العلامة القاري بأنّه لا تباعد من الأولياء حيث طويت لهم الارض وحصل لهم أبدان مكتسبة ووجدوها في اماكن مختلفة في آن واحد انتهى. مرقاة (ج: ٢، ص: ٣٤٢) فبعد هذا لا استبعاد في سماع الموتى.

على أنّا نقول إن كان المراد من نفي السّماع السلب الكلّي لدخل فيه الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام والتالي باطل لما ورد (**ان نبيّ الله حيٌّ يرزق**) وكما قال عليه الصّلاة والسّلام (**صلوا عليَّ فإنّ صلوتكم تبلغنى حيث كنتم**) وورد (**ان كان بعيداً ابلغته وإن كان قريباً سمعته**) إلى غير ذلك وإذ قد ثبت صلاة موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام في القبر كما في (حديث المعراج). وتلاوة (سورة الملك) من القبر كما في حديث رراه التّرمذي. وذكره صاحب (المشكاة).

وإذا ثبت ذلك في الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام فالأولياء ملحقون بهم كما قال الامام الغزالي رحمة الله عليه من أنكر طور الولاية أنكر طور النّبوّة.

وكما دلّ عليه التّرتيب في قوله تعالى (**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَآءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** * النساء: ٦٩) كما ذكر سابقاً من (المظهري) مفصلاً.

وإن كان السلب الجزئي فذلك لا يضرّنا فإنّا لا ندّعي أنّ الاموات بقضهم وقضيضهم يسمع في كل وقت فوجب قول من قال إنّ الميت لا يسمع بقيد سماع كلّي او متعارف والا فما يفعل بالروايات والمشاهدات والآثار والأخبار.

وما ذكر في (ص: ١٨) من شهادة هشام بن العاص ووقوعه على ثلمة وآباء

المسلمين أن يطأ جثّته بالخيل وقال عمرو بن العاص أنّه استشهد ورفع روحه وانما هي جثّة فوطأها ثم اوطأه وتبعه الناس حتّى قطعوه نقله من (**شرح الصّدور**).

فنقول اولاً كيف يتمسّك بما ذكر في (**شرح الصّدور**) فإنّ امثال هذا الشّيخ لا يعبأون بقول السّيوطي سيّما في (**شرح الصّدور**).

وثانياً إن كان قوله في (**شرح الصّدور**) قابلاً للتّمسّك فلعلّه ما رأى في شرح الصّدور (باب احوال الموتى في قبورهم وأُنسهم فيها فهم يصلّون فيها ويقرأون ويتزاورون ويتنعمون ويلبسون) (ص: ٧٤).

ولعلّه ما رأى قوله في شرح الصّدور (باب زيارة القبور وعلم الموتى بزوّارهم ورؤيتهم لهم) فلعلّ بصره ما وقع في (**شرح الصّدور**) على تلك الابواب وغيرها بل وقع بصره على واقعة هشام بن العاص حيث وطأت جثّته بالخيل والمثل المشهور كيف انطبق ههنا على الشّيخ ان صاحب الغرض ويحرق الطين وكما قيل في البلاغة تشبيه اظهار المطلوب كما يقول الجائع (وجه زيد كالرّغيف).

وثالثاً إنّ هذه حكاية حال لا عموم لها فكيف يتمسّك بها في العمومات.

ورابعا أنّه كان هناك ضرورة عامة حيث كان سببا لسد المؤمنين و(**الضرورات تبيح المحظورات**)

وخامساً هل يعتقد الشّيخ إنّ وطأ جسد المؤمن سيّما الشهيد بالخيل جائز فان كان يعتقد جوازه فهذه عقيدة تليق به وكشفت عقيدته من حيث لا يدري ولا تليق هذه العقيده بشأن جاهل فضلاً عن فاضل مثل هذا الفاضل. **شعر**:

انت بما عندك ونحن بما عنـــ * ـــدنا راض والرأى مختلف

وإن كان لا يعتقد جواز ذلك فكيف يتمسّك في المواقع العامة.

وسادساً أنّه ما يفعل بقوله عليه الصّلاة والسّلام (**كسر عظام الميّت ككسرها حيّاً**) قال الطيبِي[١] اشارة إلى أنه لا يهان الميّت قال ابن الملك: والى أنه يتألم الميّت.

---

(١) شرف الدّين حسين الطيبِي توفي سنة ٧٤٣ هـــ. [١٣٤٢ م.]

قال ابن حجر: ومن لوازمه أنّه يتلذذ.

وسابعاً الميّت اهل الادراك كما في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها حياء من عمر رضي الله تعالى عنه قال الشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه، فيه دليل واضح على ادراك الميّت وإذا كان اهل الادراك كيف يجوز وطؤه بالخيل.

وثامنا ورد (**ولاتؤذ صاحب هذا القبر**) قال عليه الصّلاة والسّلام عند اتكاء احد إلى القبر (**ولا شكّ ان ايذاء وطئ الخيل اكثر من الاتكاء إلى القبر**) فعلم أنّ فعل عمرو بن العاص كان لاجل الضّرورة ولا يصير تمسّكا عاما كما يتمسّك به الزائغون.

فعلم انّ ما يدل على نفي الافهام والايلام والاسماع فالمراد منه ما يكون متعارفا لا مطلقاً لينطبق الدلائل فإنّ الاصل في الدلائل الاعمال دون الالغاء والاهمال

وما ذكر من حديث عبد الرّحمن بن كعب من اهداء ام بشر السّلام لاحد حين كان كعب محتضرا حيث ذكر فيه إنّ ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر وذكر معه الشّيخ الضميمة كما هو دأبه إنّ هذا الحديث يدل على ان ارواحهم في حواصل طيور معلقة بشجر فكيف يسمع.

قلنا في اهداء السّلام لاحد بذريعة المحتضر دليل لنا انّ الموتى يلاقون تلاقيا روحانياً كما ذكر العلامة السّيوطي في (**شرح الصّدور**) وذكر سابقاً وتعلقه بشجر الجنّة ليس دائماً بل ذكر القاري انّ ارواح المؤمنين تسير في ملكوت السّموات والارض. كيف ورد اتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز كما ذكره العلامة السّيوطي في (**شرح الصّدور**) من اراد الاطلاع فليطالع ثمة.

وايضاً ذكر اشرف علي التهانوي في كتابه (**بزم جمشيد**) إنّ جده استشهد في غزوة وكان يأتي جدته بعد الوفاة ويعطيها شيئاً للصبيان ويقول لها لا تخبري احداً فعلم أنّهم يجيؤون إلى الارض والدار فكيف يتم استدلال الشّيخ المنكر.

وايضاً قد ذكر العلامة السّيوطي باب معرفة الميّت من يغسله ويجهزه وسماعه ما يقول فيه وما يقال له والجنازة مارة.

وايضاً ذكر الامام البخاري رحمة الله عليه أنّ الميّت إن كان من اهل السعادة فيقول (قدموني قدموني) وإن كان غير ذلك يقول (يا ويلها اين تذهبون بي) يسمعه كل شيء الا الثقلين. فعلم انّ الروح ما انقطع تعلقها بالكلية حتّى يتم استدلاله.

وما ذكر في (ص:١٨) إنّ الجسم يفنى وياكله التراب.

فنقول لا نسلم هذا على طريق العموم فإنّ اجساد الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام محرمة على الارض أن تأكلها كما في الحديث وكذلك اجساد الشهداء كما نقل سابقاً عن (**المظهري**) فكيف يصح هذا على سبيل الاستغراق.

وايضاً ذكر الحافظ ابن القيّم في (**كتاب الروح** ص: ٥) وقد شرع النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم السّلام على اهل القبور سلام من يخاطبهم فيقول (**السّلام عليكم دار قوم مؤمنين**) وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميّت يعرف زيارة الحيّ له ويستبشر به فإنّ الحافظ ادعى التواتر والاجماع في ذلك فكيف سبيل الانكار وكذا قول الامام الغزالي رحمة الله عليه تسلب منه اعضائه انتهى.

وما ذكر من التمسك بقول الخازن في (ص: ١٩): فغريب غاية الغرابة لأن الخازن صوفي وهم يقولون في شأن الصّوفية ما يقولون حيث يقولون هم اكذب عباد الله. على أنّه ما وقع بصره على قول الخازن في تفسير قوله تعالى (**اِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ اَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ** * الحجرات: ٣) قال انس رضي الله تعالى عنه فكنا ننظر إلى رجل من اهل الجنّة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة رضي الله تعالى عنه ما كنّا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم هكذا ثم ثبتا وقاتلا حتّى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصّحابة بعد موته في المنام وأنّه قال له اعلم ان فلاناً رجلاً من

المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طبله وقد وضع على درعي برمته فأتِ خالد بن الوليد فاخبره حتّى يسترد درعي وأتِ ابا بكر رضى الله تعالى عنه خليفة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقل له إنّ عليَّ دينًا حتّى يقضيه عنّي وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالداً فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر رضى الله تعالى عنه بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر رضى الله تعالى عنه وصيته. قال مالك بن انس رضي الله تعالى عنه لا اعلم وصية اجيزت بعد موته الاّ هذه. (الخازن ج: ٤، ص: ١٦٥). فإنّ هذه كرامة بعد الممات فلم لا يسلم الكرامة بعد الممات.

ومثل ذلك ذكر الحافظ ابن القيّم في (**كتاب الروح**) واقعات كثيرة وقد ذكرت نبذة منه سابقاً، من اراد التفصيل فليراجع إلى (**كتاب الروح**).

وما ذكر من الاقوال المختلفة في الروح في (ص: ٢٠-٢١).

فنقول على كل تقدير للروح في البرزخ تعلق بالجسد كما ذكر مراراً وصرح به الحافظ ابن القيّم وعليّ القاري ولذا يقرأ ويصلّي كما في الأحاديث الصّحيحة.

واما قوله في (ص:٢٢) فهل يترلون إلى الدّنيا وخساستها والى السجن الّذي تفارقت منها انتهى.

فنقول إذا ثبت من الرّوايات رجوع الروح إلى الدّنيا فأي استبعاد فيه وقد نقلنا سابقاً عن الحافظ ابن القيّم إنّ للرّوح حركة سريعة ترجع في لحظة واحدة. وقد ذكر الحافظ فى (ص: ١٠). فهذا علم باتكائه وبصلاته وهكذا آثار كثيرة وهذا ليس اثباتاً بالرؤيا فقط بالحجج وقد ثبت في الصّحيح إنّ الميّت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه كما ورد في حديث مسلم طويل حتّى استأنس بكم ولذا ورد القراءة في القبور (ص:١٢-١٣).

وما ذكر من الرد على ما استدل به على سماع الموتى حيث قال إنّ المستدلين لسماع الموتى ينسبون إلى كتب الأحاديث التي لم يشترطوا الصحة والثبوت فيما

يرون وقال إنّ مجرد روايتهم الحديث ليس تصحيحاً له لا توثيقا انتهى.

فنقول إنّ مجرد الرّواية وإن لم يكن توثيقا الاّ أنّه لما كان الراوي من الأئمة المتقنين كما قال صاحب (**المشكاة**) في خطبته كما رواه الأئمة المتقنون والثقات الراسخون وعد بعضهم فكيف لا يكون ذلك توثيقاً، فإن نقل الثقة كالاسناد كما قال صاحب (**المشكاة**) في خطبته وإن كان نقله وانه من الثقات كالاسناد وقد قال الحافظ ابن عبد البر ثبت عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال (**ما من مسلم يمر على قبر اخيه وكان يعرفه فيسلّم عليه الاّ ردّ الله عليه روحه حتّى يردّ عليه السّلام**). (**كتاب الروح** ص: ٤) فانظر إلى كلام الحافظ عبد البر انه قال ثبت وهذا ليس الا تسديداً وتوثيقاً.

وما قال في (ص: ٢٥) إنّ حديث (قليب بدر) غير ثابت من حيث المعنى حيث روته عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * النمل: ٨٠) و(**وَمَآ اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * فاطر: ٢٢).

فنقول اولاً الحديث مذكور في الصحاح وراويه عمر رضي الله عنه ورد عائشة رضي الله تعالى عنها انما كان لاجل أنّه مخالف للقرآن وقد علم أنّه لا مخالفة فإنّ الإسماع غير السّماع وان كان مجرد المخالفة بحسب الظاهر موجبا لعدم الثبوت من حيث المعنى فهذا افتتاح باب عظيم. الا ترى انّ حديث (**لا صلاة الاّ بفاتحة الكتاب**) مخالف ظاهرا لعموم قوله تعالى (**فَاقْرَؤا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** * المزمل: ٢٠) وامثال هذا كثيرة.

واما ثانياً فقد ذكرنا سابقاً عن (**المواهب اللّدنيّة**) إنّ عائشة رضي الله تعالى عنها روت حديث عمر رضي الله تعالى عنه بإسناد جيّد فعلم رجوعها فاين ردها فإنّ الاعتبار للقول الاخير فكيف عدم ثبوت الرّواية من حيث المعنى كما قاله المنكر.

واما ما قال إنّه قال على سبيل الموعظة للاحياء لا لإفهام الموتى.

فنقول كيف يصح هذا التأويل مع سؤال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول

الله أتكلم اجساداً بلا ارواح؟ فقال عليه الصّلاة والسّلام في جوابه (**والّذي نفسي بيده ما انتم بأسمع من هؤلاء ولكن لا يجيبون**) فهذا نص في انّ الخطاب كان للإفهام والاّ لقال عليه الصّلاة والسّلام قلت موعظةً للاحياء مع انّ الخطاب للاموات بطريق الموعظة للاحياء لا استبعاد فيه فكيف استبعاد عمر رضي الله تعالى عنه فهذا ليس الاّ اخراجاً للحديث عن مفاده بل هو تحريف معنى.

واما القياس على قول عليّ رضي الله تعالى عنه للاموات دياركم سكنت آه.

فنقول النزاع في المقيس كالنزاع في المقيس عليه فإنّ الخطاب انما هو للإفهام على ما مر من الحافظ ابن القيّم ولذا ورد في طريق (فاخبرونا ايها الصامتون). وايضاً في لفظ (هذا خبركم عندنا فما خبرنا عندكم) في قول عليّ رضي الله تعالى عنه ولفظ (**ما انتم بأسمع من هؤلاء ولكن لا يجيبون**) في قول النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فارق بين فقياس احدهما على الآخر قياس مع الفارق والاّ فنقول بطريق القلب، الخطاب في قوله عليه الصّلاة والسّلام للإفهام فيكون في قول عليّ رضي الله تعالى عنه ايضاً للإفهام.

واما ما قال بأنّه مخصوص،

فقد رده الشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه بأنّه لا دليل على التخصيص واي باعث على التخصيص.

وما قال إنّه تعالى احياهم.

فنقول هذا ايضاً يخالف لجوابه عليه الصّلاة والسّلام والاّ لقال عليه الصّلاة والسّلام لعمر رضي الله تعالى عنه ما هذه اجسام بلا ارواح بل ردّت الارواح وايضاً مع رد الروح لا استبعاد ولذا قال بهامش (**فتح القدير**) بعد ما قال وكان هذا على سبيل الوعظ للاحياء لا على سبيل الخطاب للموتى والجمادات وفيه بحث لانه يرده تتمة القصة لو صحت فعلم انّ ما ذكره مبحوث فيه انتهى (**حاشية فتح القدير** ج: ٤، ص: ٦٢)

وما ذكر في (ص: ٢٦) أنّه كانت وقت المسألة ووقتها اعادة الروح وحديث

عائشة رضي الله تعالى عنها محمول على غير وقت المسألة فبهذا يتفق الخبران.

فنقول اعادة الروح إلى الجسد وقت السؤال ليست بمتفق عليها بل فيها قولان: احدهما أنّه باعادة الروح وثانيهما لا، على أنّه على تقدير اعادة الروح يلزم المنافاة مع قوله تعالى (**رَبَّنَآ اَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَاَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** * المؤمن: ١١) كما يعترض الشّيخ في مقام ولعلّه ذهل عن ذلك.

وما قال في (ص:٢٧) إنّ في الفاظ الحديث (**انهم الآن يسمعون ما اقول لهم**) وايد بقول السيّد الشّريف الجرجاني إنّ ازدياد التقييد يوجب ازدياد الخصوص.

فنقول تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على النفي عما عداه في النصوص نعم يدل في الرّوايات. الا ترى انّ ذلك ذكر في الوجوه الفاسدة نعم يفهم من الحديث أنّهم يسمعون الآن وغير الآن مسكوت عنه لا تعرض له لا نفياً ولا ثبوتا ولذا نقول بالغسل بالإكسال مع ورود قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**الماء من الماء**) فانظر كيف اغمض عن قواعد الاحناف.

ثم لا ادري ما معنى قوله (**يسمعون ما اقول لهم**) قضية مهملة في قوة الجزئية فإنّ الجمع ظاهر في العموم وما ايضا من الفاظ العموم فلا ادري بمعنى المهملة في قوة الجزئية ههنا على أنّه ورد (**ما انتم بأسمع من هؤلاء**) فإنّها جملة اسمية، تدل على الدوام والثبات كما تقرر في موضعه والمضارع ايضاً يدل على الاستمرار التجددي كما في قول الشاعر: **بيت:**

او كما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا إلى عريفهم يتوسم

وما قال في (ص: ٢٨) إنّ النص قطعي الدلالة على نفي السّماع والحديث ظنّي الدلالة فكيف يخص النص.

فنقول إنّ الآية دالة على نفي الإسماع لا على نفي السّماع ومن الحديث يعلم نفس السّماع فلا دلالة للآية على نفي السّماع فضلاً عن ان يكون قطعي الدلالة والجواب عن المطاوعة قد مرّ.

وما قال إنّ النفع فرع للسماع لا لعدم السّماع فالظاهر أنّه سهو واصل العبارة هكذا وعدم النفع فرع لعدم سماع الموتى وهذا ايضاً فاسد فإنّه لا لزوم لعدم النفع مع عدم السّماع، الا ترى انّ الكفّار يسمعون ولا ينتفعون فاين اللزوم والفرعية؟

وما قال إنّ الضمير في (**لا ينتفعون بمسموعهم**) في عبارة المدارك راجع إلى الكفّار والمستدلون يرجعونه إلى الموتى فهذا ارجاع إلى غير مرجعه.

فنقول الظاهر إنّ الضمير راجع إلى الموتى لأن ارجاع الضمير إلى القريب اولى من البعيد ولا شكّ أنّ الموتى قريب لأن عبارته هكذا: شبه الكفّار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم فإنّ الموتى اقرب من الكفّار إلى المرجع ولئن سلم أنّ ضمير لا ينتفعون راجع إلى الكفّار فيكون المعنى إنّ الكفّار يسمعون ولكن لا ينتفعون. فيكون الموتى كذلك اي يسمعون ولكن لا ينتفعون بمسموعهم.

وما قال في (**التنقيد**) على حديث (**ما من رجل يمر على قبر اخيه**) انتهى إنّ فيه ابن سمعان وهو كذاب.

فنقول إنّه قد مرّ ان الحافظ ابن القيّم ذكر في (**كتاب الروح**) إنّ الحافظ ابن عبد البر قال ثبت عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم (**ما من رجل يمر على قبر اخيه**) فلو كان مدار الحديث على ابن سمعان فقط لما قال الحافظ ابن عبد البر رحمة الله عليه ثبت عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع كون ابن سمعان كذابا فعلم أنّ للحديث طرفاً.

وما قال من المنام (ص: ٢٩).

فنقول كيف ثبت كذب الراوي بالنوم فإنّ النوم لا يثبت عنده شيئاً سيّما كذب الراوي فهذا مخالف عن اصله.

وما قال في (ص: ٣٢) إنّ حديث (**خفق النعال**) مختص باول الوضع.

فنقول التخصيص قد رده الشّيخ الدّهلوي رحمه الله القوي وقال اي داع إلى التخصيص واي مانع من التعميم ولئن سلم التخصيص مرة باول الوضع فنقول إنّ

الميّت اول الوضع ايضاً ميت فعلم تخصيصه من (**انك لا تسمع الموتى**) وقد ثبت في الاصول ان العام إذا خص مرة فيخص ثانياً بدليل ظنّي لصيرورته ظنيا.

اقول علم منه جواب قوله إنّ المسألة من الاعتقاديات لا يكفي فيه الدليل الظني لأن سماع الموتى كما أنّه من الاعتقاديات يقتضي دليلاً كذلك عدم سماع الموتى ايضاً من الاعتقاديات لا يثبت بدليل ظنّي والعام المخصوص البعض ظنّي فتأمل وتبصر لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً.

وما قال إنّ (**سمع خفق النعال**) كناية عن سرعة اتيان الملك.

فنقول سلمنا أنّه كناية الا أنّه لا مانع في الكناية عن ارادة المعنى الحقيقي بخلاف المجاز وهذا هو الفرق بين الكناية والمجاز فان المجاز فيه قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقي بخلاف الكناية كما في (رأيت اسداً يرمي) فإنّه مجاز و(زيد طويل النجاد) فإنّه كناية ولذا قالوا الكناية كالمركب والمجاز كالمفرد فإن قلت كما لا مانع من ارادة المعنى الحقيقي كذلك لا باعث فكيف يثبت سماع الموتى، قلنا الباعث هو النظر إلى الدلائل الاخرى كما عرفت.

وما قال في (ص: ٣٣) إنّ حديث عائشة رضي الله تعالى عنها حياء من عمر رضي الله تعالى عنه رواه الحاكم وهو رجل شيعي ومجرد رواية الحاكم لا ينهض للاستدلال.

فنقول إنّ الحديث ما رواه الحاكم فقط بل رواه أحمد رحمة الله عليه ايضاً كما في (**المشكاة**) فاذا رواه من هو جبل في الحديث كيف لا ينهض حجّة وايضاً على تقدير كون الحاكم شيعياً كيف يرد روايته فإنّه ذكر في اصول الحديث ثم البدعة اما ان تكون بمكفر او بمفسق فالاول لا يقبل صاحبها الجمهور وقيل يقبل مطلقاً وقيل ان كان لا يعتقد حل الكذب لنصرة مقالته قبل والتحقيق أنّه لا يرد كل مكفر ببدعة لأن كل فرقة تدعي أنّ مخالفيها مبتدعة وقد تبالغ فتكفر مخالفيها فلو اخذ ذلك على الاطلاق لاستلزم ذلك تكفير جميع الطوائف فالمعتمد إنّ الّذي ترد

روايته من أنكر امرا متواترا من الشّرع معلوماً من الدّين بالضّرورة وكذا من اعتقد عكسه فاما من لم يكن بهذه الصفة وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه وتقواه فلا مانع من قبوله. (**نزهة النظر** ص: ٧١-٧٢) فانظر إلى احتياط المحدثين كيف حكموا بعدم ردّ رواية صاحب بدعة ما لم يكن فيه انكاراً من ضروريات الدّين واي انكار من ضروريات الدّين لو ثبت علم الميّت او سماعه كما لا يخفى.

وما قال ثانياً في (ص: ٣٤) إنّ هذا الحديث خلاف ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها فإنّها أنكرت سماع الموتىكما روى البخاري في كتاب المغازي

فنقول هذا دليل رجوع عائشة رضي الله تعالى عنها عن الانكار كما أنّ رواية حديث عمر رضي الله تعالى عنه دليل الرّجوع بل حديث انكار عائشة رضي الله تعالى عنها عن سماع الموتى مخالف عن هذا الحديث لما أنّ في هذا الحديث علم الميّت والحديث للامام أحمد رضي الله تعالى عنه الّذي هو جبل في الحديث ومن شيوخ البخاري.

وما قال إنّ الستر من اقارب عمر رضي الله تعالى عنه لو كانوا هناك للزيارة لأن لهم حق ان يأتوا حينئذٍ لا أنّ عمر رضي الله تعالى عنه يرى من تحت الارض ويسد نظره بثوب رقيق.

فلا يخفى ما فيه من الحزازة فإنّ سياق الحديث يأباه حيث قالت كنت ادخل بيتي الّذي فيه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم واني واضع ثوبي واقول انما هو زوجي وأبي فلمّا دفن عمر رضي الله تعالى عنه فوالله ما دخلت الاّ وانا مشدودة على ثيابي حياء من عمر رضي الله تعالى عنه فإنّه نصّ على أنّ المراد منه الحياء من نفس عمر رضي الله تعالى عنه لا من اقاربه كيف والحياء من اقارب عمر رضي الله تعالى عنه لا تخصيص له بهذا المقام بل عام على أنّ لاقارب عمر رضي الله تعالى عنه حق الدخول في الروضة المباركة بعد دفن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ايضاً لان زيارته عليه الصّلاة والسّلام افضل القربات لكل مؤمن فيه حق ولذا ورد الوعيد في

حق تارك الزيارة مطلقاً.

واما قوله إنّ عمر رضي الله تعالى عنه يراها من تحت تراب ولا يراها من تحت ثياب رقيقة.

فنقول: هذا ناش من الوهم لأن فيه انكاراً عن الكشف والكرامات، الا ترى إنّ سارية رضي الله تعالى عنه رآه عمر رضي الله تعالى عنه في جبل نهاوند بمسافة طويلة اما كانت البنيان والجبال مانعة له فإن قلت إنّ ذلك كان حين الحياة وكلامنا بعد الممات قلنا هذا راجع إلى الانكار عن الكرامة بعد الممات وقد ذكرنا في (**النكات**) وعن قريب ايضاً بحوالة الخازن والستر لازم بقدر الامكان. ألا ترى إنّ الصفوف المتأخرة يراها النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم من المقدم كما قال (**اني اراكم من خلفي**) فلزم أن لا يستروا انفسهم بالثياب. فانظر إلى هذه التوهمات المستبشعة والتكلفات الباردة الركيكة لمثل هذا الشّيخ.

وما قال في (ص: ٣٥) إنّ الستر كانت كما يستر الجنازة للمرأة إنّ الميّت لا يجب عليه الستر وانما يجب الستر على الأحياء فالأحياء يسترون جثّة المرأة المتوفاة فكذلك عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تعامل مثل ذلك مع عمر رضي الله تعالى عنه لا أنّ عمر رضى الله تعالى عنه كان يراها.

ولا يخفى ما فيه من التكلف والقياس مع الفارق فإنّ الستر انما يجب في صورة الجنازة لئلا يراها احد فما معنى الستر وما معنى الحياء من عمر رضي الله تعالى عنه فعلم أنّ الستر انما كان لاجل أنّه يراها عمر رضي الله تعالى عنه.

وما قال إنّ ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها كانت تستر من الاعمى.

فنقول انما كانت تستر من الاعمى لأنها كانت تراه وإن كان هو لا يراها كما يدل عليه قوله عليه الصّلاة والسّلام (**أفعمياوان انتما...**) واذا كان عمر رضي الله تعالى عنه لا يراها كما هو مزعوم المنكر وعائشة رضي الله تعالى عنها ايضاً لا تراه لكونه في القبر فما معنى الستر والحياء.

وما قال إنّ المراد من الستر انها كانت تعامل مع عمر رضي الله تعالى عنه مثل معاملة الأحياء فيما بينهم احتراما وحياء.

فلا يخفى أنّ الاحترام والحياء لا يكون مع الجمادات والاّ لكانت تستر من الجمادات على زعم المنكر والتالي باطل فالمقدم مثله.

وما ذكر أنّ هذا كان مثل عدم الدخول من النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في قصر عمر رضي الله تعالى عنه لاجل غيرة عمر رضي الله تعالى عنه.

فلا يخفى أنّ الغيرة له دخل في دخول حريم احد سواء كان هو في حريمه او لا بخلاف الحياء فإنّه لا بدّ فيه من الحضور لمن يستحيي ولمن يستحيى منه فكيف هذا القياس.

وما ذكر إنّ هذا مثل ما يكره الاستقبال في البول والغائط نحو القبلة لا أنّ القبلة يرى ذلك.

فالعجب كل العجب من هذا القياس لأن الاستقبال بالبول والغائط ينافي احترام القبلة الواجب لأن فيه اساءة الادب بخلاف استقبال عائشة رضي الله عنها لعمر رضي الله عنه فإنّه لا يكون فيه اساءة الادب بل لو لم يكن المانع للردية لكان هذا عين الادب. وايضاً القبلة لا احتمال فيه إن ترى احداً على أنّه لم يرد في عدم الاستقبال إلى القبلة وعدم الاستدبار اليها حياء من القبلة بل ورد لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا) فانظر إلى هذا القياس الموحش ولواهب عمري إنّ القياس مع الفارق مركوز في عقل الشّيخ المسخر للوهم كما أنّ قياس الغائب على الشاهد مركوز في عقول المعتزلة.

وما قال إنّ المراد حياء من عمر رضي الله عنه لو كان هناك.

فحاله ظاهر من توجيه اقارب عمر رضي الله عنه لو كانوا هناك لو لم يذكره لكان اولى إذ لا فائدة فيه الاّ التطويل وتسويد القرطاس واتعاب الكاتب كما لا يخفى.

تنبيه: قد نقلت عبارات الشّيخ للرد كما هي إن غلطاً فغلطٌ وإن صحيحاً فصحيح ليكون النقل مطابقا للاصل والاّ فبعض المواضع غير صحيحة من حيث

العربية كما في قوله (المرأة المتوفاة) وقوله (لا إنّ القبلة يرى) وامثالهما ولعلّه يصدق عليه المثل السائر ان من لا يعرف الفقه قد صنف فيه كتاباً ويدل ذلك اما على قلة التفات الشّيخ إلى قواعد العربية او عدم ممارسته اياها.

وما قال إنّ المراد من الحياة في قوله تعالى (**بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ** * البقرة: ١٥٤) النضرة والسرور لا الحياة الدّنيويّة كما في قوله تعالى (**وَيُحْيِي الاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** * الروم: ١٩) و(**لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى** * طه: ٧٤) فكذلك الشهداء يتنعمون عند ربهم.

فنقول إنّ التنعم والسرور إن كان بدون الحياة فذلك باطل قطعاً إذ الجماد لا يتنعَّم وإن كان مع الحياة فذلك مرادنا. والحياة الدّنيوية للسماع ليست بضرورية على أنّ الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام لهم حياة جسدانية مثل حياة الدّنيا كما صرح به مولانا خليل أحمد رحمة الله عليه في (**عقائد علماء الديوبند**) على أنّ قوله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ امواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ آتَيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ اَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** * آل عمران: ١٦٩-١٧٠) فهذه الآية تدل على الحياة إذ الرزق والاستبشار لا يكون بدون الحياة.

وايضاً هذا التوجيه مخالف عما ذكره المفسّرون في شأن نزولها، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**لما اصيب اخوانكم يوم احد جعل الله ارواحهم في حواصل طيور خضر ترد انهار الجنّة**) إلى أن (**قالوا يا ليت قومنا رأوا ما نحن فيه من النعمة وما صنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد ولا يتكلوا عنه فقال الله تعالى انا مخبر عنكم مبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا**) فانزل الله هذه الآية الكريمة. (التفسير المظهري ج: ٢، ص: ٤٧٨).

فانظر في شأن نزول الآية ونظم الآية كيف يصح ان تكون النضرة بدون الحياة. والكلام في حديث (**ما من مسلم يمر بقبر اخيه**) قد مرّ.

وما قال انّ الخطاب لم يوضع في الاصل ليوجه إلى من يسمع دون من لا يسمع او إلى الحاضر دون الغائب او إلى الحيّ دون من مات.

فنقول قد مرّ عن قريب عن الحافظ ابن القيّم إنّ الخطاب مع المعدوم والجماد لا يعقل فكيف يصح انّ الخطاب لم يوضع في الاصل الخ.

وما ذكر إنّ الخطاب وجد في الاشعار والنثر مع الجمادات كالمنازل والاطلال وغيرها.

فنقول إنّ ذلك بناء على تخيل شعري واما في (**يَآ اَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ ويا سَمَآءُ اَقْلِعِي** * هود: ٤٤) فالله تعالى قادر على الإفهام اليها.

وما قال في (ص: ٣٨) إنّ هذا كما يقول المصلي في التشهد (**السّلام عليكم ايها النّبيّ ورحمة الله وبركاته**) وقد قيل ويقال ذلك في حياة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في كل مكان وبعده في كل مكان وحين وليس من ذلك أنّه عليه الصّلاة والسّلام يسمعه.

اقول لفظ (عليكم) لعلّه سهو بل (**عليك**) وكذا يعلم أنّه ترك لفظ (يلزم) بعد قوله (وليس) وهذه مناقشات لفظية وبعد ذلك نقول إنّ الفقهاء صرّحوا بأنّه يقصد الانشاء بقوله (**السّلام عليك ايها النّبي**) صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا الأخبار عما في ليلة المعراج. وقد ورد في الحديث إنّ الصلاة إن كانت قريبة يسمعها النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وإن كانت بعيدة تبلغ اليه كما في حديث باب فضل الصّلاة.

وما قال إنّ سلام الأحياء على الاموات لا يقتضي ردًا.

فنقول وإن كان لا يقتضي ردًا لكن لا ينافي الرد سيّما وقد ورد انه يرد السّلام الا في كما نقل سابقاً من (المظهري).

وما قال إنّ سلام الاموات دعاء لا خطاب.

لا يخفى ركاكته فإنّ الدعاء لا ينافي الخطاب.

وما قال إنّ ابراهيم عليه السّلام خاطب الاصنام حيث قال ألا تأكلون.

فنقول إنّ المقصود منه التعريض لاتمام الحجة لا للخطاب فإنّ معنى الخطاب القاء الكلام إلى المخاطب ولذا قال (**فَسْئَلُوهُمْ إنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ** * الانبياء: ١٣) وكذا قول عمر رضي الله تعالى عنه للحجر الاسود (انك حجر لا تضر ولا تنفع) فالمقصود منه ايضاً اتمام الحجة لئلا يتوهم من أمر الجاهلية من عبادة الاحجار.

وايضاً سماع النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم الصّلاة لا يخلو اما أن يكون من القريب او من البعيد فإن كان الاول فلا ينكر عنه مصدق الكلام النبوي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وإن كان الثاني فلا يخلو اما بلا واسطة او بواسطة فإن كان الاول فلا ندعيه وإن كان الثاني فلا ينكر عنه فإنّه ذكر الشّيخ[١] في (شرح المشكاة ص: ٣٦٢) أنّه يسمع سلام الزائرين بنفسه ومن البعيد بواسطة الملك وهذا التفصيل بعينه ورد في رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً (**من صلّى عند قبري سعمته ومن صلّى عليّ نائياً ابلغته**)

وما قال إنّ النداء وجد إلى المنازل والاشجار والظبيات وانها لا تفهم فعلم أنّ الميّت لا يفهم.

ففيه ما اقول بتوفيق الله تعالى وتوقيفه إنّ النداء يجيئ لمعان كثيرة كالتحسر والتوجع وطلب الفعل من المنادى والتخصيص وغيرها وفي امثال التوجع والتحسر كما في قول الخنساء **بيت**:

ايا شجر الخابور ما لك مورقا * كأنّك لم تجزع على ابن طريف

على أنّ ذلك قياس مع الفارق فإنّ الاشجار والاحجار لا علم لها والميّت له علم والاّ فيلزم أن يكون الاموات كالاحجار والجمادات وهذا شنيع فإنّه مسلك الاعتزال وهذا لا يليق بنا بل يليق بامثال هذا الشّيخ على أنّ النداء لهذه الاشياء تنْزيلي اي تنْزيلها منزلة من له صلاحية النداء لا تحقيقي كما لا يخفى على من له ادنى ممارسة بكتب النحو فعلم أنّ امثال هذا الشّيخ ذاهلون عن العلوم الآلية والاّ لما قالوا ما قالوا

(١) يعني عبد الحق بن سيف الدّين الشهير بالمحدث الدّهلوي المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ. [١٦٤٢ م.]

وما قال في (ص: ٣٩) إنّ السّلام على الميّت لو كان للتحية لوجب الرد ولو رد الميّت السّلام لاستحق الاجر وقد انقطع عمله.

فنقول هذا حديث بديع إذا انضم معه الكبرى بأن يقال الميّت لا يرد السّلام لانه لا يستحق الاجر وكل من لا يستحق الاجر فهو لا يرد السّلام فالميت لا يرد السّلام. او يكون على طريق القياس الاستثنائي لو رد الميّت السّلام لاستحق الاجر والتالي باطل فالمقدم مثله. فإنّ هذا منقوض إجمالاً بالقراءة والصّلاة بأن يقال الميّت لا يقرأ ولا يصلّي لانه لا يستحق الاجر وكل من شأنه كذا فهو لا يقرأ ولا يصلّي فالميت لا يقرأ ولا يصلّي مع أنّه ثبت قراءة (سورة الملك) كما في رواية التّرمذي وصلاة موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام كما في حديث صحيح. وكذا صلاة ابراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام كما في حديث المعراج رواه ومسلم (المشكاة ص: ٥٢٢).

وإن قيل إذا مات ابن آدم انقطع عمله فكيف الصّلاة والقراءة فنقول ما اشتد غفلة المعترض فإنّ عليّا القاري بأن صرح بأنّ معناه انقطع وجوب العمل والاّ فموسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام ابن آدم عليه الصّلاة والسّلام وكذا الشهداء ابناء آدم صرح بذلك القيد الشراح كصاحب (اشعّة اللّمعات) بهامش (المشكاة ص: ٥٢٢).

وكذا منقوض تفصيلاً بأن يقال لا نسلم كلية الكبرى فإنّ الملائكة يردون السّلام ومع ذلك لا يستحقون الاجر وكذا يصلّون ويسبحون من غير تكليف على الملائكة حتّى يستحق الاجر بل كل هذه تلذذ. وإذا لم يكن عليهم واجبا ما معنى الاجر، على أنّه ما معنى وجوب ردّ السّلام على الميّت فإنّ التكليف رفع عن الميّت وورد في الحديث أنّه يرد السّلام الأوفى بل نقول بطريق المعارضة إذا ثبتت اهلية بعض الموتى للقراءة والصّلاة فما المانع من ردّ السّلام سيّما إذا ورد أنّه يرد السّلام فلا يرد إنّ جواز الشيء وعدم المانع لا يستلزم الوجود فإنّ الممكنة اعم من المطلقة والاعم لا يستلزم الاخص والاّ لكان بحضرتنا جبال شاهقة لا نراها وانها سفسطة.

وجه عدم الورود إنّ عدم المانع عند وجود دليل داع مستلزم للوجود كما إنّ عذاب القبر وغيره من احوال البرزخ امور ممكنة اخبر بها الشارع عليه الصّلاة والسّلام كما ذكر تقريب هذا في كتب الكلام هكذا.

وما ذكر أنّ حديث أبي زرين ذكر من غير اسناد.

فنقول غاية ما في الباب أنّه مرسل ولا يخفى أنّ الاحتجاج بالمراسيل مسلكنا.

وما ذكر أنّ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه راو ضعيف.

فنقول جرحه ليس بمتفق عليه فإنّ بعضهم قال لس بشيء وقال بعضهم متروك الحديث وبعضهم قال لا ارى به بأساً. وبعضهم قال إنّه مدلس ولا يخفى أنّ رواية المدلس فيها تفصيل يطلب من رواية الحديث حيث قال الشّيخ الدّهلوي في (مقدمة المشكاة) وقد اختلف العلماء في قبول رواية المدلس فذهب فريق من اهل الحديث والفقه إلى أن التدليس جرح وأنّ من عرف به لا يقبل حديثه مطلقاً وقيل يقبل وذهب الجمهور إلى قبول تدليس من عرف أنّه لا يدلس الاّ عن ثقة كابن عيينة[١] والى ردّ من كان يدلس عن الضعفاء انتهى. (مقدمة المشكاة ص: ٢) فعلم أنّ التدليس مطلقاً ليس جرحًا قادحًا.

وما قال في (ص: ٣٩) نقلا عن (الشامي) وغيره أنّ الميّت ليس اهلا للسلام.

فنقول إن كان المراد أنّه ليس اهلا للسلام مطلقاً فهو باطل كيف وقد ورد السّلام على الميّت في الرّوايات وإن كان المراد أنّه ليس اهلا للسلام الّذي هو لقطع الصّلاة فذلك مسلم لا يضرّنا لانه ينوي في التسليمة الاولى من عن يمينه وفي الثانية من عن شماله كما نقله من (سراج الوهاج) ولا شكّ أنّ الاموات ليست من عنده.

وما قال في (ص: ٤٠) نقلا عن (شرح المقاصد) قد اتفقوا على أنّ الله تعالى لم يخلق في الميّت القدرة والأفعال الاختيارية.

قلنا لم نقل بالأفعال الاختيارية فإنّه في الحديث (**ما انتم بأسمع من هؤلاء ولكن**

---

(١) هو أبو محمّد سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ هـــ. (٨١٣ م.)

لا يجيبون) على أنّ عدم القدرة ليس كلياً والاّ فقد يجيبون ويقولون. **بيت:**

مرا زنده پندار چون خويشتن * من آيم بجان ار تو آئى بتن

كما في واقعة الشاه عبد الرّحيم رحمه الله على ما ذكر اشرف علي التهانوي الديوبندى في كتابه (بزم جمشيد).

وكإتيان الشهيد واعطاء شيء حلو وأتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه.

وكما في اعطاء الشعرتين المباركتين من الجناب النبوي لوالد الشاه ولي الله رحمة الله عليه وبقائهما كذلك في اليقظة.

وكما في ذبح ساب الشّيخين إلى غير ذلك من الواقعات.

وما قال في (ص: ٤١) إنّ القراءة لكونه للاستئناس لا أنّ الميّت يستأنس.

فنقول هذا عجيب ايضاً فإنّ القراءة لما كانت للاستئناس علم أنّ الاستئناس يحصل به كما أنّ الضرب يكون للتأديب فإنّ التأديب يحصل به وايضاً ورد في رواية مسلم (كي استأنس بكم).

وما ذكر من قول الشاه[١] عبد العزيز رحمة الله عليه آنچه تعلق به أمور غيب دارد ادراك دران زياده است وانچه تعلق بدنيا واردكم.

فنقول قد صرح الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه إنّ اصل الادراك مساو الاّ أنّ الفرق بقلة التوجه وكثرة التوجه.

وما قال في (ص: ٤٣) ولذا يسألون عن احوال اقاربهم لانه ليس لهم علم بحالهم. فنقول هذا دليلنا إذ علم أنّ معهم فكر اقاربهم والعلم بكون الاقارب اقارب الاموات ايضاً نوع من العلم فقد اقر بثبوت العلم من حيث لا يدري والعلم باحوال الاقارب كلياً لا ندعيه وجزئيا مما لا ينكر.

قوله في (ص: ٤٥) وكل ما ينسبون إلى العلماء من المشائخ الحنفيّة اما كذب

---

(١) عبد العزيز بن أحمد الفاروقي الدّهلوي المتوفى بدلهى سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٤ م.]

فنقول كيف يكون كذبا والحال إنّ الشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه وصاحب (المظهري) من الاحناف.

وما قال إنّ التلقين إلى الاموات لا فائدة فيه لانه إن مات كافراً لا يفيده وإن مات مؤمناً لا حاجة اليه.

قلنا إنّ هذا جار في تلقين المحتضر ايضاً.

وما قال من مسألة اليمين بأن يحلف لا أكلم زيدا فكلمه بعد الوفاة لا يحنث.

قلنا: عليّ القاري صرح بأن هذا لاجل أنّ مبني الأيمان على العرف والاّ فما معنى حياء عائشة رضي الله تعالى عنها من عمر رضي الله تعالى عنه.

وما قال إنّ هذا الحديث رواه الحاكم وهو رجل شيعي.

قلنا اولاً حديث عائشة رضي الله تعالى عنها رواه أحمد كما في (المشكاة) وثانياً أنّه ما ثبت القدح في هذا الحديث بعينه ومع ذلك الامام قال بأن الحاكم أبو عبد الله الحافظ امام صدوق ولكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة وإن كان هذا قدحا في مطلق أحاديثه لكان فيه فتح باب عظيم لأن المحدثين يروون أحاديث الحاكم في كتبهم. فإذا ذكرها الثقات يكون ذلك توثيقا لها وإن كانت في ريب مما ذكرنا فارجع إلى (ديباجة المشكاة) فلو ثبت قدح في هذا الحديث بعينه لصح ما ذكر ودونه خرط القتاد.

وما ذكر أنّ للحاكم أحاديث موضوعة.

قلنا قد ذكرها المحدثون بخصوصها انها موضوعة ولا يلزم منه أن يكون جميع ما رواه الحاكم موضوعة كيف ومثل ذلك يجري في سائر كتب الأحاديث كابن ماجة فإنّ بعض الأحاديث فيه على ما قال المحدثون موضوع كما يقولون في حديث. سرت ورد في قصة سلمان الفارسي بل تكون جميع اسفار الكتب من الأحاديث والتفاسيركذلك بسبب رواية واحدة مخدوشة وقلما يخلو عن ذلك كتاب. وهذا التقييد يحتاج إلى تفصيل كثير الاّ أنّ العاقل تكفيه الاشارة.

وما قال إنّ في رواية مخاطبة عائشة رضي الله تعالى عنها مع اخيها عبد الرّحمن رضي الله تعالى عنه ابن جريج وله أحاديث موضوعة.

قلنا انما هو في الأحاديث المرسلة لا مطلقا. الا ترى إلى قول الامام أحمد رحمة الله عليه الأحاديث التي يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة.

وما قال إنّ الاستدلال بقول عائشة رضي الله تعالى عنها علام تنصون موتاكم ليس بتام لانه ليس في ذلك سماع الموتى.

قلنا وإن لم يدل على سماع الموتى الاّ أنّه يدل على ايذاء الميّت وهذا ايضاً منكر عندك.

وما قال إنّ احوال البرزخ لا تعلق لها بهذ العالم.

قلنا لا نسلم إنّ احوال البرزخ لا تعلق لها بهذا العالم كيف وقد ظهر اماراته في هذا العالم. الا ترى إلى ما ذكره الشاه ولي الله الدّهلوي رحمة الله عليه في (الدر الثمين في مبشرات النّبيّ الامين ص: ٥٩) الثالث عشر لم اتعش ليلة من الليالي فالهم بعض اصحابنا أن يهدي إليّ اناء من اللبن فشربته ثم نمت على الوضوء فرأيت روح النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فأومأت إليّ انا الّذي ارسلت اللبن والقيت الخاطر في قلب الرجل. وكذا ذكر في هذا الكتاب (ص: ٥١) الخامس عشر اخبرني والدي أنّه كان مريضا فرأى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في النوم فقال كيف حالك يا بني ثم بشره بالشفاء واعطاه شعرتين من شعور لحيته المباركة فتعافى من المرض في الحال وبقيت الشعرتان عنده في اليقظة فاعطاني احدهما فهي عندي.

وكما سمع صحابي رضي الله تعالى عنهم تلاوة (سورة الملك) من القبر.

وكما في سماع الشاه عبد الرّحيم رحمة الله عليه من قبر خواجه قطب الدين[١] بختيار كاكى رحمة الله عليه. **بيت:**

مرا زنده پندار چون خويشتن * من آيم بجان ار تو آئى بتن

---

(١) قطب الدّين بختيار الچشتي الاوشي توفي سنة ٦٣٤ هـــ. [١٢٣٦ م.] في دلهى

كما ذكره اشرف علي التهانوي ايضاً في كتابه المسمى بـــ(بزم جمشيد) بتفصيل فإنّ في هذه الوقائع كان الصّحابي رضي الله تعالى عنه ووالد الشاه ولي الله، والشاه ولي الله رحمهما الله كلهم في هذه الدار دار الدّنيا.

وكذا ذكر العلامة السّيوطي واقعات كثيرة في (**شرح الصّدور**) من اتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه وغيرها.

وإن قلت هذه اكاذيب كلها، فهذه جسارة عظيمة تليق بك، وكيف يليق أنّ العلامة السّيوطي رحمة الله عليه جمع اكاذيب كثيرة ودوّنه بصورة الكتاب وسمّاه باسم للاشاعة لأن هذا الّذي ذكر لا ينبغي ظنه بادنى صالح فضلاً عن مثل هذا الشّيخ.

وايضاً ذكر العلامة في كتابه[١] عن العلامة السّيوطي رحمة الله عليه قال رأيت النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مشافهة في اليقظة بضعا وسبعين مرة. والف كتاباً سمّاه (تنوير الحلك بامكان رؤية النّبيّ والملك).

وايضاً ذكر بعض بابا بعنوان (باب من تكلم بعد الموت وسمعه من كان في هذا العالم).

وقد ذكرنا من (كتاب الروح) ذبح ساب الشّيخين في النوم وبقاءه كذلك في اليقظة فأي معنى للتعلق بهذا العالم، على أنّه ذكر في كتب اصول الفقه كالمولوي علي الحسامي[٢] يؤذي الميّت ما يؤذي في اهله وهذا تعلق بهذا العالم. ألا ترى أنّ من الكرامة بعد الممات ما ذكر في تفصيل قوله تعالى (**وَكَانَ اَبُوهُمَا صَالِحًا** * الكهف: ٨٢) وقد بنى خضر على نبيّنا وعليه الصلاة والسّلام الجدار لليتيمين وكان بينهما سبعة آباء فما معنى التعلق بهذا العالم.

والعجب أنّهم إذا ذكر لهم واقعة النوم في التأييد، فيقولون النوم لا يثبت الاحكام ويذكرون لاثبات كذب الراوي واقعة المنام حيث قال عليه الصّلاة والسّلام

---

(١) اليواقيت والجواهر (ص: ١٦٤)

(٢) علي حسام الرازي الفقيه الحنفي توفي سنة ٥٩٨. هـــ. [١٢٠١ م.]

لوليد بن مسلم (قل لابن سمعان اتق الله ولا تكذب عليّ) والعجب إذا نقلناه لا يكون مؤيدا. وإذا ذكروه لاثبات امر قطعي يكون سندا وهذا ابعد عن الانصاف. وهكذا حال الكل فإنهم يستدلون باقوال الشاه ولي الله والشاه عبد العزيز وغيرهما المرحومين وإذا ذكرنا اقوالهم فلا يسلموهما.

وقد وقع ذلك عند مذاكرتي مع بعض اخواني من الفضلاء حيث جئت لزيارة استاذنا المرحوم في طواف الاستئناس فلما ذكرت له قول الشاه ولي الله الدّهلوي رحمة الله عليه قال من أية بلدة هو فتحيّرت وتعجبت فقلت هو الشاه ولي الله الدّهلوي رحمة الله عليه فخر المحدثين وسند المفسّرين.

وايضاً قوله نم كنومة العروس انتهى، دليل واضح على أنّ الميّت ليس كالجماد

وما قال إنّ من تعنتهم ارجاع الضمير لا إلى مرجعه كما يقولون إنّ الملا عليّ القاري قال النفي منتصب على نفع السّماع لا على مطلق السّماع وهذا عين ما نقول إنّ النفع فرع سماع الموتى.

قلنا لا نسلم ذلك فإنّ الكفار يسمعون ولا ينتفعون.

وما قال من انعكاس الضمير في (المدارك).

فنقول المشبه الكفّار والمشبه به الموتى ووجه الشبه عدم الانتفاع بمسموعهم ولا يخفى أنّ وجه الشبه مشترك بين الطرفين فإنّ التشبيه مشاركة امر لامر في وصف خاص بادوات التشبيه وإذا لم يكن وجه الشّبه مشتركا بين الطرفين لا يكون التشبيه تاما وهكذا حال عبارة (روح البيان) فإنّه ذكر فيه كما أنّه لا يسمع الموتى ولا يجيبون كذلك الكفّار لا يسمعون ولا يقبلون الحق فإنّه لا يخفى أنّه إذا كان المراد أنّ الموتى لا يسمعون اصلاً كما أنّ الكفّار لا يسمعون اصلاً فهذا باطل فإنّ سماع الموتى وإن كان متنازعا فيه بيننا وبينكم إلاّ أنّ سماع الكفّار الأحياء امر لا ينكره عاقل بل مجنون. فعلم أنّ المراد إنّ الكفّار لا يسمعون بقيد الاجابة والنفي في الكلام إذا توجه إلى المقيد بقيد يفيد نفي القيد كما نص الشّيخ عبد القاهر فى (دلائل

الاعجاز) ونقله علماء البلاغة كما يقال ما صليت في المسجد فإنّه يفيد نفي الصّلاة في المسجد لا مطلقاً والاّ لكان ذكر القيد لغوا. ويدل على ما ذكرنا ما ذكر في (حاشية الجلالين في سورة النمل ص: ٣٢٤) في تفصيل هذه الآية (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * النمل: ٨٠) هذه الآية واردة في حق الكفّار وقطع طمع النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في هدايتهم فإنهم كالموتى فكونهم كالموتى موجب لقطع الطمع وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعم بما يتلى عليهم من الآيات إلى أن قال ولا دلالة في هذه الآية على عدم سماع الأموات. كلام الأحياء كما استدل به بعض الجهلة والأحاديث الصّحيحة واردة في باب سماع الموتى ولا نذكرها خوفا للاطناب.

وايضاً ذكر في (حاشية الجلالين) في (سورة الروم) ذيل قوله تعالى (**فَاِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * الروم: ٥٢) تطبيق ابن الهمام بين الآية والحديث بأن ذلك مخصوص باول الوضع وذكر انكار عائشة رضي الله تعالى عنها وذكر انكار التلقين بعد الدفن. قال هذا العبد وقد كثرت الأحاديث في سماع الموتى ومعرفتهم زوارهم وقد اغنانا عن ايرادها جدنا الشّيخ الاجل الدّهلوي رحمه الله القوي في (شرح المشكاة) وغيره. ومعنى الآية كما عليه جماعة من المفسّرين أنّه مجاز وأنّ المراد من الموتى ومن في القبور الكفّار شبهوا بالموتى وهم أحياء من حيث أنّهم لا ينتفعون بمسموعهم كما لا تنفع الاموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى القبور وهم كفّار بالهداية والدعوة. ويحتمل أن يكون المعنى لا تسمعهم سماعاً يترتب عليه اثره وهو التكلم كمالين (حاشية الجلالين سورة الروم ص: ٣٤٥). وظهر منه حال كلامه السّابق في انعكاس الضمير وقد ذكرت نبذا من الجواب هناك وهذه زيادة.

وايضاً ذكر في (سورة فاطر) في تفسيرآية (**اِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَآءُ** * فاطر:٢٢) اي هدايته فيجيبه بالإيمان (**وَمَآ اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * فاطر: ٢٢) اي الكفّار شبههم بالموتى فلا يجيبون. (الجلالين ص: ٣٦٦). قال في (الحاشية) شبه الكفّار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم. وهذا ايضاً ظاهر في السّماع الّذي يترتب عليه

الآثار والاجابة. فانظر إلى تمحلات الشّيخ المعدوم نظيره.

وايضاً قال الشّيخ الدّهلوي رحمه الله القوي إنّ الكفّار موتى القلوب وإنّ القبور اجسادهم. فانظر كيف ثبت في الآية احتمالات ناشئة عن دليل ولاهل المناظرة اصل موضوع إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال.

وايضاً قال في (الخازن ج: ٣، ص: ٩٩) في تفسير قوله تعالى (**وَمَآ اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * فاطر: ٢٢) يعني الكفّار شبههم بالموتى في القبور لأنّهم لا يجيبون إذا دعوا.

وقال في (المدارك) شبه الكفّار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم إن كان الضمير راجعا إلى الموتى فاستدلالنا ظاهر وإلاّ فوجه الشبه مشترك فيه.

وايضاً قال في (المدارك ج: ٦٣ ص: ٣٧) في تفسير قوله تعالى (**فَاِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * الروم: ٥٢) اي موتى القلوب اي هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك فهذا التشبيه مع تفسير المفسّرين لا يثبت مطلوب المنكر ولا شكّ أنّ الآيات الدّالة على عدم سماع الموتى ذكرت في القرآن في ثلاثة مواضع في (سورة النمل) (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * النمل: ٨٠) وفي (سورة الروم) (**فَاِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * الروم: ٥٢) وفي (سورة الفاطر) (**وَمَآ اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * فاطر: ٢٢) وقد ذكرت اقوال المفسّرين فيها في الجملة وفيها كفاية فإنّ العاقل تكفيه الاشارة. والكلام وإن افضى إلى التطويل لكنه لا يخلو عن التحصيل.

وما قال إنّ الآية في نفي سماع الموتى قطعي الدلالة والثبوت والحديث ظنّيّ الثبوت فكيف يخصص النص.

قلنا لا شكّ إنّ الآية بعمومها شاملة للانبياء والشهداء فإن زعمت أنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ايضاً لا يسمع فذلك يليق بك لأنه قد ثبت فيما مرّ ان النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يسمع الصّلاة ولا تخصيص فيه باول الوضع. وإن قلت إنّه عليه الصلاة والسّلام يسمع فقد صار مخصوصاً من البعض والعام المخصوص

منه البعض ظنّي وقد ثبت في الاصول أنّ العام إذا خص مرة فيجوز أن يخص ثانياً بدليل ظنّي.

وما ذكر من الحوالة على الطحطاوي[١].

فنقول ذكر في (نور الايضاح) في زيارة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعد الحج والشّيخين السّلام عليكما يا ضجيعي رسول الله ووزيريه ومشيريه والمعاونين له في امر الدّين نتوسّل بكما إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم والطحطاوي ما أنكر عليه ولا رده.

وما قال إنّ في رواية البخاري فإنهم الآن يسمعون واحال على الفاضل الجلبي إنّ ازدياد القيد يوجب ازدياد الفائدة.

قلنا نعم، إنّ ازدياد القيد يوجب ازدياد الفائدة لأن الكلام كلما زاد قيودا زاد غرابة وكل ما زاد غرابة زاد افادة إلاّ أنّه لا يعلم منه انهم لا يسمعون بعد الآن لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على النفي عما عداه وكذا التقييد بالشرط والوصف كما في قوله تعالى (**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طولاً اَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ** * النساء: ٢٥) انتهى. وهذا مصرح في اصول الحنفيّة فإنّ زيادة الفائدة لا كلام فيه إلاّ أنّه لا ينفي الحكم عما عداه.

والحاصل إنّ سماع الموتى في ذلك الوقت ثبت في ذلك الحديث وفي وقت آخر من الأحاديث الاخر نعم، تخصيص الشيء بالذكر يدل على نفي الحكم عما عداه عند الشوافع فعليك باعمال قواعد الاحناف رحمة الله عليهم على أنّ في الرّواية المشهورة (**ما انتم بأسمع من هؤلاء**) يعني هم اسمع وهي جملة اسمية لا تدل على زمان معيّن.

وما قال إنّ المهملة في قوة الجزئية.

فغير مسلم مطلقاً فإنّ مهملات العلوم ليست في حكم الجزئيات بل في حكم الكليات كما لا يخفى على من له ادنى مهارة بالعلوم الآلية فيا لضيعة العلوم الآلية.

---

(١) أحمد الطحطاوي الحنفي توفي سنة ١٢٣١ هـ. [١٨١٥ م.] في القاهرة

وما ذكر أنّ الامام البخاري رحمة الله عليه الف كتابه من ستمائة الف حديث. فليس معناه أنّ ما وراءه ليس بصحيح لانه قال الامام البخاري ما وضعت فى. البخاري الا حديثاً صحيحاً ولقد تركت كثيرا من الصحاح فالحاصل أنّ الحصر من جانب البخاري رحمة الله عليه في الصّحيح لا من جانب الصّحيح في البخاري كما لا يخفى على من له دراية بدراية الحديث وروايته.

وما ذكر من الاقوال في الارواح.

فليس معناه أنّهم محبوسون نص تلك المواضع فإنّ الحبس في موضع ينافي الحبس في موضع آخر وايضاً ينافي الاكرام بل ثبت أنّ ارواح المؤمنين تسير في ملكوت السّموات والارض حيث شاءت كما نقل سابقاً عن (المرقاة).

واما التمسك باقوال ابن حزم[١].

فلا يخفى أنّ الاختلاف في الفروع عنده ضلال كما قال المفسّر البغدادي الآلوسي في تفسيره في بيان اقسام الاختلاف والثالث في الفروع وهل هو ضلال فكلام ابن حزم يدل على أنّه ضلال لانه يمنع التقليد واما نحن فنجوز التقليد للجاهل انتهى. فكيف يكون حجّة لنا وعلينا فالعجب ممن يدعي التقليد ويتمسّك باقواله وإلاّ فعلى قاعدة ابن حزم المنكر ايضاً في الضّلال إن كان مقلدا.

وما قال عن الشّيخ العثماني رحمة بالله عليه في (فتح الملهم شرح صحيح مسلم من كلام قاسم العلوم) ينبغى أن يفهم أنّ سماع الموتى كلام الأحياء ليس ذلك داخلا في دائرة الاسباب العادية الطبعية وليس لنا قدرة على إسماعهم ولكن الله تعالى قادر على أن يخرق العادة او ينشيء اسبابا خفية مجهولة فيسمعهم بعض اصواتنا فيسمعون سماع الأحياء بل ازيد منهم ولعل لهذه الدقيقة نفي القرآن الإسماع من العباد.

فلا يخفى أنّه قول بسماع الموتى كالأحياء او ازيد.

وما قال إنّ قدرة الله تعالى غير معلوم لنا.

---

(١) ابن حزم علي الاندلسي توفي سنة ٤٥٦ هـ. [١٠٦٤ م.]

قلنا فلا نسلم عدم العلم بالقدرة بل نحن مصدقون بأن الله تعالى على كل شيء قدير. فمن كان شاكاً في قدرة الله تعالى او منكرا منها فليكن. وعلم أنّ سماع الموتى لا جزم فيه بكونه ما فوق الاسباب بل صرح الشّيخ بأنّه يجوز أن تكون هناك اسباب خفية. وما قال إنّ الميّت بعد السؤال بلا روح.

قلنا إن كان المراد أنّه بلا تعلق روح اصلاً فذلك ممنوع كيف وتعلق الروح على ما ذكر عليّ القاري في (شرح الفقه الاكبر) والحافظ ابن القيم في (كتاب الروح) خمسة انواع منها في حال البرزخ.

وما قال إنّ المراد اما بجسد فقط بلا روح او الموضوع له الميّت فيمكن عند المثبت سماع الجبل انتهى.

قلنا لا يلزم منه سماع الجبل لأن الجبل لا شعور له ولا معه تعلق الروح بخلاف الميّت إذ معه تعلق الروح والظاهر أنّ لفظ الجبل او الحبل سهو من الكاتب بل الظاهر الجسد. والجواب أنّ المراد من الجسد إن كان بلا تعلق روح فلا ندعيه وإن كان مع التعلق فلا استبعاد فيه.

وما قال إنّ الله تعالى يسمع الاحجار والاشجاركما في قوله تعالى (**اِنَّا عَرَضْنَا الْاَمَانَةَ** * الاحزاب: ٧٢).

قلنا لا يخفى أنّ عرض الامانة انما كان بخلق الفهم وقابلية الخطاب ولا شكّ أنّ بعد خلق الفهم في الجبال هي اهل الفهم كما في قوله تعالى (**لَوْ اَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ** * الحشر: ٢١) انتهى. ولا شكّ أنّ الميّت اهل الفهم والادراك.

وما قال إنّ اسماع الله تعالى غير معلوم لنا.

قلنا إن كان بطريق السلب الكلّي فقد اثبتنا الايجاب الجزئي بروايات ذكرت وهو يناقض السلب الكلّي وإن كان بطريق السلب الجزئي فلا يضرّنا لانا لا ندّعي السّماع في كل مكان في كل زمان لكل مسموع.

وما قال إنّ هذه مصرحة ووجه الشبه فيه اقوى قلنا عدم الاجابة في الاموات اقوى

وما قال متمسكا باقوال المفسّرين والمتكلمين.

فنقول إجمالاً إنّ الآيات واقوال المفسّرين في بيان حال الاموات عموماً اكثريا بالنظر إلى المتعارف لانه إن كانت محمولة على الاموات بعمومها كلية وقاطبة لتعارضت مع الرّوايات الدّالة على ايذاء الميّت وادراكه واستئناسه وصلاته وتلاوته وندائه من القبر. فعلم أنّ المراد الحكم الاكثري بالنظر إلى المتعارف.

وقول الامام الرازي ظاهر في ذلك حيث قال والموتى سامعون من الله تعالى والاسماع إلى الصخرة الصماء انما يكون بطريق خلق قابلية الفهم والخطاب كما في الجبال حين عرض الامانة وكما في علم الذر عند اخذ الميثاق ولا شكّ أنّ الإسماع إلى الموتى لا يكون بدون الفهم.

وما قال إنّ الميّت لا يدرك شيئاً.

معارض بما في (المرقاة) وكذا بغيره من الرّوايات إنّ للرّوح بالجسد تعلقاً كلياً بحيث تقرأ وتصلي وتسير في ملكوت السّموات والارض فلا يشكل شيء منها بالآيات

وما ذكر أنّ المثبتين لسماع الموتى يستدلون باقوال ضعيفة والكشف والمنام ويذكرون ذلك من الكتب التي لم يلتزم اصحابها الصحة كـــ(كتاب ابن أبي الدّنيا) و(المعجم) للطبراني و(كتاب العاقبة) لعبد الحق رحمة الله عليه و(تأريخ دمشق) لابن عساكر وهذه الكتب ذكرها السّيوطي في (**شرح الصّدور**) ثم أنّهم يتركون النسبة إلى (**شرح الصّدور**) يذكرون تلك الكتب من غير أن رأوها فهذه خيانة عظيمة وقد جرح العلامة السّيوطي على بعض رواياته.

فلا يخفى أنّ العلاّمة لما نقل تلك الرّوايات عن الكتب التي تلك الرّوايات فيها جاز لنا أن نسندها إلى تلك الكتب وإن لم نرها. ألا ترى أنّ صاحب (المشكاة) لما ذكر الرّوايات عن الكتب التي فيها تلك الرّوايات جاز لنا أن نسندها إلى تلك الكتب وجاز لنا الاعتماد على الثقة وإن لم نر الكتب المنقولة عنها ومثل هذه كثيرة في كتب الفقه فإنه كثيرا ما ينقل اصحاب الفتاوى من (الجامعين) و(السيرين)

و(المبسوط) و(الزيادات) مع إنّا لم نرها فكيف يقال انها خيانة؟ نعم، من كان سيئ الظن باكابر الدّين فهذه خيانة عظيمة عنده وسوء الظن باكابر الدّين جسارة عظيمة.

واما جرح العلامة السّيوطي لما كان سندا عنده كان تعديله وسكوته اولى أن يكون سندًا ومع هذا فقد تمسك بحديث الطبراني في نفي التوسّل بقوله إنّه لا يستغاث بي.

وما ذكر من الكذب على السلف الصّالحين.

فلا يخفى أنّ اشاعة الكذب من سيماء شيعته ووصاهم به كما نرى من المشاهدات اليومية ولنعم ما قيل في المثل: (يرى احدكم خزعا في عين اخيه ولا يرى جذعا في عينه).

وما ذكر في الرد على قول العلامة الشامي[١] في قصة السيّد أحمد بن علوان[٢] بأن يقول إن لم ترد عليّ ضالتي نزعتك عن ديوان الأولياء إنّ هذا افتراء اليهود.

فنقول الحكم بكونه افتراء لا يخلو اما لاجل النداء إلى غير الله تعالى أو لاجل نسبة الرد اليه او لاجل نزعه من ديوان الأولياء او لاجل تلاوة الآيات واهداء الثواب إلى السيّد أحمد بن علوان وكل هذه لا يصلح أن يكون سببا لكونه افتراء.

اما الاول فلان النداء إلى الغير وقع كثيرا كما في يا سارية الجبل وكما في كلام العشاق **شعر**:

يا اكرم الخلق مالى من الوذبه

وكما في قول امام الأئمة **شعر**:

يا اكرم الخلق يا كنز الورى

وكما في كلام الصّوفية كما في قول معين الددين الاجميري[٣] رحمة الله عليه.

---

(١) محمّد امين بن عمر الشهير بابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ. [١٨٣٦ م.]

(٢) أحمد بن علوان الصّوفي اليمني توفي سنة ٦٦٥ هـ. [١٢٦٦ م.]

(٣) حسن بن غياث الدّين حسين الچشتي المتوفى سنة ٦٣٤ هـ. [١٢٣٦ م.]

بيت:

يا رسول الله شفاعت از تو ميدارم اميد * با وجود صد هزاران جُرم در روز جزا

والحسن السنجري رحمة الله عليه **بيت:**

كعبهٔ دل قبلهٔ جان يا رسول الله توئى * سجدهٔ مسكين حسن هر لحظه بادا سوى تو

وكما في واعمراه قول الجندي وقول عمر رضي الله تعالى عنه في جوابه وا لبيكاه. على أنّ النداء يجئ لسَبْعَة معان كما في كتب البلاغة.

واما الثاني فلأن نسبة الرد اليه مجاز كما في (انبت الربيع البقل) **بيت:**

اشاب الصغير وافنى الكبير * كر الغداة ومر العشي

وكما في قول ابراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام (**رَبِّ اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ** * ابراهيم: ٣٦) وكما في قوله تعالى)**لاَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيّاً** * مريم: ١٩) وقوله تعالى (**وَاُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ واُحْيِ الْمَوْتَى بِاِذْنِ اللهِ** * آل عمران: ٤٩) وكما في قوله عليه الصّلاة والسّلام (**انا الماحي الّذي يمحو الله بي الكفر فإنّ المبرئ والمحيي والماحي في الحقيقة هو الله تعالى.**).

ومن ههنا علم أنّ ما قال الشّيخ في بعض تقريراته إنّ في درود التاج الفاظاً شركية من قوله دافع البلاء من سوء التأمل فإنّه لا بلاء اعظم من الكفر فمعنى ماحي الكفر ودافع البلاء واحد والاذن بمرادف اذن بمرادف آخر وايضاً لا مرض اعظم من الشّرك فمعنى دافع الوباء وماحي الكفر واحد وقد قال امام الأئمة امامنا الاعظم رحمه الله في قصيدته المنقولة عنه المطبوعة حين حضوره الروضة المباركة. **شعر:**

وشفيت ذا العاهات

وايضاً شفى الطبيب المريض شائع وهذا معنى دافع الالم.

والحاصل أنّ نسبة الفعل إلى الآلة والذريعة شائعة في محاورات القرآن والحديث وكلام البلغاء وكلام الأئمة بل في كلام العوام واي شرك فيه مع وجود معنى صحيح شائع ذائع والعجب منهم حيث عميت ابصارهم وبصائرهم.

واما الثالث فلأن النزع من ديوان الأولياء معناه كانك عندي لست بولي ولست في ديوان الأولياء وإن كنت من الأولياء في نفس الامر كما يقال إن لم تجبني في المسألة الفلانية نزعتك من ديوان العلماء كأنك عندي لست بعالم وإن كنت عالماً في نفس الأمر.

واما الرابع وهو اهداء الثواب فهو امر شائع في الشّرع وههنا امر خامس لعلّه يكون شركاً عندهم وهو أنّه يعتقد قائل هذه الكلمات إنّ أحمد بن علوان يعلم بذلك فنقول هذا ايضاً ليس بشرك باعلام الله تعالى بحيث لا يعتقده حاضرا ناظرا لانه لا شكّ أنّه يحصل ثواب التلاوة ويحصل علماً للمهدى اليه باعلام الله تعالى في البرزخ فأي فساد فيه ليكون من اقوال اليهود.

وما قال في نسخة اخرى لم توجد هذه العبارة.

فنقول لعل هذا من تصرفات اخوانه النجديين فما هو جوابك فهو جوبنا.

واما افتراء الأحاديث فإنّ نقاد الأحاديث قد نقدوها.

وما قال إنّ حذف الاسناد من سيماء الروافض.

فنقول كيف يكون ذلك سيماء الروافض فإنّ صاحب (المشكاة) اكتفى بذكر الراوي والمخرج. ألا ترى إلى الرّوايات المرسلة في الكتب بل المسانيد بطريق الاسناد والانتساب في زمن السلف قليلة كما في واقعة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وما قال من المخالفة لظاهر القرآن والحديث.

فنقول إنّ العمل بالظاهر شأن الظاهرية ولذا نسب ابن تيميّة إلى المجسمة كما قال المحقق في (شرح العقائد الجلالي)[١] بعد ذكر مذاهب المجسمة واكثرهم المحدثون الظاهريون المتبعون لظاهر الحديث ولابن تيميّة أبي العبّاس ميل عظيم إلى اثبات الجهة والجسمية حيث قال لا فرق عندي في إن يقول احد طلبت الله في جميع الامكنة فلم اجده وبين قوله هو معدوم. الا ترى إلى قوله تعالى (**اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** *

(١) جلال الدّين محمّد اسعد الدواني توفي سنة ٩٠٨ هـ. [١٥٠٢ م.] في شيراز

طَهَ: ٥) و(**يَدُ اللهِ فَوْقَ اَيْدِيهِمْ** * الفتح: ١٠) و(**خلق الله آدم على صورته**) واين الله قال في السماء إلى غير ذلك.

وقد ذكر في (بذل المجهود شرح أبي داود) في ذيل (**لا يبولن احدكم في الماء الدائم**) قالت الظاهرية في الحديث لفظ البول فيجوز الغائط وهذا جمود ظاهر. وقد نقل في العمل بظاهر النصوص فيما سبق ما نقل بل لا بدّ من النظر في العلة وهي النجاسة. وهذا مثل أن يستدل احد بجواز ضرب الوالدين ويقول إنّ الله تعالى قال (**فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا اُفٍّ** * الإسراء: ٢٣) ولم يقل ولا تضربهما ولا تشتمهما ولا تخرجهما من البيوت فيجوز ضربهما وما يماثله. فالعجب هؤلاء يضربون والداهم ويخرجونها من البيوت ويزجرونها ويفتخرون بذلك في المجامع ويقولون نحن متبعون للسنة وعاملون بالقرآن ولا يستحيون من الله ولا من الناس وقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم (**إذا فاتك الحياء فافعل ما شئت**) وقال الله تعالى (**لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ اَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ** * الصف: ٢-٣).

واما ذكر الرؤيا: ان لم تكن فيها مخالفة عن ضروريات الدّين فليس فيها حرج لحديث لم يبق من النّبوّة الا المبشرات والا فلم ذكر التمسك لكذب ابن سمعان بالنوم وقد صنف الشاه ولي الله الدّهلوي رحمة الله عليه كتاباً مسمى بـــ(الدر الثمين في مبشرات النّبيّ الامين).

وما قال إنّ المسألة من ضروريات الدّين. لا بدّ فيها من دليل قطعي وما ذكر اخبار آحاد.

فنقول افراد هذه الرّوايات وإن كانت آحادا الاّ أنّ القدر المشترك ما لا يخفى حكمه على أنّ التمسك بمثل تلك الرّوايات ثبت ممن هو اعلى كعباً منه ولا يبلغ المنكر إلى ساقهم بل كعبهم كالشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه والعلامة السّيوطي رحمة الله عليه وابن القيّم ومن يحذو حذوهم وكثيراً ما هم. فهل تمسكوا بالاستدلالات الباطنة او الضعيفة وهذا مما لا يظنه احد بمثل هذه الأئمة القدوة في

الدّين على أنّ الامة تلقتها بالقبول. الا يرى المنكر المعاند، كيف يتمسّك المتكلمون في الكتب الكلامية على العقائد الاسلامية بأخبار الآحاد التي تلقتها الامة بالقبول. فعلينا بالانقياد والقبول والاّ فلم اوّل العلماء الآيات المشعرة بالجسمية والجهة بالتأويلات لا بمثل هذا الشّيخ المقتدي بمن يعمل بظاهر النصوص فعليك بالتأمل الفائق ولا تكن من المسرعين في الرد والقبول. وما ذكرنا كلام اجمالي. فلنرجع إلى ما نحن بصدده من الرد تفصيلاً.

فنقول ما ذكر في (ص: ٤٢) إنّ الملا عليّ القاري وابن عابدين ذكرا في آداب الزيارة أنّه يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى لا من رأسه لأنه اتعب البصر بخلاف الاول لانه يكون مقابل بصره. اقول من هذا يثبت سماع الجسد ورؤيته و لم يقل به احد.

قلنا إن كان المراد من سماع الجسد بلا تعلق الروح فلا نقول به وإن كان بتعلق الروح فذلك مما لا ينكر فكيف لم يقل به احد. وقد ذكرنا ناقلا عن (المرقاة) إنّ للرّوح بالجسد تعلقاً بحيث يقرأ ويصلّي انتهى فتذكر.

وما قال إنّ هذه الرّوايات مدسوسة.

فنقول هذا فتح باب عظيم لأن كل ما يخالف مسلكه يقول هذا مدسوس بل كل ما يخالف مسلك الاخرى يقول هذا مدسوس على أنّ ذلك لا يصادم شيئاً من اصول الدّين فكيف تكون مدسوسة.

وما قال إنّ هذه الطريقة لم ينقل من النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام ولا من الصّحابة رضي الله تعالى عنهم ولا من الأئمة رحمة الله عليهم. اقول كيف لم تنقل والحال إنّ دليل السّماع الخطاب ووجد في الرّوايات على ما ذكرت من الحافظ ابن القيّم وغيره. وايضاً واقعة الامام الشّافعي رحمة الله عليه في زيارة أبي حنيفة رحمة الله عليه دليل ظاهر ان هذه الطريقة منقولة عن الأئمة لأن قول الامام الشّافعي رحمة الله عليه تأدّباً دليل ظاهر على أنّ الادراك للجسد بتعلق الروح والاّ فارواح الصديقين في

عليين لا في القبر فقط.

وما قال إنّ المزور قبره لا الميّت.

فنقول إن كان المزور قبره من حيث هو قبره بلا لحاظ المقبور فذلك باطل ظاهرا لأن زيارة القبر فقط ممنوعة شرعاً لورود (**من زار قبرا بلا مقبور فكأنما عبد الصنم**) وإن كان بلحاظ أنّ المقبور فيه فعلم أنّ للمقبور دخلا في الزيارة على أنّه ورد في الحديث (**من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**) فهذا يدل على أنّ المزور هو لا قبره.

وما ذكر من زيارة القبور، فيحتمل أنّ المراد زيارة اهل القبور.

وما قال إنّ سائر الفقهاء قالوا إنّ الزيارة للقبور لا للميت. فنقول قد ذكرنا من الحافظ إنّ الزيارة انما تكون إذا علم المزور وجعل هذا دليلاً لعلم الميّت فعلم أنّ المزور الميّت على مسلكه.

وما قال مجيبا عن الاستدلال بقول الشاه ولي الله رحمة الله عليه حيث قال إنّهم إذا انتقلوا إلى البرزخ كانت تلك الاوضاع والعادات والعلوم معهم وكذا عن الاستدلال بقول الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه في (ص: ٤٣) إنّ هذه الادراك لعالم البرزخ لا لأهل الدّنيا.

أقول العبارة الصّحيحة إنّ هذا الادراك لعالم البرزخ وبعد المناقشة اللفظية نقول كلا منهما صريح في بقاء العلم. وصرح الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه أنّ ادراك البرزخ اجلى واوضح. والقلة انما تكون لقلة التوجه وايضاً الادراك لعالم البرزخ لا ينافي الادراك لعالم الدنيا سيّما إذا دلّ الدليل.

وما قال في (ص: ٤٤) نقلا عن (مجمع الانهر) إنّ الايلام لا يتحقق في الميّت انتهى.

فنقول إن كان المراد نفي مطلق الايلام فذلك باطل وإن حديث (**كسر عظام الميّت ككسرها حيا**) دليل ظاهر على ادراك الميّت والمه خصوصاً مع تفصيل (الطيبِى)

و(ابن ملك)[١] و(ابن حجر) على ما مر.

وما قال نقلا عن ابن كثير إن هذه الآية تدل على عذاب الارواح في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد.

فنقول إنّ هذا معارض بما ذكره علماء الكلام حق عذاب القبر انه تعذب الروح متصلا بالجسد والجسد متصلا بالرّوح فعلم أنّ العذاب لهما، ولذا يبين للرّوح والجسد حين منازعتهما في المحشر مثال الاعمى والزمن البصير دخلا بستان واحد واكلا الثمار. فان الاعمال إنما تكون بواسطة كليهما.

وما قال في (ص: ٤٥) إنّ ارواحهم تأوي إلى قناديل معلقة في العرش.

فنقول قد ذكرنا من (المرقات) إنّ روح المؤمن تسير في ملكوت السّموات والارض انتهى. فعلم انها لا تكون تحت العرش دائماً بل تسير في الارض فتسمع كلام الزوّار.

وما قال إنّ كل ما ينسبون إلى المشائخ الحنفيّة اما كذب ليس في كتبهم.

فنقول قد ذكرنا من كتب الأحناف كصاحب (المرقاة) و(المظهري) وغيرهما.

وما قال إنّ المذكورين ليسوا من مشائخنا الحنفيّة حتّى ينهض اقوالهم حجّة علينا

فنقول إنّ ابن تيميّة وابن حزم ايضاً ليسا من الأحناف فكيف ينهض قولهما حجّة علينا. وابن تيميّة من الحنابلة وابن حزم الاختلاف في الفروع عنده ضلال على ما نقل سابقاً بـــ(حوالة روح المعاني).

وما قال إنّ السّلام الدعاء والرحمة قال تعالى (**سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ** * الصافات: ١٢٠).

فنقول كونه دعاء لا ينافي كونه خطابا سيّما وقد ورد ردّ السّلام.

وما قال إنّ ابن القيم في ذلك اكثر من الاقوال فكلها مستند إلى الكشف والمنامات.

---

(١) عبد اللطيف ابن ملك توفي سنة ٨٠١ هـــ. [١٣٩٩ م.] في ازمير

فنقول قد صرح الحافظ بأن هذا ليس تمسكا بالمنامات حيث قال في (ص: ١٢) على انا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها وقد ثبت في الصّحيح أنّ الميّت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه. (كتاب الروح) والعجب أنّ المنكر إن نظر إلى المنامات فلم ينظر إلى الحجج وذكر المنامات للتأييد لا ينافيه. والاّ فالمنكر ايضاً يذكر ا لمنامات.

وما ذكر من تقسيم التلقين في (ص: ٤٦) حيث قال نقلا عن الطحطاوي إنّ التلقين على ثلاثة اوجه: ففي المحتضر لا خلاف في حسنه وما بعد انقضاء الدفن لا خلاف في عدم حسنه والثالث اختلفوا فيه وهو ما إذا لم يتم الدفن انتهى.

فنقول قال الحافظ في (كتاب الروح ص: ١٧) ويدل على هذا ايضاً ما جرى عليه. عمل الناس قديما، والى الآن من تلقين الميّت في قبره ولولا أنّه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثا وقد سئل عنه الامام أحمد رحمة الله عليه فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في (معجمه) من حديث أبي امامة قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**إذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنّه يقول ارشدنا رحمكم الله ولكنكم لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدّنيا من شهادة أن لا اله الا الله وأنّ محمداً رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمّد صلّى الله عليه وسلّم نبيا وبالقرآن اماما فإنّ منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا ولقن حجته ويكون الله ورسوله حجيجه دونهما**) فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف امه قال (**ينسبه إلى امه حواء**) فهذا الحديث وإن لم يثبت باتصال العمل به في سائر الامصار والاعصار ومن غير انكار يكفي في العمل به وما جرى الله العادة قط بأن امة طبقت مشارق الارض ومغاربها وهي اكمل الامم عقولاً واوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل. وتستحسن ذلك لا ينكر منها منكر بل سنة الاول للآخر ويقتدي

فيه الاول بالآخر فلولا أنّ المخاطب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم وهذا وإن استحسنه واحد فالعلماء قاطبة اتفقوا عليه لا يصح استقباحه واستهجانه إلى آخر ما قال.

فعلم من هذا الكلام أنّ التلقين بعد الدفن وتسوية التراب عمل الناس قديماً وحديثاً وسنة الاوائل والاواخر سيّما وفيه حديث ضعيف الجبر ضعفه بعمل الناس قاطبة. سيّما إذا استحسنه من هو جبل في الحديث وقد جعله الحافظ دليلاً على سماع الموتى.

وما قال في (ص: ٥٠) أنّه ليس لاحد قول في سماع الموتى.

قلنا كيف وقد ذكر الأحاديث واقوال العلماء الحنفيّة رضي الله عنهم.

وما قال إنّهم قائلون بمواضع مخصوصة وذلك قليل منهم.

قلنا اولاً لا نسلم إنّه قليل ولئن سلم فالقليل ايضاً انما هو في صورة الموتى فرد مطلوبكم من السلب الكلّي.

وما قلنا في (ص: ٥١) وإنّ الاستشفاع الّذي يثبت المبتدعون لذلك لم يقل بها احد من ائمة الاسلام بل من الامور المحدثة.

فنقول قد ذكرنا في مقصد التوسّل ما فيه كفاية. وإنّ هذا طريق العلماء سلفاً وخلفاً خلافاً لابن تيميّة ومحمّد بن عبد الوهاب النجدي وذرياتهما. ألا ترى إلى ما قال تاج الدّين السبكي مشنعا على مرشد المنكر ويحسن الاستغاثة والتوسّل بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتّى جاء ابن تيميّة فانكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقل عالم وصار بين الانام مثلة كما ذكره المنكر في كتابه المقصود بالرد ههنا في (ص: ٩٣) فعلم من كلام السبكي أنّ التوسّل معمول السلف والخلف والحال إنّ العمل العام حجّة كما مر آنفا من قول الامام أحمد رحمة الله عليه ولفظ السلف والخلف شامل للكل فكان بمنزلة الاجماع فالمنكر لا ينكر الاّ الاجماع.

وعلم ايضاً من قول السبكي أنّ المنكر من التوسّل مبتدع لأن المقر مبتدع بل هو متبع لامر ثابت من السلف والخلف. وانعكس انتساب الابتداع إلى قائله. ولنعم ما قيل (من حفر بئرا لاخيه وقع فيه) على أنّ قول الامام الشّافعي رحمه الله اني لاتبرك بابى حنيفة رحمه الله واجئ إلى قبره. وقصيدة الامام الاعظم عند الروضة المباركة وشق سقف الروضة بأمر عائشة رضي الله تعالى عنها بعد المطالبة دليل ظاهر على أنّه كان أمراً متوارثا فكيف ينكر وينسب الابتداع إلى قائله وهل هذا الاّ تعصب ظاهر.

وعدم اشتهار التوسّل في زمن الصّحابة رضي الله تعالى عنهم مر وجهه من كلام (روح المعاني) على ما ذكر سابقاً مفصلاً.

واما الاستدلال بتوسّل عمر رضي الله عنه. فقد مر جوابه مفصلاً.

وما قال من الاستدلال بقوله تعالى (**اَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ اَيَّانَ يُبْعَثُونَ** * النحل: ٢١).

فنقول لم يقل احد بأن الموتى يشعرون ايان يبعثون حتّى يتم استدلال المنكر بل نقول إنّ الأحياء لا يشعرون ايان يبعثون لأن علم الساعة من مفاتيح الغيب فلو كان عدم الشعور بالبعث في وقت معيّن دليلاً على عدم السّماع لزم منه عدم سماع الأحياء لأن ذلك العلم ليس عند الأحياء والمراد من قوله يدعون يعبدون كما صرح به السّيوطي غير مرة في كتابه وإن قال البعض بخلافه

وقوله تعالى (**اِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ** * الاعراف: ١٩٤) بيان الاصنام فإنّ الحياة البرزخية يوجد فيها السمع والبصر وغير ذلك فافهم. وهذا اوان الفراغ من المقصد الثالث ولنشرع في المقصد الرابع لتكميل المقاصد وتربيعها فنقول:

المقصد الرّابع في التنقيد على ما ذكر في بحث الانكار عن التوسّل بالانبياء عليهم السّلام والأولياء الكرام المدفونين في المقابر

اعلم أنّ التوسّل قد ذكرنا دلائله والرد على المنكر إجمالاً فلنشرع فيه تفصيلاً فنقول:

وما قال في (ص: ٥٢) من تشبيه المتوسّلين إلى الله بالانبياء والأولياء بعبّاد الاصنام فتعسَّف ظاهر لأن عبّاد الاصنام يعبدون الاصنام كما حكى الله عنهم (**مَا نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى** * الزمر: ٣) والموحدون المتوسّلون بالانبياء عليهم الصّلاة والسّلام والأولياء الكرام المدفونين ما يعبدونهم. وفعل العوام لا يكون سندا بل لا بدّ من التّعليم بالتي هي احسن. فسبحان الله من الغلو. فاين التوسّل من العبادة فإنّه يستوي فيه الحيّ والميّت.

وما قال إنّ بعض العلماء يدرسون الحديث في المشاهد ويرون المنكرات وهم عنها ساكتون، صامتون إلى آخر ما قال.

فنقول اي عالم لم ينكر على المنكرات بالتقرير او التحريرعلى ما هو وسعهم، نعم، للتبليغ مراتب كما اشير اليها في الحديث (**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان**).

وامّا شدّ الرّحال لقبور الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام والأولياء الكرام خاليا عن المنكرات كيف ينكر منه كما نقل من الإحياء للغزالي رحمة الله عليه. ومجيب الدعوات وكاشف الضر ليس إلاّ الله وهم وسائل في البين.

وما قال في (ص: ٥٥) نقلا عن ابن تيميّة إنّ الشّرك في بني آدم من تعظيم قبور الصّالحين انتهى.

فنقول لا يخفى أنّ تعظيم القبر ليس الاّ لاجل المقبور وقد نهي الجلوس على القبر والاتكاء اليه كما ورد أنّه ايذاء له كما في (لا توذ صاحب القبر) نعم إن كان التعظيم على وجه العبادة فهو يكون اصل الشّرك وإذ ليس فليس. ألا ترى أنّه يراعى

في الزيارة أدب المزور وهذا هو التعظيم فإنّه كما يجب تعظيم الصّالح حين كونه حيّاً فكذلك حين كونه ميّتاً. الا ترى ما قال ابن الملك في قوله عليه الصّلاة والسّلام (**كسر عظام الميّت ككسرها حياً**) فيه اشارة إلى أنه لا يهان الميّت. وهل يكون مطلق التعظيم شركاً مع أنّ العلماء رحمة الله عليهم صرّحوا بجواز تقبيل يد العالم كما نقل عن الامام المسلم أنّه قبّل يد الامام البخاري رحمة الله عليه وايضاً ابو بكر رضي الله تعالى عنه قبّل جبهة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم حين الوفاة. وهل يقول احد إنّ هذا التعظيم من اصول الشّرك (**سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** * النور: ١٦).

وما قال في (ص: ٥٦) إنّ هؤلاءكانوا قوما صالحين الخ.

فنقول إنّ كفر قوم نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام ما كان لاجل تعظيم الصلحاء بل لاجل عبادتهم اياهم كما قال المفسّرون في تفسير قوله تعالى (**وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُواعًا** * نوح: ٢٣) قال الخازن يعني القادة للاتباع لا تتركن عبادتها (ج: ٤، ص: ٣١٣) فعلم أنّ وصية القادة للاتباع انما كان بالعبادة لا بنفس التعظيم.

وما قال من انكار الفيضان من روح المقبور (ص: ٥٨).

فنقول قد نقلنا عن عقائد علماء ديوبند أنّ الاستفادة من ارواح المشائخ رحمة الله عليهم ثابتة. وكذا صرّح الشاه عبد العزيز رحمة الله عليه كما نقل سابقاً من تفسيره فكيف يكون شركاً. والآلوسي البغدادي ايضاً قال بالمدد الروحاني.

وما قال في (ص: ٥٨) وهكذا المشركون في زماننا الذين يدعون غير الله كالشّيوخ الغائبين والموتى تتصور لهم الشياطين في صور الشّيوخ انتهى.

فنقول إنّ التوسّل إذا كان بطريق شرعي وحصل له التصور بصورة الشّيخ فأي دليل على أنّ هذا شيطان. كيف وقد قال الآلوسي البغدادي إنّه قد يرى المرء شيخه فيرشده لما يهمه كما سبق ذكره مفصلاً. والتعجب من جسارتهم أنّهم يحكمون مطلقاً إنّ الشيطان تصور بصورهم.

وما قال في (ص: ٥٩) إنّ الشيطان كثيراً يتصور بصورة الانس في اليقظة والمنام وقد يأتي لمن لا يعرف فيقول أنا الشّيخ فلان والعالم فلان وربما قال انا ابوبكر رضي الله تعالى عنه وعمر رضي الله تعالى عنه وربّما قال أنا المسيح عيسى عليه السّلام، أنا موسى عليه السّلام وأنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام انتهى.

فنقول كيف يتصور في شأن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع أنّه عليه الصلاة والسّلام قال (**من رآني فقد رآني فإنّ الشيطان لا يستطيع أنّ يتمثل بي**) او كما قال.

وايضاً الشاه ولي الله رحمة الله عليه ذكر واقعات كثيرة في بعضها استفادة روحانيّة وفي بعضها ارسال اللبن وفي بعضها ارشاد طريق الصّوفية كما ذكر في (الدر الثمين في مبشرات النّبيّ الأمين).

الحديث الرابع عشر اخبرني والدي رحمة الله عليه أنّه رأى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في المنام فبايعه ولقنه النفي والاثبات على طريقة الصّوفية فبايعني كما بايعه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ولقنني كما لقنه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم (ص: ٥٩).

ومثل هذا كثير كما ذكر في الحديث السابع عشر اخبرني السيّد الوالد قال اخبرني شيخي السيّد عبد الله القاري رحمة الله عليه قال حفظت القرآن على قارئ زاهد كان يسكن في البرية فبينا نحن نتدارس القرآن إذ جاء قوم من العرب يقدمهم سيّدهم فاستمع قراءة القارئ وقال بارك الله اديت حق القرآن ثم رجع وجاء رجل آخر بذلك الزّيّ فاخبر أنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم اخبرهم البارحة أنّه سيذهب إلى البرية الفلانية لاستماع قراءة القارئ هناك فعلمنا السيّد الّذي كان يقدمهم هو النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال وقد رأيته بعيني هاتين.

الحديث الثامن عشر اخبرني السيّد الوالد أنّه اراد في ابتداء طلبه أن يلتزم دوام الصيام ثم تردد في ذلك لاختلاف العلماء فتوجه إلى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فرآه في النوم كأنه اعطاني رغيفا فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه الهدايا مشتركة

فقدمته اليه فاخذ منه كسرة ثم قال عمر رضي الله تعالى عنه الهدايا مشتركة فقدمته اليه فاخذ منه كسرة ثم قال عثمان الهدايا مشتركة فقلت إن قسمتم الرغيف بينكم فأي شيء يبقى لهذا الفقير فامسك (ص: ٦٠).

الحديث التاسع عشر اخبرني والدي أنّه ركب في رمضان إلى مكان فاصابه الحر والتعب فنعس في تلك الحالة فرأى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فاعطاه طعاما لذيذا متخذا من الارز والحلاوة والزعفران والسمن فأكل حتّى شبع واعطاه ماء باردا فشرب حتّى رَوِيَ ثم استيقظ ولا جوع ولا عطش وفي يده ريح الزعفران (ص: ٦٠).

الحديث الخامس والعشرون اخبرني سيّدي الوالد قال رأيت في المنام النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم جالسا مراقبا في مسجد من ياقوت شفافا فارى ظاهره من باطنه والصّحابة والأولياء جالسون متحلقون عنده فلما وصلت الباب قام سيّدي عبد القادر الجيلي رحمه الله والشّيخ بهاء الدّين النقشبدي رحمة الله عليه فخرجا إليّ وتذكرا فقال سيّدي عبد القادر الجيلي رحمه الله انا اولى به لانه تربى بروحانيّة جده أبي امه وكان اخذ بطريقتي. ثم اصطلحا على أن يتولاني اولاً الشّيخ بهاء الدّين رحمة الله عليه ويفيد لي بعد ذلك سيّدي عبد القادررحمه الله بما شاء ثم ادخلني الشّيخ بهاء الدّين رحمة الله عليه المسجد واجلسني بين يدي النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فلما فتح بصره كنت اول من وقع بصره عليه (ص: ٦٢).

الحديث الحادي والثلاثون اخبرني الشّيخ أبو الطاهر عن القشاشي[١] أنّه كتب إلى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كتاباً في بعض حاجاته صورته: يا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليك أنت أقرب اليّ مني ام هذا فبحق قربك مني وإن بعدت الاّ ما شفعت فيّ وفي قضاء حاجتي كلها الدّنيويّة والأخروية لي ومن احب آمين فلما كان بعد هذا بستة اشهر رأى السيّد محمّد بن علوي[٢] النّبيّ صلّى الله تعالى عليه

(١) أحمد القشاشي البدري توفي سنة ١٠٧١ هـ. [١٦٦٠ م.] في البقيع

(٢) محمّد بن علوي السقاف توفي سنة ١٠٧١ هـ. [١٦٦٠ م.] في مكة المكرّمة زدها الله شرفا وكرما

وسلّم فقال له سلّم على أحمد القشاشي وبشّره بالشفاعة ثم رأى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في الليلة الآتية وقال سلّم على أحمد القشاشي وقل له إنّه جليسي في الفردوس (ص: ٦٣).

وإذا عرفت هذا فلا ادري ما يقول المنكرون في هذه الاستفادة الروحانيّة وكتاب (الدر الثمين) مملوء من واقعات مثل هذه. من شاء المزيد يطالعه وفيما ذكرنا كفاية للّبيب المنصف. فإنّ الشاه الدّهلوي لما ذكر هذه الواقعات في كتابه علم أنّ ذلك لا يصادم الدّين كما يقول هذا المنكر المفرط.

وما قال في (ص: ٦٠) إنّ الصّحابة قد تنازعوا فهلا سألوا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فاجابهم.

فنقول اختلاف الصّحابة وبقاؤه كذلك فيه سر الهي وهي الوسعة للأمة. ولذا قال عليه الصّلاة والسّلام (**اصحابي كالنجوم بايّهم اقتديتم اهتديتم**) لا أنّ الاستفادة من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا يمكن فإنّ أولياء الله يسألون النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فإنّه ذكر في (الدر الثمين) الحديث العشرون اخبرني سيّدي الوالد بلغني أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال (**أنا املح واخي يوسف أصبح**) فتحيّرت في معناه لأن الملاحة توجب قلق العشاق اكثر من الصباحة وقد روي في قصة سيّدنا يوسف عليه الصّلاة والسّلام أنّ النساء قطعن ايديهن حين رأينه وأنّ الناس عند رؤيته و لم يرو عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في هذا الباب شيء فرأيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام فسألته عن ذلك فقال جمالي مستور عن اعين الناس غيرة من الله عزّ وجلّ ولو ظهر لفعل الناس اكثر مما فعلوا حين رأوا يوسف عليه الصّلاة والسّلام (ص: ٦٠). فانظر كيف حصل له اشكال وحصل رفعه من الحضرة النبويّة. أتقول مثل ما تقول من الخرافات في هذا ايضاً.

وما قال في بيان الزيارة المبتدعة او يطلب منه أن يطلب من الله تعالى اما أن يقسم على الله به (ص: ٦٢).

فنقول قد ذكرنا عن المحدث الدّهلوي رحمة الله عليه إنّ الطلب منه بأن يقول هناك (يا ولي الله ادع لي من الله) جائز فان المسئول والمعطي هو الله تعالى وهو واسطة في البين وكذا صرح الآلوسي البغدادي بجواز الإقسام على الله بأحد ممن له خطر وشرف كما نقل سابقاً في مسألة التوسّل فكيف قال إنّ شرك هؤلاء وكفرهم اعظم من شرك مشركي العرب.

وما قال في (ص: ٦٣) فإنّ المشرك الّذي يدعو غير الله ويرجوه ويخافه إمّا أن يجعله مالكا او شريكا او ظهيرا او شفيعا. فنقول اي شرك في الشفاعة فإنّ شفاعة الابرار ثابتة وإن كان هذا شركاً فكيف الشفاعة فتأمل.

وما قال في (ص: ٦٤) نقلا عن (مجمع البحار) فإنّ منهم قصد بزيارة قبور الانبياء والصلحاء أن يصلّي عند قبورهم ويدعو عندها ويسألهم الحوائج وهذا لا يجوز عند احد من علماء المسلمين فإنّ العبادة وطلب الحوائج والاستعانة حق الله تعالى وحده.

فنقول زيارة القبور إنما يكون للدعاء والتبرك بالانبياء والصلحاء والتوسّل بهم إلى الله تعالى في قضاء حاجاتهم وهذا جائز كما نقل عن فعل الامام الشّافعي رحمة الله عليه وغير ذلك فالمسئول المستعان هو الله تعالى.

والصّلاة في المقبرة منهي مطلقاً لا تخصيص فيه بقبور الانبياء عليهم الصلاة والسّلام والصلحاء نعم لو كان هناك مسجد او موضع معد للصلاة فأي حرج في الصّلاة اذا لم يقابل المصلي قبرا.

وامّا الدعاء عند القبور فلا شكّ أنّ الدعاء برقة القلب اقرب إلى الاجابة ولا شكّ أنّ زيارة القبور ترقق القلوب كما في حديث (**اني نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنّها ترقق القلوب وتذكّر الموت**) او كما قال ولا شكّ أنّ لرقة القلب تأثيرا في اجابة الدعاء. ألا ترى إلى بكاء عثمان رضي الله تعالى عنه عند حضوره المقبرة.

وما قال في (ص: ٦٥) من كلام الامام الرازي رحمة الله عليه في قول

المشركين ألا إنّا نعبد هذه الاصنام فإنّها شفعاؤنا عند الله انتهى.

فنقول لا يخفى إنّ المشركين كانوا يعبدون الاصنام ولا شكّ أنّ عبادة الصنم شرك كما حكى الله تعالى عنهم (**مَا نَعْبُدُهُمْ الاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَىَ اللهِ زُلْفَى** * الزمر: ٣) فالفرق بين التوسّل بالانبياء عليهم الصّلاة والسّلام والأولياء إلى الله تعالى في قضاء الحاجات وبين عبادة المشركين الاصنام وجعلها وسيلة إلى الله تعالى ظاهر فان الاول امر مندوب والثاني شرك منهي. وكذا قوله تعالى (**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ ولاَ يَنْفَعُهُمْ** * يونس: ١٨) دليل ظاهر على هذا الفرق فكيف يصح انتساب الشّرك إلى المتوسّلين فضلاً عن أن يكون شرك المشركين اقل من شركهم كما قال.

وما قال في (ص: ٦٦) واما الانكار عن بشريّة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم.

فقد ذكرنا عن المحقق أنّ اعتقاد بشريّة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وكونه عربيا من فروض الإيمان نعم، من كان غبياً لابدّ من تعليمه وإن اصر بعد ذلك حكم بكفره كما ذكر سابقاً عن المفسّر البغدادي مفصلاً لا مثل هذا المتشدد.

وما قال في (ص: ٦٨) أنّه قلّما تجد بلدة الا ولها آلهة كثيرة اعتقدوا فيهم أنّهم متصرفون الخ.

فنقول إذا اعتقد احد إنّ الله تعالى قاضي الحاجات ومتزل البركات والشافي للمرضى والمغني للفقراء والنفوس الفاضلة وسائل فيضان البركات ومنازل الرحمات فما معنى الشّرك فيه؟

والنذر لغير الله حرام واما التصدق لايصال ثواب إلى ولي وصالح مثلاً فهو امر ثابت كما في واقعة ام سعد رضي الله عنها حيث حفر بئرا وقال هذه لأم سعد رضي الله تعالى عنها كما في (المشكاة) وكذا كان النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يضحي عن الأمة ممن لم يضح عن امته وكذا كان علي رضي الله تعالى عنه يضحي عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعد وفاته عليه الصّلاة والسّلام.

وما قال إن ليس المراد من الدعاء العبادة كما قال بعض المفسّرين بل هو

الاستعانة.

فنقول الدعاء بمعنى العبادة امر ثابت قال الله تعالى (**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ اِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين** * المؤمن: ٦٠) وفي الحديث (**الدّعاء مخّ العبادة**) فكيف يصح الرد على بعض المفسّرين.

وما قال هكذا مشركوا زماننا المرتسمون بسمة المسلمين يدعون في الحوائج.

فنقول لا يخفى ما فيه من التعسف فإنّ انتساب الشّرك إلى غير اهله إنما يرجع إلى قائله كما في الحديث الطويل.

واما اخذ التراب فمشهور من قبر الامام البخاري رحمة الله عليه البارئ.

واما شد الرحال إلى المواضع المتبركة.

فقد ذكرنا أنّ الاستثناء متصل في الحديث اي (**لا تشدّ الرحال إلى مسجد من المساجد إلاّ إلى ثلاثة مساجد**) الخ. كما صرح به الامام حجّة الاسلام الغزالي رحمة الله عليه.

واما تلاوة اسماء الصّالحين فله اصل كما في حديث كان النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يستفتح بصعاليك المهاجرين وايضاً قراءة السلاسل امر متداول بين السلف والخلف كما ذكرنا سابقاً بتفصيل اتم.

واما الاعتقاد بآثار الصالحين فامر ثابت. ألا ترى إلى تقسيم شعره المبارك في حجّة الوداع وكذا الاستشفاء بجبته وشعره عليه الصّلاة والسّلام دليل ظاهر على آثار الصّالحين تحفظ للتبرك وقد ذكر مستوفى.

واما ما ذكر في (ص: ٧٠) أنّ الكل مقرون بالخالق الواحد انتهى.

فنقول إنّ الكل وإن كانوا مقرونا بالخالق إلاّ أنّهم يشركون في العبادة وهذا ايضاً شرك بخلاف المتوسّلين والاستدلال بقول الشوكاني غير تام ولا ملزم علينا نعم، السؤال من الميّت باعتقاد أنّه مالك النفع والضّرر امر ممنوع بل شرك وإن كان حديث شد الرحال على عمومه فيدخل فيه زيارة النّبي صلّى الله عليه وسلم.

وما قال إنّ زيارة النّبيّ عليه السّلام مخصوص.

فنقول قد خالف المقتدي امامه فإنّ إمامه صرح بأن شد الرحال إلى قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قصدا ممنوع. ولذا قال العلامة ابن حجر في (فتح الباري) وهذا مما يشفع به عليه.

وما قال في (ص: ٧٤) من أنّ عمر رضي الله تعالى عنه قطع الشجرة.

فنقول على تقدير ثبوت القطع لا يلزم منه سدّ باب التبركات وآثار الصّالحين ألا ترى تقسيم الشعر المبارك وابقاء جبّته عليه الصّلاة والسّلام بل المقصود منه قطع الغلو وما قال من الاستقبال وقت الدعاء إلى القبلة لا إلى القبر.

فنقول صرح ايضاً خليل أحمد رحمة الله عليه نقلا عن الملا عليّ القاري بأن الاستقبال وقت الزيارة يكون إلى القبر وقال على هذا عملنا وعمل مشائخنا وهكذا حكم الدعاء كما نقل عن الامام مالك رحمة الله عليه حين سأل عنه خليفته في هذه المسألة وصرح به مولانا الجنجوهى رحمة الله عليه في (زبدة المناسك عقائد علماء ديوبند)

فعلم أنّ الاولى عند الزيارة والسّلام والدعاء أن يستقبل القبر فكيف قال إنّ الاستقبال إلى القبلة وقت الدعاء مما لا نزاع فيه وانما التزاع وقت السلام فانك علمت من النقل المذكور انّ الاستقبال إلى القبر اولى مطلقاً عند أبي حنيفة رحمة الله عليه وإن كان له تردد في الاول لكن الاستقرار في الاخير على ما ذكر.

وما قال في (ص: ٧٥) لا يستقبل القبر حتّى لا يكون الدعاء عند القبر فان الدعاء عبادة.

فنقول قد مر آنفا تغليط بعض المفسّرين حيث فسر الدعاء بالعبادة على أنّ السّلام على اهل القبور ايضاً عنده دعاء حيث قال فيما مضى إنّ سلام الميّت دعاء لا تحية فكيف التوفيق؟

وما قال إنّ الميّت انقطع عمله.

فنقول قد مرّ ان المراد انقطاع وجوب العمل لا مطلقاً. الا ترى إلى صلاة موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام في القبر وتلاوة (سورة الملك) من القبر واتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فإنّ كلا من المذكور عمل صرح بذلك القيد عليّ القاري.

وما قال في (ص: ٧٥) وهذا كله من الدعاء عند القبور فلو كان هذا جائزاً لكان منقولاً من الصّحابة رضي الله تعالى عنهم.

فنقول الدعاء عند القبور لاهل القبور ولانفسهم امر متوارث منصوص كما في الدعاء المأثور (السّلام عليكم يا اهل القبور انتم لنا سلف ونحن لكم تبع إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله العافية لنا ولكم يرحم الله علينا وعليكم) وغير ذلك.

وما قال إنّ الدّعاء عند قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بدعة.

فنقول إنّ للدعاء مواضع الاجابة: منها عند قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وإن لم تكن الاجابة في هذا المقام ففي اي موضع كما نقل سابقاً.

وما قال إنّ الميّت لا يملك الضّرر والنفع. فنقول لا يعتقد احد أنّه يملك النفع والضّرر فانتساب مالكية الضّرر والنفع للموتى إلى المتوسّلين افتراء محض وبهتان بحت

وما قال في (ص: ٧٨) إنّ الصّحابة لم يقبلوا قول صحابي واحد. فنقول يلزم على هذا سد باب قبول اخبار الآحاد مع أنّ المشهور والمتواتر في غاية القلة على أنّ التمسك باخبار الآحاد بشروط ثمانية ترى اربعة في المخبر الراوي واربعة في الخبر المروي امر مستقر عند العلماء رحمهم الله تعالى.

وما قال من الاستدلال بالرؤيا في (ص: ٧٩).

فنقول الرؤيا انما تذكر للتأييد لا للاثبات. الا ترى إلى ما قال ابن القيّم وهذا ليس اثباتاً للحكم بالرؤيا بل بالحجج القاطعة كما نقل سابقاً من (كتاب الروح).

وما قال في (ص: ٨٥) من المذمة للقياس في امور الدّين.

فنقول الرأي انما يذم إذا كان في مقابلة النص والا فهو من الاعتبار المأمور

بقوله تعالى (**فَاعْتَبِرُوا يَآ اُولِي الاَبْصَارِ** * الحشر: ٢) وايضاً كان أبوبكر رضي الله تعالى عنه يسأل عن جماعة سمّاهم اهل الرأي يقول ما قولكم يا اهل الرأي.

وما قال في (ص: ٨٥) فالوسيلة مثل سائر الطاعات المرضية والعبادات الشّرعية لا بدّ فيها من اتباع الشارع.

فنقول قد ذكرنا في مقصد التوسّل الدلائل الدّالة على مندوبية التوسّل الخالي عن المنكرات مع التوارث عن السلف إلى الخلف كما ذكره تاج الدّين السبكي رحمة الله عليه وقد جعل الامام أحمد رحمة الله عليه التوارث دليلاً على مشروعية التلقين كما مر.

وما قال إنّ التوسّل المذكور من أفعال المشركين.

فنقول شركهم انما كان عبادة الاصنام لا التوسّل إلى الله تعالى بعباد الله الصّالحين كما قال الله تعالى حكاية عنهم (**مَا نَعْبُدُهُمْ الاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلىَ اللهِ زُلْفَى** * الزمر: ٣) والاستثناء من النفي اثبات اي ما نعبدهم الاّ نعبدهم ليقرّبونا ولا شكّ عبادة غير الله شرك فاين التوسّل من العبادة حتّى يكون شركاً.

وما قال في (ص: ٨٦) من الآيات الدّالة على أنّ الدعاء لا يكون الاّ من الله تعالى مثل (**وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَاِنّي قَرِيبٌ** * البقرة: ١٨٦) وامثال ذلك.

لا يرد فإنّ التضرع والدعاء في صورة التوسّل يكون إلى الله تعالى الاّ أنّه بواسطة الذوات الفاضلة. الا ترى إنّ الصّحابة كانوا يطلبون الدعاء من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وكان صلّى الله تعالى عليه وسلّم يدعو لهم فهل هذا ينافي كون الله مجيب الداعين وكاشف الضر من المضطرين وهل أنكر عليهم النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم حين طلب الدعاء منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بأن تدعو من الله تعالى فإنّه قريب مجيب الداعين بل قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في حديث مفصل (**انا رسول الله إن اصابك سنة فدعوت الله**) انتهى. والتوسّل إلى الله تعالى بالذوات الفاضلة هو الدعاء من الله تعالى والتوسّل بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم

مذكور في قوله تعالى (**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا** * البقرة: ٨٩) والانكار انما هو على كفرهم لا على التوسّل بل ثبت فيما مضى التوسّل بذات النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبثيابه وبشعوره بل بنعله عليه الصّلاة والسّلام فتذكر.

وما قال في (ص: ٨٧) إنّ حديث فاسألوا الله بجاهي موضوع.

فنقول على تقدير الوضع قد صرح الآلوسي البغدادي إنّ التوسّل بجاه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بل بجاه غيره ممن له جاه جائز كما مر بتفصيل اتم وهو معتقدهم.

وما قال إنّ حديث الاعمى فيه توسّل بالدعاء منه عليه الصّلاة والسّلام.

فنقول تعليم ذلك الطريق بعد وفاة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في زمن امير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه دليل ظاهر بل أنّه توجه إلى الله وتوسّل اليه تعالى بحرمة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما يدل عليه سياق الحديث (**يا محمد اني اتوجه بك إلى ربي**). وايضاً قال الآلوسي البغدادي في تفسيره وأنا اقول سبحان الله وبحمده استغفر الله تعالى واتوب اليه واسأله أن يجعل لي من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا بحرمة كتابه وسيّد احبابه صلّى الله تعالى عليه وسلم (روح المعاني ج: ٣، ص: ٢٥). فعلم أنّ التوسّل المذكور امر شائع بين العلماء الاعلام.

وما قال إنّ حديث إذا اعيتكم الامور فعليكم باصحاب القبور موضوع.

فنقول قد ذكرنا من الآلوسي البغدادي في تفصيل (**فَالْمُدَبِّرَاتِ** * النازعات:٥) إنّ للأولياء مددا روحانيا فقد يأتي الشّيخ مريده فيرشده لما يهمه ولذا قيل وليس بحديث كما توهم إذا اعيتكم الامور فعلم أنّ الرد انما هو على كونه حديثاً لا مطلقاً والاّ لما ذكر في التأييد.

وقد ذكر مولانا عبد الحي[١] رحمة الله عليه في فتاواه لهذا القول معان صحيحة فضلاً عن أن يكون شركاً. وتفصيل هذا القول على ما قال مولانا عبد

---

(١) عبد الحيّ اللكنوي الهندي توفي سنة ١٣٠٤ هـ. [١٨٨٦ م.]

الحي اللكنوي نوّر الله مرقده في الجلد الاول من فتاواه (ص: ١٤١، ١٤٢) إنّ القول المذكور أي إذا تحيّرتم في الامور انتهى. ليس بحديث بل مقولة. وتوجيهه أنّه إذا وقعتم في شبهة من الحكم بأنّه حلال ام حرام فاستعينوا من اقوال القدماء الذين هم في القبور ولا تعملوا برأيكم.

او المعنى إذا تحيّرتم في الامور الدّنيويّة فانظروا إلى اصحاب القبور حيث تركوا الدّنيا واختاروا سفر الآخرة او المعنى إذا عجزتم في تحصيل مقاصدكم فاسألوا الله بوسيلة اصحاب القبور لتقبل ببركتهم دعاؤكم لا أن تزعموهم حلالين للمشكلات او مشاركين لله تعالى في تدابير العالم لانه شرك ظاهر.

فعلم من كلام هذا الحبر المحقق مشاق الفتيا، أنّ هذه مقولة وليس بحديث ولها معان صحيحة وباعتبار المعنى الاخير دليل التوسّل بالاموات الفاضلة فضلاً عن أن يكون شركاً كما لا يخفى على ذي لب.

وما قال إنّ حديث الكوة من القبر للمطر والافضاء بقبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فيه العارم اختلط في آخر عمره.

قلنا حديث الكوة اخرجه الدارمي وذكره صاحب (المشكاة) وقرره صاحب (المرقاة) وذلك مؤيد بالروايات الأُخر.

وما قال في (ص: ٨٨) إنّ الاستفتاح كان فعل اليهود فكيف يكون دليلاً.

قلنا الاستدلال انما هو بتقرير الله تعالى حيث أنكر على كفرهم لا على استفتاحهم فكان دليلاً كما مر مفصلاً.

وما قال إنّ قوله تعالى (**اَنْ اَغْنَيهُمُ اللهُ ورَسُولُهُ** * التوبة: ٧٤) إنّه تحت الاسباب الطاهرة.

قلنا هذا نجعله دليلاً على المجاز بأنّ الإغناء في الحقيقة فعل الله تعالى ونسب إلى الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم فكذا لو نسب الفعل إلى الوسيلة لا شرك فيه وذلك مثل قوله تعالى حكاية (**رَبِّ اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ** * ابراهيم: ٣٦)

والضمير للاصنام ولا شكّ أنّ الاصنام سبب الضّلال والحاصل أنّ نسبة الفعل إلى الوسيلة شائع فضلاً عن أن يكون شركاً.

وما قال إنّ توسّل عمر رضي الله تعالى عنه بالعبّاس رضي الله تعالى عنه دليل لنا لأن هذا توسّل بدعاء الحيّ ولا شكّ في جوازه.

قلنا هذا توسّل بقرابة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه رسلم كما قيل في دعاء العبّاس رضي الله تعالى عنه. اللّهمّ إنّ القوم توسّلوا بي اليك لمكاني من نبيّك فاسقهم فكان توسّلاً بقرابة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في الحقيقة فكان دليلاً لنا كما لا يخفى على أولي الالباب والابصار.

وما قال إنّ مالكا قال لمنصور إنّه وسيلتك غير ثابت ورواية الشفاء لا تقبل لأن فيها أحاديث مكذوبة.

قلنا كيف يقبل الجرح المبهم مع هذا التّشديد سيّما إذا ايدت بالروايات الأُخر

وما قال إنّ توسّل الشّافعي بأهل البيت ليس بثابت ولو صح فالمعنى التقرب بحبهم

قلنا توسّل الامام الشّافعي رحمة الله عليه بأبي حنيفة رحمة الله عليه ثابت كما ذكره العلامة الشامي رحمة الله عليه فالتوسّل بأهل البيت أولى بالثبوت وأيّة حاجة إلى التقدير إذا كان التوسّل بالذوات الفاضلة جائزاً.

وما ذكر أنّ حديث خدر الرجل فيه التذكير للتسكين وذلك من عادات العرب

قلنا ذلك للاستشفاء والتوسّل كما يدل عليه ما ذكر في (حاشية الحصن الحصين ص: ١٧٤) خدرت رجل عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما فقال (يا محمّد عليه الصّلاة والسّلام) فكأنما نشط من عقال فعلم أنّ هذا كان للاستشفاء والتوسّل.

وعن مجاهد خدرت رجل رجل عند ابن عبّاس رضي الله تعالى عنه فقال اذكر احب الناس اليك فقال محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فذهب عنه فهذا ايضاً دليل على أنّه كان للاستشفاء.

وكذا لا حاجة إلى التقدير في السؤال بحق الانبياء وبحق السائلين وكون رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم رجاءنا في الحياة لا ينافي كونه رجاءنا حين الوفاة.

وما قال في (ص: ٩٠) إنّه لو فتح تأويل المجاز لما يصح الشّرك وحكم الكفر على احد.

قلنا اعتقاد الموحد دليل المجاز. الا ترى إلى ما قال علماء البلاغة في بيان القرائن وكصدوره عن الموحد مثل. **بيت**:

اشاب الصغير وافنى الكبير * كر الغداة ومر العشي.

الا ترى إلى حمل علي رضي الله تعالى عنه كلام رجل قال في عهد عمر رضي الله تعالى عنه إني اكره الحق واحب الفتنة واشهد على الغيب على محمل صحيح من أنّ الحق سكرات الموت كما في قوله تعالى (**وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ** * ق: ١٩) والفتنة المال والأولاد (**اِنَّمَآ اَمْوَالُكُمْ واَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ** * التغابن: ١٥) والغيب واقعات البرزخ والقيامة فانظر كيف حمل كلامه على محمل صحيح.

وايضاً لما سأل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم عن جارية اراد المولى عتقها اين الله؟ قالت في السماء قال من أنا؟ قالت انت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال اعتقها فإنّها مؤمنة كيف حمل قولها (في السماء) على محمل صحيح والاّ فظاهره يدل على اعتقاد الجهة والجسمية.

واما فرعون فكفره منصوص ظاهر يضرب في الأمثال فكيف يؤوّل قوله (**اَنَا رَبُّكُمُ اْلاَعْلَى** * النازعات: ٢٤) على المجاز.

وما قال إنّ عبّاد القبور لا يدرون المجاز.

قلنا اطلاق عبّاد القبور على المتوسّلين من تعنته وايضاً بعض المجازات تعرفها الكافة كما في اقدمني بلدك حق لي عليك.

وما قال إنّهم يعتقدون في اهل القبور اهل التصرف والاعطاء.

فنقول القول بالتصرف صدر عن الشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه وكذا الشاه

ولي الله الدّهلوي رحمة الله عليه حيث ذكروا واقعة ارسال اللبن واعطاء الشعرتين المباركتين لوالده وكذا الحافظ ابن القيّم حيث ذكر واقعات كثيرة في (كتاب الروح) فكيف يكون هذا شركاً مع صدور القول المذكور عن العلماء الاعلام كما عرفت.

واما اطلاق الغوث والقطب فاصطلاحات الصّوفية كما ذكره صاحب (المرقاة في باب اليمن والشام) ذيل حديث يأتي اليه ابدال الشام)

واما اعتقاد اصابة الضّرر لاجل عدم الوفاء بنذور الاولياء. فشأن العوام والعوام ليسوا من اهل التمسك بافعالهم.

وما قال في (ص: ٩١) (انما ندعوهم ليقربونا) فنقول كفرهم لاجل العبادة فإنّ الآية (**مَا نَعْبُدُهُمْ** * الزمر ٣) انتهى.

واما توسّل عمر رضي الله تعالى عنه بالعبّاس رضي الله تعالى عنه فلا يدل على التخصيص بل هو احد الجائزين كما مر مفصلاً.

واما مسألة استقبال القبر عند الدعاء والسّلام فقد ذكرت سابقاً إنّ الاولى استقبال القبر عند الامام الاعظم رحمة الله عليه.

وما قال في (ص: ٩٢) من منع الإقسام على الله بأحد عند ابن تيمية.

فنقول قد ذكرنا مفصّلاً في مقصد التوسّل عن الآلوسي البغدادي إنّ السؤال بجاه عظيم الجاه وبجاه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بل بجاه غير النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ممن له جاه جائز فلا اثر لمنع ابن تيميّة على أنّ قول السبكي رحمة الله عليه: ويحسن التوسّل والاستغاثة بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتّى جاء ابن تيميّة فانكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقل عالم وصار بين الانام مثلة فالظاهر أنّ التوسّل مندوب عن السلف والخلف والانكار عنه عدول عن الصراط المستقيم وابتداع لا أنّ القول به كذلك وأيّة حاجة إلى تقدير المضاف فيما جاء فيه التوسّل بالذوات.

وما قال في (ص: ٩٤) إن تساوى حالتي حياته ومماته عليه الصّلاة والسّلام

محتاج إلى نص.

قلنا النصوص الدّالة على حياة الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام كثيرة كما ذكرنا نبذا منه.

وما قال إنّ مذهب الاحناف رحمة الله عليهم الاستقبال إلى القبلة.

قلنا معارض سابقاً بما ذكرنا سابقاً عن عقائد علماء ديوبند ولا نسلم أنّ منع التوسّل بالذوات مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه كيف والقصيدة المنقولة عنه في الدرّ المختار) عند حضوره الروضة المباركة يدل على خلاف ذلك حيث قال **شعر**:

انت الّذي لما توسّل آدم * من زلة بك فاز وهو اباك

وكذلك موسى لم يزل متوسّلاً * بك في القيامة يحتمي بحماك

يا اكرم الخلق يا كنز الورى * جد لي بجودك وارضني برضاك

أنا طامع بالجود منك لم يكن * لأبي حنيفة في الانام سواك

واصحاب المذاهب اعرف بمذهب امامهم فإن كان التوسّل بالذوات ممنوعاً عند الامام الاعظم رحمة الله عليه لما قال به مقلدوه كما قال في (نور الايضاح)[١] نتوسّل بكما إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ولما افتى علماء الهند والحرمين والشام ومصر وغيرهم بل علماء المذاهب الاربعة رحمهم الله بجواز التوسّل لكونه خلافاً عن مذهب امامهم على ذلك التقدير واللازم باطل فالملزوم مثله واعمال الغير تكون ذريعة إلى قربه من الله وحرمته عند الله تعالى والى بركته. وهذا مما يتوسّل به والكفّار كانوا يعبدون غير الله وهو شرك وإن كانوا يقرون بخالق فإنّ المنكرين عن الخالق انما هم الدهريون.

واما ما ذكر في (ص: ٩٦) من تلبية الجاهلية. ففيه تصريح نسبة الشريك إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيراً، حيث قيل الاّ شريكا تملكه وما ملك ففيه تصريح بنسبة الشريك.

([١]) مؤلف نور الايضاح وحاشيته حسن الشرنبلالي الحنفي توفي سنة ١٠٦٩ هـ. [١٦٥٨ م.] في مصر

واما ذكر قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصّلاة والسّلام (**وَاُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ واُحْيِ الْمَوْتَى باذْنِ اللهِ** * آل عمران: ٤٩).

فالمقصود منه ايضاً بيان أنّ النسبة المجازية إلى الوسائل شائعة فإنّ المحيي للموتى والشافي للمرضى والمبرئ للأكمه والأبرص هو الله تعالى فكيف قال إنّ هذه الاضافة حقيقة لا مجاز فهل يجوز لاحد أن يقول نسبة الإحياء إلى عيسى عليه الصّلاة والسّلام حقيقة فإنّ الإحياء من الصفات الفعلية لله تعالى كالترزيق والتخليق قال الله تعالى (**قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي اَنْشَأَهَآ اَوَّلَ مَرَّةٍ** * يس: ٧٨- ٧٩) فعلم أنّ الإحياء صفة خاصة لله تعالى. قال ابراهيم عليه الصّلاة والسّلام في نمرود (**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ قَالَ اَنَا اُحْيِي واُمِيتُ** * البقرة: ٢٥٨)

وما قال إنّ معجزات الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام حقيقة.

ليس معناه أن يكون محييا حقيقة والاّ فذلك شرك بين وإذا ثبت أنّ نسبة الإحياء إلى عيسى عليه الصّلاة والسّلام ليست حقيقة بل مجازا بأن يكون معناه أنا ادعو لإحياء احد واقول قم باذن الله فيحييه الله بسبب دعائي ولا شكّ أنّ سماع الجزئيات لا يشترط في المجاز نعم يجب سماع انواعها فثبت المصحح للمجاز.

والتوسّل بالانبياء عليهم الصّلاة والسّلام والأولياء جائزحين الحياة وبعد الوفاة والغلو امر آخر فان لكل شيء حد وميزان ولذا قيل. **بيت:**

فللامور مواقيت مقدرة * وكل شيء له حد وميزان

واما حديث اصابة القحط في زمن عمر رضي الله تعالى عنه.

وإن كان في الرّواية مجهولا الاّ أنّه ليس فيه مخالفة عن اصول الدّين بل الدلائل دالة على جواز التوسّل سيّما بالانبياء عليهم الصّلاة والسّلام خصوصاً بسيّد الانبياء عليه الصّلاة والسّلام فلو ذكر مثل هذه الرّوايات في درجة التأييد أيّ حرج فيه فإنّ التوسّل بعد الوفاة لو كان توسّلاً شركيا كما زعم المنكر لما ذكره العلماء الاعلام في كتبهم. ألا ترى إلى ما ذكر في (المدارك ج: ١، ص: ٣٦٨) في تفسير قوله تعالى

(**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْا ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) قيل جاء اعرابى بعد دفنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما انزل اليك (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ**) وقد ظلمت نفسي وجئتك استغفر الله من ذنبي فاستغفر لي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك.

فإنّا إذا نظرنا إلى هذه الرّواية مع قطع النظر عن كون الأعرابى صحابيا او غيره لو كان التوسّل المذكور ممنوعاً فضلاً عن كونه شركاً لما ذكر صاحب (المدارك) هذه في كتابه ولو ذكرها لردها ولكن لما ذكر وسكت عليها كان تقريرا وتقرير العلماء حجّة فهل يظن احد بمثل هذا العالم أن يذكر في تفسيره فعلاً شركيا عن مجهول او معلوم ويسكت عليه هل هذا الاّ بهتان عظيم.

وكيف لم يرو التوسّل عن السلف وقد قال تاج الدّين السبكي رحمه الله تعالى إنّ السلف كانوا قائلين بجواز التوسّل حتّى جاء ابن تيميّة وابتدع والسلف شامل للكل. فعلم أنّ الانكار عن التوسّل غير منقول عن السلف والانكار عنه بدعة فانعكس الامر بل السلف قائلون بأن الدفن بقرب الصّالحين في مواضع متبركة امر مندوب كما ذكر في (الخازن ج: ١، ص: ٤٤٧)

واما سؤال موسى عليه الصّلاة والسّلام الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من الصّالحين.

وقال بعض العلماء وانما سأل موسى عليه الصّلاة والسّلام الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف أن يكون قبره مشهورا بها فيفتتن به الناس فلما كان الدفن بقرب الصّالحين أمراً مندوبا مطلوبا علم منه أنّ اثر الفيض من الصلحاء له دخل.

ومن ههنا علم أنّ امر عمر رضي الله تعالى عنه باخفاء قبر دانيال عليه الصّلاة والسّلام حين فتح (تستر) واستسقاء الناس بقبره انما كان لاجل خوف الافتتان لا

لأن التوسّل كان ممنوعاً والا لقال لهم عمر رضي الله تعالى عنه صراحة إنّ هذا ممنوع او شرك فإنّه كان لا يخاف في الله لومة لائم.

وكذا قطع الشجرة لا لاجل أنّ التبرك بآثار الصّالحين امر ممنوع. الا ترى إلى تقسيم شعره صلّى الله تعالى عليه وسلّم في حجّة الواع.

وايضاً الصّحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا إذا توضأ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كادوا يقتتلون على وضوئه ولذا قال عروة والله إن رأيت ملكاً يعظّمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمّد محمّدا صلّى الله تعالى عليه وسلّم والله ما تنخم نخامة الاّ وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده كما ذكره (الخازن، ج: ٤، ص: ١٥٦) فلو كان هذا التبرك ممنوعاً لمنعهم النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما لا يخفى والرسول عليه الصّلاة والسّلام كان مبعوثا لمحق الشّرك والكفر والرّجوع إلى الله لا ينافي أن يدعو احد عند قبر نّبيّ او صالح كما أنّ الرّجوع إلى موضع آخر من مواضع الاجابة لا ينافي ذلك. والله تعالى وإن لم يرغب إلى ذهاب القبر عند القحوط والشدائد الاّ أنّ الاستفتاح بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم امر متقرر في القرآن واستسقاء عمر رضي الله تعالى عنه بالعبّاس رضي الله تعالى عنه دليل على أنّ الرّجوع إلى الله تعالى لا ينافي ذلك والاّ لِمَ فعله عمر رضي الله تعالى عنه لانه تعالى لم يأمر بالتوسّل بالأحياء عند القحط بل قال يا قوم استغفروا ربكم انتهى. على ما قال المنكر فلنا أن نعارض بالمثل وسماع الموتى قد ثبت فيما مضى وانقطاع العمل قد مر جوابه وهذا ترديد ما في (ج:١، ص:١٠٢) فكن على بصيرة الدعاء للميت تذكر الآخرة.

وإنّ ذكرا في حكمة مشروعية زيارة القبور والاّ إنّ ترقيق القلوب ايضاً من فوائد زيارة القبور كما في الحديث فإنّها ترقق القلوب وترقيق القلوب له دخل في اجابة الدعاء فإنّ الله تعالى لا يقبل الدعاء عن قلب لاه سيّما إذا كان التوسّل في آداب الدعاء كما مر.

واما التوسّل بجاه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما في (ص: ١٠٤) فقد نقلنا من (روح المعاني): إنّ التوسّل بجاه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بل بجاه غير النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ممن له جاه ثابت فتذكر ما مر.

وما قال في حديث الاعمى إنّه منقول عن طرق مختلفة فنقول مال الكل إلى التوسّل بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم.

وما قال إنّ هذا كان توسّلاً بدعاء النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا من التوسّل بالذات.

فنقول لو كان التوسّل بمجرد الدعاء لدعا له النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم والحال أنّه عليه الصّلاة والسّلام أمره بالوضوء وقال له قل (**اللّهمَّ اني أسألك واتوجّه اليك بنبيّك محمّد صلى الله عليه وسلّم نبيّ الرحمة يا محمّد اني اتوجه بك إلى ربي...**) وفي بعض الطرق (**اتوسّل بك إلى ربي**) فعلم أنّ المقصود تعليم الدعاء مع بعض آدابه وهو التوسّل وإذا ثبت في الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام ثبت فيمن يلحق بهم.

وما قال إنّ شرط ثبوت الحكم في المقيس عليه المماثلة لا المخالفة.

فنقول إنّ التوجه والتوسّل إلى الله تعالى بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما ثبت من الحديث وما ذلك الا لاجل قربه من الله تعالى وشرفه وهذه العلة موجودة فيمن عداه صلّى الله تعالى عليه وسلّم على تفاوت المراتب والقياس تعدية الحكم من الاصل المقيس عليه إلى الفرع المقيس بعلة مشتركة على أنّ اثبات المسألة ليس بنفس القياس كما عرفت.

وما قال من الكلام على حديث الاعمى.

فنقول حديث الاعمى اخرجه التّرمذي وأحمد وابن ماجة والبيهقي والحاكم وله طرق مال الكل إلى التوسّل وهؤلاء الاجلة من المحدثين اخرجوه وهذا هو التوثيق لهذا الحديث فإنّ تقرير الثقات وتوثيقهم يكون سندا كما في (خطبة المشكاة) وعدم نقل هذه المعجزة الباهرة بالشهرة لا يكون دليلاً لعدم مقبوليته وما قال في اختلاف الفاظه.

فذلك لا يضرّنا فإنّ في بعض الطرق ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس وفي بعض الطرق (توضأ) وفي بعض الطرق لا يذكر ذلك والتوفيق ظاهر فانّ الوضوء لا يحتاج إلى زمان طويل حتّى يكون ذكر (توضأ) منافيا لعدم طول المجلس وعدم التفرق وايضاً الاختصار في الرّوايات باب واسع. الا ترى إلى حديث ماعز رضى الله تعالى عنه كيف وجد فيه تعدد الطرق في بعضها الاختصار وفي بعضها التطويل والواقعة واحدة ولم يجعل احد من المحدثين ذلك جرحا في الحديث وعدم الشهرة لا يكون دليلاً لعدم مقبوليته. الا ترى إلى ردّ العين التي سالت على خد صحابي في الجهاد معجزة باهرة حتّى قيل مشيراً إلى تلك المعجزة. **شعر**:

ابونا الّذي سالت على الخد عينه * فردت بكفي الصطفى ايما رد

فعادت كما كانت لاحسن من عين * فيا حسن ما كف ويا حسن ما خد

وهكذا معجزات كثيرة لا يشترط نقلها بالشهرة وكيف يصح الحكم بكونه خبراً باطلا واما التوسّل بالجاه فقد مر تفصيله.

وما ذكر في (ص: ١١٦) ولو كان كل اعمى دعا بدعاء ذلك الاعمى وفعل ما فعل من الوضوء والصّلاة بعد موت النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى زماننا هذا لم يوجد على وجه الارض اعمى.

اقول هذا استدلال عجيب فإنّ الدعاء لاجابتها شروط معروفة فعدم اجابة دعاء الاعمى اليوم لا يدل على عدم صحة الحديث فإنّه لو كان الامركذلك لبطلت روايات كتاب الدعوات إذ فيها أحاديث وعد النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم الشفاء ببعضها ودفع البلاء ببعضها واداء الدّين ببعضها فلو دعا مريض او مبتلى او مديون ولم تقض حاجته هل يصير ذلك سببا لرد تلك الرّوايات؟ الا ترى إلى حديث عثمان بن ابان حيث ذكر دعاء دفع البلاء وقد اصابه الفالج فلما بين الحديث نظر اليه بعض الحاضرين فقال عثمان بن ابان اما إنّ الحديث كذلك لكن نسيت الدعاء لامضاء القدر.

وما قال إنّ فيه طلب الدعاء من الحاضر.

فنقول قد مرّ إنّ المقصود منه التوسّل ولذا أمره بالوضوء وبيّن له طريق التوسّل والا فاية ضرورة في دعائه عليه الصّلاة والسّلام لوضوء السائل ولما وجد العمل به بعد وفاة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهذا كما ترى ومجرد الرّواية وإن لم يكن دليلاً لكن رواية الثقات دليل.

وما قال إنّا لا نقول بعصمتهم اي الصّحابة وانها لو تصح تصح من اجتهاد صحابي.

فنقول هذا ليس محض الاجتهاد بل وجد له دليل صحيح.

واما انكار ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما خبر الواحد فلم يكن لاجل أنّ خبر الواحد ليس بدليل والاّ ففيه فتح باب عظيم فإنّ احكام الدّين مبنية على الآحاد.

واما حديث الاعرابي، فقد ذكره صاحب (المدارك في ج: ١، ص: ٣٦٨) وقد مر تفصيله سابقاً.

وما ذكر أنّ الاعراب ليسوا حججا في دين الله تعالى فنقول حجتنا تقرير العلماء فإنهم لا يقررون الحرام سيّما إذا كان شركاً عند المنكر.

وما قال إنّ هذه واقعة المنام فنقول في (المدارك) ذكر واقعة اليقظة حيث ذكر فيه فنودي من القبر أن غفر لك.

وما ذكر من الدعاء، فمعناه العبادة كما مرّ في (لا تدع) اي لا تعبد.

وما ذكر من الآيات ففي عبدة الاصنام الذين لا يسمعون ولا حياة لهن بخلاف الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام والشهداء والأولياء فإنّ لهم حياة برزخية. واما انقطاع الحج والصّلاة والصوم فالوجوب عنهم ساقط لخروجهم عن دائرة التكليف لا عن اهلية الخطاب.

واما عدم سؤال السوط الّذي سقط. فانما هو شأن بعض الصّحابة الذين غلب عليهم الزهد لا لأن سؤال رفع السوط ممنوع. الا ترى أنّ مسلك أبي ذر

الغفاري رضي الله تعالى عنه أنّ جمع المال سواء ادت زكاته ام لا كان ممنوعاً ولذا قال للمتموّلين من الصّحابة (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ ولاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ** * التوبة: ٣٤) ولذا قال له عثمان رضي الله تعالى عنه في خلافته، اسكن في الربذة فلما توفي عثمان رضي الله تعالى عنه قيل له في الانتقال إلى المدينة قال لا اعصيه حيّاً وميّتاً فعلم أنّ خلاف أمر الخليفة بعد الوفاة ايضاً عدّه عصيانا. وذلك لأن الموت ليس عدما محضا. الا ترى إلى واقعة ابراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام حين القي في النّار وقال له جبريل عليه الصّلاة والسّلام ألك حاجة؟ قال أمّا اليك فلا فقال اذكره عند ربي فقال علمه بحالي يغنيني عن سؤالي فهل يصير هذا دليلاً على أن لا يسأل مطلقاً.

وإن كان مطلق السؤال عند الشّيخ مذموما فلم يخبر الطلبة على السؤال حيث يقول لهم إذا لم تجمعوا الف درهم لا اشرع الترجمة وهم يمشون في الاسواق ويسألون الناس فهل علق احد من السلف شروع التدريس على الف درهم وهل اقتدى في ذلك بسيرة ذلك الصّحابي كلا وحاشا او احد من العلماء الاعلام.

واما السؤال عند قبر نّبيّ او ولي، فأية شناعة فيه بل هو موضع الاجابة ألا ترى إلى ما قال قاضي خان[١] في (فتاواه ص: ١٤٩) وإذا اتى المدينة يستعد لزيارة قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يأتيها بالسكينة والوقار والهيبة والجلال لانه محل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ومهبط الوحي ونزول الملائكة إلى أن قال فصلى ركعتين يقصد القبر على سكينة ووقار وفراغ قلب من امور الدّنيا ويذهب إلى موضع من وجهة القبر وفي ذلك الموضع رخامة بيضاء مركبة من حائط القبر فيكون فوق رأسه قنديل كبير معلق فإذا وقف هناك فقد وقف عند وجه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ثم يقول: (السّلام عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته اشهد أنّك رسول الله قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت في

(١) هو حسن بن منصور الفرغاني المتوفى سنة ٥٩٢ هـ. [١١٩٦ م.]

امر الله تعالى حتّى قبضك الله حميدا محمودا فجزاك عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء وصلّى الله تعالى عليك افضل الصّلاة وازكاها اللّهمَّ اجعل نبيّنا يوم القيامة اقرب النبيين...) إلى أن قال ويدعو لصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فيقول: (السّلام عليكما) ويسأل حاجته وما ذكرنا من الادعية بعضها مروية عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبعضها عن الصّحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين. فالتبرك بها يكون اقرب إلى القبول.

فعلم أنّ السؤال عند قبور الصلحاء سيّما سيّد الانبياء صلّى الله عليه وسلّم وصاحبيه امر ثابت متوارث وهذا ليس سؤالا من القبر اي من صاحبه. بل سؤال عند القبر الّذي هو متزل الرحمة والبركة وكذا الدعاء عند باقي مواضع الاجابة كما قال قاضي خان في (فتاواه ص: ١٤٧) وكل ما يمر في الطواف بالركن اليماني يقول: (**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** * البقرة: ٢٠١). ويقول عند الركن العراقي (رب اغفر لي وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم نجّني من حر جهنم) ويقول تحت الميزاب (اللّهمَّ اظلّني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك لا آله غيرك يا ارحم الراحمين) وعند الركن الشامي (اللّهمَّ اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا وسعيا مشكورا وتجارة لن تبور برحمتك يا عزيز يا غفور) إلى آخر ما قال. فانظر إلى تخصيص الدعوات في هذه المواضع لأنها مواضع الاجابة ومنازل الرحمة فالقبول هناك ارجى فكذلك قبور الصلحاء من الانبياء والاولياء. والعجب من هؤلاء المعاندين ما يقول في الدعاء في هذه الاماكن.

وايضاً نقل قاضي خان في (فتاواه ص: ١٣٩) عن أبي يوسف أنّه كان يقول (اللّهمَّ هذا جمع أسألك أن ترزقني جوامع الخير كله فإنّه لا يعطي ذلك غيرك، اللّهمَّ ربّ المشعر الحرام وربّ الشهر الحرام وربّ الحلال والحرام وربّ الخيرات العظام أن تبلّغ روح محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم منا افضل السّلام اللّهمَّ انت خير مرغو وخير مطلوب) وغير ذلك من الادعية المأثورة في الأمكنة المخصوصة.

وعلم ايضاً من العبارة السّابقة الاستقبال إلى القبر كما مر منا لا كما ذكر المنكر وعلم أنّ تبليغ السّلام واهداء السّلام إلى روحه صلّى الله تعالى عليه وسلّم امر ثابت.

وما قال المنكر في (ص: ١٣٥) واما قولهم يا رسول الله خطاب وذا لا يكون الاّ لمن يسمع فهذا خلاف اللغة والعرف فإنّ الخطاب بيا معروف للأحياء والأموات والحيوانات والجبال والبحار.

فانظر إلى هذا الزائغ كيف أنكر عن حياة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وسوى خطابه لخطاب الجمادات والحيوانات وهل هذا الاّ تفريط فإنّ النداء للاحجار والاشجار انما يكون للتعريض او التحسر وغير ذلك كما في. **بيت:**

ايا شجر الخابور ما لك مورقا * كأنّك لم تجزع على ابن طريف

بخلاف النداء إلى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنّه للخطاب والفهم فإنّ نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم حي يرزق وليت شعري ما يقولون في القعدة الصلاتية هل يقولون (**السّلام عليك ايها النّبيّ ورحمة الله وبركاته**) فإن لم يقولوا فهم بذلك وإن قالوا فـــ(ايّها النّبي) منادى بتقدير حرف النداء اي يا ايها النّبيّ فما الفرق بين يا رسول ويا ايها النّبيّ وإن قالوا إنّها حكاية عما في ليلة المعراج قلنا قد ذكرنا عن (الدر المختار) أنّه انشاء على أنّ العلامة الشامي رحمة الله عليه صرح ايضاً به حيث قال ذيل قول الماتن والشارح ويقصد بالفاظ التشهد معانيها مرادة على وجه الانشاء كأنه يحيّي الله تعالى ويسلم على نبيّه وعلى نفسه واوليائه لا الأخبار عن ذلك. هذه عبارة المتن والشرح ثم قال العلامة الشامي رحمة الله عليه اي لا يقصد الأخبار والحكاية عما وقع في المعراج منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ومن ربه ومن الملائكة (الشامي ج: ١، ص: ٣٥٨).

وايضاً قال العلامة (الشامي في ج: ١، ص: ٢٧٩)، تتمة: يستحب أن يقال عند سماع الاول من الشهادة (**صلى الله تعالى عليك يا رسول الله**) وعند الثانية (**جعلت قرة عيني بك يا رسول الله**) فانظر إلى هذا النداء.

وما قال في حديث الكوة اي حكمة في فتح الفرجة واي اصل من اصول الدّين؟

قلنا هذا اعتراض على ام المؤمين عائشة رضي الله تعالى عنها حيث امرت بفتح الكوة على أنّ الحكمة فيه بين العلماء كصاحب (اللّمعات)[١] و(المرقاة) كما ذكرنا حيث قال وقد قيل في سبب كشف قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إنّ السماء لما رأت قبره بكت وسال الوادي من بكائها قال تعالى (**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْاَرْضُ** * الدخان: ٢٩) حكاية عن حال الكفّار فيكون امرها على خلاف ذلك بالنسبة إلى الابرار وقيل إنّه عليه الصّلاة والسّلام كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء فامرت عائشة رضي الله تعالى عنها بكشف قبره صلّى الله تعالى عليه وسلّم مبالغة في الاستشفاع فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب قال الشّيخ رحمة الله عليه وهذا في الحقيقة استشفاع بالذات الشريف وكشف القبر مبالغة في ذلك. فالحكمة ما ذكر وكان رمزا إلى اصل من اصول الدّين فما بكت عليهم السماء انتهى.

وما قال إنّ كشف القبر لو كان سببا للرحمة لترك الصّحابة قبره وقبر ضجيعيه مكشوفين.

قلنا عدم الكشف لا يكون دليلاً لعدم سببية الرحمة بل وجود الكشف دليل على أنّه سبب الرحمة.

وما قال إنّ القحط نزل في اوان كثيرة في زمن الصّحابة رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم فلِمَ لم يكشفوا قبره صلّى الله تعالى عليه وسلم.

قلنا قد ذكر أنّ تعين طريق في التوسّل ليس بلازم فالتوسّل في زمن الصّحابة رضي الله تعالى عنهم كان تارة بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وتارة بالعبّاس رضي الله تعالى عنه وتارة بقبره صلّى الله تعالى عليه وسلّم فهل لاحد أن يقول لِمَ لم يتوسّل الصّحابة رضي الله تعالى عنهم بالعبّاس رضي الله تعالى عنه بعد توسّل عمر رضي الله تعالى عنه.

---

(١) مؤلف اشعّة اللّمعات عبد الحق الدّهلوي توفي سنة ١٠٥٢ هـــ. [١٦٤٢ م.] في دلهي

وما قال لو ثبت هذا فيكون سنة الصّحابة أن يبرزوا باجسامهم وأشخاصهم إلى السماء.

قلنا دوام المباشرة في سبب معيّن ليس بلازم وايضاً الاشتشفاع بكشف قبره صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا مطلقاً.

وما قال إنّه لو ثبت هذا يكون خلافاً لما ذهب اليه المبتدعون من بناء القباب.

قلنا بناء القبة لا ينافي كشف الكوة كما في قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وايضاً ذكر العلامة الشامي[١] في المجلد الخامس في كتاب اللقطة أنّ البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشّرع كبناء القباب على قبور الاولياء تعظيماً لهم في اعين الزائرين.

وما قال هل يثبت به دعاء الاموات والاستغاثة بهم.

قلنا قد ذكرنا آنفاً أنّ هذا توسّل بالذات الشّريف.

وما قال من الكلام على قوله ويستفتحون على الذين كفروا.

فنقول هذا وإن كان فعل اليهود لكنا نستدل بتقرير الشّرع وايضاً معنى الاستفحاح كما ذكرنا قد ذكر الآلوسي البغدادي في تفسيره وليس فيه ذكر الحق إلاّ أنّ معناه ههنا بحرمته وبركته وفي بعض الطرق. اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان.

وما قال الفقهاء من منع الدعاء بحق أحد.

فانما يقولون بكراهته لا بكونه شركا كما يقوله أهل الزيغ والدلائل المثبتة للتوسّل كثيرة كما ذكر في السّابق لا انها بهذا الدليل فقط.

وما قال من نسبة الشرك أليه اي المتوسل ونسبة الضلال.

فانما يرجع إلى قائل ذلك القول اذا لم يكن المقول له اهلا لذلك ولا شكّ أنّ مسألة التوسّل مما قال العلماء بها قاطبة سوى المنكرين الزائغين وعن الحق ناكبين.

وما قال من حديث الطبراني قوموا بنا نستغيث برسول الله صلّى الله تعالى

---

(١) العلامة الشامي محمّد أمين ابن عابدين توفي سنة ١٢٥٢ هـ. [١٨٣٦ م.] في الشام

عليه وسلم.

فقد مر تحقيقه على معنى أنّ الانكار كان على توسل بالله إلى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم على أنّ ذلك لو كان محمولا على نفي التوسل لكان التوسّل به صلّى الله تعالى عليه وسلّم ممنوعا حين الحياة والمنكر لا ينكر ذلك كما اعترف به.

وما قال من قول بايزيد البسطامي رحمه الله استغاثة المخلوق بالمخوق كاستغاثة المجنون بالمجنون.

والظاهر أنّ العبارة الصحيحة كاستغاثة المسجون بالمسجون فقد مر الجواب إجمالاً بأنّه لو كان هذا الكلام محمولا على الظاهر لكان التوسل بالأحياء ايضاً ممنوعا اذ المخلوق يدخل فيه الميّت والحيّ والنّبيّ والوليّ على أنّ الاستغاثة في القيامة أيضا أستغاثة وتوسل كما في حديث طويل للشفاعة حيث (يقول اهل المحشر ربّنا ارحمنا ولو الى النّار ثم يجيئون إلى آدم) عليه الصّلاة والسّلام إلى آخر الحديث على ان لكلام الصّوفية محامل كما في قول أبي الحسن الشاذلي رحمة الله عليه. **بيت:**

فلو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري يوماً حكمت بردّتي

ولنعم ما قيل: **بيت:**

عقل در اسباب ميدارد نظر * عشق ميگويد مسبب را نگر

وقد ذكرنا واقعة ابراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام حين القي في النّار حيث منع السؤال وقد سأل في موضع آخر (**رَبَّنَآ اِنِّي اَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ** * ابراهيم: ٣٧) إلى آخر ما قال.

وكذا دعا بعد الفراغ من بناء البيت والمرتبة الاخيرة اولى من المرتبة الاولى كما صرح به العلماء فإنّ الاولى في اصطلاح الصّوفية مرتبة الفناء والثانية مرتبة البقاء والفرق بينهما ما لا يخفى على اولي النّهى.

وما ذكر في (ص: ١٤٩) إنّ أحاديث الشفاعة فيها دعاء من الحاضرين.

فنقول وإن كان من الحاضرين الاّ أنّ هذا ايضاً استغاثة المخلوق بالمخلوق.

والعجب كل العجب إذا ذكرنا قول الصّوفية للتأييد يقولون هم اكذب عباد الله ولا سند لهذا القول ولا الاسناد ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وإذا ذكروا لاثبات دعواهم فهم اصدق عباد الله ويذكرون اقوالهم بلا سند ولا تكون حينئذ للسند ضرورة وهذا تعسف ظاهر وتعصب باهر فعليك بالانصاف والتجنب عن الاعتساف.

والتوسّل لا ينافي (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** * الفاتحة: ٥) فإنّ المسئول والمستعان هو الله تعالى والانبياء والأولياء وسائل بين السائل والمسئول والمستعين والمستعان وهذا بعينه معنى (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**).

والحاصل أنّه فرق بين الاستعانة من الشيء وبين الاستعانة بالشيء ولو كان التوسّل منافيا لـــ(**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) كما قال المنكر لما كان الفرق بين الحيّ والميّت والحال أنّ التوسّل بالأحياء مما لا ينكرونه.

وما قال إنّ هذا تحت الاسباب وذلك فوق الاسباب.

فنقول قد ذكرنا سابقاً إنّ الانكار مطلقا سواء كان التوسّل بالأحياء او بالاموات انكار عن الاسباب ولا ينكره الاّ جحود او ظلوم فإنّ الذوات الفاضلة منازل الرحمة وقبول الدعاء في منازل الرحمة ارجى كما في سائر مواضع الاجابة. فإنّ الذوات الفاضلة يصدر منهم أفعال لها اثر في دار الاسباب كما ذكره الشاه ولي الله رحمة الله عليه في (حجة الله البالغة ج: ١، ص: ١٤٧)، فإذا مات انقطعت العلاقات ورجع إلى مزاجه فلحق بالملائكة وصار منهم والهم كالهامهم وسعى فيما يسعون فيه.

وفي الحديث (**رأيت جعفر ابن أبي طالب لما كان يطير في الجنّة مع الملائكة بجناحين**) ور بما اشتغل هؤلاء باعلاء كلمة الله ونصر حزب الله وربما كان لهم لمة خير بابن آدم وربما فتح بابا من المثال واختلطت قوة منه بالنسمة الهوائية وصار كالجسد النوراني. وربما اشتاق بعضهم إلى مطعوم عنده فامد فيما اشتهى قضاء لشهوته واليه الاشارة في قوله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتاً بَلْ**

أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ آتَيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه * آل عمران: ١٦٩-١٧٠) إلى أن قال الامام ولي الله رحمه الله فلا يكون الموت أنفكاكا لنفوسهم بالكلية بل تنفك تدبيرا ولا تنفك وهما فتعلم علماً من كذا بحيث لا يخطر عندها امكان مخالفة الها عين الجسد حتّى لو قطع الجسد او وطئ لا يقنت أنّه فعل ذلك بها وعلامتهم أنّهم يقولون من جذر قلوبهم ارواحهم عين اجسادهم.

وقال في (نعمة الله السابغة) وذلك أنّه حين وقع جهاد الترك مع الروس فرأى كثير من أولياء الله في المسجد وقت التهجد أنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم واصحابه يرمون السهام نصرا لاهل الاسلام فغلب عسكر الاسلام في ذلك الصبح انتهى. فانظر إلى هذه الواقعة حيث ظهر النصر مع اهل الاسلام في دار الدّنيا حتّى غلب عسكر المسلمين ورأى تلك الواقعة اهل الكشف. فثبت منها الكشف وإنّ ذلك لا ينافي عالم الاسباب.

وايضاً ذكر العلامة نظام الدّين الحسن بن محمّد بن الحسن القمي النيسابوري[١] في تفسير (غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج: ٤، ص: ١٤١)، قد ذكرنا أنّ النفس له نوع تعلق ببدنها فالآن نقول إنّ روح الشهيد مخصوصة بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على اذاقة مرارة الفراق عن الدّنيا ولهذا لا تبلى اجساد كثير منهم وتبقى غضة طرية وكأنهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا اجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيف الرياضات ومطارف الاذكار واسنة السّنّة الطاعنين وتجرع هموم مخالفات النفس ومكابدة الشيطان حتّى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبعية إلى أن قال ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتّى تحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنّة باذن الله تعالى فعلم أنّه لا مانع من اتيانهم إلى الارض باذن الله تعالى كما استأذنوا لجنازة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه كما في (شرح الصّدور) ولا تخصيص فيها بالشهداء.

---

(١) حسن النيسابوري توفي سنة ٤٠٦ هـ. [١٠١٥ م.]

وما قال في (ص: ١٤٩) فما لهؤلاء المبتدعين يطرحون انفسهم إلى كل جدث وميت ويدعون كل ضريح حتّى لا يحصر آلهتهم.

اقول فما لهؤلاء الزائغين يسيئون الادب بالذوات الفاضلة ولا يتركون حيّاً وميّتاً عن بهتانه حتّى لا تحصر اساءة ادبهم فسبحان من نهى الفحشاء والبهتان.

وما قال في (ص: ١٥٠) إنّ الجنّة والنّار خلقتا عدلا من الله تعالى قلنا لا منافاة بين خلقه عدلا وبين خلقه لاجل محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنّ العدل لا يخلو اما أن يكون علة حقيقية او غرضا وهو باطل فإنّ أفعال الله تعالى غير معللة بالاغراض وإن كان من قبيل المصلحة والحكمة فيكون لشيء واحد مصالح شتى. وما قال إنّ الجنّة والنّار إذا خلقتا لاجل محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فلماذا خلق محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلم؟

قلنا خلق ليكون رحمةً للناس قال تعالى (**وَمَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلاَّ رحمةً لِلْعَالَمِينَ** * الانبياء: ١٠٧) وللهداية (**وانَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** * الشورى: ٥٢) وللتبليغ (**يَآ اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا اُنْزِلَ اَلَيْكَ** * المائدة: ٦٧) وللبشارة والانذار قال تعالى (**اِنَّآ اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيراً** * **وداعِيًا إِلَى الله بِاذْنِه وسِرَاجًا مُنِيرًا** * الاحزاب: ٤٥-٤٦) فالعجب كيف خفى على الشّيخ وذلك كما في الحديث أنّه يأتي الشيطان فيقول من خلق هذا من خلق هذا حتّى يقول فمن خلق الله؟

وما قال إنّ الله سبحانه جعله رحمةً للعالمين فتعذيب الكفّار من فرعون وأبي جهل يكون لاجله وهذا خلاف الرحمة فيصير الحديث بهذا المعنى من شر الاقاويل.

ولا يخفى أنّ هذا اعتراض وجراءة على آيات الله تعالى فإنّ الله تعالى قال (**وَمَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلاَّ رحمةً لِلْعَالَمِينَ** * الأنبياء: ١٠٧) على أنّه لا منافاة بين تعذيب أبي جهل وكونه عليه الصّلاة والسّلام رحمةً للعالمين فإنّه عليه الصّلاة والسلا رحمة مهداة لو روعي قدره ورفع اليه احد رأسه واما ابو جهل واضرابه فلم يراعوا حقه ولم يرفعوا رؤوسهم وهذا لا يضر كونه رحمة.

وايضاً كونه صلّى الله تعالى عليه وسلّم رحمة في حق الكفّار ايضاً ظاهر لعدم الخسف والمسخ العام. وهذا كما أنّ القرآن هدى للناس وشفاء للناس مع أنّه لا يزيد الظالمين الاّ خسارا فهل هذا يضر كونه شفاء وهدى وكما أنّ الشمس ضياء للناس فمن بقي في البيت المظلم ولم يخرج إلى ضياء الشمس او كان اعمى هل يضر ذلك كونه ضياء ولنعم ماقيل: **بيت**:

الخيبة كل الحيبة لمن بقي في الظلمة والبدر ظاهر

والحيبة كل الخيبة لمن بقي في العطش والبحر زاخر

وايضاً **بيت**:

الشمس شمس وإن لم يرها الضرير * والعسل عسل وإن لم يجد طعمه فاه المرير

فانظر إلى هذه التكلفات الركيكة والجوابات الواهية الضعيفة التي يغتر بها من ليس له مهارة في الرّواية ولا في الدراية ويغتر من لا بصيرة له بقوله اما ثانياً واما ثالثا وهكذا ولا يدري أنّه ما ذكر في الاول والثاني والثالث وهذا لا يليق بشأن ادنى عاقل فضلاً عن مثل هذا المدعي الفاضل.

وما قال إنّ الصديق كان اقل سؤالا وكذا كبار الصّحابة لكن الاعراب يسألونه.

فلا ادري ما معنى السؤال منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أسؤال الاحكام او سؤال الاموال فإن كان الاول فهذا منصب الصّحابة كلهم ولذا قال تعالى (**فَسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** * الانبياء: ٧) وقال عليه الصّلاة والسّلام (**انما شفاء العي السؤال وإن كان سؤال الاموال**) فلا يخفى أنّ الصّحابة رضي الله عنهم كانوا يسألونه صلّى الله تعالى عليه وسلّم حقوقهم وهو يعطيهم ولذا قال (**انما انا قاسم والله يعطي**). وإن كان سؤال الدعاء فالصّحابة يأتون إلى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو يدعو لهم بل كانوا يأتون بصبيانهم للتبرك والتحنيك. الا ترى إلى ما ذكر في (المشكاة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما انها حملت بعبد الله ابن الزبير

رضى الله عنهما بمكة فولدت بقباء ثم اتت به رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فوضعته في حجره عليه الصّلاة والسّلام ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ثم حنكه ثم دعا له وبرك عليه وكان اول مولود في الاسلام (متفق عليه) (المشكاة ص: ٣٥٤) وقال عمر رضي الله عنه لا خير فيكم ما لم تسألوا بل الذهاب لحاجته إلى سيّد القوم واميرهم طريقة جارية. الا ترى إلى ما ذكر في (المشكاة ص: ٣١٦) عن عمر بن مرة رضي الله تعالى عنه أنّه قال لمعاوية رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسبم يقول (**من ولاه شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره**) فجعل معاوية رضي الله تعالى عنه رجلاً على حوائج الناس رواه أبو داود والتّرمذي فلا ادري ما معنى السؤال نعم السؤال مما لا ينبغي لا يليق. قال عليه الصّلاة والسّلام (**من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه**) وقال تعالى (**لاَ تَسْئَلُوا عَنْ اَشْيآءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** * المائدة: ١٠١)

وايضاً قال عمر رضي الله تعالى عنه لعماله لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقا ولا تغلقوا ابوابكم دون حوائجهم فإن فعلت شيئاً من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ثم يشيعهم رواه البيهقي في شعب الإيمان (المشكاة ص: ٣١٢) فلذا ندب صلّى الله تعالى عليه وسلّم في الاستشفاع.

وما قال في (ص: ١٥١) إنّهم يقولون الشهداء أحياء عند ربّهم فندعوهم لأن الله تعالى قال في حقهم (**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** * آل عمران: ١٦٩) فالجواب أنّ الآية ردّ عليهم لأن الله تعالى قال (عند ربهم) لا عندهم انتهى.

فنقول كونهم أحياء عند ربهم لا ينافي كونهم أحياء عندنا لأن الله تعالى نهانا أن نقول لهم امواتاً حيث قال (**وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ** * البقرة: ١٥٤) فعلم انا لا نقول لهم أمواتا بل نعتقدهم أحياء يرزقون فرحين ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم. ولا ادري ما معنى كونهم أحياء عند الله لا عندنا. الا ترى إلى ما في الحديث (**لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من المسك**) فهل يجوز لاحد أن

يقول إنّه اطيب عند الله واخبث عندنا وهل هذه الاّ سفسطة ظاهرة.

وما قال من نكاح ازواجهم.

فنقول حياتهم برزخية لها مراتب متفاوتة ولهذا حرم نكاح ازواج النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم على آحاد الامة كما ذكرنا سابقاً نقلا عن (التفسير المظهري) على أنّ مجيئهم إلى الدّنيا بارواحهم دليل بين على حياتهم كما ذكرنا من (كتاب الروح) للحافظ ابن القيّم ومن عقائد علماء ديوبند وغيرهم وكفاك بهم قدوة لانك تدعي الانتساب إلى الديوبند.

وما قال إنّه تعالى قال (**يُحْيِي الاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** * الروم: ١٩) فهل الارض تبصر او تسمع.

فنقول هذا مما لا يقضى منه العجب فإنّ حياة الارض وموتها وحياة الانسان وموته لا يخفى من الفرق بينهما على أنّه تعالى ما قال في شأن الارض ما قال في شأن الشهداء من الفرح والاستبشار والرزق ولم يرد شيء من ذلك في الارض.

وما قال إنّ الصّحابة رضي الله تعالى عنهم ما زالوا يخاطبون حين كان بينهم ولم يثبت أنّهم خاطبوه بعد الوفاة.

فنقول هذا اعبب العجاب فإنّ الصّحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين وتبعهم إلى يومنا يخاطبونه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ويخاطبون ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وغيرهم حيث يقولون (السّلام عليك يا رسول الله، السّلام عليكما يا صاحبي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم)

ولعل المنكر ما قرأ في صلاته (**السّلام عليك ايها النّبيّ ورحة الله وبركاته**) فإنّه متوارث من لدن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى يومنا.

وقال في (الدر المختار، ص: ٦٥). ويقصد بالفاظ التشهد معانيها مرادة له على وجه الانشاء كأنه يحيّي الله تعالى ويسلّم على نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وعلى نفسه واوليائه لا الأخبار عن ذلك ذكره في (المجتبى).

ولا شكّ أنّ (ايها النّبي) منادى بتقدير حرف النداء فلعلّهم لا يقرأون ذلك في صلواتهم وكيف كذب ذلك المنكر انه لم يثبت أنّهم خاطبوه بعد الوفاة، الايرى إلى خطاب أبي بكر رضي الله تعالى عنه في اول الوفاة بعد تقبيله صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما في كتب الحديث وما زال التخاطب معه صلّى الله تعالى عليه وسلّم في النثر والنظم:

يا اكرم الخلق ما لي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف والجود والكرم

ومن ذلك ما ذكر العلامة الشامي (ج: ١، ص: ٢٧٩) ويستحب أن يقول عند سماع الاول من الشهادة (صلى الله تعالى عليك يا رسول الله) وعند الثانية (قرة عيني بك يا رسول الله) كما مرّ عن قريب إلى غير ذلك من الخطابات. وكما ذكر في قول فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، يا ابتاه إلى جبرائيل ننعاه، يا ابتاه إلى جنة الفردوس مأواه.

وما ذكر من امر مالك المنصور[١] أن يتوسّل بالنّبيّ صلى الله تعالى عليه وسلّم وفيه هو وسيلتك وو سيلة ابيك آدم إلى الله يوم القيامة وفي بعض الطرق استقبله واستشفع به.

فنقول اختلاف الطرق لا يضرّنا فإنّ مآل الكل إلى التوسّل به صلى الله تعالى عليه وسلم.

وما قال إنّ ظن السبكي رحمه الله تعالى لا يعتمد عليه.

فنقول ظن ابن تيميّة كيف يعتمد عليه وسيجئ تفصيله في التذنيب في بيان احوال ابن تيمية.

---

(١) ابوجعفر المنصور ثاني خلفاء العبّاسيين توفي سنة ١٥٨ هـــ. [٧٧٥ م.] في مكّة المكرّمة

وماقال إنّ هذا كذب على مالك لأن مالكا لا يقول باستقبال القبر وقت الدعاء.

فنقول اولاً إنّ الخلاف في الاستقبال إلى القبر او القبلة اختلاف في الاولوية لا في الوجوب والحرمة حتّى يعتمد عليه الكذب على أنّ الظاهر أنّه استقبال القبر عند التوسّل به عليه الصّلاة والسّلام لا نفس الدعاء.

وما ذكر من الاستقبال إلى القبلة عن أبي حنيفة رحمة الله عليه.

فقد ذكرنا سابقاً ولاحقا عن عليّ القاري و(الفتاوى) لقاضي خان ما يرشدك إلى افتراء الشّيخ على الاحناف.

وما قال في (ص: ٥٦) من ركاكة اللفظ حيث قال المناسب استشفع به فيشفعه الله لا أن يقال استشفع به فيشفعك الله فإنّ المستشفع بالرسول ليس شافعا والّذي يشفع له هو الشافع لا المشفوع له يقيناً.

فنقول كيف يبنى هذا الامر العظيم وهو الكذب على الامام مالك رحمه الله بهذا اللفظ الّذي يصح بادنى توجيه فإنّ معناه: اطلب الشفاعة برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيقبل الله شفاعة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لاجلك والّذي يشفع له وإن كان هو الشافع لا المشفوع الاّ أنّه لما كان طالباً للشفاعة به صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقبول الشفاعة للشافع كأنه قبول لطالب الشفاعة كما لا يخفى على اولي النّهى.

وماقال إنّ قوله (وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه الصّلاة والسّلام يوم القيامة) يدل على ما هو المرغوب عندنا هو الشفاعة الكبرى لا التوسّل في الدّنيا.

فنقول امر مالك رحمة الله عليه له استشفع به ظاهر في التوسّل في الدّنيا إذ لا فائدة للامر في الدّنيا لطلب الشفاعة يوم القيامة والاستشفاع منقول عن السلف والخلف كما لوحناك.

وما قال في (ص: ١٥٧) إنّه لم ينقل لفظ الزيارة عنهم بل كره مالك أن يقول زرنا قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلم.

فنقول قال الحافظ ابن حجر رحمة الله عليه في (شرح البخاري ج: ٣، ص: ٤٣) والحاصل أنّهم الزموا ابن تيميّة بتحريم شد الرحال إلى زيارة قبر سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وانكرنا صورة ذلك وفي شرح ذلك من الطرفين طول وهي من ابشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية.

ومن جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره من الاجماع على مشروعية زيارة قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما نقل عن مالك رحمة الله عليه أنّه كره أن يقول زرت قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقد اجاب عنه المحققون من اصحابه أنّه كره اللفظ ادبا لا اصل الزيارة فإنّها من افضل الاعمال واجلّ القربات الموصلة إلى الله ذى الجلال وإنّ مشروعيتها محل الاجماع بلا نزاع والله الهادي إلى الصواب فعلم أنّ كراهة اللفظ ادبا على أنّه ورد (**كنت نهيتكم عن زياة القبور ألا فزوروها**) الحديث فإنّه ظاهر في هذا الاطلاق. وقال بعد ذلك بسطور قال بعض المحققين قوله (**إلاّ إلى ثلثة مساجد**) المستثنى منه محذوف فاما أن يقدر عاما فيصير (**لا تشدّ الرحال**) إلى مكان في اي امر كان الا إلى الثلاثة او اخص من ذلك لا سبيل إلى الاول لافضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها فتعين الثاني والاولى ما هو اكثر مناسبة وهو لا تشد الرحال إلى مسجد الصّلاة فيه الاّ إلى الثلاثة فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشّريف وغيره من قبور الصالحين والله اعلم.

وقال السبكي رحمه الله ليست في الارض بقعة لها فضل لذاتها حتّى تشد الرحال اليها غير البلاد الثلاثة ومرادي بالفضل ما شهد الشّرع باعتباره ورتب عليه حكما شرعيا واما غيرها من البلاد فلا تشد اليها لذاتها بل لزيارة او جهاد او علم او نحو ذلك من المندوبات او المباحات. قال وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم أنّ شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ لأن الاستثناء انما يكون من جنس المستثنى منه.

فمعنى الحديث لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد او إلى مكان من الامكنة لاجل ذلك المكان الا إلى الثلاثة المذكورة وشد الرحال إلى زيارة او طلب علم ليس إلى المكان بل إلى من في ذلك المكان انتهى. (فتح البارى ج:٢، ص:٤٣) وعلم منه تفصيل مسألة شدّ الرحال.

وما قال إنّ مالكا نزهه الله تعالى عن البدعة ونهى المؤذن عن التنحنح عند الاذان ونهى من قال له احرم عند القبر وقال له لا تفعل فانّي اخشى عليك الفتنة.

فنقول إنّ نزاهة مالك رحمة الله عليه عن البدعة لا يدل على عدم جواز التوسّل حتّى يدل على كذب الواقعة بلوازم بعيدة بقياس موصول بأن يقال الامام مالك رحمه الله تعالى متره عن البدعة فكل من هو منَزّه عن البدعة فهو لا يقول بالتوسّل فمالك لا يقول بالتوسّل ونجعل هذه صغرى لقياس آخر ومالك رحمه الله لا يقول بالتوسّل وكل من لا يقول بالتوسّل لا يأمر الغير بالتوسّل فمالك رحمه الله تعالى لا يأمر الغير بالتوسّل. ونجعل هذه صغرى ونقول مالك رحمة الله عليه لا يأمر الغير بالتوسّل وكل من لا يأمر الغير بالتوسّل فنسبة الامر اليه كذب. فنسبة الامر بالتوسّل إلى مالك للمنصور كذب وذلك دعوى الشّيخ فقيد المثال. فانظر إلى اثبات الدعوى بهذه الطريقة البعيدة فإنّ التوسّل لما لم تكن بدعة بل معمول السلف والخلف كيف لا يصح انتسابه إلى مالك رحمة الله عليه. ألا ترى إلى ملازمة الامام المدينة المنوّرة حتّى لم يخرج الاّ لفريضة الحج فما ذلك الاّ للتبرك بالمدينة وحبّه جوار النّبيّ صلّى الله عليه وسلم. وايضاً السلف كانوا يحبّون الدفن بقرب الصّالحين. ألا ترى إلى استئذان عمر رضي الله عنه عند قرب الشهادة من عائشة رضي الله تعالى عنها أن يدفن في الروضة وقالت اني اريده لنفسي فلآثرته اليوم على نفسي.

قال ابن حجر رحمة الله عليه في (فتح البارى شرح البخاري ج: ٣، ص: ١٦٦) في ذيل هذا الحديث وفيه الحرص على مجاورة الصّالحين في القبور طمعا في اصابة الرحمة إذا نزلت عليهم وفي دعاء من يزورهم من اهل الخير فعلم من هذا

اهتمام عائشة رضي الله عنها وعمر رضي الله تعالى عنه حيث قالت كنت اريده لنفسى فلآثرته على نفسي والايثار انما يكون في امر مطلوب مرغوب ويدل على حرص عمر رضي الله تعالى عنه. على هذا الامر ما ذكر في ذلك الكتاب بُعيد هذا. وفيه أنّ من بعث رسولا في حاجة مهة أنّ له أن يسأل الرسول قبل وصوله اليه ولا يعد ذلك من قلة الصبر بل من الحرص على الخير انتهى. ولا يخفى أنّ هذا ايضاً راجع إلى التوسّل وأنّ قبور الصّالحين منازل الرحمة (**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** * المطففين: ٢٦)

وايضاً قال الكرماني[١] وانما كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه يصلّي في تلك المواضع على وجه التبرك بها و لم يزل الناس يتبركرن بمواضع الصلحاء. وما روي أنّ عمر رضي الله تعالى عنه كره ذلك فلانه خشي أن يلتزم الصّلاة في تلك المواضع وكذا ينبغي للعالم إذا رأى الناس يلتزمون بالنوافل التزاما شديداً أن يرخص فيها في بعض المرات (حاشية البخاري ص: ٧١).

وايضاً ذكر مولانا عبد الحيّ رحمة الله عليه وفي (فتاواه ج: ٣، ص: ١٧٨) نقلا عن (اللّمعات) وهذا الحديث اصل في البركة بآثار الصّالحين ولباسهم والمراد من الحديث هو قول ام عطية رضي الله تعالى عنها انها قالت فالقى حقوة فقالت اسعرنها اياه.

وايضاً ذكر القاضي عياض رحمة الله عليه[٢] في (الشفاء) ومن اعظامه اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكّة والمدينة ومعابده وما لمسه وذكر واقعة قلنسوة خالد بن وليد رضي الله تعالى عنه فيها شعرات من شعر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم.

فعلم من هذا التفصيل مسألة التبركات وإنّ هذا من قبيل المحبة والمحبة مع اهل الله محبة مع الله الا ترى إلى ما قال الشّيخ عبد القادر الجيلاني نور الله مرقده وافاض

---

(١) ركن الدّين ابو بكر محمّد بن عبد الرشيد الحنفي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ. [١١٦٩ م.]

(٢) عياض بن موسى السَّبتي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ. [١١٥٠ م.]

علينا من بركاته في (فتوح الغيب، في المقالة الثانية والثلاثين):

اعلم أنّ محبة غير الله شرك يعني ينبغي أن تكون المحبة الحقيقية مع الله تعالى فإذا كان لغير الله فيها نفوذ فهو ازدراء بتوحيد الله تعالى وتحقير له. ثم قال في المقالة الثالثة والثلاثين: اني اخبرتك أنّ محبة غير الله شرك ومحبة الله اساس التوحيد فالآن نوصحك محبة الله تعالى لا يحصل الاّ بمحبة اهل الله وصحبته فإنّ ولي الله الموحد المخلص خليفة الله تعالى في الارض ثم قال بعد تعريف ولي الله، لهذا اقول لك بالتاكيد أن الزم صحبة ولي الله ومحبّته واستفض من فيوضاته الباطنة والبركات لأن ذلك الشخص يطهّر قلبك ودماغك عن الكدورات وينوّرهما بنور التوحيد والعشق الالهي انتهى.

فعلم من كلام سيّد الأولياء أنّ محبة أولياء الله محبة مع الله والاستفاضة منهم غنيمة. وقد ذكرنا أنّ الاستفاضة لا تختص بالحيّ ولهذا قال السالك. **شعر**:

زمن گو صوفيان با صفارا * غلام همت آن حق پرستم

خدا جويان معنى آشنا را * كه با نور خدا بيند خدارا

والحاصل أنّه لا بدّ مع العلم من اصلاح الباطن والروحانيّة ولهذا قال ابو بكر الوراق التّرمذي:[١] من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد تزندق من اكتفى بالفقه دون الورع تفسق (كشف المحجوب، ص: ٤٧)[٢].

وقال شيخ المشائخ يحيى بن معاذ الرازي[٣] اجتنب صحبة ثلاثة اصناف من الناس العلماء الغافلين والفقراء الكاهلين والمتصوفة الجاهلين. ومثل ذلك منقول عن الامام مالك رحمه الله تعالى من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه و لم يتصوف

---

(١) محمّد بن عمر الوراق التّرمذي المتوفى بترمذ سنة ٢٨٠ هـ. [٨٩٣ م.]

(٢) صاحب هذا الكتاب علي بن عثمان الجلابي الحجويري الشهير بـ(داتاگنج بخش) المتوفى بلاهور سنة ٤٦٥ هـ. [١٠٧٢ م.]

(٣) أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي المتوفى بنيسابور سنة ٢٥٨ هـ. [٨٧٢ م.]

فقد تفسق ومن جمع بينهما فقدتحقق.

وما قال إنّ آم عليه السّلام مخلوق لاجل العبادة لا لاجل محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلم فقد مر الكلام فيه.

وقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**لا تخيروني على يونس ابن متى**) عليه السّلام محمول على التواضع او قبل أن اعطاه الله العلم بافضليته او معناه تخيراً يلزم منه تنقيص نبيّ آخر والاّ فهو عليه الصّلاة والسّلام افضل الرسل وسيّدهم وخاتم النبيين وسيّد ولد آدم عليه الصّلاة والسّلام كما في الأحاديث.

وما قال (ص: ١٦١) إنّ غفران آدم عليه السّلام بكلمات لا بتوسّل محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلم.

فنقول تلك الكلمات كانت توبة ولا منافاة بين التوبة بكلمات والتوسّل بمحمّد صلّى الله تعالى عليه وسلم.

واما الدعاء بحق احد وإن صرح الفقهاء بكراهتها لكن لم يقولوا بكونها شركاً على أنّ في حديث معاذ رضي الله تعالى عنه (**ما حق الله على العبد وما حق العبد على الله**) صريح في أنّ للعبد حقاً وإن كان حقا تفضيليا سيّما إذا كان الحق بمعنى الحرمة.

وما ذكر من نفي الحق. فهو الحق الاستحقاقي لا التفضيلي والاّ فينافيه حديث معاذ رضي الله تعالى عنه.

وما ذكر في (ص: ١٦٤) فالذين يزعمون أنّ التوسّل بالذات يدني من الله تعالى كاذبون على الله سبحانه وليس لهم دليل لا من الكتاب ولا من السّنّة ولا من الصّحابة ولا من السلف الصّالحين.

فنقول قد ثبت سابقاً ولاحقا مندوبية التوسّل من الكتاب والسّنّة والسلف الصّالحين والخلف نعم، لم يثبت عن ابن تيميّة وذرياته.

وما قال في نفي التوسّل نقلا عن (روح المعاني) فنقول قد ذكرنا سابقاً في

مقصد التوسّل كلام الآلوسي البغدادي بتمامها وفيها تصريح بجواز التوسّل بجاه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بل بجاه غيره ممن له جاه وكذا بجواز الإقسام على الله تعالى بأحد وقد صرح بالمدد الروحاني بعد الوفاة وكذا بالبركة والعجب أنّه لم ينقل عبارة المحقق بتمامها وهذه من المنكر خيانة عظيمة وهذه شنشنة الشّيخ في غير موضع فسبحان من الشّيخ الفاخر.

واما الدعاء بأن يقول ادع الله أن يرزقني انتهى. فقد صرح الشّيخ الدّهلوي رحمة الله تعالى عليه بجوازه كما نقلناه سابقاً. وايضاً ذكر الآلوسي البغدادي في الاخير وجه عدم تعارف التوسّل في زمن الصّحابة وصرح الآلوسي مراراً بالتوسّل بالقرآن والنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما نقلناه عنه في سورة (**إذا جَآءَ نَصْرُ اللهِ** * النصر: ١)

وما ذكر من تلخيص الاجوبة. قد ذكر الكلام عليها فيما سبق فلا حاجة إلى التكرار نعم، بعض المواضع نشير اليها فإنّه قد ذكر أن لا مخالفة بين الآية (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالاِنْسَ اِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** * الزاريات: ٥٦) والحديث (**خلق آدم لاجل محمّد**) صلّى الله تعالى عليه وسلّم وخلق شيء لاجل شيء لا يقتضي الملاقاة بين الشيئين فما قال إنّ آدم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لم يلق محمدا صلّى الله تعالى عليه وسلّم و لم يقاتل معه و لم يدفع عنه فما معنى قوله (**خلق لاجل محمّد**) صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو استدلال عجيب وجواب غريب.

وايضاً لا منافاة بين (**رَبَّنَا ظَلَمْنَآ** * الاعراف: ٢٣) وبين توسّل آدم عليه السّلام بمحمّد صلّى الله تعالى عليه وسلم.

وما ذكر أنّ التوبة بكلمات ثابت من انس قطعي وما في الحديث (**رفعت رأسي فرأيت مكتوبا...**) اخذها آم تلقاء نفسه.

واما اخذها آم من تلقاء نفسه.

فمكابرة ظاهرة إذ ثبت أن لا منافاة بين الآية والحديث على أنّ آدم عليه

الصلاة والسّلام إذا وجده مكتوبا على العرش فما معنى الاخذ من تلقاء نفسه؟ هل الاخذ من مكتوب العرش او اللوح او الكتاب اخذ من نفسه؟ وهذا تعصب بين.

وحديث خدر الرجل قد ذكرنا سابقاً والتوسّل في (**يا عباد الله اعينوني**) قد مر سابقاً.

وما قال إنّ الصّحابة اولى بذلك. فنقول قد ذكرنا التوسّل بصعاليك المهاجرين والتوسّل بضجيعيه والخطاب معهما والنداء لهما كما نقل من كتب الفقه (**السّلام عليكما يا ضجيعي رسول الله صلّى تعالى عليه وسلّم ومشيريه ووزيريه والمعاونين في أمر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم! نتوسل بكما إلى رسول الله صلّى تعالى عليه وسلّم**).

وكذا خطاب الصّحابة مع النّبيّ صلى الله تعالى عليه وسلّم معروف. الا ترى إلى ما ذكر البخاري باب الدخول على الميّت بعد الموت إذا ادرج في اكفانه. إنّ عائشة رضي الله تعالى عنها قالت اقبل أبو بكر رضي الله تعالى عنه على فرسه من مسكنه بالسنح حتّى نزل فدخل على المسجد فلم يتكلم الناس حتّى دخل على عائشة فتيمم اي قصد النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبّله ثم بكى فقال بابي انت وامي يا نبيّ الله! لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها. قال ابن حجر رحمة الله تعالى عليه في كتابه المعروف (ص: ٧٤)، وفي هذه الأحاديث جواز تقبيل الميّت تعظيماً وتبركاً وجواز التفدية بالآباء والامهات وقد قيل هي لفظة اعتادها العرب بأن تقول ولاتقصد معناها الحقيقية إذ حقيقة التفدية بعد الموت لا يتصور وجواز البكاء على الميّت وسيأتي مبسوطا انتهى.

فعلم من هذا الحديث مخاطبة الخليفة الاول مع النّبيّ صلى الله تعالى عليه وسلّم بعد الوفاة وتعظيمه عليه الصلاة والسّلام بالتقبيل والتفدية وجواز البكاء على الميّت.

والعجب من شيوخ هذا الزمان حيث يضربون امهاتهم ويخرجونها من بيتهم

بسبب البكاء بفوت صبي ثم يتفاخرون بذلك في التقريرات في المجامع. فهل هذا اتباع السّنّة والحال أنّه تعالى قال في كتابه المجيد (**فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولاَ تَنْهَرْهُمَا وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** * الإسراء: ٢٣-٢٤) و(**وَصَاحِبْهُمَا في الدّنيا مَعْرُوفًا** * لقمان: ١٥).

وفي السّنّة (**هما جنّتك ونارك**) إلى غير ذلك من النصوص. فيا اسفى على جراءتهم فإنّ توحيدهم اساءة الادب باكابر الدّين واتباع سنتهم اخراج الامهات من البيوت بسبب البكاء على الصبي فهل يوجد له نظير في ممر الدهور ولهذا كان فقيد المثال.

وكان درسه درس خاه عديم النظير[١] وما سمعت بمدرسة ولا درس اسمها هكذا وهذا اول بدعة ابتدعها.

وتوسّل عمر رضي الله تعالى عنه بالعبّاس رضي الله تعالى عنه لا يدل على الانحصار كما مر مفضلاً.

واما اذهاب الدواب إلى المقابر لاجل أن تسمع صياح بعض الاموات فتسكن

فلا حرج فيه فإنّه ورد في المتّفق عليه (فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) وفي رواية أحمد وابي داود (يسمعها ما بين المشرق والمغرب).

وما قال في (ص: ١٨٤)، إنّ الشياطين يقضون حاجاتهم ويطيرونهم في الهواء ويذهبون به من مكّة إلى المدينة وربما ينشق القبر ويخرج منه الميّت فيعانقه ويصافحه ويكلمه إلى آخر ما قال.

فنقول قد اثبت للشيطان تأثيرا قويا وقدرة كاملة حتّى أنّ العلماء المتقنين ذوي الفراسة ابتلوا بذلك. ألا ترى إلى ما ذكر اشرف علي التهانوي في كتابه (بزم جمشيد ص: ١٧):

حضرت قطب صاحب كا ايك واقعة حضرت شاه ولي الله صاحب كى

---

(١) معرب درگاه بينظر

والد شاه عبد الرّحیم صاحب کیساته لکهاهی که ده قطب صاحب کی مزار پر فاتحه پرهنی جایا کرتی ھی ایك مرتبه یه وسوسه هوا که نه معلوم آن کومیری آنی که خبر بهی هوتی هی یا نهین؟ فورا قبر سی آواز آئی **بیت**:

مرا زنده پندار چون خویشتن * بجان آمدم گر تو آئی بتن

اس کی بعد ایك مرتبه شاهصاحب حاضر مزار ھی آن پر قطب صاحب کی روحانیت کا انکشاف هوار اسوقت شاهصاحب نی عرض کیاکه سماع کی نسبت آپکی کیا تحقیق هی؟ فرمایا که شعر کی متعلق تمهارا کیا خیال هی؟ شاهصاحب نی عرض کیا کی الشعر کلام موزون حسنه حسن وقبیحه قبیح اور شرمایا که صوت حسن کی متعلق کیا کهتی هو عرض کیاکه یزید في الخلق ما یشاء بعض علماء نی اس آیت که تفسیر هین بهی کهاهی که اس سی مراد صوت حسن هی فرمایا که اگر دو نون جمع هوجاوی اسوقت کیا کهوگی؟ عرض کیاکه نور علی نور یهدي الله لنوره من یشاء فرمایا بس همارا سماع بهی ها اس کی بعد انهون نی دیکها که آسمان کی طرف سی ایك تخت نازل هوا جس پر ایك بزرك رونق افروز ھی حضرت قطب صاحب آن کی تعظیم کی لئی کهری هوگئی ھوری دیرکی بعدوه تخت پهر آسمان پر آٹھه گیا تو شاهصاحب نی حضرت صاحب سی عرض کیاکه یه بزرگ کون ھی؟ فرمایا یه خواجه بهاء الدّین نقشبند ھی شاهصاحب کئی عرض کیاکه یه تو سماع کئی نکر ھی آپ نی اس کی ساسنی اپنی تحقیق کوکیون بیان نهین کیا -فرمایا ادب کی خلاف ها- یه حضرات عالم برزخ مین بهی ایك دوسری کا ادب کرتی ھی.

شاه ولی[١] الله صاحب رحمة الله تعالی علیه از والد بزرگوار خود حکایت میکند که ایشان میفرمودند که بزیارت مرقد منور خواجه قطب الدّین قدس سرّه

---

(١) در وقت کتابت بار دویم این کتاب انفاس العارفین حضرت شاه ولي الله رحمة الله علیه زیر مطالعه بود این حکایت آنجا دیدم برای زیادت تأیید باجازت مصنف مد ظله درینجا اضافه نمودم. محمّد گل رحیم اسماری

رفته بودم نزديك مزار ايشان چبوتره است آنجا بديد قصور وملاحظة آنكه اين وجود ملوث را بدان مقام پاك نبايد برد. بايستادم دران محل روح ايشان ظاهر شد فربودند بيشتر بيا دوسه قدم بيشتر رفتم دران وقت ديدم كه چار فرشته تختى از آسمان؟ نزديك قبر ايشان فرو آوردند معلوم شد كه بران تخت خواجه نقشبند رحمة الله عليه بودند هردو شيخ باهم رازها در ميان آوردند كه مسموع نه گشت بعد ازان تخت را فرشتگان برداشته بردند خواجه قطب الدّين بمن متوجه شدند كه بيشتر بيا دوسه قدم ديگر پيش رفتم وهمچنين ميگفتند وقدرى ميرفتم تا آنكه نهايت قرب متحقق شد. آنگاه فرمودند چه ميگوئيد در حق شعرگفتم كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح فرمودند بارك الله چه ميگوئيد در حق صوت حسن گفتم (**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ** * الحديد: ٢١) گفتند بارك الله چون هردو جمع شوند دران چه ميگوئيد گفتم (**نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَآءُ** * النور: ٣٥) گفتند بارك الله آنچه ما ميكرديم بيش ازين نبوده است شما هم گاه گاهى يك دو بيتى شنيده باشيد گفتم درحضور خواجه نقشبند حضرت اين را چرانه فرموده اند يكى ازين دو لفظ فرمودند ادب نبود يا مصلحت نبود ميفرمودند اين واقعه را مدتى بر آمده تعيين لفظ از خاطر رفته (انفاس العارفين، ص: ٤٣)

فانظر إلى هذه الواقعة كيف تثبت منها الكرامة بعد الممات وكيف يثبت منها علم الأولياء وكيف تثبت منها الافادة والاستفادة أهذه الافادة كانت من الشيطان؟ سبحانك هذا بهتان عظيم. فهل يظن ذو عقل أنّ هذه الواقعة كانت كما قال مسيئ الادب ويقولون ما لا يتفوه به عاقل وتمجها الآذان وتترأ منها الالسن وتنكرها القلوب وتقشعر منها جلود السامعين فهل يحبون ما يظنون في حقهم مما لا اتفوه به ولا افتى بجوازه في الآيات القرآنية ومثل هذه الواقعات كثيرة في كتابه المسمى بـــ(الدرر الثمين في مبشرات النّبيّ الامين) على ما نقلنا سابقاً نبذا فهل هذا ايضاً مما دسه اليهود؟

(وكذا قال في ذلك الكتاب ص: ٤١): فرمايا كه ميرى پردادا صاحب كانام فريد زبانون پر مشهور تها اور بعض پرانى كاغذات مين غلام فريد ديكها گيا ايك بارات كياتهه كيرانه جارهى تهى راسته مين داكون نى گهير ليا پردادا صاحب اجهى تير انداز تهى بهلى مين بيهى بيهى تير چلار هى تهى كسى نى آن كوديكهه ليا اور شهيد كيا رات كوميرى پردادى صاحبه جسوقت وه جاگ رهى تهى تشريف لائى اور باتين كى اور جاتى وقت كچهه متهائى اور پهل ديگئى كه بچون كو ديدين بهو كى نه رهين اور فرمايا اس كوكيكو اطلاع نه كرين چونكه اس زمانه كى لحاظ سى ايك بيوه كى باس متهائي كا آنا عرفا براتها اس لئى پردادى صاحبه نى اس واظهار كيا اس كى بعدوه كبهى تشريف نه لائى.

فانظر إلى هذه الواقعة كيف علم منها اتيان الشهيد واعطاء شيء وفكر جوع العيال وقد ذكرها اشرف علي التهانوي في مقام التبليغ فعلم هذا مما لا يصادم اصول الدّين ولا ينكرون عن امثال هؤلاء العلماء الديوبنديون.

وهذا مثل ما ذكر العلامة السّيوطي رحمة الله تعالى عليه في كتابه اتيان الشهداء لجنازة عمر بن عبد العزيز والعجب أنّهم يثبتون للشياطين قدرة وتأثيرا عظيماً. وذلك قريب إلى واقعة عمرو بن عبيد المعتزلي حيث قال ما الزمني احد مثل ما الزمني مجوسي كان معي في السفينة فقلت له لم لا تسلم؟ فقال لأن الله لم يرد اسلامي فإذا اراد اسلامي اسلمت فقلت إنّ الله تعالى اراد اسلامك لكن الشيطان لا يتركك فقال فإذًا اكون مع الشريك الاغلب فسكت وذكر البعض أنّ ذلك صار سببا لرجوعه عن مذهب الاعتزال فإنّ المعتزلة يقولون إنّ الله تعالى لا يريد القبائح واهل الحق يقولون بأن الله تعالى مريد الخير والشر القبيح ولكن ليس يرضى بالمحال.

وما نقل من الحافظ ابن القيّم من التمسك بروحانيّة الكواكب.

فنقول التوسّل بروحانيّة الذوات الفاضلة وبروحانيّة الكواكب بينهما فرق ظاهر فكيف يقاس احدهما على الآخرحتّى يلزم من كون احدهما شركاً كون الآخر كذلك.

وما قال في (ص: ١٨٦) إنّ الاستعانة بأي نهج كان شركاً.

اقول: الاستعانة بالشيء كيف يكون شركاً وإلاّ فهذا سند الوسائل وإنّ المسائل بالوسائل.

وما قال إنّ من قال للعوام إنّ الفيض يحصل من قبور الأولياء فقد فتح لهم بابا من الشّرك.

فنقول القول بالاستفاضة من قبور اهل الله صرح به في (عقائد علماء ديوبند) فكيف يكون شركاً.

وما قال كره الزيارة للمواضع المتبركة وقبور الاولياء.

فنقول قد نقلنا آنفاً إنّ ذلك لا يدخل في شد الرحال المنهي وإذا كانت الزيارة خالية عن المنكرات فلا معنى للمنع سيّما والمعروف لا يترك لاجل منكر وصرح بذلك الامام الغزالي رحمة الله تعالى عليه وابن حجر رحمة الله تعالى عليه كما ذكرنا وقال العلامة الشامي في (ج: ٢، ص: ٦٣٠) وبزيارة القبور اي لا بأس بها بل تندب كما في (البحر)[١] أن قال ألا إنّ الافضل يوم الجمعة والسبت والاثنين والخميس فقد قال محمّد بن واسع[٢] رحمه الله تعالى أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده فتحصل أنّ يوم الجمعة افضل إلى أن قال قلت: استفيد منه ندب الزيارة وإن بعد محلها وهل تندب الرحلة لها كما اعتيد من الزيارة إلى خليل الرّحمن واهله واولاده وزيارة السيّد البدوي[٣] وغيره من الاكابر الكرام رحمهم الله لم أر من صرح به من ائمتنا ومنع منه بعض ائمة الشّافعية رحمة الله تعالى عليه إلاّ لزيارته عليه الصّلاة والسّلام قياسا على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة وردّه الغزالي رحمة الله تعالى عليه لوضوح الفرق فإنّ ما عدا تلك المساجد الثلاثة

---

(١) مؤلف بحرالرائق شرح كتر الدقائق ابن نجيم زين العابدين الحنفي المصري توفي سنة ٩٧٠ هـ. [١٥٦٢ م.]

(٢) محمّد بن واسع توفي سنة ١١٢ هـ. [٧٣٠ م.]

(٣) أحمد بن علي البدوي المصري المتوفى بمصر سنة ٦٧٥ هـ. [١٢٧٦ م.]

مستوية في الفضل فلا فائدة في الرحلة اليها. واما الأولياء فإنهم متفاوتون في القرب إلى الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفم واسرارهم.

قال: ابن حجر رحمة الله تعالى عليه في (فتاواه) ولا تترك لما يحصل عندها من منكرات ومفاسد كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك لأن القربات لا تترك لمثل ذلك بل على الانسان فعلها وانكار البدع بل وازالتها إن امكن. قلت ويؤيده ما مر من عدم ترك اتباع الجنازة وإن كان معها نساء نائحات ثم ذكر العلامة آداب الزيارة فقال ثم من آداب الزيارة ما قالوا من أنّه يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى لا من رأسه لأنّه اتعب لبصره بخلاف الاول.

وما قال من الاستفتاء في المسائل.

فقد ذكرنا الاستفادة في بحث السّماع آنفاً من واقعة الشاه عبد الرّحيم المرحوم وواقعات الشاه ولي الله رحمة الله عليه سابقاً على أنّ كتب الشريعة موجودة على أنّه ذكر في (الميزان ص: ٤٧ مطبوع مصر) فسمعت سيّدي عليا الخواص رحمة الله عليه يقول: ايد ائمة المذاهب مذاهبهم بالمشي على قواعد الحقيقة مع الشريعة اعلاما لأتباعهم بأنّهم كانوا علماء بالطريقين وكان يقول لا يصح خروج قول من اقوال المجتهدين عن الشريعة ابدا عند اهل الكشف قاطبة وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد اقوالهم من الكتاب والسّنّة واقوال الصّحابة ومع الكشف الصّحيح واجتماعهم بروح رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وسؤالهم عن كل شيء توقفوا فيه من الادلة هل من قولك يا رسول الله ام لا يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين اهل الكشف وكذلك كانوا يسألونه عليه الصّلاة والسّلام عن كل شيء فهموه عن الكتاب والسّنّة قبل أن يدوّنوه في الكتاب ويدينوا لله تعالى به ويقولون يا رسول الله قد فهمنا كذا من آية كذا وفهمنا كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا فهل ترتضيه ام لا؟ ويعملون بمقتضى قوله صلّى الله عليه وسلّم واشارته ومن توقف فيما ذكرناه من كشف الأئمة المجتهدين ومن اجتماعهم برسول الله

صلّى الله تعالى عليه وسلّم من حيث الارواح. قلنا له: هذا من جملة كرامات الأولياء بيقين وإن لم تكن ائمة المجتهدين أولياء فما على وجه الارض ولي ابدا وقد اشتهر عن كثير من الأولياء الذين هم دون الأئمة المجتهدين بمقام بيقين أنّهم كانوا يجتمعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ويصدقهم أهل عصرهم على ذلك إلى آخر ما قال. فانظر أيها المنصف أليس هذا صريحا في الاستعانة ولا يخالف هذا عن اصول الدّين كما لا يخفى.

وما قال: هل ينعقدون النكاح وهل يؤمون للصلاة في الجماعات فلو يفعلون ذلك ينبغي أن يؤمّ بهم في جنازتهم حين كانوا على السرير وجاه القبلة.

فلا يخفى أنّ الاضاحيك المذكورة لا تليق بحال عاقل فضلاً عن الفاضل فقيد المثال فإنّ هذه احكام تكليفية وقد انقطع التكليف. نعم على طريق خرق العادة يثبت كما في صلاة موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام في قبره وكما ذكر بعض الواقعات العلامة السّيوطي رحمة الله تعالى عليه في كتابه (**شرح الصّدور**) وكما في تلاوة (سورة الملك) من رواية التّرمذي.

وما قال إنّ الامام الرّبّاني رحمة الله تعالى عليه قال: كرامات الأولياء بمعنى خرق العادة تسلب بعد مماتهم هذا بهتان عظيم بل قال الامام الرّبّاني رحمة الله تعالى عليه: ويجعل روحانيّة بعض الاكابر وسائل طريقه ودليله في قطع منازل السلوك فإنّ توسط روحانيات المشائخ في قطع طريق السلوك لازم بطريق جرى عادة الله سبحانه (ج: ١، مكتوب: ٢٨٦) وقال ايضاً الأويسى شخص يكون للرّوحانيين مدخل في تربيته ألا ترى أنّ الخواجه احرار قدس سرّه لما وجد الامداد من روحانيّة الخواجه النقشبند قدس سرّه قيل له مع وجود شيخه الظاهر أويسيا وكذلك الخواجه النقشبند لما نال الامداد من روحانيّة الخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سرّهما كان مع وجود شيخه الظاهر أويسيا (ج: ٣، مكتوب: ١٢١) وقال ايضاً وكذا ارباب الحاجات يستمدون من الأعزة الأحياء والاموات في المخاوف والمهالك ويرون أنّ

صور هؤلاء الأعزة قد حضرت ودفعت عنهم البلية (ج: ٢، مكتوب: ٥٨). وقول المجدد رحمة الله تعالى عليه لا نعتمد على نقل الشّيخ فإنّ التحريف من ديدنه ومما دسه ذووا العقيدة الزائغة والاّ فمعين الدّين الاجميري رحمة الله تعالى عليه صرح بالاستفاضة من الوليّ المعروف داتا المرحوم كما نقل من خواجه معين الدّين الاجميري رحمة الله تعالى عليه بعد ختم الرياضة عند مزار (داتا) المرحوم وحصول المكاشفات ذكر ذلك في كتاب (كشف المحجوب).

ويجوز التوسّل إلى الله تعالى والاستغاثة بالانبياء والصّالحين بعد موتهم لأن المعجزة والكرامة لا تنقطع بموتهم وعن امام الحرمين ولا ينكر الكرامة ولو بعد الموت إلاّ رافضي. وعن الاجهوري[١] الوليّ في الدّنيا كالسيف في غمده فإذا مات تجرد عنه فيكون اقوى في التصرف كذا نقل عن (نور الهداية) لأبي علي السنجي (البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمّديّة لأبي سعيد محمّد بن مصطفى المفتي الخادمي القونوي المتوفى سنة ١١٧٦ هـ. [١٧٦٣ م.] ج: ١، ص: ٢٧٠).

والمقصود من جعل مرض العبد مرض نفسه وجعل جوعه جوع نفسه كما في الحديث بيان اعزاز العبد والكرامة ولم يقل احد من العقلاء إنّ هذه الأفعال قائمة بالله تعالى.

واما البناء على القبر فقد انعقد الامام البخاري رحمة الله تعالى عليه (باب بناء المسجد على القبر) قال ابن حجر رحمة الله تعالى عليه في (فتح الباري ج: ٣، ص: ١٣٥) اورد فيه حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في لعن من بنى على القبر مسجدا وقد تقدم الكلام عليه قبل ثمانية ابواب قال الزين ابن المنير: كأنه قصد بالترجمة الاولى اتخاذ المساجد في المقبرة لاجل القبور بحيث لولا يجد القبر ما اتخذ المسجد ويؤيده بناء المسجد في المقبرة على حدة لئلا يحتاج إلى الصّلاة فيوجد مكان يصلّي فيه سوى القبر فلذلك نحا به منحى الجواز انتهى. وقد تقدم أنّ المنع من ذلك

---

(١) علي بن محمّد الاجهوري المالكي المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ. ١٦٥٦ م.]

انما هو حال خشية أن يصنع بالقبر كما صنع اولئك الذين لعنوا واما إذا أمن ذلك فلا امتناع وقد يقول بالمنع مطلقاً من سد الذريعة وهو ههنا

وقد ذكر المحدث الدهلوي رحمة الله تعالى عليه في بناء امرأة الحسن بن الحسن بن علي قبة على قبر زوجه واقامتها سنة. إنّ الظاهر أنّ ذلك كان للذكر والتلاوة ولا يحسن حمل فعل اهل البيت على العبث.

وما ذكر أنّه لا يجوز بقاء مواضع الشّرك والطواغيت.

فنقول مزارات الأولياء مواضع نزول الرحمة والبركة. ألا ترى إلى ما ذكر من استحباب الدفن في قرب الصالحين والارض المباركة.

قال العلامة الطحطاوي في (شرح المراقي ص: ٣٤٠) ويقصدون بزيارتها وجه الله واصلاح القلب ونفع الميّت بما يتلى عنده من القرآن ولا يمس القبر ولا يقبّله فإنّه من عادة اهل الكتاب و لم يعهد الاستسلام إلاّ للحجر الاسود والركن اليماني خاصة وتمامه في (الحلبي) قوله قيل تحرم للنساء وسئل القاضي عن جواز خروج النساء إلى المقابر فقال: لا تسأل عن الجواز والفساد في هذا. انما تسئل عن مقدار ما يلحقها من اللعن فيه واعلم بأنّها كلما قصدت الخروج كانت في لعنة الله تعالى وملائكته وإذا خرجت تحفها الشياطين من كل جانب وإذا اتت القبور تلعنها روح الميّت وإذا رجعت كانت في لعنة الله كذا في الشرح عن (التتارخانية) قال البدر العيني[١] في (شرح البخاري) وحاصل الكلام انها تكره للنساء بل تحرم في هذا الزمان لا سيّما نساء مصر لانّ خروجهن على وجه فيه فساد وفتنة انتهى.

وفي (السراج) واما النساء إذا اردن زيارة القبور إن كان ذلك لتجديد الحزن والبكاء والندب كما جرت به عادتهن فلا تجوز لهن الزيارة وعليه يحمل الحديث الصّحيح **(لعن الله زائرات القبور)** وإن كان للاعتبار والترحم والتبرك بزيارة الصّالحين من غير ما يخالف الشّرع فلا بأس به إذا كن عجائز وكره ذلك للشابات

---

(١) محمود العيني الحنفي توفي سنة ٨٥٥ هـ. [١٤٥١ م.] في القاهرة

كحضورهن في المساجد للجماعات انتهى.

وحاصله أنّ محل الرخصة لهن إذا كانت الزيارة على وجه ليس فيه فتنة والأصح أنّ الرخصة ثابتة للرجال والنساء لأن السيّدة فاطمة رضي الله تعالى عنها كانت تزور قبر حمزة رضي الله تعالى عنه كل جمعة وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تزور قبر اخيها عبد الرّحمن بمكة كذا ذكره بدر الدّين العيني رحمه الله تعالى في (شرح البخاري) والسنة زيارتها قائما قال في (شرح المشكاة) ينبغي أن يدنو من القبر قائما او قاعدا بحسب ما كان يصنع لزواره في حياته وكذا ذكره غيره. وفي (القهستاني) ويقوم بحذاء وجهه قربا وبعدا مثل ما في الحياة.

قال في (الأحياء) والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً وجه الميّت وأن يسلّم ولا يمسح القبر ولا يقبّله ولا يمسّه فإنّ ذلك من عادة النصارى كذا في (شرح الشّرعة).

قال في (شرح المشكاة) بعد كلام وحديث ما نصه: فيه دلالة على أنّ المستحب في حال السّلام على الميّت أن يكون لوجهه وأن يستمر كذلك في الدعاء ايضاً وعليه عمل عامة المسلمين خلافاً لما قاله ابن حجر رحمة الله تعالى عليه.

واخرج ابن عبد البر في (الاستذكار) و(التمهيد) بسند صحيح عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدّنيا فيسلّم عليه إلاّ عرفه وردّ عليه السّلام**) انتهى.

فعلم أنّ الواجب في زيارة القبور الاجتناب عن المنكرات وأن يستقبل الميّت لا كما قال المنكر وان الزيارة تكون للتبرك ايضاً لا كما زعم المنكر وإنّ الميّت يعرف المسلم ويردّ عليه.

وامّا المنكرات فيجب انكارها فإنّ المنكر منكر والمعروف معروف والمعروف لا يترك لاجل منكر كما ذكرنا من الضابطة ألا ترى إلى أن زيارة القبور مستحبة في نفسها من غير نظر إلى العوارض للنساء ايضاً.

قال العلامة الشامي في قول الشارح وبزيارة القبور ولو للنساء وقيل تحرم عليهن والأصح أنّ الرخصة ثابتة لهن (البحر) وجزم في (شرح المنية) بالكراهة لما مر في اتباعهن الجنازة. وقال الخير الرملي[١] إن كان ذلك لتجديد الحزن والبكاء والندب على ما جرت به عادتهن فلا تجور وعليه حمل حديث (**لعن الله زائرات القبور**) وإن كان للاعتبار والترحم من غير بكاء والتبرك بزيارة قبور الصالحين فلا بأس إذا كن عجائز ويكره إذا كن شواب كحضورهن الجماعة في المساجد وهو توفيق حسن (الشامي ج:١، ص: ٦٣١).

فعلم إنّ الزيارة للتبرك بزيارة الصّالحين امر مندوب ومرغوب ولو للنساء لو كن عجائز وقال العلامة الشامي رحمه الله تعالى في (ص: ٦٣٠) قلت: استفيد منه ندب الزيارة وإن بعد محلها واي بدعة في ذلك إن كان التوسّل به بدعة فذلك امر ثابت في الدّين وإن كان لاجل سماع الموتى فنقول قد ثبت من الادلة سماع الموتى. وقال الامام البخاري رحمة الله عليه في باب قول الميّت وهو على السرير قدموني. قال ابن حجر رحمة الله عليه وظاهره أنّ قائل ذلك هو الجسد المحمول على الاعناق.

قال ابن بطال[٢] رحمة الله عليه انما يقول ذلك الروح ورد ابن المنير بأنّه لا مانع من أن يرد الله الروح إلى الجسد في تلك الحال ليكون ذلك زيادة في بشرى المؤمن وبؤس الكافر وكذا قال غيره وزاد ويكون ذلك مجازا باعتبار ما يؤول اليه الحال بعد ادخال القبر وسؤال الملكين. قلت وهو بعيد ولا حاجة إلى دعوى اعادة الروح إلى الجسد قبل الدفن لأنه يحتاج إلى دليل فمن الجائز أن يحدث الله النطق في الميّت إذا شاء وكلام ابن بطال فيما يظهر لي اصوب. وقال ابن بزيزة قوله في آخر الحديث يسمع صوتها كل شيء دال على أنّه بلسان القال لا بلسان الحال (فتح البارى ج: ٣، ص: ١٢٠) ولذا قال تعالى (**اِنَّ اللّٰهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَآءُ** * فاطر: ٢٢).

---

(١) خير الدّين الرملي الحنفي توفي سنة ١٠٨١ هـ. [١٦٧٠ م.] في رملة

(٢) أبو الحسن ابن بطال القرطبي توفي سنة ٤٤٤ هـ. [١٠٥٢ م.]

وذكر عليّ القاري أنّ المشهور من نسبة عدم سماع الموتى إلى الاحناف ليس له اصل من الأئمة بل اخذ من مسألة في باب الأيمان أنّه إذا حلف لا يتكلم مع فلان فمات الرجل فتكلم معه على قبره ميّتاً لا يحنث.

اقول إنّ وجه عدم الحنث أنّ مبنى الأيمان على العرف واهل العرف لا يسمونه كلاماً ولا يعلمون أنّ الموتى تسمع والمحقق إنّ ابا حنيفة رحمة الله عليه لا ينكر سماع الموتى وإن خالف ابن الهمام وقال الموتى لا تسمع لأن ذخيرة الحديث تدل على سماع الموتى فلو قلنا بسماع الموتى فلا اشكال لأنه ثبت بقدر مشترك تواتر في الحديث ولا تتعرض إلى التخصيصات المتكلفة وسيّما إذا لم يرد الانكار عن ائمتنا الثلاثة واما الآيات المشيرة إلى عدم السماع فلها محامل حسنة (عرف الشذى: ص: ٣٨٦)، فعلم من كلام الشّيخ انور شاه المرحوم صدر المدرسين بدار العلوم الديوبند: أنّ نسبة عدم سماع الموتى إلى الاحناف ليست بصحيحة وإن كانت مشهورة.

وكذا صرح بسماع الموتى مولانا عبد الحيّ رحمة الله عليه في (عمدة الرعاية ج: ٢، ص: ٢٢٤) في مسألة الضرب والكسوة والكلام حيث قال وبالجملة لم يدل دليل قوي على نفي سماع الموتى وادراكه وفهمه وتأمله لا من الكتاب ولا من السّنّة بل السنن الصّحيحة الصريحة دالة على ثبوتها له والحق في هذا المقام أنّ هذا كله من تقريرات المشائخ وتوجيهاتهم وتكلفاتهم ولا عبرة بها حين مخالفتها للأحاديث الصّحيحة وآثار الصّحابة الصريحة واما ائمتنا فهم بريئون عن انكار هذه الامور ثم ذكر جوابا عن مسألة اليمين بأن مبنى الأيمان على العرف.

وايضاً ذكر العلامة ابن حجر رحمة الله عليه في كتابه قوله يقول حين تبوّؤا مقاعدهم من النّار القائل يقول هو عروة يريد أن يبين مراد عائشة رضي الله تعالى عنها فاشار إلى أن اطلاق النفي في قوله تعالى (**فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * الررم: ٥٢) مقيد باستقرارهم في النّار وعلى هذا فلا معارضة بين انكار عائشة رضي الله تعالى

عنها واثبات ابن عمر رضي الله عنهما كما تقدم توضيحه في الجنائز لكن الرّواية التي بعد هذه تدل على أنّ عائشة رضي الله تعالى عنها تنكر ذلك مطلقاً لقولها إنّ الحديث انما هو بلفظ (**انهم ليعلمون**) وإنّ ابن عمر[١] رضي الله تعالى عنهما وهم في قوله (**ليسمعون**) قال البيهقي العلم لا يمنع من السّماع والجواب عن الآية الكريمة أنّه لا يسمعهم وهم مؤتى ولكن الله احياهم حتّى سمعوا كما قال قتادة[٢] رضي الله تعالى عنه ولم ينفرد عمر رضي الله تعالى عنه ولا أنّه بحكاية ذلك بل وافقهما ابو طلحة رضي الله تعالى عنه كما تقدم وللطبراني رحمة الله عليه من حديث ابن مسعود[٣] رضي الله تعالى عنه مثله بإسناد صحيح ومن حديث عبد الله بن سيّدان مثله وفيه قالوا يا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم هل يسمعون؟ قال (**يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون**) وفي حديث ابن مسعو رضي الله تعالى عنه (**ولكنهم اليوم لا يجيبون**).

ومن الغريب أنّ في (المغازي) لابن اسحاق[٤] رواية يونس بن بكير رحمة الله عليه بإسناد جيد عن عائشة رضي الله تعالى عنها مثل حديث أبي طلحة رضي الله تعالى عنه وفيه (**ما أنتم باسمع لما اقول منهم**) واخرجه أحمد رحمة الله عليه بإسناد حسن فإن كان محفوظا فكأنها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصّحابة لكونها لم تشهد القصة. قال الاسماعيلي كان عند عائشة رضي الله تعالى عنها من الفهم والذكاء وكثرة الرّواية والغوص على غوامض العلم ما لا يزيد عليه لكن لا سبيل إلى ردّ دراية الثقة إلاّ بنص مثله يدل على نسخه او تخصيصه او استحالته فكيف والجمع بين الّذي أنكرته عائشة رضي الله تعالى عنها واثبته غيرها

(١) عبد الله بن عمر توفي سنة ٧٣ هـ. [٦٩٢ م.] في مكّة المكرّمة

(٢) ابوقتاده توفي سنة ٤٥ هـ. [٦٦٥ م.] في المدينة المنوّرة

(٣) عبد الله ابن مسعود توفي سنة ٣٢ هـ. [٦٥٢ م.] في المدينة المنوّرة

(٤) محمّد بن اسحاق توفي سنة ١٥١ هـ. [٧٦٨ م.] في بغداد

ممكن لأنّ قوله تعالى (**فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * الروم: ٥٢) لا ينافي قوله عليه الصّلاة والسّلام (**انهم الأن يسمعون**) لأن الإسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع في اذن السامع فالله تعالى هو الّذي اسمعهم بأن ابلغهم صوت نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بذلك واما جوابها بأنّه انما قال (**انهم ليعملون**) فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية (**يسمعون**) بل يؤيده.

قال السهيلى[١] ما محصله أنّ في نفس الخبر ما يدلّ على خرق العادة بذلك للنّبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم لقول الصّحابة رضي الله تعالى عنهم أتخاطب قوما قد اجيفوا فاجابهم قال وإذا جاز أن يكونوا عالمين في هذه الحالة جاز أن يكونوا سامعين وذلك اما بآذان رؤسهم على قول الاكثر او بآذان قلوبهم. ثم قال بعد سطور: اختلف اهل التأويل في المراد بـــ(**الموتى**) في قوله تعالى (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * النمل: ٨٠) وكذلك المراد بـــ(**من في القبور**) فحملته عائشة رضي الله تعالى عنها على الحقيقة وجعلته اصلاً احتاجت معه إلى تأويل قوله (**ما انتم بأسمع لما اقول منهم**) وهذا قول الاكثر وقيل هو مجاز والمراد بـــ(**الموتى**) وبـــ(**من في القبور**) الكفّار شبهوا بالموتى وهم أحياء والمعنى منهم في حال الموتى او في حال من سكن القبر وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفته عائشة رضي الله تعالى عنها والله اعلم (فتح الباري ج: ٧، ص: ٢١٥).

والحاصل أنّه وجدت احتمالات كثيرة في الاستدلال بالنص وإذا جاء الاحتمال بطل استدلال المنكرين سيّما إذا جعل مدار الشّرك فإنّه لا بدّ فيه من دليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة ولا يثبت الكفر بالكلام المحتمل على زعمهم.

وايضاً علم أنّ السّماع بالاذن ايضاً قول بعض العلماء وهذا يكفي للرد على المنكر الزائغ.

وايضاً قال المحدث الكشميري رحمة الله عليه في (فيض الباري ج: ٢، ص:

---

(١) عبد الرّحمن السهيلي توفي سنة ٥٨١ هـــ. [١١٨٥ م.]

٤٦) إنّ المحقق عندي أن لا تعطل في القبور بل فيها قراءة القرآن والصّلاة والاذان وغيرها من العبادات وليراجع إلى (شرح الصّدور) للسيوطي رحمة الله عليه والأفعال الأخر ايضاً ثابتة عند اهل الكشف وهم ادرى به فلا ننكره ما لم يرد الشّرع بانكاره صراحة والوجه عندي أنّ الاحوال في القبور مختلفة حسب اختلافهم في الدّنيا فكما أنّ عمل واحد لا يوازي عمل آخر في الحياة فعلم من قول المحدث الكشميري ثبوت الاذان والصّلاة والقراءة في القبر وعلم أنّ قول العلامة السّيوطي رحمة الله عليه في (شرح الصّدور) يصح أن يتمسّك فهل يتمسّك عالم محدث محقق محتاط بالاكاذيب.

وعلم أنّ قول اهل الكشف حجّة إذا لم يرد الشرع بانكاره، بل قال المحدث الكشميري رحمة الله عليه في (فيض الباري ص: ٤٦٧-٤٦٨) والأحاديث في سماع الموتى قد بلغت مبلغ التواتر وفي حديث صحّحه ابوعمرو إنّ احداً إذا سلّم على الميّت فإنّه يرد عليه ويعرفه إن كان يعرفه في الدّنيا. واخرج ابن الكثير ايضاً فالانكار في غير محله سيّما إذا لم ينقل عن احد من أئمتنا رحمهم الله تعالى فلا بدّ بالتزام السّماع في الجملة واما الشّيخ ابن الهمام رحمة الله عليه فقد جعل النفي هو الاصل وفي كل موضع ثبت فيه السّماع جعله مستثنى ومقتصرا على المورد، قلت اذًا ما الفائدة في عنوان النفي وما الفرق بين نفي السّماع ثم اثباته والاثبات في مواضع كثيرة وادعاء التخصيص وبين اثبات السّماع في الجملة مع الاقرار بانّا لا ندري ضوابط سماعهم فإنّ الأحياء إذا لم يسمعوا في بعض المواضع فمن ادعى الطرد في الاموات ولذا قلت بالسماع في الجملة.

قال عليّ القاري في رسالة غير مطبوعة إنّ احداً من ائمتنا لم يذهب إلى انكارها وانما استنبطوها من مسألة باب الأيمان وهي حلف رجل أن لا يكلم فلاناً فكلمه بعد موته ودفنه لا يحنث. قال عليّ القاري، ولا دليل فيه على ما قالوا فإنّ مبنى الأيمان على العرف وهم لا يسمونه كلاماً واجاب عن الآيات التي تدل على النفي بظاهرها مطلقاً جلال الدّين السّيوطي رحمة الله عليه **شعر**:

سماع موتى كلام الخلق قاطبة * قد صح فيها لنا الآثار والكتب
وآية النفي معناها سماع هدى * لا يسمعون ولا يصغون للادب

فعلم من هذا التفصيل أنّ انتساب انكار سماع الموتى إلى الاحناف ليس بصحيح وهذا المقصد وإن كان للرد على انكار التوسّل إلاّ أنّه ذكر فيه هذا تبعا وطردا.

وايضاً توسّل العلامة الشامي في (خطبته ص: ٣) متوسّلاً اليه بنبيّه المكرّم صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبأهل طاعته من كل مقام على معظم وبقدوتنا الامام الاعظم أن يسهل ذلك عليّ من انعامه ويعينني على اكماله واتمامه الخ.

وقال العلامة التفتازاني في (خطبة المطول) لا زالت ملجأ لطوائف الانام وملاذا لهم من حوادث الايام وحصنا حصينا للاسلام بالنّبيّ وآله عليه وعليهم السّلام.

فعلم أنّ التوسّل بالذوات الفاضلة كان شائعا ذائعا بين العلماء الاعلام في خطباتهم فكيف يصح طرح كل ذلك بكلام صدر من ابن تيمية؟

وليكن هذا آخر ما تيسر لهذا العبد الضعيف في المقصد الرابع والآن نشرع في الخاتمة ليكون الكتاب خميسا باعتبار المقاصد وبها يستريح القلم، اللّهمَّ سهّلها عليّ بالنّبيّ المكرّم وآله المعظم وبقدوتنا الامام الاعظم، فنقول:

أمّا الخاتمة ففي بعض اللواحق والمناسبات

وفيها مباحث

البحث الأوّل في تعريف البدعة واقسامها

فاعلم أنّ البدعة ما ليس له دليل من الكتاب والسّنّة لا صراحة ولا استنباطا كما صرح به الشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه في (شرح المشكاة ص: ١١٧) في تفصيل قوله عليه الصّلاة والسّلام **(من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)** قال يعني احداث كرد چيزى كه نيست در كتاب وسنت نه صريحاً ونه مستنبط از وى ونه حكم كرد بصحت وى كتاب پس شامل شد اجماع وقياس را ومراد چيزيست كه مخالف ومغايرآن باشد.

فعلم من هذا الكلام أنّ البدعة ما لا اصل له في الدّين لا صراحة ولا اشارة والكتابة تشمل جميع الاقسام من العام والخاص والدلالة والعبارة والاقتضاء والاشارة وكذا غيرها من الاقسام. والسّنّة تشمل المتواتر والمشهور والواحد وكذا القولي والفعلي والتقريري فإنّ الكل حجّة.

والبدعة على اقسام:

منها واجب كتعليم الصرف وتعلمه وكذا النحو وحفظ غرائب الكتاب والسّنّة وغير ذلك مما يتوقف عليه أمر الدّين.

ومنها مستحب مثل بناء الرباطات والمدارس الاسلامية لتعليم الدّين.

ومنها مكروه كنقش المساجد والمصاحف عند البعض إذا كان من مال الوقف.

ومنها مباح مثل الاتساع في المآكل اللذيذة والملابس الفاخرة.

ومنها حرام مثل مذاهب اهل البدع واهل الاهواء بخلاف الكتاب والسنّة.

فعلم أنّ البدعة انواع والى هذا اشار الشّيخ الدّهلوي رحمة الله عليه في شرحه في ذيل قوله عليه الصلاة والسّلام (**كل بدعة ضلالة**) وكذا صرح العلامة الشامي بتقسيم البدعة إلى الاقسام الخمسة حيث قال في (ج ١، ص: ٣٩٣) بعد قول الشارح رحمة الله عليه ومبتدع اي صاحب بدعة وهي اعتقاد خلاف المعروف عن الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا بمعاندة بل بنوع شبهة.

قوله اي صاحب بدعة اي محرمة وإلاّ فقد تكون واجبة كنصب الادلة للرد على اهل الفرق الضالة وتعلم النحو المفهم الكتاب والسّنّة ومندوبة كإحداث نحو مدرسة ورباط وكل احسان لم يكن في الصدر الاول ومكروه كزخرفة المساجد ومباحة كالتوسع في لذيذ المآكل والمشارب والثياب كما في (شرح الجامع الصغير) للمناوي عن (تهذيب النووي) ومثله في (الطريقة المحمّديّة) للبركوي قوله (هي اعتقاده) انتهى. عزا هذا التعريف في (هامش الخزائن) إلى الحافظ ابن حجر في (شرح النخبة) ولا يخفى أنّ الاعتقاد يشمل ما كان معه عمل او لا فإنّ من تدين بعمل لا بدّ أن

يعتقده كمسح الشيعة على الرجلين وانكارهم المسح على الخفين انتهى.

فعلم من هذا التفصيل أنّ البدعة مطلقاً ليست بحرام ولا ضلالة والمراد من حديث (**كل بدعة ضلالة**) اي بدعة سيئة كما صرح به الشراح. الا ترى إلى قوله عليه الصّلاة والسّلام (**من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة**) وكذا قول عمر رضي الله تعالى عنه لما جمع الناس على امام واحد، نعمت البدعة.

البحث الثاني في أنّ بعض الامور كانت بدعة في القرون الاولى

لكن للتواني في الامور او لمصلحة اخرى يجوز فعلها، منها التثويب فإنّه روي أنّ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه دخل مسجدا فثوب فيه فقال لتلميذه اخرج بنا من مسجد هذا المبتدع ومع ذلك اجاز العلماء التثويب بناء على التواني في الامور الدّينية كما ذكر في (الهدا ية)[١] في بحث الاذان والتثويب في الفجر (**حيّ على الصّلاة، حيّ على الفلاح**) مرتين بين الاذان والأقامة حسن لانه وقت نوم وغفلة وكره في سائر الصلوات ومعناه العود إلى الإعلام وهو على حسب ما تعارفوه وهذا تثويب احدثه علماء الكوفة بعد عهد الصّحابة رضي الله تعالى عنهم لتغير احوال الناس وخصوا الفجر به لما ذكرناه. قال صاحب (النهاية) في تشريح قوله (**واستحسنوا**) لكن لم يشترطوا عين ذلك اللفظ الّذي هو (**حيّ على الصّلاة، حيّ على الفلاح**) والمتأخرون استحسنوه في الصلوات كلها لظهور التواني في الامور الدّينية. قال أبو يوسف[٢] رحمة الله عليه: لا ارى بأساً أن يقول المؤذن للامير في الصلوات كلها (السّلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته، حيّ على الصّلاة حيّ على الفلاح يرحمك الله) واستبعده محمّد رحمه الله تعالى لأن الناس سواسية في أمر الجماعة وابويوسف خصهم بذلك لزيادة اشتغالهم بامور المسلمين كيلا يفوتهم الجماعة وعلى هذا المفتي والقاضي (الهداية ص: ٧٢) قال في (النهاية) قلت: على

(١) مؤلف الهداية برهان الدّين علي المرغيناني الحنفي توفي سنة ٥٩٣ هـ. [١١٩٨ م.]

(٢) أبو يوسف يعقوب توفي سنة ١١٣ هـ. [٧٣١ م.] في بغداد

هذا التقرير كان استحسان المتأخرين إحداثا بعد إحداث لأن التثويب الاصلي كان (**الصّلاة خير من النوم**) لا غير في اذان الفجر خاصة واحدث علماء الكوفة (**حيّ على الصّلاة، حيّ على الفلاح**) في صلاة الفجر مع ابقاء الاول وأحدث المتأخرون التثويب بين الاذان والاقامة على ما تعارفوه في جميع الصلوات مع ابقاء الاول.

فعلم من كلام (الهداية) و(النهاية) أنّ التثويب كانت بدعة ومع ذلك مستحسن ومزيد تفصيل التثويب في الرسالة المسماة بـــ(العجيب في مسألة التثويب) لمولانا عبد الحيّ نور الله مرقده.

ومن ذلك الشروع في الصلاة بـــ(الله اعظم) و(الله اجل) وامثال ذلك مما يدل على التعظيم ولا يشوب بالدعاء مع أنّ في الحديث (تكبيرها التحريم وتحليلها التسليم) والتكبير معناه الله اكبر لا الله اجل وامثاله. قال في (الهداية): وإن قال بدل التكبير (الله اجل واعظم) (الرّحمن اكبر) (لا اله إلاّ الله) او غيره اجزأه (ج: ١، ص: ٨٤) وفي الرّوايات كان النّبيّ صلى الله تعالى عليه وسلّم إذا اراد الصّلاة كبّر.

فانظر ايها المنصف فإنّ (الله اجل) وامثاله لم يرد في حديث قولي ولا فعلي.

ومن ذلك التلفظ بالنية في الصّلاة فإنّه مستحسن ومع ذلك ما نقل عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ولا من الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولا التابعين كما صرح به في (الدر المختار ص: ٥٢) والتلفظ عند الارادة بها مستحب وهو المختار ويكون بلفظ الماضي ولو فارسيا لانه الاغلب في الانشاءات وتصح بالحال (قهستاني) وقيل سنة يعني احبه السلف وسنة علمائنا إذ لم ينقل عن المصطفى صلّى الله تعالى عليه ولا عن الصّحابة ولا التابعين بل قيل بدعة. فعلم من الكلام المذكور أنّ التلفظ ما كان في القرون المشهود لها بالخير ومع ذلك سمي سنة.

[كلام المجدّد اصح: قال المجدد للالف الثاني في المكتوب السادس والثمانين والمائة في المجلد الاول: قال عليه الصّلاة والسّلام: (**كل بدعة ضلالة**) يقول هذا الفقير في نية الصّلاة: النطق باللسان مع ارادة قلبه بدعة سيئة رافعة للفرض فضلاً عن السنّة].

ومنها رفع الرأس وخفضه في الذكر بان يرفع رأسه عند النفي ويخفضه عند الاثبات فإنّه ذكر في الطريقة المحمّديّة أنّ هذه ليست ببدعة بل له سند وهي رفع المسبحة عند النفي ووضعها عند الاثبات حيث قال واما تحريك الرأس فقط (من دون تحريك البدن) يمنة ويسرة تحقيقا لمعنى النفي والاثبات في (لا اله إلاّ الله) فالظن الغالب جوازه بل استحبابه إذا كان مع النية الصّالحة لوجه الله من غير قصد رياء فيخرج عن حد اللعب والعبث فيكون فعلاً دالا على التوحيد مقارنا للقول الدّال عليه فتكون كلمتين واصله رفع المسبحة في الصّلاة في التشهد عند (اشهد أن لا اله إلاّ الله) وقد ورد في الصحاح عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع أنّ الصلاة موضع سكون ووقار (ج: ٢، ص: ٢٦٨)

فانظر إلى العلماء المحتاطين، كيف بينوا لتحريك الرأس عند الذكر مأخذاً وسندا وما حكم بابتداعه بل قال باستحبابه وامثال ذلك كثيرة في الكتب كما لا يخفى على من له ممارسة بالعلوم الدّينية.

البحث الثالث في الدعاء

وهذا بحث اهم لانه قد كثر الشغب فيه وجرت مناظرة ووقعت على الفئة المنكرة فضيحة ولم يأتوا هنالك بدليل شاف من كتب الاحناف وذلك في بلدة هوسئ من مضافات (المردان) بدعوة مولانا واولانا المحب في الله والمبغض في الله ميان گل المخلص في خدمة الدّين والعبد الضعيف ايضاً حضر فى تلك الواقعة وكانت عليهم داهية دهياء ورأى العبد الضعيف فضيحتهم فلا بدّ أن اذكر من هذا البحث نبذا بعبارة وجيزة وإن حرر العلماء فيه رسائل:

منها رسالة مولانا المعروف كالشمس في نصف النهار مولانا الحاج شائسته گل المتوي المسماة بالحجة المنقولة في احكام الادعية المعمولة وقد انطبعت.

ومنها رسالة اخي ومشفقي مولانا محب الله التنبولكي المدرس في المردان وهي لم تطبع الآن إلاّ اني رأيتها ففيها تحقيق انيق، يشفي العليل ويروي الغليل إلاّ أنّ ما لا

يدرك كله لا يترك كله.

فاعلم أنّ الدعاء طلب الادنى من الاعلى بالخضوع وهذا هو المراد بقولهم الدعاء حاجت خواستن ولذا قال الفقهاء إنّ (**اللّهمَّ انت السّلام**) كما هو وارد في الأحاديث ليس بدعاء بل ذكر كما قال العلامة الطحطاوي في (شرح المراقي ص: ١٧١) قوله والدعاء هذا لا ينافي الاتيان بـــ(**اللّهمَّ انت السّلام**) انتهى. لأنّه ليس بدعاء بل ثناء إلاّ أن يراد بالدعاء ما يعم الذكر او هو بالنظر إلى قوله (**فحيّنا**) انتهى. دعاء على ما فيه فعلم من هذا الكلام أنّ (**انت السّلام**) كما هو المأثور في الرّوايات ليس بدعاء. وما ذكر في بعض حواشي كتب الحديث على ما اراني بعض الفضلاء والكهلاء بأن (**اللّهمَّ**) دعاء فجوابه أنّ المراد بالدعاء النداء ولا شكّ أنّ (**اللّهمَّ**) منادى بحذف حرف النداء، معناه يا الله لا أنّ الدعاء بمعنى حاجت خواستن كما ورد في القرآن (**لاَ يَسْمَعُ الاَّ دُعَآءً ونِدَآءً** * البقرة: ١٧١)

وما ذكر من كون (**اللّهمَّ انت السّلام**) ذكرا لا دعاء كثير في كتب الفقه كما لا يخفى على من مارسها إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الدعاء مخ العبادة ولذا قال تعالى (**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** * المؤمن: ٦٠) وهذا هو السند على كون الدعاء عبادة وهذا النص مطلق من أن يكون بعد الصّلاة او لا وأن يكون بالانفراد او الاجتماع فإنّ المطلق يجري على اطلاقه في الصفات ويراد منه الفرق الكامل في الذوات فحصل التوفيق بين الاصلين.

وقال تعالى (**وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَاِنّي قَرِيبٌ اُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ولْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** * البقرة: ١٨٦) وهذا ايضاً مطلق يجري على اطلاقه. وقال تعالى (**قُلْ مَا يَعْبُؤا بِكُمْ رَبّي لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ** * الفرقان: ٧٧) إلى غير ذلك من النصوص وعلم من هذا مشروعية نفس الدعاء.

واما الدعاء بعد الفراغ من العمل الصّالح فهي قاعدة متقررة في الشّرع ولذا

ذكر العلماء أنّ الدعاء بعد الفراغ من العبادة قاعدة شرعية. الا ترى إلى ابراهيم واسماعيل على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام لَمَّا فرغا من بناء الكعبة دعا حيث قالا (**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** * البقرة: ١٢٧) كما هو المذكور في القرآن العظيم.

وكذا ورد في الرّوايات: الدعاء بعد تمام الصوم (**اللّهمَّ اني لك صمت وبك آمنت وعلى رزقك افطرت فاغفر لي**)

وكذا بعد الفراغ من الحج واركانه ادعية مأثورة بعد الفراغ من كل ركن مثل (**اللّهمَّ اجعل حجا مبرورا وسعيا مشكررا وذنبا مغفورا**) وغير ذلك من الادعية المأثورة في كتاب المناسك على ما ذكره المحدثون والفقهاء باتم تفصيل وعلم من الادلة المذكورة إنّ الدعاء بعد العبادات قاعدة متقررة في الشّرع ونجعلها كبرى ونضم معها الصغرى سهلة الحصول: الصّلاة عبادة، وكل عبادة فالدعاء بعدها مستحب، ينتج بعد اسقاط الاوسط: الصّلاة فالدعاء بعدها مستحب. اما الصغرى فظاهرة لأن الصّلاة اهم العبادات واربح البضاعات واما الكبرى فلأنّها من الاصول الموضوعة المسلمة عند الفقهاء المستنبطة من النصوص على أنّه ورد الامر بالدعاء بعد الصّلاة على طريق الخصوص. قال الله تعالى (**فَإذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ** * الانشراح: ٧) قال الآلوسي البغدادي (ج: ٣٠، ص: ١٧٢) وغيره من المفسّرين اي إذا فرغت من الصّلاة فاتعب في الدعاء. روي هذا التفسير عن قتادة وضحاك وغيرها وكذا ذكر الامام البخاري رحمة الله عليه (باب الدعاء بعد الصّلاة) (ج: ٢، ص: ٩٣٧).

فعلم من قوله تعالى وقول الامام البخاري رحمة الله عليه المستند إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إنّ بعد الصّلاة دعاء والظاهر إنّ الدعاء ليس بين السّنّة والفرض لأن الفصل بين السّنّة والفرض بما زاد على (**اللّهمَّ انت السّلام**) مكروه قال العلامة الشامي في (ج: ١، ص: ٤٧٧) وكذا لو فصل بقراءة الاوراد لأن السنّة، الفصل بمقدار (**اللّهمَّ انت السّلام**) حتّى لو زاد تقع السّنّة لا في محلها المسنون.

قال في (المراقي ص: ١٧٠) كل صلاة بعدها سنة يكره القعود بعدها والدعاء بل يشتغل بالسنّة كيلا يفصل بين السّنّة والمكتوبة.

فعلم من هذا أنّ الدعاء بين الفرض والسّنّة مكروه فإذا لم يدع المصلي بينهما فلا بدّ أن يدعو بعد الفراغ من السّنّة لورود الامر به في القرآن ولاتخاذ الامام البخاري بابا عنوانه: (باب الدحاء بعد الصلاة). وقد ذكر الطحاوي أنّ هذا لا ينافي الاتيان بـــ(**اللّهمَّ انت السّلام**) لانه ليس بدعاء بل ثناء كما ذكر سابقاً فثبت المدعي بأحسن ترتيب وهو الدعاء بعد السنن وإن قلت إنّه لا يثبت منه الدعاء بالهيئة الاجتماعية والبحث فيها قلت قد علمت إنّ الدعاء عبادة والعبادة بالهيئة الاجتماعية افضل فالدعاء بالهيئة الاجتماعية افضل ما لم يمنع مانع فلا يرد النفل بالتداعي اما الصغرى فظاهرة من قوله تعالى (**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِ** * المؤمن: ٦٠) ومن قوله عليه الصّلاة والسّلام (**الدعاء مخ العبادة**) واما الكبرى فإنّ الصّلاة بالجماعة افضل كما في الحديث، أنّه خس وعشرون درجة وايضاً ذكر الامام مسلم (باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) (ج: ٢، ص: ٤٥) النووى وفي الدعاء ذكر الله تعالى.

وايضاً روي أنّه كان للحسن البصري[١] رحمة الله عليه جار يحتطب على ظهره فكان إذا سلم الامام خرج سريعاً فقال له الحسن يوماً يا هذا لِمَ لم تجلس ساعة؟ إن لم تكن لك حاجة في الآخزة أفلا حاجة لك في الدّنيا قف بعد الصّلاة وادع الله واسأله حمولة لا تحمل على ظهرك (شرح شرعة الاسلام ص: ١١٢)[٢]

وايضاً قال القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** * الفاتحة: ٥) ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم لعلّها تجاب ببركتها فعلم أنّ للاجتماع دخلا في الاجابة فمن كان محتاجا إلى الاجابة فليدع ربه بالاجتماع ومن لا، فلا يدع مطلقاً لا بالاجتماع ولا بالانفراد.

---

(١) حسن البصري توفي سنة ١١٠ هـــ. [٧٦٧ م.]

(٢) مؤلف شرعة الاسلام الامام زاده محمّد توفي سنة ٥٧٣ هـــ. [١١٧٨ م.] في بخارى

وايضاً ذكر في (نور الايضاح) وشرحه (مراقي الفلاح ص: ١٧١) ويستحب أن يشتغل بعده اي بعد التطوع وعقب الفرض إن لم يكن بعده نافلة يستقبل الناس إن شاء إن لم يكن في مقابلة مصل إلى أن قال ويستغفرون الله العظيم. فعلم من هذا مشروعيته بالهيئة المعمولة ثم الدعاء لها آداب: رفع الايدي عند الدعاء ولذا ذكر الامام البخاري باب رفع الايدي في الدعاء (ج: ٢، ص: ٩٣٨).

وايضاً ذكر في (نور الايضاح) ثم يدعون لانفسهم وللمسلمين رافعي ايديهم وذكر الشارح في تلك الصفحة في اثباته قوله عليه الصّلاة والسّلام (**إذا دعوت الله فادع بباطن كفيك ولا تدع بظهورهما فإذا فرغت فامسح بهما وجهك**) انتهى (ص: ١٧٣).

ومنها تقديم الحمد والصّلاة على الدعاء قال في (الحصن الحصين) في بيان آداب الدعاء (ص: ٢٢) وتقديم عمل صالح قال في (الحرز الثمين) اي قبل الدعاء ليكون سببا لقبوله كما في حديث أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في صلاة التوبة والصّلاة والثناء على الله اولا وآخرا والصّلاة على النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كذلك قال في (الحرز الثمين) قال فضالة بن عبيد سمع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم، عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره (إذا صلّى احدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء ثم يصلّي على النّبيّ يسلّم ثم يدعو بما شاء)

ومنها التوسّل إلى الله تعالى بعباد الله الصّالحين وقد ذكرنا بالاستيفاء.

ومن آداب الدعاء تكرار الدعاء لأن الامام البخاري ذكر باب تكرار الدعاء (ج: ٢، ص: ٩٤٥) وفي (الحصن الحصين) وأن يكرر الدعاء واقله التثليث.

قال في (كَنْز العباد)[١] ويلحّ في الدعاء لقوله علية الصلاة السّلام (**ان الله يحب الملحين في الدعاء**) وادنى الالحاح أن يكرره ثلاثا والاوسط خمسا والاكمل سبعاً (ص: ٢٤) وفيه أنّ دعاء القائم في القبور افضل.

---

(١) مؤلف كنز العباد الفاريسي علي بن أحمد الغوري

وذكر الامام مسلم (ج: ١، ص: ٣١٣) في واقعة بقيع الغرقد أنّه عليه الصلاة والسّلام رفع يديه ثلاثاً. قال الامام النووي رحمة الله عليه: فيه استحباب اطالة الدعاء وتكرر رفع اليدين.

وايضاً ذكر الامام حجّة الاسلام الغزالي في كتابه المعروف قال مجاهد إنّ الصّلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصّلاة (احياء العلوم ج: ١، ص: ٢١٠)

وايضاً ذكر واقعة حبيب العجمي حيث كان حبيب العجمي[١] يدعو ما يزيد على قوله اللّهمَّ اجعلنا جيدين، اللّهمَّ لا تفضحنا يوم القيامة اللّهمَّ وفّقنا للخير والناس يدعون في كل ناحية وراءه كان يتعرف بركة دعائه (احياء العلوم: ج: ١، ص: ٢١١)

قال ابوسليمان الداراني من اراد إن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصّلاة ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصّلاة فإنّ الله تعالى يقبل الصّلاتين وهو أكرم من الله أن يدعو بينهما (ج: ٢، ص: ٢١٢) فعلم من هذه العبادات نفس الدعاء وبعد الصّلاة والتكرار وتقديم الحمد والصّلاة والختم بها والدعاء بالاجتماع وهذا تحليل الدعاء المتعارفة.

وايضاً قال صاحب (البحر) لكن السّنّة عندنا مقدمة على الدعاء الّذي هو عقب الفراغ (ج: ١، ص: ٣٠٤)

وفي (شرح شرعة الاسلام) ويغتنم الدعاء بعد الفرض وقبل السّنّة على ما روي عن البقالي وبعد السنن والاوراد على ما روي عن غيره وهو المعمول المشهور في زماننا فعلم من لفظ (عندنا) أنّ هذا مذهب الاحناف وصاحب (البحر) اعرف بمذهب امامه وذلك في (ص: ١١٥) ويدعو الامام للقوم بالخير بعد الصّلاة اي يدعو قراءة الاوراد والاذكار المأثورة على ما هو المتعارف بين الأئمة رحمهم الله تعالى إلى

---

(١) حبيب العجمي تلميذ حسن البصري توفي سنة ١٢٠ هـ. [٧٣٩ م.]

أن قال وفي (قنية الفتاوى)[١] واذا كانت صلاة ليس بعدها سنة يستقبل القوم بوجهه هذا هو السّنّة إذا لم يكن بحذائه رجل مسبوق يصلّي واما إذا كان فلا يستقبل.

وايضاً ذكر في (شرح شرعة الاسلام ص: ١١٦) وذكر الامام أبو الليث في (شرح المقدمة) نقلا عن أبي حنيفة رحمة الله عليه من أنّه إذا دعا الامام بعد الصّلاة حول وجهه إلى الجماعة انتهى. وهذا ايضاً ظاهر في الدعاء المتعارفة كما لا يخفى على ذي لبّ.

وايضاً روي عن أبي مالك الاشجعي عن ابيه كان رجل إذا سلم علمه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم الصّلاة ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات (**اللّهمَّ اغفر لي وارحمني واهدني وعافني**) رواه مسلم (المشكاة ص: ٢١٠).

وروي عن مسلم بن أبي بكرة قال كان أبي يقولهنّ في دبر الصّلاة (**اللّهمَّ اني اعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر**) فكنت اقولهنّ فقال: اي بنيّ! عمن اخذته قلت: عنك فقال إنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان يقولهنّ في دبر الصلاة رواه الترمذي (المشكاة ص: ٢١٠)

فانظر إلى اهتمام النّبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالدعاء بعدا الصلاة حيث يعلّم المشرّف بالاسلام الصّلاة ثم الدعاء وكان فعله عليه الصلاة والسّلام ايضاً كذا وهو معنى قوله تعالى (**فَإذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ** * الانشراح: ٧) وذكر مسألة الدعاء في (شرح شرعة الاسلام) في موضع آخر ورجّح الاجتماع.

وذكر في (الهداية ج: ١، ص: ١٥٦) والسنّة في الادعية تأخيرها عن الصّلاة والبداية بالثناء ثم بالصّلاة سنة الدعاء (الهداية ج: ١، ص: ١٦٠) وذكر في موضع آخر لأنّ الثناء والصلاة يقدمان على الدعاء كما في غيره من الأدعية تقريبا إلى الاجابة والرفع سنة الدعاء (الهداية ج: ١، ص: ٢٢٤) وذكر في موضع آخر والجمع أرجى في الإجابة (الهداية ج: ١، ص: ١٢٤)

---

(١) مؤلف قنية الفتاوى المختار الزاهدي الحنفي توفي سنة ٦٥٨ هـــ. [١٢٥٩ م.]

وذكر في (الهداية) أنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان مادا يديه كالمستطعم المسكين (ج: ١، ص: ٢٢٤) فعلم من هذه العبارات ايضاً تقديم الحمد والصّلاة ورفع اليدين وفضيلة الاجتماع ورجاء الإجابة فضلاً عن أن تكون بدعة قبيحة.

وايضاً ذكر العلامة محمّد انور شاه الكشميري نور الله مرقده في (فيض الباري شرح البخاري) الدعاء بالهيئة الكذائية ليست ببدعة بمعنى أنّه لا اصل له في الدّين. فمن كان محتاجا فليدع بالاجتماع ومن لا فلا.

وايضاً ذكر العلامة الشامي ويكره تأخير السّنّة الاّ بقدر (**اللّهمَّ انت السّلام**) واما ما ورد من الأحاديث في الاذكار عقب الصلاة فلا دلالة فيه على الإتيان بها قبل السّنّة بل يحمل على الاتيان بها بعدها لأنّ السنة من لواحق الفرض وتوابعه ومكمّلاته فلم تكن اجنبية (شامي ج: ١، ص: ٤٩٤) فعلم من كلامه أنّ السنن من المكمّلات والفصل بين المكمل -بصيغة اسم المفعول- والمكمل -بصيغة اسم الفاعل- غير مشروع.

وايضاً ذكر في (المشكاة) كان عليه الصّلاة والسّلام يقول في دبر صلاة الفجر دعاء (ص: ٢١٢)

وايضاً روي عن الحارث بن مسلم التميمي عن أبيه أنّه عليه الصلاة والسلام امر اليه فقال: (**إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل قبل أن تكلّم احداً اللّهمَّ اجرني من النار سبع مرات وإذا صليت الصبح فقل كذلك**)

وايضاً روي عن امام المسلمين ابي حنيفة رحمة الله عليه وإنّه قال اذا دعا الامام بعد الفراغ من الصلاة حول وجهه إلى الجماعة (فتاوى الفقيه أبي الليث ص: ١٣).

واما عدم ثبوت الدعاء بعد السنن من النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالهيئة المتعارفة مع القوم فلان أكثر عادتهم المباركة كانت اداء السنن في البيت كما في حديث (**افضل صلاة المرء في بيته إلاّ المكتوبة**).

والعبد الضعيف بعد ما كتب شيئاً في مسألة الدعاء بحسب توفيقه وصل إليّ كتاب (كشف الشبهات لمحمّد بن عبد الوهاب النجدي) وضم الشّيخ معه مسألة الدعاء بعد السنن فلا بدّ أن اذكر لك شيئاً ضميما على ذلك الكتاب لمناسبة بحث الدعاء. فنقول ذكرنا سابقاً تعريف البدعة بأنّها ما لا دليل عليها اصلاً لا قولاً ولا فعلاً ولا تقريرا لا من الكتاب بانواعه ولا من الحديث باقسامه ولا دليل آخر. بل ذكر في (الدر المختار ص: ٣٣٧) و(ردّ المحتار) و(شرح النخبة)[١] (ص: ٥٢) هي اعتقاد خلاف المعروف عن الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا بمعاندة بل بنوع شبهة. فاطلاق البدعة على الدعاء ممنوع سيّما البدعة القبيحة والذكر بالاجتماع ليست ببدعة كما في الحديث القدسي (**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه**).

وذكر الامام مسلم (باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر) وما ذكرت من انكار عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فنقول قد ذكرنا أنّه أنكر على التثويب أيضا ومع ذلك استحسنه المتأخرون كما نقلنا عن (الهداية).

واما الانكار على الاجتماع لصلاة الضحى لأن صلاة الضحى نافلة والتنفل على سبيل التداعي مكروه كما صرح به الفقهاء فكيف يقاس عليها الدعاء والحال أنّ الاجتماع في الدعاء ارجى في الإجابة كما في (الهداية)

وايضاً ذكر في (عين العلم: ص: ٦٨) ومنها الدعاء والدعاء مخّ العبادة وحقه أن يترصد شرائف الاوقات إلى أن قال والكون في جماعة تبلغ مائة والوقوف بعرفات والملتزم وزيارة قبره عليه الصّلاة والسّلام. فعلم من كلام (الهداية) أنّ الجمع ارجى في الاجابة وكذا من كلام (عين العلم): إنّ الجماعة إذا كانت مائة فالدعاء فيها في شرائف الاوقات لا أن تكون بدعة قبيحة.

وما قال إنّ التقرب إلى الله تعالى لا يكون الا بما شرع على الوصف الّذي شرع

(١) مؤلف النخبة أحمد ابن حجر العسقلاني الشّافعي توفي سنة ٨٥٢ هـــ. [١٤٤٨ م.]

فالجواب عنه من قبيل القول بالموجب بأن الدعاء مشروع بنفسه وبوصف الجماعة بل الدعاء بالجماعة ارجى في القبول كما علم من (الهداية) و(عين العلم) وكون الدعاء بعد الصّلاة ايضاً وصف مشروع الدعاء على ما هو مقتضى الدلائل.

وما قال نقلا عن ابن رجب[١]: قد يكون اصل العمل مشروع فيدخل فيه ما يفسده. فنقول العبارة الصّحيحة مشروعا لأن خبر كان من المنصوبات على أنّ نفس الدعاء لما كانت مشروعة كما هو المسلم عند المنكرين وكونه بعد الصّلاة بهيئة الاجتماع ليس وصفاً مفسدا للدعاء بل مكمل فلا تقوم حجّة علينا كما لا يخفى.

وما قال إنّ الغلوّ الابتداع.

نقول لما لم يكن نفس الدعاء بدعة وكونه بعد الصّلاة وبهيئة الاجتماع مكمل له فكيف تكون بدعة داخلة في الغلوّ؟

وما قال فالدعاء عبادة مثل العبادات الأخر لكن بشرط أن تكون على الطريقة المنقولة من الشارع عليه السّلام.

فنقول الطريقة المحمودة من الشارع لا تختص بالحديث الفعلي فإنّ الحديث القولي ايضاً حجّة وقد ذكرنا في الدعاء أحاديث قولية منها ما روي (**إن صلاتكم جعلت في خير ساعاتكم فإذا صليتم فادعو خلف صلاتكم**) وهذا الخطاب انما هو للجمع ولله در العلامة الكشميري رحمة الله عليه حيث قال في (فيض الباري): إنّ الدعاء ليس ببدعة بمعنى أنّه لا اصل له في الدّين. فعلم أنّ له بالهيئة الكذائية اصلاً في الدّين فلا تكون بدعة والقياس على الاذان لصلاة العيدين قياس مع الفارق لأن الاذان من خصوصيات الفرائض الخمسة بخلاف استحباب الدعاء فإنّه لا يختص بالفرائض ولا بالنوافل ولا بالاجتماع ولا بالانفراد فالقياس فاسد والدليل كاسد، سيّما إذا دلت الدلائل على استحباب الدعاء بعد الصّلاة بهيئة الاجتماع وكون هيئة الاجتماع ارجى في الاجابة:

---

(١) زين الدّين عبد الرّحمن بن أحمد الشهير بابن رجب الحنبلي المتوفى بدمشق سنة ٧٩٥ هـــ. [١٣٩٣ م.]

والحاصل أنّ الدعاء بعد الصّلاة بهيئة الاجتماع المعمولة لنا مشروع بوجوه:

اما اولا فلأن الدعاء بعد الصّلاة بهيئة الاجتماع ليست زيادة حتّى ترفع الاصل فإنّ الدلائل دالة عليها.

واما ثانياً فلأن الهيئة الكذائية في الدعاء ليست زيادة حتّى تبطل الاصل والقياس على الركعة الخامسة ظاهر الفساد. والزيادة على التثليث في الوضوء ورد فيها وعيد. قال عليه الصّلاة والسّلام (**فمن زاد او نقص فقد تعدّى وظلم**) ولا وعيد في الدعاء بعد الصّلاة فظهر الفرق.

واما ثالثاً فلأن هذه الهيئة ليست ببدعة بمعنى ما لا اصل له في الدّين فلا تدخل في الابتداع والاختراع وحكم العلامة الشامي على الاختراع عند عدم الدليل لا مطلقا واما رابعا فلأن الدليل لا ينحصر في الفعلي والا لتعطل كثير من الاحكام الشّرعية.

واما خامس فلأن مشروعية الدعاء بالهيئة الكذائية لما كانت ثابتة بالدلائل القولية كان تشريعا من الشارع فلا تدخل فيما لم يأذن به الله تعالى.

واما سادسا فلأنه لا حرج في الدوام على الامر المندوب المستحسن ألا ترى إلى مداومة المحقق البغدادي على تلاوة (سورة الملك) كل ليلة حيث حمد الله بذلك مع أنّ تلاوة (سورة الملك) من المستحسنات لا من الواجبات وكذا اهتمام بلال رضي الله تعالى عنه لتحية الوضوء واهتمام الصلحاء القيام للتهجد وغير ذلك من المستحبات وقد ورد في الحديث (**خير العمل ما ديم عليه**) نعم فرق المراتب ضروري بأن نرى الفرض فرضاً والواجب واجبا والمستحب مستحبا وهكذا وهذا معنى قول القائل مصرع:

گر فرق مراتب نكنى زنديقى

واما سابعا فلأنّ هذه الطريقة لما كانت موافقة للدلائل كان التعبد من الشارع والملام على من انكر الاستحباب والانكار عن استحباب الامر المستحب سبب الملام كما لا يخفى على اصحاب الدراية.

واما ثامنا فلأنّ اعتقاد الاستحباب بدلائل شرعية من النصوص المطلقة التي تجري على اطلاقها والمقيدة فلا يكون مكروها ونفس المداومة على المندوب مما لا حرج فيه فإنّ خير العمل ما ديم عليه ولحديث فيه (**نعم العبد فلان إلاّ أنّه ترك القيام إلى التهجد**) او كماقال.

واما تاسعا فلأنّ ردّ الصّحابة كثيرا من العبادات انما كان لاجل عدم الدليل الشّرعي عليها وههنا وجدت الدلائل فالقياس قياس مع الفارق.

واما عاشراً فلان عدم النقل فعلاً انما يدل على الكراهة إذا لم يوجد دليل آخر على جواز الفعل والاّ فيعد من الوجوه الفاسدة إذ عدم دليل لا يدل على عدم الحكم اذ الحكم لا يثبت في المسكوت كما تقرر في كتب الاصول في بحث الوجوه الفاسدة والقياس على التنفل بعد الفجر وصلاة العصر ممنوع لانه وجد الدليل على الدعاء و لم يوجد الدليل على جواز التنفل بعد الفجر وصلاة العصر والترك فعلاً دليل العدم إذا لم يوجد دليل شرعي آخر على الفعل وههنا وجد فكيف يصح القياس. فتلك العشرة بتلك العشرة وما قال إنّ المراد من التطوع في قول المراقي الاوراد.

فاعجب العجاب فإنّ عبارة (نور الايضاح) بشرحه هذه: ويستحب أن يستقبل بعده اي بعد التطوع وعقب الفرض إن لم يكن بعده نافلة يستقبل الناس ويستغفرون الله ثلاثاً ويقرؤن آية الكرسي ويقرؤن المعوذات ويسبّحون الله ثلاثاً وثلاثين ويحمدونه كذلك ويكبّرونه كذلك ثم يقولون (**لا اله الا الله**) ثم يدعون لانفسهم وللمسلمين رافعي ايديهم انتهى. فإنّ لفظ النافلة صريح في أنّ المراد منه صلاة النافلة لا الورد فعلم أنّ المراد من التطوع ايضاً الصّلاة وايضاً الورد ذكر ههنا صريحا من قراءة التسبيح والتحميد والمعوذات وآية الكرسي والتكبير ومع ذلك ذكر ثم يدعون لانفسهم وللمسلمين رافعي ايديهم بصيغ الجمع وهذا ظاهر في الدعاء بعد السنن وبعد الاوراد بالهيئة الاجتماعية المعمولة في ديارنا.

فانظر ايها اللّبيب إلى هذه المغالطات لاثبات مطلوبه فعليك بالتفطن اللائق

والتذكر الفائق فإنّ هذه المواضع من مزال الأقدام ولنعم ما قال الشاعر: **بيت**:

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه * وستعرف قدره إن انفتح فاه

وقد افتى في مسألة الدعاء مولانا واولانا المحدث الغرغشتوي دامت بركاته وفيوضاته بالاستحباب بأن الدعاء بالهيئة الاجتماعية المعمولة مستحب ومعنى (بعد الفرض) بعد السنن لأنّ السنن مكملات وقد اشعنا فتوى المحدث المحقق في الجرائد (الأخبارات) لكن التعصب امر مهلك يخالف المرء بسبب التعصب عن فتوى استاذه استاذ العلماء اجارنا الله من التعصب واعاذنا الله من التعنت والبهتان والايذاء والتفريق بين المسلمين بجاه الرسول الامين. وهذا نبذ من مسألة الدعاء والتفصيل يقتضي بسطا وفيما ذكرنا كفاية للمنصف لا للمتعصب المتعنت.

البحث الرابع في حيلة الاسقاط

فانه كثر فيها الشغب من المنكرين المعاندين وقد صنف الشّيخ فيها رسالة سماها بـــ(النشاط من حيلة الاسقاط) ولا ينشط من سماعها آذان العاقلين ولا ينشط لها ذو عقل صائب عن حيلة الاسقاط، إذ امتلأت تلك الرسالة من السّب والطعن على العلماء فهي من قبيل قولهم «بر عكس نهند نام زنجى را كافور» و لنذكر قدراً ضروريا في هذا الباب لتكون بصيرة لاولي الابصار والالباب فنشرع اوّلاً في تشريح الاسم ثم نثبت المسمى.

فاعلم أنّ حيلة الاسقاط مركب اضافي من اضافة الحيلة إلى الاسقاط وتشريح المركب موقوف على تشريح اجزائه لتوقف معرفة المركب على معرفة الاجزاء فنقول الحيلة وهي ما يتوسّل به إلى مقصود بطريق خفي مباح كما ذكر الامام البخاري في (ج: ٢، ص: ١٠٢٨) (كتاب الحيل). قال الشارح: جمع حيلة وهي ما يتوصل انتهى والاسقاط مصدر من باب الإفعال، مجرده سقط يسقط معناه اسقاط الصّلاة والصوم ونحوهما عن ذمة من عليه فمعنى المركب الاضافي حيلة في اسقاط هذه الامور او لاسقاط هذه الامور.

إذا عرفت هذا فاعلم وفقك الله أنّ نفس الحيلة مما لا ينكر عنه عاقل فضلاً عن فاضل لذكرها في القرآن كما ذكر في (سورة يوسف) على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لابقاء اخيه (بنيامين) عنده بخبإ صاع الملك في رحله ثم النداء بقوله (**اَيَّتُهَا الْعِيرُ اِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ** * يوسف: ٧٠) وقال الله تعالى بعد ذلك (**كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ** * يوسف: ٧٦) فعلم أنّ الله تعالى ما أنكر عليه تلك الحيلة بل ذكرها في مقام الامتنان.

وكذا ذكر الله واقعة ابراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام حين طلب الكفّار أن يذهب معهم إلى عيدهم (**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ** * **فَقَالَ اِنّي سَقِيمٌ** * الصافات: ٨٨-٨٩) فطلب الحيلة والمخرج لعدم ذهابه معهم والله تعالى ذكرها وما أنكر عليه.

وايضاً علّم الله ايوب على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام حين حلف ليضربن أمرأته مائة جلدة (**وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ ولاَ تَحْنَثْ** * ص: ٤٤).

فعلم أنّ الانكار عن نفس الحيلة سواء عبر عنها بعنوان المخارج او بعنوان الحيل انكار عن القرآن وايضاً ذكر الامام البخاري (كتاب الحيل) كما مر وايضاً ذكر في كتب الفقه حيل كثيرة في (كتاب الشفعة) وكذا في (باب الطّلاق) فكيف الانكار عن مطلق الحيلة.

وايضا ذكر (المعاريض) كما في الرواية (**إذا احدث احدكم في الصّلاة فليأخذ بانفه حتّى يظن الناس أنّه رعف**) و(المعاريض) ايضاً من قبيل الحيل.

وبالجملة الانكار عن مطلق الحيل مخالف عن الكتاب والسّنّة واقوال الفقهاء سواء عبر عن ذلك بـــ(الحيل) او بـــ(المعاريض) او بـــ(المخارج) فإنّ الاعتبار للمعاني. **بيت:**

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل إلى ذاك الجمال يشير

وهذا بيان نفس الحيلة.

واما الحيلة للاسقاط اي الحيلة المقيلة المتنازع فيها.

فنقول تلك الحيلة انما تكون لتكثير المال فإنّ المال إذا كان قليلا والفدايا كثيرة لا بدّ من تلك الحيلة لأن نفس الفدية لا ينكر عنها من له ادنى دراية سواء كانت فدية الصّلاة والصوم واما فدية الصوم فثبتت بقوله تعالى (**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** * البقرة: ١٨٤).

وفدية الصّلاة ثبتت بدلالة النص لأن الصلاة أهم من الصوم كما صرح به في (الشامي) وغيره من كتب الاصول فإنّ الدلالة أن يكون غير المنطوق فوق المنطوق كما في قوله تعالى (**فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولاَ تَنْهَرْهُمَا** * الإسراء: ٢٣).

علم أنّ حرمة الضرب بالدلالة وفدية كل صلاة كفدية صوم والوتر صلاة على حدة فالصلوات في يوم وليلة ست فإذا ضرب الست[١] في ايام السنّة حصل الفان ومائة وتسعون والفدية الواحدة مقدار الفطرة ومقدارها صاع من تمرة او شعير ونصف صاع من الحنطة ومقدار الصاع على ما حققه محققوا هذا الزمان كمولانا محمّد شفيع الديوبندي في رسالة سمّاها بـــ(أرجح الاقاويل في اصح الموازين والمكائيل) الصاع مائتان وثمانون تولجة فنصف الصاع مائة واربعون تولجة فالصاع بوزننا إذا كان السير ثمانين تولجة ثلاثة اسار ونصف، ونصف الصاع نصف ذلك فإذا ضربنا مقدار نصف الصاع في السّنّة تحصل فذلكة الحساب على تقدير كون الفدية حنطة إذا لم تخطأ اربعا وعشرين اسارا وثلاثاً وتسعين منا وإذا كانت قيمة المن عشرين درهما، يحصل مجموع القيمة الف وثلاثمائة واثنان وسبعون درهما ولذا بين العلماء حيلة الدورة.[٢]

---

(١) ٦ × ٣٦٥ = ٢١٩٠ (الفان ومائة وتسعون) فدية صاع من الحنطة

(٢) قال العلامة الشّامي في حاشية الدر المختار (اعلم أنّ الحنفيّة يقولون إنّ الصاع اناء يسع ثمانية ارطال من العدس والرطل نصف من والمن= مائتان وستون درهما شرعيا والصاع الف واربعون درهما والدرهم الشرعي اربعة عشر قيراطا والقيراط خمس شعيرات) والقيراط اربعة وعشرون سانتي غراما الدرهم الشّرعي عند الحنفيّة ثلاثة غرامات وستة وثلاثون سانتي غراما نصف صاع ١٧٥٠ غراما

قال في (نور الايضاح): وإن لم يف ما اوصى به عما عليه يدفع ذلك للفقير فيسقط عن الميّت بقدره ثم يهبه الفقير للولي ويقبضه ثم يدفعه للفقير فيسقط بقدره ثم يهبه الفقير للولي ويقبضه ثم يدفعه الوليّ للفقير وهكذا حتّى يسقط ما كان على الميّت من صيام وصلاة ويجوز اعطاء فدية صلوات لواحد جملة بخلاف كفّارة اليمين والله سبحانه وتعالى اعلم (ص: ١٠١).

قال في شرحه (مراقي الفلاح) قوله وإن لم يف ما اوصى به بالميت عما وجب عليه من الفدية او لم يكف ثلث ماله او لم يوص بشيء واراد احد التبرع بقليل لا يكفي فحيلته لابراء ذمة الميّت عن جميع ما عليه أن يدفع ذلك المقدار اليسير بعد تقريره بشيء من صيام او صلاة او نحوهما ويعطيه للفقير بقصد اسقاط ما يرد عن الميّت فيسقط عن الميّت بقدره ثم بعد قبضه يهبه الفقير للولي او للاجنبيّ يقبضه لتتم الهبة وتملك ثم يدفعه الموهوب له للفقير بجهة الاسقاط متبرعا به عن الميّت انتهى

فعلم من هذين الكلامين جواز دفع الولي للفقير وهبة الفقير للولي او اعطاء الوليّ للفقير والفقير للاجنبيّ فكلا الطريقين جائزان.

وفي (جامع الرموز ج: ١، ص: ١٦١) وفدية كل صلاة مكتوبة او واجبة كالوتر دون السّنّة فإنّها في سعة من الترك كصوم يوم اي كفديته وقيل فدية صلاة يوم كصومه إن كان معسراً والظاهر خلافه كما في (الخزانة) قال محمّد بن مقاتل بلا قيد الاعسار وعامة المشائخ مالوا إلى الاول وعليه الفتوى كما في (الكرماني) والقياس أن لا يجوز الفداء عن الصّلاة واليه ذهب البلخي كما في (قاضي خان) والاستحسان أن يجوز الفداء عنهما.

اما في الصوم فلورود النص واما في الصّلاة فلعموم الفصل ولذا قال محمّد: يجزئها إن شاء الله تعالى وفي الكلام رمز إلى أنه لو فرط في ادائها باطاعة النفس او خداع الشيطان ثم ندم في آخر عمره واوصى بالفداء لم يجز لكن في ديباجة (المستصفى) دلالة على الإجزاء وعلى أنّه لو لم يوص وتبرع عنه الوارث جاز وقال

محمّد يجزئ إنّ شاء الله تعالى.

وفي (الزاهدي) قيل إنّه لم يجزئ الصوم وفي التحقيق لم يجزئ الصّلاة ولا خلاف في أنّه امر مستحسن يصل ثوابه اليه وينبغي أن يفدي قبل الدفن وإن جاز بعده وكيفيته أن يسقط من عمره اثنا عشر سنة ومن عمرها تسعة ثم يدفع للباقي من العمر إلى مسكين من ملكه دفعة واحدة إن كان الثلث وافيا بالفدية والا فيدفع اليه ما يملكه فيقبضه ثم يهبه من الدافع فيقبضه ثم يدفعه إلى المسكين ثم وثم إلى أن ينتهي عمره وإن لم يملك شيئاً استقرض وارثه شيئاً وينبغي أن يقول الدافع إلى المسكين في كل مرة اني ادفعك مال كذا لفدية صوم كذا من فلان ابن فلان ابن فلان المتوفى ويقول المسكين قبلته واطلاق كلامه يدل على أنّه لو دفع إلى فقير جملة ولم يشترط العدد ولا المقدار ولكن لو دفع اليه اقل من نصف صاع لم يعتد به وبه يفتى كما في أيمان الصغرى. فعلم من هذه العبارة بيان جواز الحيلة سواء اوصى الميّت اولا وعلم أنّه إن لم يجزئ عن الفدية فلا يهدر ثوابه بل امر مستحسن يصل ثوابه إلى الميّت.

وعلم ايضاً جواز الاستقراض بل استحسانه إن لم يكن شيء لهذه الحيلة.

وعلم أنّ الفدية قبل الدفن اولى على رغم انف المنكرين حيث قالوا إنّ فيه تأخير الدفن فإنّ تأخير الدفن لاجل اسقاط حق واجب ثابت. الا ترى إلى أن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم تأخر عن جنازة من عليه دين حتّى تكفل عنه احد ثم صلّى عليه وهل هذا الاّ تأخير الدفن فإنّ الصّلاة إذا اخرت الدفن ايضاً يؤخر.

وعلم أنّ الاعطاء جملة لفقير ثابت جائز وإن اعطي اقل من الفدية لا يجوز.

وما قال الشّيخ طاهر الوهابي في الطعن والسّب والبهتان إنّ ذلك طريق احدثه المبتدعة للتآكل فيما بينهم اخذوها عن براهمة الهند إلى آخر ما قال وافترى.

فنقول لما كانت نفس الحيلة جائزة ثابتة في النصوص والرّوايات وكلام الفقهاء وايضاً حيلة الاسقاط ثابتة عن العلماء والفقهاء كما علمت فكيف ينسب

اليها الابتداع والاختراع وقد علمت تعريف البدعة مما مر.

وايضاً التآكل اموال الناس بل اموال المحارم وايذاؤهم من ديدنهم فإنّه يأخذ الفدايا ناظمه ويدخله في بيت المال ويقول الشّيخ: اصرفه على الطلبة والمعطون الجاهلون لا يعلمون أنّه كيف تجوز هذه الفدايا لانه لم يوجد فيه التمليك والتملك من المسكين فإنّ الناظم والشّيخ كلاهما غنيان وليس في بيت المال رجل آخر مسكين يقبضه وإن قالوا إنّه يقبضه طالب العلم فنقول صار ذلك القابض مالكا فيصدق عليهم المثل السوء، لانه يأكل منه على تقدير صدق كلامه من لم يأت بعد قبل شروع الترجمة.

وإن قالوا إنّ هذه حيلة لنفع الطلاب، فنقول: قد قلتم بالحيلة وقد أنكرتموا عنها وضيعتم فدايا الناس وهذه خيانة عظيمة.

وان قال في ذلك نفع الطلبة، فنقول: في هذه الحيلة نفع المسلمين الاموات وفيما قلت على تقدير صحة كلامك نفع الأحياء والأموات احوج إلى النفع من الأحياء ألا ترى إلى تكفل الصّحابي رضي الله تعالى عنه عن دين الميّت بسبب منعه عليه الصّلاة والسّلام عن صلاة الجنازة عليه. **بيت**:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة * وإن كنت تدري فالمصيبة اعظم

وأما الكفالة عن الميّت فحكمها مذكور في كتب الفقه بأنّها لا تصح وما ذكر كان وعدا لاداء دَيْنِه إلاّ أنّه علم منه اهتمام اداء الحقوق حيث منع عليه الصّلاة والسّلام عن اداء الجنازة عليه. ولا يظن احد أنّ فيه انكاراً على الطريقة المعمولة لاهل المدارس الدّينية لأن الكلام الزاميّ على الشّيخ المنكر عن الحيلة. ونحن قائلون بالحيلة لنفع الأحياء والاموات فتأمل ولا تكن من المسرعين في الرد والقبول.

وايضاً تدخل زكاة بلده ممن يعتقدونه في بيت المال فهو احق أن يسمى ببيت ضياع الفدايا والاموال ولنعم ما قيل (يرى احدكم خزعا في عين اخيه ولا يرى جذعا في عينه) فعليك بالتجنب عن التعصب والاعتساف.

وكيف اخذ العلماء طريقة للتآكل؟ فإنّا كثيرا ما رأينا إذا كان في الورثة صغار ولم يوص الميّت يفعلوا الدورة ويعيدون إلى الورثة وكثيراً يستقرض المال للدورة.

وايضاً إذا اوصى الميّت فأي حرج فيه وإن كان في الورثة صغار على أنّ الفقهاء الكرام القائلين بالحيلة المذكورة ممن اخذوها أاخذوها من براهمة الهند؟ بئس ما قلت! على أنّه إذا كان في الورثة صغار ويأخذ البالغ الغرامة المالية على نفسه فأي حرج واي ظلم في ذلك بل الظلم في أن يأخذ المال من اخيه المحرم بعد الوف خديعة فهذا الطريق ممن اخذه الشّيخ ومن له قدوة في ذلك. نعم له قدوة في ذلك وهو محمد بن عبد الوهاب النجدي[١] كان من الخوارج والخوارج يجوزون اخذ مال من خالف عن عقيدتهم الزائغة كما ذكر في عقائد علماء ديوبند نقلا عن العلامة الشامي على ما مرّ مفصلاً.

وما ذكر من قياس حيلة الاسقاط المنقولة عن الفقهاء لنفع الميّت على حلة اصحاب السبت للاصطياد المحرم عليهم، تعسف ظاهر وتعنت باهر.

وما ذكر من التمسك بقوله عليه الصّلاة والسّلام (**العائد في هبته كالكلب العائد في قيئه**) ولذا يسمون ذلك بقيء الكلب فهذا يدل على جهله عن كتب الحديث والفقه بوجوه:

اما اولا فلأنه لا مطالبة من الواهب فيما ذكرنا بل يهبه الموهوب له برضائه ورغبته نفعا للميت من غير مطالبته. على أنّ في صورة الدورة المتعارفة المعمولة في ديارنا ليس هبة الموهوب له للواهب بل يهب الموهوب له للآخر وهكذا نعم يعود في الاخير إلى الواهب الاول لكن لا مطالبة منه في ذلك.

واما ثانياً فلأن الرّجوع في الهبة صحيح كما صرح به الفقهاء إذا لم يوجد مانع من رجوع الهبة على طريق السلب الكلّي كما ذكر الفقهاء موانع الرّجوع في الهبة «حروف دمع خزقة» ولا شكّ أنّه لم يوجد المانع فيما نحن فيه كما لا يخفى.

---

(١) المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ. [١٧٩٢ م.] في درعية

واما ثالثاً فلأنه ورد في الحديث (**الواهب احق بهبته ما لم يثب**) فعلم من هذا الحديث أنّ الواهب ما لم يأخذ العوض عن هبته احق بهبته.

واما رابعا فلأن فعل الكلب لا يوصف بالحرمة لعدم كونه مكلفا. نعم فيه كراهة طبيعة فكيف تثبت منه الحرمة؟

واما خامسا فلان الهبة الاولى قد تمت بالايجاب والقبول والقبض والموجود ثانياً وثالثاً مثلاً هبة أخرى بايجاب وقبول وقبض جديد. نعم اكل لحم الخنزير مال الاخ المسلم بخديعة. ولنذكر ههنا لطيفة لنشاط آذان السامعيّن وهي أنّ رجلاً زني وحدث حمل من ذلك الزنا وظهر الامر ووقع الرجل في الفضيحة فقال له احد من احبابه ترحما عليه هلا عزلت لئلا تحصل الفضيحة فقال مجيبا إنّ العزل مكروه عند الأمام الاعظم أبي حنيفة رحمة الله عليه فانظر إلى هذا الأحمق يرتكب الفاحشة البينة الحرمة حرمة قطعية ويجتنب عن العزل ويقول إنّه مكروه وهل هذا الاّ جهل عظيم وجرم جسيم.

وما ذكر من التضعيف على الفقهاء كالقهستاني[١] صاحب جامع الرموز مثلاً

فنقول هذه المسألة ذكرها كثير من الفقهاء من كتبهم وليس فيها مخالفة عن اصول الدّين.

وما قال إنّ من اتى للجنازة، انما يأتي للفليسات الحقيرة ولهذا تجدهم لا يأتون للفقراء كاتيانهم للاغنياء.

فنقول هذا ظن سيئ بالمسلمين (**اِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ اِثْمٌ** * الحجرات: ١٢) وكيف علم أنّ الاتيان بنية الفليسات أله بذلك دليل ام يقوله رجما بالغيب ام يقيس الغير على نفسه فإنّ في بلادنا يخلص الناس في خدمة الاموات الفقراء اكثر من الاغنياء ولعل طريق بلاد الشّيخ ما ذكره **مصرع**:

وللناس فيما يعشقون مذاهب

---

(١) شمس الدّين محمّد بن حسام الدّين الحنفي المتوفى سنة: ٩٦٢ هـــ. [١٥٥٥ م.]

والحكم لا يبتنى على خصوصيات الافراد فإنّ خصوصيات الافراد ملغاة على أنّ الحكم المذكور على طريق الظن بل الوهم يوجب أن يحكم في كل الطاعات مثلاً الجهاد يقول فيه يذهبون فيه للغنيمة لا لاعلاء كلمة الله فلا يكون الجهاد جهادا. وكذا ابناء المدارس ونحن لانسيئ الظن بالمسلمين وفي الحديث (**هلا شققت قلبه**) فنكتفي بالظاهر ونكل السّرائر إلى الله القادر القاهر وحيلة اليهود كانت لتحليل الحرام.

وما قال لو جازت الحيل لفسدت الشرائع واختل النظام ويصير الحلال حراما والحرام حلالا انتهى.

فنقول يعلم منه سد باب مطلق الحيلة والتالي باطل فالمقدم مثله. الا ترى إلى ما قال صاحب (الدر المختار) فحيلة من علق الثلث بدخول الدار أن يطلقها واحدة ثم بعد العدة تدخل فتنحل اليمين فينكحها (ص: ١٣٠) وقال (قاضي خان) قال رجل لامرأته فلو وطئتك ما دمت معي فانت طالق ثلاثاً ثم اراد الحيلة. قال محمّد يطلقها تطليقة بائنة ثم يتزوجها من ساعته ويطأها فلا يحنث (ج: ٢، ص: ٢٢٣).

ومثل ذلك ذكر الحيل الكثيرة في هذه الصفحات من كتاب الطّلاق وبالجملة الاعتبار في هذه الامور للنيات والظاهر بالمسلمين حسن الظن. الا ترى إلى ما قال في (الدر) فاعلم أنّ النذر الّذي يقع للأموات من اكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها إلى ضرائح الأولياء الكرام تقربا اليهم فهو بالاجماع باطل وحرام لم يقصدوا صرفها لفقراء الانام وقد ابتلى الناس بتلك (ص: ١٥٣) فانظر إلى قيد الشارح كيف قيد وقال ما لم يقصدوا صرفها لفقراء الانام فعلم أنّهم إن قصدوا صرفها للفقراء لم يكن حراما فإنّ الاعمال بالنيات.

وما قال في العنوان اقوال الأئمة في قباحة الحيلة للاسقاط ثم ذكر اقوال علماء الديوبند رحمة الله عليهم لا يخفى من المخالفة بين العنوان والمعنون، على أنّه لم يذكر السؤال بأنّه من أية حيلة لأن حيلة الاسقاط موجودة في (ردّ المحتار) و(نور الايضاح) وهما معمولان عند علماء الديوبند رحمة الله عليهم فكيف حكموا بعدم جوازها.

والشارع وإن لم يأمر بها لكن لم ينه عنها ايضاً فكيف تثبت الحرمة؟ كيف والحكم الشّرعي لا يثبت الاّ بدليل شرعي قال الله تعالى (**وَمَآ آتَيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهَيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** * الحشر: ٧)

وما قال إنّ فيها الزام ما لا يلزم وهي بدعة.

فنقول إذا ثبت استحبابه واستحسانه فأي ضرر في الدوام؟ فإنّ الآلوسي البغدادي قال في (سورة الملك) ما تركت إلى الآن (سورة الملك) ليلة قط مع أنّ تلاوة سورة الملك من المستحبات على أنّ الالتزام عد الشيء لازما وتعلقه بالاعتقاد فإنّ خير العمل ما ديم عليه كما في الحديث وكما في حديث بلال (**رأيت لله عليّ إذا توضأت أن أصلّي ركعتين**) او كما قال فهذه كلها مستحبات كيف الاهتمام فيها؟

وما قال من النّهي عن المقايسة في الدّين.

فنقول لو كان المراد النّهي عن مطلق القياس والرأي، فذلك باطل فإنّ فيه سد الاعتبار المأمور به في قوله تعالى (**فَاعْتَبِرُوا يَآ أُولِي الْاَبْصَارِ** * الحشر: ٢) وقول أبي بكر رضي الله تعالى عنه: ما قولكم يا اهل الرأي؟ وإن كان المراد القياس في مقابلة النص فهو ليس بمجود فمن ادعى فعليه البيان.

وما قال من بدعية الدعاء بعد السنن.

فنقول قد ذكرنا بحث الدعاء فيما سبق بتفصيل اتم. وهلا اتى بدليل عليهم من كتب الأحناف في واقعة بلدة هوسئ من مضافات المردان وداهيتها عليهم بل كان ديدنه هناك الانكار عن الكتب بأن لا نسلم (نور الايضاح)، لا نسلم الكتاب الفلاني على أنّ استاذه واستاذ الأساتذة شيخ الحديث مولانا نصير الدّين الغرغشتوي مد الله ظلاله علينا افتى[١] بأن الدعاء بالهيئة المعمولة مستحب عندي وعند مشائخي رحمة الله عليهم. ومعنى ما ورد بعد الفرض بعد السنن لأن السنن مكملات للفرض. فالعجب أنّه أنكر عن فتوى استاذه استاذ العلماء. نعوذ بالله من اساءة الادب وكذا

(١) فتوى مولانا نصير الدّين رحمة الله عليه توجد من المكتبة الرّحيمية الفشاورية باثنين ١٢ اسمارى

غيره من اساتذته قائلون باستحباب الدعاء مثل مولانا الشاه منصوري فانّي سمعت منه الانكار على الشّيخ في هذه المسألة انكاراً شديداً والعجب أنّه إذا قيل له ذلك ينكر عن تلمذه فالعجب العجب كيف ينكر واقرانه موجودون وعلى تلمذه يشهدون فكيف الانكار بل انكاره عليه مردود على أنّ في انكار التلمذ يسعى في نقض ما تم من جهته وكل من سعى في نقض ما تم من جهته فسعيه مردود عليه كما صرح به الفقهاء. الا ترى إلى رجل اقر عند القاضي شريح ثم أنكر فقال له القاضي شريح[١] قد شهد عليك ابن اخت خالتك.

وما قال من الحوالة على كتاب الامام الشاطبي[٢] (كتاب الاعتصام).

فهو ليس كتاب مذهبنا فلا تكون حجّة علينا كما ثبت في كتب الاصول والعجب، أنّه يتمسّك في باب سماع الموتى على زعمه بمذهب الامام أبي حنيفة رحمة الله عليه مع ورود الأحاديث المتكاثرة فىسماع الموتى فانظر إلى تصلبه في تقليد الامام الأعظم وههنا يتمسك باقوال المذاهب الأخر وكتبهم كالاعتصام الامام الشاطبى و (المدخل) مثلاً ولا ينظر إلى كتب مذهبه بل يقول لا نسلم الكتاب الفلاني هل لقول مثل هذا القائل اعتبار بل هذا قريب من التلفيق الّذي هو حرام باجماع الفقهاء.

وما قال أنّهم افتروا عليّ بانواع من الزور.

فنقول اي شيء افترينا عليك فإنّ ما ذكرنا كل ثابت اما بلسانك واما ببنانك مثلاً اخراج الوالدة وضربها صرحت به في قرية (شيخ جانا) من مضافات المردان عند بيان اتباع السّنّة واما اخذ اموال المحارم فأمر ظاهر لا ينكر واما اضاعة الفدايا فظاهر لاهل بلدك. واما انكار الكرامة والوسيلة فواضح من كتاب (البصائر) واما ردّ الفقه. فقد صرحت مراراً باني اقول لهم الحديث وهم يوردون اليّ اقوال الائمة.

---

(١) القاضي شريح توفي سنة ٧٩ هـــ. [٦٩٨ م.]

(٢) عبد العزيز الشاطبي الاندلسي توفي سنة ٤٦٥ هـــ. [١٠٧٢ م.]

فهذه كلها ثابتة اما بتقريرك اوتحريرك فكيف الافتراء بل انتساب الافتراء افتراء فقولك عليك لا لك.

ولله در المؤلف حيث قطع انف البلغاء والفصحاء فإنّ في رسالة (النشاط) اغلاطا من حيث العربية، اما من الشّيخ المؤلف واما من الكاتب الرشيد او منهما والظاهر هو الاول، الاّ اني ما تعرضت لتحقيق العبارة لأن الكلام يطول ويخرج عن طور ما اقول.

واما ما ذكر من تقريظ بعض الناس حيث قال فهذه تحقيق انيق انتهى.

فانظر إلى عبارته، فإنّه لا يدري أنّ الضمير واسم الاشارة إذا دار بين المرجع والمشار اليه والخبر فرعاية الخبر اولى. فالاولى أن يقول فهذا تحقيق انيق بتذكير اسم الاشارة فالعجب منهم لا يقدرون على أن يكتبوا جملة صحيحة من حيث العربية ولا علم لهم بقواعد الكافية ويتفوهون بأقوال في شأن العلماء ويتفاخرون بعلمهم

بيت: قد قلت لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر

ويقولون: نرد الكتاب الفلاني ويحلفون ولنذكر لك واقعة عجيبة في شأن ذلك المقرظ وهي أنّه كان عند العبد الضعيف في العام الماضي طالب علم يقرأ على كتب الفنون فذهب إلى بلدة چارسده. فقال لي بعد الرّجوع إلى بلدتنا اني قعدت في درس ذلك المقرظ فقال في ترجمة قوله تعالى (**وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا** * البقرة: ٢٥٥) لا يفوض الله حفظ السماء والارض إلى احد. فقلت يا مولانا إنّ (**حفظهما**) فاعل وانتم ذكرتم معنى المفعول فقال من اين علمت أنّه فاعل ولا مفعول فقلت لانه مرفوع اسند اليه الفعل إلى جهة قيامه به فكل ما هذا شأنه فهو فاعل فهذا فاعل فقال: الفاعل انما يكون مرفوعاً إذا لم يكن مضافا فهاتني مثالا يكون الفاعل فيه مضافا مرفوعاً فذكرت له مثالا من القرآن على نحو ما طلب. احدها: (**وَانَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ** * الجن: ١٩) ثم قال لي: ما تقول في معناه؟ فقلت اقول كما يقوله المفسّرون ولا يثقله حفظهما ثم وقع الانتشار في الطلبة بصيرورتهم فريقين: فريق في تأييدي

وفريق في تأييد المقرظ.

فالعجب كل العجب والاسف كل الاسف على بعض مشائخ هذا الزمان يعطون السند لكل احد ولا ينظرون إلى شرائط السند في (ديباجة مسلم) هل يقتضي الاهليّة ام لا بل يعطي لمن لا يعرف المرفوع والمنصوب والمجرور ولا الفاعل والمفعول ولا الغث من السمين ولا الشمال من اليمين ومثل هذه الواقعات كثيرة في هذا الزمان.

وما ذكر من الاستفتاء والفتوى في (ص: ٤٠):

سؤال بعد مرنى كه جو طريق اسقاط عوام كرتى هين كه فرائض اور واجبات تجويزكر كي اس كى فديه مين جو گندم وغيره مقرر هوئى ان كى عرض ايك كلام الله ديگر سب برى الذمة هو جا تيهين يه طريقه مروجه ثابت اور جائز هى يا نهين از عبد العزيز اد آباد. جواب حيله اسقاط مفلس كيواسطى علماء نى وضع كياهٔا اب يه حيله چند فلوس كى تحصيل كى لئى ملاؤن كا مقرر هواحق تعالى نيت سى واقف هى وهان حيله كار گر نهين مفلس كيواسطى بشرط صحت نيت ورثه كى كيا عجب هى كه مفيد هو درنه لغو اور تحصيل دنياء دنيه فقط والله اعلم رشيد أحمد عفى عنه.

فنقول بتوفيق الله وتوقيفه إنّ السؤال ذكر فيه أنّ الفرائض والواجبات تكون في تجويزهم ويعينون لها حنطة مثلاً ويعطون في عوضه كلام الله تعالى ويصير برئ الذمة فانظر بنظر الانصاف وتجنب عن الاعتساف إنّ حيلة الاسقاط المعمولة في بلادنا طريقها كما ذكرها السائل كَلاَّ وحاشا بل يكون هناك مال بحسب ما تيسرته تديرون المال لتكثير الفدايا نفعا للميت والفقهاء صرّحوا بها كما علمت سابقا فكيف يعلم من بطلان حيلة مرادآباد بطلان حيلتنا فهل هذا الاّ قياس فاسد كاسد ورشيد أحمد الجنجوهي الديوبندي اجاب مطابقا للسؤال فإنّ المفتي يجيب على حسب ما استفتى المستفتي ع:

ببين تفاوت ره از كجا ست تا بكجا

على أنّ المفتي صرح في جوابه بجواز الحيلة. وبأن العلماء وضعوها للمفلس ولا بعد أن يقبلها الله عند صحة النية. والحكم بجوازحيلة المفلس انما يكون لقلة المال وكثرة الفدايا. وهذا بعينه مدعانا. فاذاً كان واضعها العلماء وفيها رجاء القبول من الله تعالى وذكرنا من الفقهاء جوازها وذكرنا سابقاً عن (جامع الرموز) أنّه وإن ولم يجز عن الفدايا لكنه لا خلاف في أنّه أمر مستحسن يصل ثوابه اليه ولا شكّ في جوازها.

واما ذكر الميلاد بأن فيه تقليد الغاندي[١] (گاندى).

فمن اعجب العجاب لان ذكر اوصاف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم له شرف عظيم إذا كان بروايات صحيحة او بيان احوال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعجزاته ورياضاته ومعاملاته كلها سبب المحبة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذلك سبب الاتباع وقال الله تعالى (**قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ** * آل عمران: ٣١) والسلف كانوا يذاكرون احوال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيما بينهم حتّى أنّ الصّحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يذكرون احوال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيما بينهم واما تخصيص الوقت كتخصيص الشهر للترجمة فذلك لا حرج فيه فإنّه ورد في رواية أنّ النساء جمعن له عليه الصلاة والسّلام في يوم في مكان بعد ما قال عليه الصّلاة والسّلام (**اجتمعن في يوم كذا في دار**) وبلغهن عليه الصّلاة والسّلام.

واما المنكرات فقد ذكرنا أنّ المعروف لا يترك لاجل منكر كاتباع الجنازة لاجل النياحة وايضاً ذكر خليل أحمد السهارنفوري في (عقائد علماء الديوبند) حيث ذكر مسألة الميلاد في (ص: ٣١) بعنوان (عقيده در بارهٔ ميلاد شريف) وذكر بعد ذلك أنّ ذكر بول حمار النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وذكر بوله صلّى الله عليه وسلّم وبرازه عندنا مستحب بالدرجة العليا وذكر في المسألة تفصيلاً. نعم أنكر على

---

(١) غاندي فيلسوف البرهمني الهندي مات سنة ١٣٦٨ هـ. [١٩٤٨ م.] قتلا

منكرات العوام.

وايضاً ذكر مولانا عبد الحيّ اللكنوي (مسألة الميلاد) في (فتاواه) وحكم بجوازه ونقل عن الشّيخ الدهلوي ومما جرب من خواصه أنّه امان ذلك العام وبشرى عاجل بنيل البغية والمرام اي من خواص الميلاد.

وايضاً ذكر (مسألة القيام) بأنّه إن كان شخص ذو وجد صادق قام بلا تصنع ولا رياء فهو معذور ومن آداب الصحبة أن يقوم الحاضرون وذكر في الاخير ان علماء الحرمين الشّريفين زادهما الله شرفاً يقومون.

قال الامام البرزنجي في (رسالة الميلاد) وقد استحسن القيام عند ذكر مولده الشّريف ائمة ذووا رواية. فطوبى لمن كان تعظيمه عليه الصّلاة والسّلام غاية مرامه ومرماه (مجموع فتاوى ج: ٢، ص: ٢٩٧).

وذكر مولانا المذكور في (ج: ٢، ص: ١٥٠) نقلا عن رسالة ابن حجر[١] المكي رحمة الله عليه (النعمة الكبرى على العالم بمولد سيّد ولد آدم عليه الصّلاة والسّلام) بأن الميلاد أن يذكر آية او حديثاً ويذكر في شرحه فضائل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعجزاته ونسبه وذكر الخوارق التي ظهرت وقت الولادة.

وايضاً ذكر في (ج: ٢، ص: ١٥١) أنّ الميلاد فرد من افراد نشر العلم وكل فرد من افراد نشر العلم مندوب فالميلاد مندوب.

وايضاً قال في (ج: ٢، ص: ١٥٣) إنّ العلماء المتبحرين واهل الفتاوى المستنبطين مثل أبو شامة[٢] وابن حجر والسّيوطي والشامي رحمة الله عليهم قالوا بمندوبية الميلاد وذكر في الاخير إنّ شرذمة قليلة، قدوتهم في ذلك تاج الدّين الفاكهانى[٣] المالكي أنكروا الميلاد الاّ أنّه لا طاقة لهم في مقابلتهم وانضمام الامور

---

(١) شهاب الدّين أحمد بن محمّد الشهير بابن حجر الهيتمي الشّافعي المتوفى سنة ٩٧٤ هـ. [١٥٦٦ م.]

(٢) أبو شامة عبد الرّحمن توفي سنة ٦٦٥ هـ. [١٢٦٦ م.]

(٣) عمر الفاكهاني المالكي توفي سنة ٧٣٤ هـ. [١٣٣٣ م.]

المنكرة أمر آخر لا يضر اصل المقصود.

فعلم أنّ في ذلك تقليد السلف الصّالحين والعلماء المحققين لا تقليد الغاندي (گاندي).

فانظر ايها المنصف إلى افراط هذه الفئة المتشددة. اللّهمَّ اكشف غشاوة التعصب عن بصائرهم لتنطبع دقائق التعقل في ضمائرهم وكيلا يسيئون الادب بالاكابر فإنّ اساءة الادب فوق كل معصية لأن سيّئ الادب محروم عن فيضان الرّب. **مصرع**:

از خدا خواهيم توفيق وادب * بى ادب محروم بود از فضل رب

وايذاء للمؤمنين والبهتان عليهم جرم عظيم (**وَالَّذينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَات بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا واِثْمًا مُبِينًا** * الاحزاب: ٥٨) ولذا يسعون في منع الميلاد في بلدهم كما سعوا في زمن قريب الاّ أنّهم خابوا وخسروا وهذا القدر يكفي العاقل المنصف في مسألة الحيلة نعم بقي بعد خبايا في زوايا الكلام منها وضع المصحف حين الدورة.

فنقول بتوفيق الله تعالى وتوقيفه إنّ المقصود من وضع المصحف التوسّل بالمصحف والنجدية ينكرون عن التوسّل بغير الاعمال الصّالحة وقد ثبت التوسّل بالقرآن العظيم قال عليه الصّلاة والسّلام (**اللّهمَّ ارحمني بالقرآن العظيم**) فلها تقبل بوسيلة القرآن.

وايضاً ذكر في (الفتاوى السمرقندية)[١] دوران اجزاء القرآن وكذا الواقدي في (فتوح الشام) فقال اخبره ابو عاصم[٢] عن ابن جريج عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي موسى قال فعل عمر رضي الله تعالى عنه اي دوران اجزاء القرآن.

وما ذكر في (ص: ٩) أنّ صاحب (مفتاح السعادة) لم يذكر الفتاوى للفقيه

---

(١) صاحب الفتاوى السمرقندية محمّد بن وليد توفي سنة ٤٥٠ هـ. [١٠٥٨ م.]

(٢) محمّد أبو عاصم العبادي الشّافعي توفي سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.]

أبي الليث:

فنقول عدم ذكر صاحب (مفتاح السعادة) الفتاوى للفقيه أبي الليث السمرقندي لا يدل على أن لا فتاوى له او إنّ رواية دوران اجزاء القرآن غير صحيح لأن عدم الذكر لا يدل على عدم الوجود بل الذكر يدل على الوجود كما هو الظاهر من بحث الوجوه الفاسدة في كتب الاصول نعم لو صرح في كتاب معتمد أن لا فتاوى للفقيه أبي الليث السمرقندي او انتساب الفتاوى اليه غير صحيح لكان له وجه ودونه خرط القتاد والحال أنّه ذكر في الفتاوى المعتمدة أنّ للفقيه أبي الليث السمرقندي رحمة الله عليه فتاوى كما في (الفتاوى الهندية).

وما ذكر من الانتقاد على الحديث فنقول إنّ الامام أبو الليمث السمرقندي المتوفى سنة: ٣٧٣ هـــ. كما في الجواهر المضيئة[١] (ص: ١٩٧) و(الفوائد البهية[٢] في تراجم الحنفيّة ص: ٢٣) و(مفتاح السعادة ج: ٢، ص: ١٣٩) على ما سلمت.

ولا شكّ أنّ ذلك الزمان زمان الاجتهاد والمجتهد إذا تمسك برواية ثم بين النقاد فيه القدح بعد التمسك لا يضر التمسك. الا ترى إنّ اكثر محشي الأحاديث وكتب الفقه يعترضون على مستدلات الاحناف بأن يقول في البعض ضعيف او غريب او لم اجده في كتب الأحاديث او ما يماثله من الاعتراضات.

فنجيب اليهم أنّ هذا الكلام بعد تمسك الامام فلا يضر الاستدلال. والدليل على ما ذكرنا قول العلامة الشّيخ عبد الوهاب الشعراني رحمة الله عليه في (الميزان الكبرى) المطبوعة في مصر (ص: ٧٦) حيث قال فإن قلت إذا قلتم بأن ادلة مذهب الامام أبي حنيفة رحمة الله عليه ليس فيها شيء من ضعيف لسلامة الرّواية بينه وبين رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم من الصّحابة والتابعين من الجرح فما جوابكم عن قول بعض الحفاظ؟ على شيء من ادلة الامام أبي حنيفة رحمة الله علية فإنّه

---

(١) مؤلف الجواهر المضيئة عبد القادر توفي سنة ٧٧٥ هـــ. [١٣٧٣ م.]

(٢) مؤلف الفوائد البهية محمّد عبد الحيّ اللكنوي توفي سنة ١٣٠٤ هـــ [١٨٨٦ م.]

ضعيف.

فالجواب يجب علينا حمل ذلك جزما على الرواة الناقلين عن الامام في السند بعد موته رحمة الله عليه او ردوا ذلك الحديث من غير طريق الامام إذ كل حديث وجدناه في مسانيد الامام الثلاثة فهو صحيح لانه لولا صح عنده لما استدل به ولا يقدح فيه وجود كذاب او متهم بالكذب مثلاً في سنده النازل عن الامام رحمة الله عليه وكفانا حجية الحديث استدلال مجتهد به ثم يجب العمل علينا به ولو لم يروه غيره.

فتأمل هذه الدقيقة التي نبهتك عليها فلعلك لا تجدها في كلام احد من المحدثين واياك أن تبادر إلى تضعيف شيء من ادلة مذهب الامام أبي حنيفة رحمة الله عليه بعد أن تطالع مسانيده الثلاثة و لم تجد ذلك الحديث فيها انتهى. ولله در العلامة الشعراني حيث بين دقيقة مستحقة لأن تكتب بماء الذهب حيث ردّ بذلك اقوال كثير من الوهّابيّين حيث قالوا تمسك الامام الاعظم رحمة الله عليه بضعاف وهذا يدل على جهلهم عن قواعد الدّين ومفاسد الجهل مما يضيق عنها نطاق البيان.

وهكذا ذكر دوران اجزاء القرآن في الكتب الغير المشهورة وهذا يكفي للتأييد وصاحب (القنية)[١] ما تفرد بهذه المسألة حتى لا تقبل.

وما قال إنّ مجرد نقل قول (القنية) بغير دليل من الادلة الاربعة غير مقبول.

فنقول كتب المذاهب موضوعة لنقل المذهب ونقل الفقهاء يكفينا. والحيلة المذكورة ذكرها (صاحب جامع الرموز) و(العلامة الشامي) و(نور الايضاح) و(مراقي الفلاح) و(الهندية) و(العمادية) و(البحر) و(الطحطاوي). ونفس الحيلة ثابتة وفي الحيلة المذكورة نفع الميّت لأن فيها تكثير الفدايا. فإنّ استيفاء الفدايا لسنة واحدة يقتضي مالا كثيرا لا يتيسر لكل احد.

وكذا ذكرت الحيلة المذكورة في (الدر المنتقى) [٢] كما نقله (الطحطاوي على

---

(١) مختار بن محمّد الحنفي المتوفى سنة ٦٥٨هـ.[١٢٥٩م.] وفي كتابه القنية روايات ضعيفة عندالعلماء المحققين

(٢) مؤلف الدر المنتقى علاء الدّين الحصكفي توفي سنة ١٠٨٨ هـ. ١٦٧٧ م.]

المراقب ص: ٢٣٩) و(الدر المنتقى): أنّهم إذا ارادوا الاخراج عنه يحسب عمره بحسب غلبة الظن ويخرج منه مدة الصبا وهي اثنا عشر في الغلام وتسعة في الجارية ويخرج عنه بقدرها إن كان عندهم ما يكفي والاّ تدفع مراراً انتهى. وذلك لاحتمال نقصان صلاته بترك ركن او شرط فإنّ كثيرا من الناس لا يحسنها.

فعلم من هذا الكلام ايضاً جواز الحيلة المذكورة وعلم أنّ ارتكابها عند احتمال النقصان في الصّلاة بترك ركن او شرط ايضا ثابت فإذا صرح به الفقهاء في كتبهم الموضوعة لنقل المذهب ونفس الحيلة ثابتة والحاجة ماسة ولا مخالفة فيها من اصول الدّين بل لها مؤيدات وفيها نفع الميّت فأي مانع من الجواز ولا تخرج عن التصدق على كل تقدير والتصدق مستحسن فإنّ النّهي انما هو عن الضيافة. قال (الطحطاوي: ص: ٣٣٩) بعد قول الشارح وتكره الضيافة من اهل الميّت. قال في (البزازية) يكره اتخاذ الطعام في الاول والثالث وبعد الاسبوع ونقل الطعام إلى المقبرة في المواسم واتخاذ الدعوة بقراءة القرآن وجمع الصلحاء والقراء للختم او لقراءة (سورة الأنعام) او الاخلاص. قال البرهان الحلبي ولا يخلو عن نظر لانه لا دليل على الكراهة الاّ حديث جرير المتقدم، كنّا نعد الاجتماع إلى الميّت وصنعهم الطعام من النياحة انتهى. يعني وهو فعل الجاهلية انما يدل على كراهة ذلك عند الموت فقط على أنّه عارضه ما رواه (الامام أحمد) بسند صحيح خرجنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في جنازة فلما رجع استقبله داعي أمرأته فجاء وجيئ بالطعام الحديث وهذا يدل على اباحة صنع اهل الميّت الطعام والدعوة اليه بل ذكر في (البزازية) ايضاً من كتاب الاستحسان. وإن اتخذ طعاما للفقراء كان حسنا وفي (استحسان الخانية) وإن اتخذ ولي الميّت طعاما للفقراء كان حسناً إلاّ أن يكون في الورثة صغار فلا يتخذ ذلك من التركة.

ومنها أنّه يجلس في الدورة من لا علم له بالايجاب والقبول والقبض فعلى أولياء الميّت او العالم المتولي لذلك أن يميز بين من يكون اهلا وبين من لا يكون اهلا

لتصير الدورة سببا لنفع الميّت والناس يتساهلون فيه وقد شاهدنا ذلك مراراً. الا ترى إلى أن نسعى فيما يكون فيه نفعا لنا فلا بدّ لنا أن نسعى سعيًا بليغًا فيما فيه نفع الميّت الاحوج إلى النفع سيّما وقد شرعت لنفع الاموات فإنّ كل شيء إذا استعمل بطريقه كان انفع وبعض الناس عنه غافل حتّى لا يميز بين الجيد من المال والردئ منه فالواجب فيه التثبت والاحتياط وطلب منهج الرشاد لفعل الرشاد.

ومنها جواز التصدق بعد الدفن كما في حديث رواه الامام أحمد بسند صحيح وأبو داود عن عاصم بن كليب عن ابيه عن رجل من الانصار قال خرجنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في جنازة فرأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو على القبر يوصي الحافر يقول (**اوسع من قبل رجليه، اوسع من قبل رأسه**) فلما رجع استقبله داعي أمرأته فجاء وجيئ بالطعام فوضع يده ووضع القوم فأكلوا ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يلوك لقمة في فيه ثم قال (**إني اجد لحم شاة اخذت بغير اذن اهلها**) فسألت المرأة تقول يا رسول الله اني ارسلت إلى البقيع اشتري شاة فلم اجد فارسلت إلى جار لي قد اشترى شاة أن يرسل إليّ فلم يجد فارسلت إلى أمرأته فارسلت بها إليّ فقال عليه الصّلاة والسّلام (**اطعميه الاسارى**) فهذا يدل على اباحة صنع الميّت طعاما والدعوة اليه. (الكبيري ص: ٥٦٣)

فعلم من هذا الحديث جواز التصدق والاّ لما شاركهم فيه ابتداء والمنع كان لوجه آخر. وما ورد من المنع فهو محمول على الضيافة حيث قيل كنّا نعد الضيافة من النياحة ولا شكّ أنّ بين الضيافة والتصدق فرق فلا يقاس احدهما على الآخر منعًا وجوازًا. ولذا يستحب لجيران الميّت تهيئة الطعام لهم لقوله عليه الصّلاة والسّلام (**اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم**) حسّنه الترّمذي وصحح الحاكم ولانه برّ معروف يستحب أن يلح عليهم في الاكل لأن الحزن يمنعهم من الاكل فيضعفوا. (كبيري ص: ٥٦٣).

وايضاً حفر صحابي بئرًا وقال هذا لام سعد كما لا يخفى على من مارس

كتب الحديث ولذا ذكر في كتب العقائد إنّ في دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم نفع للاموات خلافاً للمعتزلة.

وايضاً قال المحدث الدهلوي رحمة الله عليه في (اشعّة اللّمعات ج: ١، ص: ٦٣٤) والمستحب أن يتصدق عن الميّت بعد ذهابه من الدّنيا إلى سبعة ايام والتصدق إلى سبعة ايام ينفع بلا خلاف بين اهل العلم وورد في ذلك الأحاديث الصّحيحة سيّما الماء. وقال بعض العلماء لا تصل إلى الميّت الاّ الصدقة والدعاء.

وورد في بعض الرّوايات أنّ روح الميّت تجيئ إلى بيتها ليلة الجمعة فتنظر هل يتصدقون عنها ام لا فهذا صريح في نفع التصدق ومجيئ روح الميّت وكونها منتظرة لتصدق الأحياء عنها.

وايضاً ذكر العلامة الشامي (ج:١، ص: ٦٠٣) وفيها من كتاب الاستحسان وإن اتخذ طعاما للفقراء كان حسناً نعم إن كان للسمعة والرياء لا يفعلوا او كان في الورثة صغار او غائب لا يفعل وذكر أنّ حديث دعوة امرأة كما مرّ حكاية حال لا عموم لها كما ذكر في تلك الصفحة.

وذكر في (البرهنة) ومستحب است تصدق بر وتا هفت روز اگر نماز يا روزه يا اعتاق يا عبادتى ديگر كند تا ثواب او بميت رسد روا است وميرسد ودر مطالعه گفت سنت است كه قبل از مضى شب اول تصدق كند واگر نتواند دو ركعت نماز گزارد وبعد از فاتحه آيت الكرسى يك بار وتكاثر ده بار خواند وبعد از فراغ گويد: الهى نماز گزاردم وميدانى نيت مرا الهى ثواب اين بگور فلان ميت برسان (ج: ١، ص: ٣٦٣).

وذكر في (شرح شرعة الاسلام) والسّنّة أن يتصدق ولي للميت قبل مضى الليلة الاولى بشيء مما تيسر له فإن لم يجد شيئاً فليصلّ ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وسورة التكاثر عشر مرات (ص: ٥٦٨) فعلم من هذه العبارات أنّ اتخاذ الطعام للفقراء بنية التصدق لا للسمعة والرياء والمباهات امر

مندوب اليه كما لا يخفى على اولي النّهي.

ومنها الجلوس للتعزية ثلاثة ايام كما ذكر في (الكبيري ص: ٥٦٢) ويجوز الجلوس للمصيبة ثلاثة ايام وهو خلاف الاولى ويكره في المسجد ويستحب للرجال والنساء اللاتي لا تفتنّ لقوله عليه الصّلاة والسّلام (**من عزا اخاه بمصيبة اعطاه الله مثل اجره وكساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**) رواه ابن ماجة والتعزية أن يقول: (**اعظم الله اجرك واحسن عزاءك وغفر لميّتك**) ان كان الميّت بالغا والا فلا يقول غفر لميتك.

ومنها أنّ اهداء تلاوة القرآن للميت جائز لانه عمل خير حتّى أنّ قراءة القرآن عند القبر ايضاً جائز وما نقل عن الامام أحمد انها بدعة فقد رجع عنه كما قال الامام الغزالي رحمة الله عليه في (الإحياء) ولا بأس بقراءة القرآن على القبور.

روي عن عليّ بن موسى الحداد قال كنت مع أحمد بن حنبل رحمة الله عليه في جنازة ومحمّد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميّت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا إنّ القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمّد بن قدامة لأحمد رحمة الله عليه يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئاً؟ قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرّحمن بن العلاء بن الحلاج عن ابيه أنّه اوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمها وقال سمعت ابن عمر رضي الله تعالى عنه يوصى بذلك فقال له أحمد ارجع إلى الرجل فقل يقرأ.

وقال محمّد بن المروزي سمعت أحمد بن حنبل رحمة الله عليه يقول إذا دخلتم المقابر فاقرأوا بـــ(فاتحة الكتاب) و(قل هو الله احد) و(المعوذتين) واجعلوا ثوابها لاهل المقابر فإنّه يصل اليهم (الإحياء: ص: ٣٣١) فعلم من هذا أنّ الإمام أحمد رجع عن الانكار وهذا شأن العلماء المحققين حيث راجع في الفور عند سماع الدليل فليعتبر العاقل من ذلك.

واما الختم بالأجرة لثواب الميّت فغير جائز لأن القارئ بالاجرة محروم عن الثواب فأي شيء يهب للميت؟ قال العلامة الشامي في (ج: ٥، ص: ٤٦-٤٨) قوله لا لاجل الطاعات. الاصل أنّ كل طاعة لا يختص بها المسلم لا يجوز الاستيجار عليها عندنا لقوله عليه الصّلاة والسّلام **(اقرأوا القرآن ولا تأكلوا به)** وفي آخر ما عهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى عثمان بن العاص رضي الله عنه و(ان اتخذت مؤذنا فلا تأخذ على الاذان اجرا) ولأن القربة متى حصلت وقعت عن العامل ولهذا تتعين اهليته فلا يجوز له اخذ الاجرة من غيره كما في الصّلاة والصوم. ويفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن.

قال في (الهداية) وبعض مشائخنا استحسنوا الاستيجار على تعليم القرآن اليوم لظهور التواني في الامور الدّينية ففي الامتناع تضييع حفظ القرآن وعليه الفتوى وقد اقتصر على استثناء تعليم القرآن ايضاً في متن (الكنْز) ومتن (مواهب الرحمن)[١] وكثير من الكتب وزاد في (المختصر) ومتن (الاصلاح)[٢] تعليم الفقه. وزاد في متن (المجمع) الامامة ومثله في متن (الملتقى) و(درر البحار) وزاد بعضهم الاذان والاقامة والوعظ وذكر المصنف معظمها ولكن الّذي في اكثر الكتب الاقتصار على ما في (الهداية). فهذا مجموع ما افتى به المتأخرون من مشائخنا وهم البلخيون على خلاف في بعضه مخالفين ما ذهب اليه الامام وصاحباه وقد اتفقت كلمتهم جميعا في الشروح والفتاوى على التعليل بالضّرورة وهي خشية ضياع القرآن كما في (الهداية) وقد نقلت لك ما في مشاهير متون المذهب الموضوعة للفتوى فلا حاجة إلى ما في الشروح والفتاوى وقد اتفقت كلمتهم جميعا على التصريح باصل المذهب من عدم الجواز ثم استثنوا بعده ما علمته فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على أنّ المفتى به ليس هو جواز الاستيجار على كل طاعة بل على ما ذكروه فقط مما فيه ضرورة ظاهرة

---

(١) مؤلف مواهب الرّحمن ابراهيم الطرابلسي توفي سنة ٩٢٢ هـ. [١٥١٦ م.]

(٢) مؤلف الاصلاح الوقاية أحمد بن كمال باشا توفي سنة ٩٤٠ هـ. [١٥٣٣ م.]

تبيح الخروج عن اصل المذهب من طرد المنع فإنّ مفاهيم الكتب حجّة ولو مفهوم لقب على ما صرح به الاصوليون بل هو منطوق فإنّ الاستثناء من ادوات العموم كما صرّحوا به ايضاً واجمعوا على أنّ الحج عن الغير بطريق النيابة لا الاستيجار ولهذا لو فضل مع النائب شيء من النفقة يجب عليه رده للاصيل او ورثته ولو كان أجرة لما وجب رده فظهر لك عدم صحة ما في (الجوهرة) من قوله واختلفوا في الاستيجار على قراءة القرآن مدة معلومة. قال بعضهم لا يجوز وقال بعضهم يجوز وهو المختار انتهى.

والصواب أن يقال على تعليم القرآن فإنّ الخلاف فيه كما علمت لا في القراءة المجردة فإنّه لا ضرورة فيها فإن كان ما في (الجوهرة)[١] سبق قلم فلا كلام وإن كان عن محمّد فهو مخالف لكلامهم قاطبة فلا يقبل وقد اطنب في رده صاحب (تبيين المحارم)[٢] مستنداً إلى النقول الصريحة فمن جملة كلامه: ما قال تاج الشريعة في شرح (الهداية) إنّ القرآن بالاجرة لا يستحق الثواب لا للميت ولا للقارئ.

وقال العيني في (شرح الهدالة) ويمنع القارئ للدنيا والآخذ والمعطي آثمان فالحاصل أنّ ما شاع في زماننا من قراءة الاجزاء بالاجرة لا يجوز لأن فيه الامر بالقراءة واعطاء الثواب للامر والقراءة لاجل المال فإذا لم يكن للقارئ ثواب لعدم النية الصّحيحة فاين يصل ثوابه إلى المستأجر ولولا الاجرة لما قرأ احد لأحد في هذا الزمان بل جعلوا القرآن مكسبا ووسيلة إلى جمع الدّنيا **(انا لله وانا اليه راجعون)** وقد اغتر بما في (الجوهرة) صاحب (البحر) في كتاب الوقف وتبعه الشارح في كتاب الوصايا حيث يشعر كلامهما بجواز الاستيجار على كل الطاعات منها القراءة وقد ردّه الشّيخ خير الدّين الرملي في (حاشية البحر) في كتاب الوقف حيث قال: اقول

---

(١) مؤلف جوهرة التوحيد ابراهيم ابن اللقاني المالكي توفي سنة ١٠٧٨ هـ. [١٦٦٧ م.]

(٢) سنان الدّين يوسف الامسي الحلوتي المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ. [١٥٩٢ م.] ويوجد كتابه المذكور باستانبول في مكتبة سليمانية بقسم اسعد افندى تحت رقم ٥٩٦

المفتى به جواز الأخذ استحسانا على تعليم القرآن لا على القراءة المجردة كما صرح به في (التاتارخانية) حيث قال لا معنى لهذه الوصية ولصلة القارئ بقراءته لانّ هذا منزلة الاجرة والاجارة في ذلك باطلة إلى أن قال: وممن صرح بذلك ايضاً الامام البركوي قدس سرّه في آخر (الطريقة المحمّديّة) فقال الفصل الثالث في امور مبتدعة باطلة اكبّ الناس عليها على ظن انها قرب مقصود إلى أن قال: ومنها الوصية من الميّت باتخاذ الطعام والضيافة يوم موته او بعده وباعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه او يسبح ويهلل وكلها بدع منكرات باطلة والمأخوذ منها حرام للآخذ وهو عاص بالتلاوة والذكر لاجل الدّنيا انتهى ملخصاً.

وذكر أنّ له فيها اربع رسائل. فإذا علمت ذلك ظهر لك حقية ما قلناه وأنّ خلافه خارج عن المذهب وعما افتى به البلخيون وما اطبق عليه ائمتنا متونا وشروحا وفتاوى ولا ينكر ذلك الاّ غمر مكابر او جاهل لا يفهم كلام الاكابر.

وما استدل به بعض المحشيين على الجواز بحديث (البخاري) في اللديغ فهو خطأ لأنّ المتقدمين المانعين لاستيجار مطلقا جوزوا الرقية بالاجرة ولو بالقرآق كما ذكره (الطحاوي) لأنها ليست عبادة محضة بل من التداوي.

فعلم من هذه العبارات أنّ تلاوة القرآن بالاجرة لاهداء الثواب إلى الميّت لا يصح لأن نفس التلاوة لاهداء ثواب الميّت ممنوعة فإنّه لا شكّ في جوازها كما ذكر سابقاً. ولما ذكر العلامة الشامي في (ج: ٢، ص: ٢٣١) قوله ويقرأ (يس) لما ورد (**من دخل المقابر فقرأ سورة يس، خفّف الله تعالى عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات**) (البحر) وفي (شرح اللباب) ويقرأ من القرآن ما تيسر له من (الفاتحة) واول سورة (البقرة) إلى (المفلحون) و(آية الكرسي) و(آمن الرسول) و(سورة يس) و(تبارك الذي بيده الملك) و(سررة التكاثر) و(الاخلاص) اثني عشر مرة او احدى عشر او سبعا، اوثلاثا ثم يقول (اللّهمَّ اوصل ثواب ما قرأناه إلى فلان او اليهم).

تنبيّه: صرح علماؤنا في باب الحج عن الغير بأنّ للانسان أن يجعل ثواب عمله

لغيره صلاة او صوما او صدقة او غيرها كذا في (الهداية) بل في زكاة (التاتارخانية) عن (المحيط)[١] الافضل لمن يتصدق لفلان أن ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات لأنها تصل اليهم ولا ينقص من اجره شيء وهو مذهب اهل السّنّة والجماعة لكن استثنى مالك والشّافعي العبادات البدنيّة المحضة كاللصلاة والتلاوة فلا يصل ثوابها الميّت عندهما بخلاف غيرهما كالصدقة والحج. وخالف المعتزلة في الكل إلى أن قال: (تتمة) ذكر ابن حجر في (الفتاوى الفقهية) أنّ الحافظ ابن تيميّة زعم منع اهداء القراءة للنّبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم لأن جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه الاّ بما اذن فيه وهو الصّلاة عليه وسؤال الوسيلة له. قال: وبالغ السبكي وغيره في الرد عليه أنّ مثل ذلك لا يحتاج إلى اذن خاص. ألا ترى أنّ ابن عمر رضي الله تعالى عنه كان يعتمر عنه عليه الصّلاة والسّلام عمرا بعد موته صلّى الله تعالى عليه وسلّم من غير وصية. وحجّ ابن الموفق[٢] وهو في طبقة الجنيد عنه سبعين حجّة. وختم ابن السراج عنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم اكثر من عشرة آلاف ختمة وضحى عنه مثل ذلك. انتهى.

فعلم أنّ الانكار في اخذ الاجرة لا في نفس الختم، على أنّه إن قرأ احد لوجه الله تعالى بنية خالصة واعطاه احد صدقة لا أجرة لا حرج فيه وذلك موقوف على النية

والدليل على ما ذكرنا ما في (الحديقة شرح الطريقة المحمّديّة: ص: ٣٥٦) قوله لروح الواقف. واصل المسألة صحيح في من قرأ القرآن او سبح او هلّل او صلّى كذا ركعة واهدى ثواب ذلك لفلان الحيّ او الميّت فإنّ الانسان له أن يجعل ثواب عمله مطلقاً عند اهل السّنّة والجماعة لغيره ميّتاً كان اوحيًا نوى به عند الفعل للغير او يفعله لنفسه ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره واما قوله عليه الصّلاة والسّلام (**لا يصلّي احد عن احد ولا يصوم احد عن احد**) فهو في حق الخروج عن العهدة لا في حق الثواب ولم ار حكم من أخذ شيئا من الدّنيا فيجعل شيئاً من عبادته للمعطي

(١) مؤلف المحيط البرهاني محمود الحنفي البخاري توفي سنة ٦١٦ هـ. [١٢١٩ م.]

(٢) ابن الموفق علي البغدادي توفي سنة ٢٦٥ هـ. [٨٧٩ م.]

وينبغي أن لا يصلح ذلك وما قال الوالد[١] فيه نظر بل اطلاق ما سبق يقتضي الصحة انتهى ووجهه أنّ اخذ الدرهم صدقة من المعطي واخذ الصدقة لا يمنع الثواب فدفعه بأن ثواب العبادة لا يدخل تحت عقد البيع لأن ذلك مخصوص بالأعواض الدّنيويّة وبهذا السبب يبطل الوقف المشروط فيه ذلك لأن حل اخذ المعلوم من الوقف في مقابلة فعل الشرط الّذي شرط الواقف فهو كالبيع للثواب وإن اعتبرنا وجه كونه صدقه على من يقرأ للواقف او يصلّي له لا أنّ ذلك المعلوم عوض عن تلك القربة وثمن لثوابها ولكنه بمنزلة ما إذا كان الوقف على امام الجامع او الخطيب او نحو ذلك فإنّها شروط على من اتصف بذلك فهي صدقة من الواقف على صاحب هذا الوصف المذكور لا أنّ الواقف يفعل الموقوف عليه ذلك في مقابلة اخذه للمعلوم المعيّن.

قوله لاجل الدّنيا والمفهوم منه إنّ الّذي يأخذ ذلك لو تلا القرآن وذكر الله وصلّى كذا ركعة او هلّل او كبّر ونحو ذلك من انواع القربات لا لاجل ما يأخذه من المعلوم المعيّن له في الوقف لمن فعل ذلك بل لوجه الله تعالى واخذ المعلوم صدقة عليه من الواقف جاز وصح الوقف حينئذ وهو ما ذهبنا اليه فيما تقدم في حق جميع الوظائف في الاوقاف كلها وليس الامر مخصوصاً بهذا النوع منها فقط انتهى.

والحاصل إنّ عند اخلاص النية لا يمنع الصدقة اهداء الثواب إلى الميّت فـــ(**انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى الدّنيا يصيبها**) إلى آخر الحديث على أنّ بين الصلة والاجرة فرق كما صرح به العلامة الشامي وشارح (شرعة الاسلام) (ص: ١٢٦).

فعلم من التفصيل المذكور أن لا خلاف بين الاحناف في نفس اهداء ثواب التلاوة وكذا قال في (الكبيري: ص: ٥٦١) واختلف في اجلاس القارئين ليقرأوا عند القبر والمختار عدم الكراهة وكذا ذكر العلامة الشامي (ج: ١، ص: ٦٣٣) في

(١) يعني به والد النابلسي اسماعيل بن عبد الغني المتوفى سنة ١٠٦٢ هـــ. [١٦٥٢ م.]

تشريح قول الماتن ولا اجلاس القارئين عند القبر وهو المختار عبارة (نور الايضاح) وشرحه ولا يكره الجلوس للقراءة على القبر في المختار لتأدية القراءة على الوجه المطلوب بالسكينة والتدبر والاتعاظ.

وايضاً قال العلامة الشامي في (ج: ٥، ص: ١٠٨) قال العلامة عبد البرّ والمسألة مبنية على وصول ثواب اعمال الأحياء للاموات وقد الف فيها قاضي القضاة السروجي وغيره وآخر من صنف فيها شيخنا قاضي القضاة سعد الدّين[١] الديري كتاباً سمّاه (الكواكب النيرات).

محط هذه التأليفات إنّ الصّحيح من مذهب جمهور العلماء الوصول والله تعالى اعلم.

وايضاً ذكر المحدث الدّهلوي في (اشعّة اللّمعات ج:١، ص: ١١١) وخواندن اول سورة بقره تا (**مفلحون**) وآخر آن از (**آمن الرسول**) نيز آمده است واگر ختم قرآن كند اولى وافضل است واز بعضى علماء شنيده است كه اگر مسأله از مسائل فقه ذكر كند نيز فضيلت دارد وباعث نزول رحمت است ومناسب حال ذكر مسألهٔ فرائض است ومختار آن است كه خواندن قرآن بر سر قبر مكروه نيست خلافا لبعضهم كذا قال الشّيخ ابن الهمام رحمة الله تعالى عليه.

والعجب إنّ بعض الطلبة ممن ليس له حظ من علم الحديث، يقولون الموعظة عند القبر بدعة.

تنبيّه: ذكر العبد الضعيف مولانا الكدوي نوّر الله مرقده وافاض عليه شآبيب الغفران والاحسان أنّ طالباً قال لي عند وعظ احد عند القبر أليست هذه ببدعة؟ فقلت له ايها الغمر الجاهل إنّ الامام البخاري رحمة الله عليه ذكر بابا بعنوان (باب موعظة المحدث عند القبر) فكيف تكون بدعة.

---

(١) سعد الدّين الدمشقي الحنفي توفي سنة ٨٦٧ هـ. [١٤٦٢ م.]

ما قال مولانا المرحوم صحيح بلا ريب فإنّه ذكر الامام البخاري في (ج: ١، ص: ١٨٢) باب موعظة المحدث عند القبر وقعود اصحابه حوله ثم ذكر الحديث الطو يل. فانظر إلى هذه الجهال لا يعرفون السّنّة من البدعة ويحكمون على آرائهم الكاسدة الفاسدة وليست السّنّة والبدعة منوطتان على آرائهم. جل بضاعتهم الانحراف عن منهج الرشاد وكل صناعتهم اللدد والعناد.

وايضاً روي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول (**إذا مات احدكم فلا تحبسوه واسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب وعند رجليه بخاتمة البقرة**) قال الشّيخ الدّهلوي في ذيل هذا الحديث ودر آثار قراءة (فاتحة الكتاب) و(قل هو الله أحد) و(معوذتين) وگردانيدن ثواب آن براى اهل مقابر آمده است واختلاف كرده اند در گردانيدن ثواب براى ميت ووصول ثواب آن بدو وصحيح وصول او است شيخ عبد الله يافعى در روض الرياحين آورده كه شيخ عز الدين بن عبد السّلام را در خوب ديدند گفت كه ما در دنيا حكم كرده بوديم كه ثواب قرآن به ميت نميرسد درين عالم بخلاف آن ظاهر شد ودر يافتيم ميرسد ومكروه نيست قراءة قرآن بر قبر هو الصّحيح ذكره الشّيخ ابن الهمام (اشعّة اللّمعات ج: ١، ص: ٦١٧).

فعلم من هذه التصريحات إنّ قراءة القرآن لثواب الميّت على القبر او في موضع آخر جائز.

واما الاستشفاء بالقرآن فهو ايضاً ثابت كما ذكر الامام البخاري رحمة الله عليه، حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا ابو عوانة عن أبي بشر عن أبي المتوكل عن أبي سعيد أنّ رهطا من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انطلقوا في سفرة سافروها حتّى نزلوا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيّد ذلك الحيّ فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو اتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم لعلّه أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا يا ايها

الرمط إنّ سيّدنا لدغ فسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء هل عند احد منكم شيء فقال بعضهم نعم والله إني لراق ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتّى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله ربّ العالمين حتّى لكأنّما نشط من عقال فانطلق يمشي ما به قلبة قال فاوفوهم جعلهم الّذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا فقال الّذي رقى لا تفعلوا حتّى نأتي رسول الله صلّى عليه وسلّم فنذكر له الّذي كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فذكروا له فقال وما يدريك انها رقية اصبتم اقسموا واضربوا لي معكم بسهم. قال النووي هو من باب المروات والتبرعات ومواسات الاصحاب والرقاق والاّ فجميع الشياه ملك الراقي. قال صلّى الله عليه وسلّم تطيبا لقلوبهم ومبالغة في تعريفهم أنّه حلال لا شبهة فيه.

وفي الحديث دليل على جواز الرقية بالقرآن وبذكر الله تعالى واخذ الاجرة عليها لأن القراءة والنفث من الأفعال المباحة وبه تمسك من رخص ببيع المصاحف وشرائها واخذ الاجرة على كتابتها وبه قال الحسن والشعبي وعكرمة رحمة الله عليهم واليه ذهب سعيد ومالك والشّافعي واصحاب أبي حنيفة رحمة الله عليهم كذا ذكره الطيِّبي نقلا عن شرح السّنّة. البخاري (ج: ٢، ص: ٧٤٩).

فعلم من هذا إنّ الاستشفاء بالقرآن جائز. وكذا اخذ الاجرة إذا كانت القراءة للاستشفاع وهذا هو الحديث الّذي اشار اليه العلامة الشامي من أنّ التمسك بحديث اللديغ فهو خطأ على أنّ الاستشفاء بالقرآن وردت فيه روايات.

منها ما ذكر في المدارك بهامش (الخازن ص: ١٧٨) في تفسير قوله تعالى (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** * الإسراء: ٨٢) وفي الحديث (**من لم يتشف بالقرآن فلا شفاه الله تعالى**)

ومنها ما ذكر في الخازن واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روي عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه

وسلّم في (فاتحة الكتاب) **(وما يدريك انها رقية)**.

ومنها ما ذكر في (المدارك ص ١٨٣) في تفسير قوله تعالى (**وَبِالْحَقِّ اَنْزَلْنَاهُ وبِالْحَقِّ نَزَلَ** * الاسراء: ١٠٥) قال الراوي اشتكى محمد بن السماك فأخذنا ماءه وذهبنا به إلى طبيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا إلى اين فقلنا له إلى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله! تستعينون على ولي الله بعد الله اضربوه على الارض وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل (**وَبِالْحَقِّ اَنْزَلْنَاهُ وبِالْحَقِّ نَزَلَ** * الإسراء: ١٠٥) ثم غاب عنا فلم نر فرجعنا إلى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي في الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه الصّلاة والسّلام.

ومنها ما ذكر الامام البخاري باب الرقية بالقرآن والمعوذات. حدثنا ابراهيم بن موسى قال اخبرنا هشام عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها إنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان ينفث على نفسه في المرض الّذي مات فيه بالمعوذات.

فلما ثقل كنت انفث عليه بهن وامسح بيد نفسه لبركتها فسألت الزهري كيف ينفث قال كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه ثم ذكر باب الرقية (بفاتحة الكتاب) ثم ذكر باب الشرط في الرقية بقطيع الغنم (البخاري: ج: ٢، ص: ٨٥٤).

ومثل هذه الرّوايات كثيرة في كتاب الرقية وايضاً النفث والتفل في الرقية ثابت لما ذكر في (حاشية البخاري ج: ٢، ص: ٨٥٥) وفيه أنّه قرأ بفاتحة الكتاب وتفل والتفل أن يكون معه شيء من الريق.

وايضاً مسح الراقي بيده اليمنى ثابت كما قال الامام البخاري في (ج: ٢، ص: ٨٥٢) (باب مسح الراقي في الوجع بيده اليمنى) وانما ذكرت ذلك لأن بعض الناس ينكرون ذلك.

وإن قلت: أنّه جاء في الحديث ولا يسترقون وهذا يدل على منع الرقية.

قلنا: الأحاديث في القسمين كثيرة والجمع بينهما إنّ ما كان بغير اللسان العربي وبغير كلام الله تعالى واسمائه وصفاته في الكتب المنزلة او أن يعتقد أنّ الرقية نافعة قطعاً فيتكل عليها فمكروه وهو المراد بقوله ما توكل من استرقى وما كان بخلاف ذلك فكره.

قال الكرماني[١] فإن قلت: كوى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه وغيره وهو اول من يدخل الجنّة. قلت: غرضه أنّهم يعتقدون أنّ الشفاء من الكي على ما كان اعتقاد الكفّار والتوكل هو تفويض الامر إلى الله تعالى في ترتب المسببات على الاسباب وقيل هو ترك السعي فيما لا يسعه قدرة البشر فالشخص يأتى بالسبب ولا يدري أنّ المسبب منه بل يعتقد أنّ ترتب المسبب عليه بخلق الله تعالى وايجاده ولذا قال عليه الصّلاة والسّلام (**اعلقها وتوكل**) ولبس يوم احد درعين مع كونه من التوكل بمحل لم يبلغه احد من خلق الله تعالى.

قال في (المجمع)[٢] واما حديث (**لا يسترقون ولا يكتوون**) فهو صفة الاولياء المعرضين عن الاسباب لا يلتفتون إلى شيء من العلائق وتلك درجة الخواص والعوام رخص لهم التداوي والمعالجات ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج من الله تعالى بالدعاء كان من جملة الخواص ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدواء. الا ترى أنّه قبل من الصديق رضي الله عنه جميع ماله وأنكر على من اتى مثل بيضة الحمام ذهبا واما فعله عليه الصّلاة والسّلام فهو لبيان الجواز (حاشية البخاري: ج: ٢، ص: ٨٥٦).

اقول وبهذا علم معنى قوله عليه الصّلاة والسّلام (**التمائم من الشّرك**) فإنّ نفس التميمة إذا كانت بكلمات جائزة جائزة والمنع عند اعتقاد التاثير بالذات كاعتقاد

(١) محمّد بن يوسف الكرماني شارح البخاري توفي سنة ٧٨٦ هـ. [١٣٨٤م.]

(٢) مؤلف مجمع البحرين أحمد ابن الساعاتي البغدادي توفي سنة ٦٩٤ هـ. [١٢٩٤ م.]

اهل الجاهلية كما لا يخفى على اولي النّهى والاّ فكتابة الآيات القرآنية وشرب مائها والتعويذ منها ثابت كما ذكره المحدث الدّهلوي في (اشعّة اللّمعات: ص: ٥٦٧) بتفصيل اتم حيث قال وروي عن مجاهد لا بأس أن يكتب القرآن ويغسل ويشرب ماءها على المريض إلى أن قال وكتابتها في الظروف الصينية وغسلها بالماء وشرب مائها على المريض.

وايضاً نقل عن تاج الدّين السبكي رحمة الله عليه وايضاً المحدث الدّهلوي ذكر في (ج: ٣، ص: ٥٧٢) إنّ في عقد التعويذ في العنق والعضد للعلماء كلام الاّ أنّ له سند من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه أنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم علّمه دعاء لدفع السهر فكان ابن عمر يعلم الدعاء من اولاده الكبار ويكتب للصغار ويعلق في اعناقهم. فعلم من هذه الرّوايات أنّ استعمال التعويذ وكذا الاسترقاء برقية صحيحة ثابت وللنهي محل آخر نعم، بعض الرقية مما لا يعلم معناه فلا يجوز. صرح المحدث الدّهلوي رحمة الله عليه والصّحابة ايضاً كانوا يعرضون رقاهم على النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فيجيز البعض ويمنع البعض وما كان ذلك الاّ لاجل المعنى كما لا يخفى على من مارس كتب الحديث.

وانما ذكرت مسألة الرقي والتعويذات طبعا وطردا لانّ بعض الناس ينكر عنها مطلقاً والبعض يجاوز في ذلك عن الحد حتّى يكتب القرآن منكوسا او يكتب بعض التعويذات بالدم فهل هذا الاّ استخفاف القرآن اعاذنا الله منه فإنّ الافراط والتفريط مذمومان والاقتصاد محمود.

تَذْنِيبٌ في بيان احوال ابن تيميّة اليمني الحراني الّذي هو متمسك الفئة المنكرة وبه يستريح القلم ويشفي العليل من الالم وقد ذكرنا حاله سابقاً في الجملة والآن نذكر حاله تفصيلاً ثم استفت قلبك ولو افتاك المفتون. فنقول ذكر في (حاشية النبراس)[١]: انعقد مجلس في قلعة جبل وحضر العلماء الاعلام والفقهاء العظام ورئيسهم كان

(١) النبراس حاشية شرح العقائد مؤلفه محمّد عبد العزيز الفرهاروي الهندي توفي سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٣ م.]

قاضي القضاة زين الدّين ابن مخلوف المالكي وحضر ابن تيميّة فبعد القيل والقال بهت ابن تيميّة وحكم قاضي القضاة بحبسه وكان ذلك سنة ٧٠٥ هـــ. ثم نودي بدمشق وغيره بأن من كان على عقيدة ابن تيميّة حل ماله ودمه. كذا في (مرآة الجنان) ثم تاب وتخلص من السجن سنة ٧٠٧ هـــ. وقال: اني اشعري ثم نكث عهده واظهر مكنونه ومرموزه وحبس حبسا شديداً مرة ثانية ثم تاب وتخلص من السجن انتهى. واقام في الشام وله هناك واقعات كتبت في كتب التأريخ وردّت اقاويله وبين حاله الشّيخ ابن حجر رحمة الله عليه في المجلد الاول من (الدرر الكامنة) والذهبي في تاريخه وغيرهما من المحققين (حاشية النبراس: ص: ١١٦).

وايضاً ذكر في (جواهر الايقان في حفظ الإيمان) أنّه ظهر ابن تيميّة في سنة ٧٠٥ هـــ. وكان يقول بكون الله تعالى مجسما. تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً. ويقول بحرمة السفر بقصد الزيارة النبوية. وكان طريقه تحقير بعض الخلفاء الراشدين وتوهين الأئمة المجتهدين رحمة الله عليهم والدليل على ذلك كتابه المسمى بـــ(صراط مستقيم) وعلماء عصره كالشّيخ أبي داود السمان والشّيخ كمال الدّين وتقي الدّين السبكي رحمة الله عليهم ردوا عقيدته الباطلة واخذوه وذهبوا به إلى المدرسة الكاملية في مصر وانعقد المجلس وحضر القضاة والمفتون كلهم وجعلوه قائلاً وجرى الحكم السلطاني في البلاد كلها إنّ عقيدة ابن تيميّة خلاف الاجماع ومن اعتقد بعقيدته استحق الوبال. وبعد ذلك وقع له في تحقير الأولياء وتوسّل نبيّ الرحمة صلّى الله تعالى عليه وسلّم مقال وبالآخر صار محبوسا في تلك المقدمة لأن اهانة الأولياء والمشائخ والعلماء كفر والتوسّل بنبيّ الرحمة صلّى الله تعالى عليه وسلّم عقيدة متفق عليها للامة والمنكر عن ذلك ضال.

ثم تاب ابن تيميّة في زمن الدولة الناصرية وخلص من السجن وجاء الى الشام وصار بمثل تلك العقيدة محبوساً في سجن دمشق وجرى الحكم العام من السلطان بأن من كان على عقيدة ابن تيميّة فماله ودمه حلال وابن تيميّة مع قطع النظر عن

كونه ظاهريا كان من الخوارج وكان يسيئ الادب في حق علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها والغرض إنّ في حكومة امام المسلمين كل من قال قولاً خلاف الدّين صار مجزيا (جواهر الايقان في حفظ الإيمان ص: ٨) وصدقه وصحّحه العلامة الفاضل المحقق أبو محمّد عبد الحق مؤلف (التفسير الحقاني ص: ١٤١).

وذكر الشّيخ ابن حجر العسقلاني رحمة الله عليه في كتابه المسمى بـــ(الدرر الكامنة في اهل المائة الثامنة) في حاله انّا لا نعتقد عصمته بل انّا نخالفه في مسائل اصلية وفرعية.

وقال الذّهبي[١] رحمة الله عليه في تاريخه فهو بشر له ذنوب وخطايا. وقال اليافعى[٢] زيادة عليه في كتاب (عبرة اليقظان) فلا نعتمد على قوله بل له مع الامام تعصب كتاب (عشرهٔ مبشره)، مصنفه المولوي حبيب الله الفشاوري (ص: ٢٤).

وقال آخوند شيخ: وابن تيميّة من المجسمة ومن قال بأنّه تعالى جسم فهو في غاية السفاهة والجهالة فلم يعتد بقول امثاله (ج: ١، ص: ٩٢).

يقول العبد الضعيف، ومن اتباعه محمّد بن عبد الوهاب النجدي الّذي ينسب اليه الوهّابيّون فإنّها نسبة إلى عبد الوهاب النجدي لا إلى الوهاب كما يفرحون ويقولون نحن منسوبون إلى الوهاب وهو كان من الخوارج كما ذكر العلامة الشامي في (ج: ٣ ص: ٣٣٧) باب البغاة فيكفي فيهم اعتقاد كفر من خرجوا عليه كما وقع في زماننا في اتباع عبد الوهاب النجدي خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنّهم هم المسلمون ومن خالف اعتقادهم مشركون واستباحوا بذلك قتل اهل السنة وقتل علمائهم حتى كسر الله تعال شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين والف سنة ١٢٣٣ هـــ.

---

(١) محمّد الذّهبي توفي سنة ٧٤٨ هـــ. [١٣٤٧ م.]

(٢) عبد الله اليافعي الشّافعي توفي سنة ٧٦٨ هـــ. [١٣٦٧ م.] في مكّة المكرّمة زدها الله شرفا وكرما

اقول: وهذا ديدن موحدي هذا الزمان حيث يسيئون الادب بأكابر الدّين وينسبون الشّرك إلى من خالف عقيدتهم الزائغة لا يتركون من اساءة الادب لا عالماً ولا زاهدا ولا مرشداً ولا مسترشدا لا حياً ولا ميّتاً فاللازم على أمراء الاسلام أن يعزروهم ويمنعوهم من اشاعة عقيدتهم الباطلة وانتساب الشّرك إلى المسلمين فقد غلب على الطبائع اللدد والعناد وفشا الجهل والفساد ولذا يقولون لمحمّد بن عبد الوهاب النجدي شيخ الاسلام ومجدد الدّين وسمعت أنّه طبع الشّيخ له رسالة ولا استبعاد في ذلك لأن كل فرقة لها شيخ من زمرتهم ومجدد لدينهم والاّ فالعلماء صرّحوا بكونه من الخوارج وهم يقولون له شيخ الاسلام ومجدد الدين. **مصرع:**

ببين تفاوت ره از كجا است تا بكجا

والدليل على كون محمّد بن عبد الوهاب النجدي من اتباع ابن تيميّة ما قال في آخر كتابه المسمى بـــ(كتاب التوحيد): وكفانا في ذلك قدوتنا وامامنا ابن اتيمية وهذا صريح في أنّ ابن تيميّة امام ومحمّد بن عبد الوهاب النجدي مأموم وانما يكون الامام والمأموم على مشرب واحد.

وقال محمّد بن عبد الوهاب النجدي: إنّ قول القائل (يا رسول الله) لا يجوز بل يكفر قائله وقال في رده مفتي الحنفيّة والمالكية والشّافعية والحنبلية ومن اباطيل الاقوال ما تفوه بعض المبتدعين الجهال إنّ قول القائل (يا رسول الله) لا يجوز بل يكفر قائله كلاّ، بل قول القائل (يا رسول الله) و(يا محمّد) بطريق الاستعانة جائز كما في (المواهب اللّدنيّة) حرره مفتي الحنفيّة بمكة المكرّمة عبد الرّحمن بن عبد الله ومفتي المالكية بمكة المكرّمة ابو بكر، ومفتي الشّافعية بمكة المحمية محمّد سعيد بن بالصبيل ومفتي الحنابلة بمكة المشرفة خلف بن ابراهيم (فتوى الحرمين لمفتي محمّد ايوب الفشاوري: ص: ٢٦) سنة ١٣٠٤ هـــ.

فانظر إلى عقيدتهم كيف وجدتها مخالفة لاجماع المذاهب الاربعة فكيف الاعتماد على عقيدة مخالفة لاجماع السلف والخلف كما عرفت سابقاً من كلام تاج

الدّين السبكي رحمة الله عليه (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** * النساء: ١١٥).

وذكر الشّيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني[١] بعد ترجيح ابن حجر على ابن تيمية: قلما يخلو كتاب منها من شذوذه في مسائل يخالف بها مذاهب المسلمين ويشنع على علماء الاسلام ولا سيّما الأولياء العارفين كالشّيخ الاكبر سيّدي محي الدّين فقد كفره واخرجه من الدّين مع انّ جمهور الامة اتفقوا على أنّه من اكابر الأولياء وسموه سلطان الاولياء. واظن بل اتيقن إنّ السبب الوحيد بعدم انتفاع الناس بكتب ابن تيميّة وعلمه مع جلالة قدره شذوذه في تلك المسائل واعتراضه على هؤلاء الاكابر وما شبهت الاّ بكنوز مملوءة من الجواهر النفيسة ولكنها مرصودة من بدعه ومخالفته بحيّات قاتلات فهي تمنع الناس من الاقبال عليها والانتفاع بها. (المواهب اللّدنيّة: الفصل الثاني من المقصد العاشر).

اقول قد عرفت أنّه ينسب الكفر إلى سيّد الأولياء المسلّم ولايته عند الامة وهذا طريق اتباعه في زماننا فإنّه قال لي طالب علم هو تلميذي وسكن عنده أنّ الشّيخ يقرر ليلتين على محي الدّين ابن العربي رحمة الله عليه ويقول له كافراً وملحدا وزنديقا اعاذنا الله من اساءة الادب بأولياء الله واكابر الدّين بجاه الرسول النّبيّ الامين. **بيت**:

آمين آمين لا ارضى بواحدة * حتّى اضم اليها الف آمينا

وايضاً ذكر عليّ القاري في (شرح الشفاء) وقد افرط ابن تيميّة من الحنابلة حيث حرّم السفر لزيارة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدّين بالضّرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثاني اقرب إلى الصواب لأن تحريم ما اجمع عليه العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لانه فوق تحريم المباح المتّفق عليه في هذا الباب.

---

(١) المتوفى سنه ١٣٥٠ هـ. [١٩٣٢ م.]

وقال العلامة شهاب الدّين الخفاجي الحنفي في (شرح الشفاء) بعد قوله عليه الصّلاة والسّلام (**لعن الله قوما اتخذوا قبور انبيائهم مساجد**) واعلم أنّ هذا الحديث دعا ابن تيميّة ومن تبعه كابن القيّم إلى المقالة الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهي منعه من زيارة قبره صلّى الله تعالى عليه وسلّم وشد الرحال اليه وهو كما قيل: **بيت**:

لمهبط الوحي حقاً ترحل النجب * وعند هذا المرجى ينتهي الطلب

فتوهم أنّه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فإنّها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل.

وقال العلامة الزرقاني رحمة الله عليه في (شرح المواهب اللّدنيّة) ولكن هذا الرجل يعني ابن تيميّة ابتدع له مذهبا وهو عدم تعظيم القبور وانما تزار للترحم والاعتبار بشرط أن لا يشد اليها رحل فصار كل ما خالفه عنده كالصائل بما يدفعه فإذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل إلى دعوى أنّه كذب على من نسب اليه مجازفة وعدم نصفة وقد انصف من قال فيه (علمه اكبر من عقله).

يقول العبد الضعيف فانظر إلى هؤلاء العلماء الاعلام كيف شنعوا على ابن تيميّة في اقواله الشاذة المخالفة عن اجماع العلماء قاطبة سلفاً وخلفاً فهل يتمسّك عاقل في تلك المسائل على اقواله؟ فليعتبر العاقل وليكشف غشاوة التعصب عن بصره وبصيرته كي تنطبع دقائق التعقل في ضميره. فهيهات التنبه للزمرة الدقيقة الخفية المكان واللمحة الرفيعة الشأن (**وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** * المطففين: ٢٦) (**لِمِثْلِ هَذا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ** * الصافات: ٦١) (**وَمَا عَلَيْنَا الاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ** * يس: ١٧)

وايضاً قال الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمة الله عليه في تفصيل حديث (**شد الرحال**) إنّ ابن تيميّة ذكر في الاستدلال على تحريم شد الرحال إلى زيارة قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مقولة الامام مالك رحمة الله عليه: أنّه كره أن يقول زرت قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقد اجاب عنه المحققون بأنّه كره اللفظ ادبا لا

اصل الزيارة فإنّها من افضل الاعمال واجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال وإنّ مشروعيتها محل اجماع بلا نزاع والله الهادي إلى الصواب فانظر إلى تحريفه قول الامام مالك رحمة الله عليه من حيث المعنى وفي اي كتاب أنّ الامام مالك رحمة الله عليه نص على كراهيته فإنّه نص في رواية ابن وهب عنه وهو اجل اصحابه أنّه يقف للدعاء واقل مراتب الطلب الاستحباب وجزم به الحافظ أبو الحسن القابسى وابو بكر بن عبد الرّحمن وغيرهما من ائمة مذهب مالك رحمة الله عليه وجزم به العلامة خليل[١] ابن اسحاق في منسكه. أفما يستحيي هذا الرجل في تكذيبه بما لم يحط به علمه أنّه صار كل ما خالفه ما ابتدعه بفاسد عقله عنده كالصائل لا يبالي بما يدفعه فإذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل إلى دعوى أنّه كذب على ما نسب اليه مجازفة وعدم نصفة وقد انصف من قال فيه (علمه اكبر من عقله) (شرح المواهب اللّدنيّة) و(الرسالة العجالة).

وايضاً ذكر العلامة الزرقاني رحمة الله عليه في (شرح المواهب اللّدنيّة) عن الأئمة الاربعة استحباب الاستقبال إلى القبر الشّريف عند الدعاء ومن نسب إلى الامام أبي حنيفة خلاف ذلك فنقله غير صحيح، اذ لم ينقله عن الامام احد من اهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسّل بأهل القبور ونقل المخالف غير معتبر فاياك أن تغتر بذلك.

اقول فانظر بنظر الانصاف وتجنب عن التعصب والاعتساف كيف يصح انتساب انكار التوسّل إلى أبي حنيفة رحمة الله عليه كما فعل ابن تيميّة ونقلنا سابقاً بحوالة (روح المعاني) فإنّ اصحاب امام أبي حنيفة اعرف بمذهب امامهم.

وروى القاضي عياض رحمة الله عليه بسنده إلى أبي حميد احد رواة مالك رحمة الله عليه. قال: ناظر ابوجعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلّى

---

(١) الشّيخ خليل المالكي توفي سنة ٧٦٧ هــ. [١٣٦٥ م.]

الله تعالى عليه وسلّم فقال مالك رحمة الله عليه: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإنّ الله تعالى ادّب قوما فقال (**لاَ تَرْفَعُوا اَصْوَاتَكُمْ** * الحجرات: ٢) ومدح قوما فقال (**اِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ اَصْوَاتَهُمْ** * الحجرات: ٣) وذم قوما (**اِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ** * الحجرات: ٤) وانما حرمته حيّاً كحرمته ميّتاً فاستكان لها ابوجعفر وقال يا ابا عبد الله أاستقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام إلى يوم القيامة بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله تعالى.

قال العلامة الشهاب الخفاجي الحنفي في (شرح الشفاء) وفي هذا ردّ على ما قال ابن تيميّة من أنّ استقبال القبر الشّريف في الدعاء عند الزيارة امر منكر لم يقل به احد ولم يرو الاّ في حكاية مفتراة على الامام يعني هذه القصة التي اوردها القاضي عياض ههنا. ولله درّ المصنف حيث اوردها بسند صحيح وذكر أنّه تلقاها من عدة من ثقة مشائخه فقول ابن تيميّة أنّه امر منكر كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله (ولم يقل ولم يرو) باطل فإنّ مذهب مالك رحمة الله عليه وأحمد رحمة الله عليه والشّافعي رحمة الله عليه استحباب الاستقبال إلى القبر الشّريف في الدعاء والسلام وهو مسطور في كتبهم انتهى.

وقد ذكر سابقاً أنّ مذهب الامام الاعظم ايضاً كذلك فعلم أنّ هذا القول قول منكر باطل خرق لاجماع السّلف. والعجب كل العجب من المتسمين بسمة الشّيخوخة أنّهم يعتقدون به في مثل هذه الاقوال ايضاً ويقولون باللسان إذا كانت مسألة من المتقدمين فنحن نعمل بقول المتقدمين ونترك قول المتأخرين وههنا يتركون الاجماع بقول ابن تيميّة (**كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ اَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ** * الصف: ٣)

والعبد الضعيف كان يسمع هذه المقالة منهم فلما عرفت مسلكهم علمت أنّ مقصودهم رفع الاعتماد عن الكتب فإنهم يقولون اليوم إذا كانت المسألة موجودة في كتب محمّد رحمة الله عليه فاية حاجة إلى (الهداية) و(شرح الوقاية) و(الكنز) فاذا

تيقنوا أنّ كلامهم في الجهلاء من الطلبة الاغمار كما يظهر من عادتهم فإنهم يقولون نعتمد على قول أبي حنيفة رحمة الله عليه لا على قول أبي يوسف ومحمّد وغيرهما فإنّا مقلدون له لا لهم. فإذا رفع الاعتماد عن كتب محمّد، يقولون: نعتمد على الحديث فإنّا امة محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فاذا رفع الاعتماد من أبي حنيفة، يقولون: نحن نعمل بالقرآن وكيف نعمل بالحديث في مقابلة القرآن كما هي عادة منكري الحديث في هذا الزمان وهذه هي الطريقة إلى الالحاد في الدّين وهذا ليس بتخمين بل سمعت بعض ذلك مشافهة من تلامذته الاغمار. وقلت فهم مثل هذا القول الا أنّ غشاوة التعصب قد احاط على بصائرهم فالى الله المشتكى من اكثر طلبة هذا الزمان، لا يعرفون الغث من السمين ولا الشمال من اليمين ولا لهم علم بالعلوم الآلية ولا لهم مهارة في العقائد فيجدهم امثال هذا الشّيخ خالي الاذهان فيتمكن في قلوبهم ما قالوا لا يغسله البحار ولنعم ما قيل. **بيت:**

اتاني هواها قبل أن اعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وقال صاحب (التفسير الوجيز) فابن تيميّة اتى بشيء منكر لا يغسله البحار وليس هذا عجيبا منه فإنّه تفوه بأن لله يدا ورجلاً وصار من المجسمة حتّى أنّ بعضاً من العلماء قد كفروه (**وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ** * البقرة: ١٥٤)

اقول ومثل هذا لا يغسله البحار من قلوب هذه الاغمار الذين لا بصيرة لهم ولا شكّ أنّ اعتقاد جسميته تعالى كفر قال عليّ القاري في (شرح الفقه الاكبر، ٢٠١) وكذا من قال بأنّه سبحانه جسم وله مكان ويمر عليه زمان كافر لم يثبت له حقيقة الإيمان.

وقال شارح (العقائد الجلالية) كان ابن تيميّة حنبليا لكنه تجاوز الحدود وحاول اثبات ما ينافي لعظمة الحق تعالى فاثبت له تعالى الجسم فخرج منه (حاشية النبراس: ص، ١١٦)

وقال صاحب (النبراس): البحث الثاني: ذكر المتكلمون أنّ الانبياء عليهم

الصّلاة والسّلام اجمعوا على القول بحدوث العالم وأنّ القول بقدمه كفر ويحكى عن الامام ابن تيميّة امام اهل الحديث وفقهاء الحنابلة بقدم العرش وهو قول شاذ لا يعبأ به (النبراس: ص، ١١٦)

قال السبكي، هو رجل (علمه اكبر من عقله) حتّى قيل إنّ من سمى ابن تيميّة شيخ الاسلام فهو كافر انتهى (مستحسن على النبراس: ص: ١١٦) وذكر في (قمر الاقمار)[١]: لا عبرة لكلام ابن حزم لكونه من اهل الظاهر لا من اهل السّنّة والجماعة بدليل أنّه أنكر القياس فىكتابه (المحلي) وصرح النووي في (فصول مقدمة شرح مسلم) أنّه ظاهري وفي (تعليقات البخاري) او لم يصب أبو محمّد بن حزم الظاهري (قمر الاقمار بحث الاجماع).

اقول: علم منه عدم قبول قول اهل الظاهر وعدم كونه حجّة سواء كان ابن حزم او غيره وذكر في (تذكرة الراشد) في حق ابن تيميّة وعبد الوهاب النجدي: لا شكّ أنّ اكثر العلماء عدلوهما ووثقوهما واكثر العلماء عدوهما من الاغمار الناقصين في العقل ونسبوا اليهما الضّلال وبينوا ذمهما وقباحتهما واخرجوهما من طائفة اهل السّنّة والجماعة وادخلوهما في زمرة اهل البدعة والضلالة وقد صرح في اصول الحديث: إنّ الجرح المفسّر مقدم على التعديل فلا اعتبار لتعديلهم في مقابلة الجرح المفسّر.

وذكر في (فتاوى الحديثية) خذل الله ابن تيميّة واعماه واصمه واذله وصرح بذلك الأئمة الذين بينوا فساد احواله وكذب اقواله ومن اراد تفصيل ذلك وتصديق ذلك فعليه بكتب الامام أبي الحسن السبكي وولده تاج الدّين السبكي والشّيخ الامام العز بن جماعة وغير ذلك من معاصريهم وغيرهم من الشّافعية والمالكية والحنفيّة.

وبعض من عقائد ابن تيميّة إنّ طلاق الحائض لا يقع.

وكل صلاة تركت عمدا فقضاؤها ليس بلازم.

والطلقات الثلاث ترد إلى الواحد.

---

(١) مؤلف قمر الاقمار محمّد عبد الحيّ اللكنوي الهندي توفي سنة ١٣٠٤ هــ. [١٨٨٦ م.]

ويجوز للجنب أن يصلّي النافلة في الليل.

ولا يجوز التوسّل بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم والسفر إلى الزيارة النبوية معصية.

واثبت لله تعالى جسمية وَجِهَةً والانتقال من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان.

ويقول إنّ الرب تعالى على مقدار العرش لا اصغر ولا اكبر تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً (رسالة وجوب التقليد بامر الحميد: ص: ١١–٢٠)

اقول: قد ظهر لك من هذه الاحوال كظهور الشمس في رابعة النهار احوال اصحاب الظواهر فعليك بالتجنب عن مطالعة كتبهم واتباع عقائدهم.

وعلم ايضاً أنّ تعديل من عدل ابن تيميّة لا اعتبار له بناء على اصول الحديث

ولنذكر لك الفتوى في واقعة بلدة الشاه منصور من مضافات المردان من تاج العلماء المحقق المدقق مولانا قطب الدّين الغرغشتوي نور الله مرقده وبرد مضجعه ليعلم أنّ كلام هؤلاء مردود سلفا وخلفا واولا وآخرا: بسم الله الرحن الرّحيم (**وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِه مَنْ يَشَآءُ واللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** * البقرة: ١٠٥) (**وَتُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ انَّكَ عَلَى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ** * آل عمران: ٢٦) (**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * فَإذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * والَى رَبِّكَ فَارْغَبْ** * الانشراح: ٤–٥) (**والَّذِينَ جاهَدُوا فِيناَ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** * العنكبوت: ٦٩)

فقير قطب الدّين غورغشتوي بخدمت اهل اسلام عموماً واهل سنت والجماعة خصوصاً عرض برد از هى كه اگر چه سعى سلف رحمهم الله تعالى كافى هى ليكن بتذكرهٔ عزيزان اخوان اسلام كى لئى اتفاقاً ضرورت پرى تا كه عوام جدال وقتال سى محفوظ رهين اتباع محمّد بن عبد الوهاب نجدى اور ابن تيميّة اور ابن قيم كى جن كى عقائديه هين[١] كه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كى قبر

(١) مولوى مير عبد الله طوردى بقلم خود

شريف كو صنم اكبر (برابُت) كهتى هين[١] اورا پنى آپ كو موحدين كهتى هين[٢] اورا پنى مخالف كو مشرك بتلاتى هين[٣] اور يا رسول الله كهنا شرك هى[٤] زيارت قبور بعيده نا جائز هى اور أولياء الله كى ارواح پر ايصال ثواب حرام هى اور كرامت بعد الموت نهين اور توسّل حرام هى وغيره وغيره اهل سنت والجماعة سى خارج هين اگر كسى كو مزيد تحقيق كا شوق فقير كيساتھه كرسكتا هى اور لا اكراه في الدّين كيوجه سى تعرض نهين كرتى ليكن ترك موالات هين همكو اختيار هى (**وَاللهُ يَدْعُوا إلى دَارِ السّلام ويَهْدِي مَنْ يَشَآءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** * يونس: ٢٥) مولوى قطب الدّين غرغشتوى بقلم خود.

جناب حضرت مولانا سرتاج علماء قطب الدّين صاحب دامت بركاته علينا كى مكتوب بزر كتابت كيساتھه هم خادمان اهل علم كا سرا وعلانيةً اتفاق هى يهان علاقه بلاق وغيره ضلع مردان هين بهى همين نجديون وغيره كى هم عقيده لوگ همارى نظرون هين موجود پاى جاتى هين جوكه خارج از زمرهٔ اهل سنت والجماعة هين.

اور فتوى تور دهير مين ايك سوار تا ليس علماء كرام كى دستخطين موجود هين.

يقول العبد الضعيف: نقل الفتوى مطابق لاصل الفتوى ولذا لم اذكرها بالعربية وعلم من الفتوى المذكور أنّ علماء اهل السّنّة والجماعة كلهم مخالفون عن هذه الشرذمة القليلة المتسمين بسمة التوحيد المسيئين للادب. فعليكم ايها الاخوان المسلمون التجنب عنهم وعن مطالعة كتبهم لأن الخارج عن المذاهب الاربعة في

---

(١) صاحب حق عبد الخالق كرهى كپوره بقلم خود

(٢) مولوى زين الله ساكن ترلاندى بقلم خود

(٣) مولوى شائسته گل ساكن مته بقلم خود

(٤) مولوى غلام رحمانى ساكن لوند خور بقلم خود

ذلك الزمان خارج عن اهل السنّة والجماعة كما ذكر في (عمدة الاصول في حديث الرسول ص: ٩٧).

والامر الثامن: إنّ من آداب الحديث في الشّيخ أن يكون خالصا نيته، طاهرا قلبه، حسناً خلقه، طليقا وجهه، جالسا على صدر المكان بالوقار غير مخل غير مغفل، متمكنا متوجها بحل المشكلات وشرح الغرائب على نهج الشروح واللغة بالتطبيق والترجيح على قواعد المذهب واصول اهل السنّة، معتمدا في التضعيف والتصحيح على الشروط المعتبرة عند اهل الحديث، المقررة في اصول الفقه، غير خارج عن المذاهب الاربعة، غير محدث قائما ولا عاجلا ولا في الطريق رائيا حال الطالب: هل هو اهل لذلك الفن والاّ فكان أمره بالفقه فإنّ حصوله ايسر مع وصول اصل المقصود لأن الفقه ثمرة الحديث وثواب الفقيه ليس دون المحدث بالأحاديث وذكر في حاشية قوله (غير خارج عن المذاهب الاربعة) اي في ذلك الزمان فإنّه ممنوع بالاجماع.

قال (الطحطاوي شرح الدر المختار في كتاب الذبائح) قال بعض المفسّرين: فعليكم يا معشر المؤمنين اتباع الفرقة الناجية المسماة بأهل السنّة والجماعة فإنّ نصرة الله تعالى وحفظه وتوفيقه في موافقتهم وخذلانه وسخطه ومقته في مخالفتهم وهذه الطائفة قد اجتمعت اليوم في المذاهب الاربعة وهم المالكيون والحنفيون والشافعيون والحنبليون. (فمن كان خارجا في ذلك الزمان عن هذه المذاهب الاربعة فهو من اهل البدعة والنّار) انتهى.

قال القاضي ثناء الله اليانيپتى رحمه الله تعالى في (التفسير المظهري): فإنّ اهل السنّة قد افترق بعد القرون الثلا ثة او الاربعة على اربعة مذاهب و لم يبق مذهب في فروع المسائل سوى هذه المذاهب قد انعقد الاجماع المركب على بطلان قول يخالف كلهم. وقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**لا تجتمع امتي على الضلالة**) انتهى.

فعلم (ان من كان خارجا عن المذاهب الاربعة فهو من اهل البدعة والضلال) والعجب من موحدي هذا الزمان حيث يقولون في حق ابن عبد الوهاب شيخ الاسلام ومجدد الدّين والحال أنّ العلماء صرّحوا بأنّه واتباعه من الخوارج والويل للمنتسبين إلى الديوبند، كيف يقولون له شيخ الاسلام ومجدد الدّين؟ وإنّ علماء ديوبند صرحوا بكون محمّد بن عبد الوهاب النجدي من الخوارج كما ذكرنا نقلا عن (عقائد علماء الديوبند) وفي ذلك الكتاب مواهير العلماء من العرب والعجم والمذاهب الاربعة قاطبة وهم بعض ذرياته وهل هذا الا أتباع سبيل غير سبيل المؤمنين (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وسآءَتْ مَصِيرًا** * النساء: ١١٥) قال الامام الشّافعي رحمة الله عليه طالعت القرآن ثلاثمائة مرة فلم أر دليلاً قويا على حجية الاجماع اقوى من هذه الآية.

والحاصل إنّ اكابر الديوبند بل العلماء الماضين يقولون إنّ محمّد بن عبد الوهاب من الخوارج وبعض من استقبل إلى الديوبند ولا ادري أبات فيه ليلة او ليلتين ام لا أقعد في درسه ام لا؟ أنّه يفتري على علماء الديوبند ويزيد الظن السوء عن العوام على الديوبنديين ومقصود العبد الضعيف، الذب عنهم فإنّ مسألة التوسّل بالذوات الفاضلة من اهل القبور ومسألة سماع الموتى والكرامة بعد الممات وكون السفر لاجل زيارة قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم من افضل القربات وكون الميلاد قربة وغير ذلك مما هو من المسلّمات عند الديوبنديين وهؤلاء المسيئون في شان اهل القبور، المنكرون للتوسّل بل ينسبون إلى المتوسّلين الشّرك والمنكرون عن الكرامة بعد الممات القائلون إنّ في الميلاد تقليد الغاندي (گاندي) وغير ذلك من الخرافات التي تمجها الآذان ومع ذلك يتسمون بسمة الديوبندية، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وقد اشاعوا في الزمان القريب رسالة سمّوها بـــ(كشف الشبهات) لمحمّد بن عبد الوهاب النجدي الخارجي باتفاق اكثر العلماء وهي تقول له شيخ الاسلام ومجدد الدّين فيا معشر المسلمين احذروا من هذه الفتنة العمياء فإنّها داهية دهياء.

والعبد الضعيف طالع تلك الرسالة فاردت أن اذكر لك نبذا من ذلك وإن كان التذنيب مسوقا لبيان احوال ابن تيميّة الاّ أنّه ايضاً من تصنيف ذريته ومأمومه.

فنقول: قد عرفت حال محمّد بن عبد الوهاب النجدي: أنّه كان من الخوارج وخرج من النجد وتغلب على الحرمين الشّريفين وكان يدعي الحنبلية وكانت عقيدته أن ينسب الشّرك إلى من كان مخالفاً عن عقيدته ويبيح قتل علماء اهل السّنّة والجماعة ويبيح اكل اموال المسلمين وسفك دمائهم إلى أن كسر الله شوكتهم.

ذكر في (عقائد علماء الديوبند) إنّ عقيدتنا في حقه: ما قال صاحب (الدر المختار) ومثل هذا ذكر العلامة الشامي (باب البغاة: ج: ٣، ص: ٣٣٧) ومثل ذلك ذكر في (التنقيح الحامدية: ج: ١، ص: ١٠٣، باب الردة).

وذكر العلامة العينى[١] في (ج:١١، ص:٢٤٠ باب قتال الخوارج والملحدين) وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنه يراهم اي الخوارج شرار خلق الله تعالى وقال إنّهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفّار فجعلوها على المؤمنين ووصله الطبرى[٢] في (تهذيب الآثار) من طريق بكير بن عبد الله بن الاشج أنّه سأل نافعا: كيف كان رأي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في الحرورية؟ قال: كان يراهم شرار خلق الله تعالى، انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفّار فجعلوها على المرمنين انتهى. قلت الحرورية هم الخوارج وانما سمّوا حرورية لأنّهم نزلوا في موضع سمي حرورا وهو موضع قريب من الكوفة (ج: ٢، ص: ٢٤٠).

وقد ذكر في شأن الخوارج أحاديث كثيرة فإنّ في رواية عمر رضي الله تعالى عنه (فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرمية) (البخاري والعينى ج: ١١، ص: ٢٢٤).

قال النووي فيه دلالة على فقه الصّحابة رضي الله تعالى عنهم وتحرير الالفاظ

---

(١) شارح البخاري محمود العيني توفي سنة ٨٥٥ هـ. [١٤٥١ م.] في القاهرة

(٢) محمّد بن جرير الطبري الشّافعي توفي سنة ٣١٠ هـ. [٩٢٣ م.] في بغداد

وفيه اشارة من أبي سعيد إلى تكفير الخوارج او أنّهم غير هذه الامة (العيني والبخاري ج: ١١، ص: ٢٤٢) قال العينى هؤلاء القوم خرجوا من نجد موضع التميميين (العيني ج: ١، ص: ٢٤٥).

ثم ظهور الخوارج في ارض نجد والعراق وما وراءها من المشرق (العيني.ج: ١١، ص: ٢٥٣) واشار بقوله عليه الصّلاة والسّلام (**هناك يطلع قرن الشيطان**) إلى نجد ونجد من المشرق.

وما قال الامام أحمد: إن لم يكونوا اهل الحديث فلا ادري من هم؟ قال القاضي عياض رحمة الله عليه انما اراد الامام أحمد اهل السّنّة والجماعة. قال النووي: يحتمل أن تكون هذه الطائفة مفرقة من انواع المؤمنين. فمنهم مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد إلى غير ذلك (العيني والبخاري ج: ١١، ص: ٤٣٨).

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**اللّهمَّ بارك لنا في شامنا اللّهمَّ بارك لنا في يمننا**) قالوا يا رسول الله (وفي نجدنا) قال (**اللّهمَّ بارك لنا في شامنا اللّهمَّ بارك لنا في يمننا**) قالوا يا رسول اللہ)وفي نجدنا) فاظنه قال في الثالثة (**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**) رواه البخاري قال المحدث الدّهلوي رحمة الله عليه يعني حزب اوُ اعوان اوُ (اشعّة اللّمعات ص: ٧٣٦)

اقول: وقد ذكر العلامة الشامي كما وقع في زماننا في اتباع ابن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد انتهى. فعلم مما ذكرنا من الاقوال: أنّهم من الخوارج وقد قال عليه الصّلاة والسّلام في حقهم ما قال وايضاً علم: أنّ علامتهم أنّهم يطبقون الآيات الواردة في حق الكفّار على المؤمنين والآيات الواردة في حق الاصنام على أولياء الله تعالى كما هو حال الغلاة في زماننا فكيف يكون رأسهم ورئيسهم شيخ الاسلام لانه ورد في الحديث (**انهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية**) فالتعجب إنّ مع المروق من الاسلام كيف يكون شيخ الاسلام؟ نعم انقلب الدوران ففي كل يوم يحدث شيخ الاسلام وشيخ القرآن **بيت:**

وهكذا يذهب الزمان على العبر * ويفني العلم ويندرس الاثر

ونحن إلى الآن نسمع شيخ الاسلام اليزدوي[١] وشيخ الاسلام السرخسي[٢] مثلاً وصار الامر اليوم اسهل فكل من كتب ورقة او ورقتين او ترجم شهرا او شهرين صار شيخ الاسلام وشيخ القرآن فيا للشّيخوخة ولعل هذا اختلاف عصر وزمان لا دليل ولا برهان فإنّ شيخ الزمان الحاضر يكون هكذا وبعد اللتيا والتي لا يكون شيخ الاسلام من يكون من الخوارج بدليل من الشكل الاول بأن من سمّاه الشّيخ شيخ الاسلام لا يكون شيخ الاسلام لانه من الخوارج وكل من يكون من الخوارج لا يكون شيخ الاسلام ينتج مع رعاية الشرائط لمطلوبنا.

اما الصغرى فلما ذكرنا من نقول العلماء واما الكبرى فلحديث (**يمرقون من الدّين**) الخ. فظهر انّ ما قال الشّيخ في خطبة (كشف الشبهات: ص: ٢) واختص للحرمين الشّريفين وبلاد العرب الشّيخ، القدوة، ناصر السنّة، قامع الشّرك والبدعة، الامام شيخ الاسلام محمّد بن عبد الوهاب النجدي نور الله مرقده وبرد مضجعه مردود على فيه برغم انفه حيث لم يدع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم النجد وقال (**هناك يطلع قرن الشيطان**) انتهى. وهل هذه الاّ جراءة عظيمة ووقاحة بينة.

واما قوله فإنهزم اهل الكفر والشّرك والبدعة باللهجة الحسنة.

فغلط من حيث العربية لأن انهزم لازم، لا ينصب المفعول كما لا يخفى على من مس رسائل الصرف والنحو.

وقوله والألسنة القاطعة واللسان الصادقة ففي غاية السقوط لأن القطع مشهور في السنان لا في اللّسان، سيّما وقد ذكر بعده قوله واللسان الصادقة فالظاهر والألسنة القاطعة.

وقوله واللسان الصادقة يضحك عليه الصبيان فإنّ المطابقة بين الموصوف

---

(١) فخر الاسلام علي اليزدوي توفي سنة ٤٨٢ هـ. [١٠٨٩ م.] في سمرقند

(٢) شّيخ الاسلام محمّد السرخسي توفي سنة ٤٨٣ هـ. [١٠٩٠ م.]

والصفة من ضروريات النحو فالواجب من حيث شريعة النحو أن يقول والألسنة الصادقة لتحصل الموافقة بين الموصوف والصفة وكذا يحصل التناسب مع قوله والألسنة القاطعة ولعلّه كان في ذلك الوقت بسبب وجد حصل له من مدح من ذمه علماء الحق قاطبة بين النوم واليقظة. فما درى ما يكتب اللّهمَّ ايقظه من سِنَةِ الغفلة.

وقوله الف في ذلك تأليفات الطيبة فايضاً غلط لأن المطابقة بين الموصوف والصفة في التعريف والتنكير شرط لازم لا يسامح فيها فاللازم أن يقول وتأليفاته الطيبة ولعل الشّيخ حصلت له عداوة مع علماء النحو والصرف حيث لا يعمل بقواعدهم كما له عداوة بالعلماء والاساتذة والأولياء سيّما سيّد الأولياء محي الدّين ابن عربي فإنّه يفرط في شأنه تبعا لمرشده ابن تيميّة كما ذكرنا أنّه يقول له تارة كافر وتارة ملحد وتارة زنديق اعاذنا الله تعالى منه.

قوله فاشمر الاخى، ايضاً غلط فاحش لأن المضاف بالاضافة المعنوية يجب تجريده عن التعريف ولا شكّ أنّ الاخ مضاف إلى ياء المتكلم. فعليه بمطالعة الكافية والشافية فانظر ايها المنصف إذا كان شخص لا يقدر على العبارة الصّحيحة في ورقة بل صفحة وتكون له فيها اغلاط كثيرة فكيف يدعي الشيخوخة؟ وكيف يسمي درسه بـــ(درسگاه بى نظير) ولعل هذا وجه تسميته به فإذا كانت حال الخطبة هكذا فقس عليها الباقي ولنعم ما قال الشاعر. **بيت:**

خشت اول چون نهد معمار كَجْ * تَا ثريا ميرود ديواركج

وكيف قال دار العلوم حقانية: أهي عنده حقانية؟ **بيت:**

انگشت حيرت در دهن * نيمش درون نيمش برون

والعجب أنّه كيف كتب مع (سيدو) لفظ شريف لأن لفظ شريف مع المكان يكتب من يكون معتقدا للمكين لأن شرافة المكان بشرافة المكين كما هو المثل السائر على لسان البادي والحاضر والشّيخ لا يعتقد سيّد الأولياء محي الدّين ابن العربي الشّيخ الاكبر نور الله مرقده وافاض علينا من بركاته فكيف يعتقد صاحب

السوات والظاهر أنّه طغى عليه قلمه.

وكذا قوله راولپندي لا ادري كيف ذكر في العبارة العربية الفصيحة البليغة التي يضحك منها صبيان المكاتيب كما لا يخفى على من طالع اللغات الجديدة.

ثم وقع نظري على قوله من الكتب التوحيد في (ص: ٢) فإنّ الكتب ايضاً مضاف ومعرّف باللام والله لا ينقضي غضبي بل عجبي على هذه الوقاحة وليس مقصودنا الرد بالمؤاخذات اللفظية والمناقشات العربية فإنّ في تأليفاته على ما رأيت اغاليط من حيث العربية، نبّهنا على بعضها وسامحنا عن بعضها وللاستقصاء لا بدّ من الدفاتر والاسفار الاّ (ان ما لا يدرك كله لا يترك كله) فنبهت لك ايها اللّبيب! فإنّ القليل انموذج الكثير والغرفة تنبئ عن البحر الكبير.

ولا تغتر ايها العاقل بما قال في آخر الخطبة في مدح نفسه مؤسس جماعة التوحيد والسّنّة في بلاد الافاغنة فإنّ المعتزلة يسمون انفسهم اصحاب العدل والتوحيد فهل يغتر بهذا الاسم عاقل فضلاً عن فاضل لانا نقول عدلهم يبطل توحيدهم وتوحيدهم يبطل عدلهم والمنكرون عن التقليد يسمون انفسهم اصحاب التوحيد واهل الحديث فهل يصدقه عاقل والمنكرون عن الحديث يسمون انفسهم اهل القرآق فهل هم كذلك؟ كلا! والله ليسوا بأهل القرآن فإنّ اهل القرآن من هو عامل بالقرآن والعمل بالقرآن لا يمكن بدون الحديث واهل الحديث هم العاملون بالحديث (والعمل بالحديث لا يمكن بدون الفقه والفقه المدون فقه الأئمة الاربعة فلا بدّ من التقليد) وهم يقولون للمقلدين مشركين (**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ** * الكهف: ٥)

وما قال في الاخير دار القرآن پنج پير يوم الاثنين ثالث عشر ذو الحجة قوله پنج پير لا نظير له في العربية.

واما قوله ذو الحجة فايضاً غلط لأن الثالث عشر مضاف إلى ذى الحجة وجر الاسماء الستة بالياء كما قال العلامة ابن الحاجب في الكافية ابوك واخوك وحموك

وهنوك وفوك وذو مال.

والعجب كل العجب إنّ صدر المدرسين مولانا محمّد عناية الرّحمن ايضاً لم يلاحظ هذه الخطبة الفصيحة البليغة حتّى يصححها او يأمر بتصحيحها فإنّه ضم مع كتاب (كشف الشبهات) فتواه في المصافحة ولعلّه ما نظر فيها قبل الطباعة والشّيخ ايضاً لم يتأمل فيها ومفاسد قلة التأمل يضيق عنها نطاق البيان. فعليك بالتأمل قبل البيان وحين البيان وبعد البيان وما توفيقي الا بالله، عليه توكلت واليه انيب.

قال محمّد بن عبد الوهاب النجدي في (الاصول الثلاثة) وانواع العبادة التي امر الله بها مثل الايمان والاسلام والاحسان ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرهبة والرغبة والخشوع والخشية والانابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة.

فاقول: ما المراد من الدعاء والاستعانة إن كان المراد أنّ مجيب الدعوات والمستعان هو الله تعالى فلا ريب فيه أنّه صحيح، عقيدة اهل الاسلام كافة. وإن كان المراد أنّ طلب اجابة الدعاء من الله تعالى بوسيلة احد وحرمته وبركته وطلب العون والنصرة من الله تعالى بوسيلة الذوات الفاضلة وحرمتهم، شرك فهذا امر باطل قد ذكرنا سابقاً في مقصد اثبات التوسّل فلا نعيده. وكيف يكون شركاً فإنّ صفات الواجب تعالى واجبة لذات الواجب مستقلة لا احتياج فيها. وصفات المخلوقين محتاجة غير مستقلة فالمجيب للدعوات هو الله تعالى والمستعان هو الله تعالى. قال الله تعالى (**وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** * يوسف: ١٨) فأي شرك فيه؟ كيف وقد ذكرنا سابقاً إنّ مسألة التوسّل مما اجمع عليه العلماء كما نقلنا من تاج الدّين السبكي رحمة الله عليه وهذا لا ينافي (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** * الفاتحة: ٥) فإنّ المعبود والمستعان هو الله تعالى والذوات الفاضلة وحرمتهم وقربهم ومحبتهم وسيلة في البين فإنّ علماء الاسلام كلهم يعرفون معنى (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** * الفاتحة: ٥) لا أنّه ظهر لمحمّد بن عبد الوهاب النجدي.

والخوف من احد غير الله تعالى لا ينافي الخوف من الله تعالى. الا ترى إلى

قوله تعالى لموسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام (**يَا مُوسَى اَقْبِلْ ولاَ تَخَفْ اِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ** * القصص: ٣١) فإنّه حصل الخوف لموسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لما صارت العصا حية فهل لاحد أن يقول إنّ موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام خاف من الحية وهذا ينافي قوله تعالى (**فَلاَ تَخَافُوهُمْ وخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** * آل عمران: ١٧٥) وقال تعالى نقلا عن موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام (**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَاَخَافُ اَنْ يَقْتُلُونِ** * الشعراء: ١٤) فهل لاحد له شائبة العلم أن يقول إنّ خوف موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام من القبط ينافي الخوف من الله تعالى وكذا قوله تعالى (**فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ** * القصص: ٢١) ومنها قوله تعالى حكاية (**إِنّي اَخَافُ اَنْ يُكَذِّبُونِ** * الشعراء: ١٢) وكذا قوله تعالى حكاية (**وَاِنّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَآئِي** * مريم: ٥) وكذا قول هارون على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام (**اِنّي خَشِيتُ اَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي اِسْرَآئِيلَ** * طَهَ: ٩٤) وكذا قولهما (**اِنَّنَا نَخَافُ اَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا** * طه: ٤٥) ومثل ذلك كثير في الفرقان.

وقد صرح العلماء في قصة موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام: فيها دليل على أنّ الخوف من المؤذيات لا ينافي الكمال والتوكل. ولعل الشّيخ ايضاً ما وقع بصره على تلك الآيات.

وايضاً ورد في الحديث أنّه عليه الصّلاة والسّلام كان يحرس حتّى نزل (**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** * المائدة: ٦٧) فهل هذا ينافي الخوف من الله تعالى.

وايضاً النّبي صلّى الله تعالى عليه وسلم لبس درعين في الجهاد فهل هذا ينافي الخوف من الله تعالى؟ كلا!.

وايضاً الصديق الاكبر رضي الله عنه لما اخرج النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ليلة الهجرة إلى الغار كيف ورّى مع الكفّار حيث قال (رجل يهدني السبيل) وماكان هذا الاّ لخوف الكفّار. فهل لاحد أن يقول إنّ هذا ينافي الخوف من الله ولا ينكر عما ذكرنا الاّ غمر جاهل او معاند متجاهل. ولا ادري أنّ مرشد الشّيخ: هل كان

يخاف من المؤذيات وممن كان يقدر على اذاه ام لا. وهل ذرياته يخافون ممن يقدر على ايذائهم ام لا؟

والدعاء وإن كانت عبادة الاّ أنّ الدعاء يكون من الله تعالى. الا ترى إلى حديث الضرير (**اللّهمَّ اني اتوسّل اليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة** ...) انتهى. فإنّ السؤال فيه من الله تعالى والنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وسيلة في البين فأي شرك فيه؟ نعم، من يقول مجيب الدعوات والمستعان وكاشف الضرّ وشافي المرضى مثلاً الوسيلة حقيقة فهذا شرك كما ذكرنا سابقاً من فتوى العلماء: إنّ اعتقاد كون الوسيلة حلاّل المشكلات شرك فما اهون شركهم.

واما الإستغاثة فمعناه طلب الغوث ولا ادري ما يقولون في معنى مثال المنادى المستغاث، مثل يا لعمر. اي ياقوم اغث لعمر وإن قلت إنّه من الحيّ قلنا، لا تخصيص في الآية بالميت والحيّ وإن قلت إنّ الاستغاثة من الحيّ من قبيل الاسباب قلنا، ذكر سابقاً أنّ التوسّل بالأموات والاستعانة بهم ليس خارجا من الاسباب لا ينكره الاّ جحود او ظلوم.

واما الذبح والنذر إن كان باسم غير الله تعالى فلا شكّ أنّ النذر لغير الله حرام باجماع العلماء ما لم يقصد صرفه إلى الفقراء وكذا الذبح. واما إن كان المراد أن يصل ثوابه إلى المقبور الفلاني فأي حرج فيه؟ كيف والنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان يضحّي عن امته ممن لم يضح وكذا علي رضي عنه كان يضحّي عن النّبيّ الله عليه وسلّم بعد وصاله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وما ذلك الاّ لوصول الثواب والاّ فالاضحية الواحدة كيف تصح عن جميع الامة وهذا هو محمل الحديث والاّ فالرجل يذبح الدجاج للضيف وكذا الشاة. الا ترى أنّ الصّحابي لما اراد الذبح للنّبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأبي بكر الصديق وغيرهما واخذ المدية، قال عليه الصّلاة والسّلام له (**اياك والحلوب**). نعم، من ذبح لمحض تعظيم غير الله تعالى لا لأن يأكل منه كما يكون عند قدوم السلطان وكما يكون في بعض البلاد عند الجيش

فهوحرام لا مطلقاً كما لا يخفى على اولي النّهي.

والنذر الذي يقع من اكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء ويرفع ستره على رأسه، قائلاً يا سيّدي فلان إن قضيت حاجتي كرد الغائب ومعافاة المريض فلك مني من الذهب او من الطعام او من الكسوة او من الشمع مثلاً كذا باطل اجماعا. نعم، لو قال يا الله! نذرت لك إن شفيت مريضي او نحوه أن اطعم الفقراء بباب السيّدة نفيسة او نحوها او اشتري حصيرا لمسجدها وزيتا يوقدها او دراهم لمن يقوم لشعائرها مما يكون فيه نفع للفقراء.

والنذر لله تعالى وذكر الشّيخ انما هو محل لصرف النذر لمستحقيه العاكفين برباطته او مسجده او جامعه بهذا الاعتبار اذ مصرف النذر الفقراء وقد وجد المصرف لكن لا يحل صرف الاّ إلى الفقراء لا إلى ذي علم لعلمه ولا لذي نسب لنسبه ولا لحاضري الشّيخ الاّ أن يكون واحداً من الفقراء.

وإذا عرفت هذا فما يؤخذ من الدراهم ونحوها وينتقل إلى ضرائح الأولياء تقربا اليهم فحرام بالاجماع ما لم يقصد صرفها إلى الفقراء الأحياء قولاً واحداً وقد ابتلى الناس بذلك في (النهر الفائق)[١] و(البحر الرائق) و(الفتاوى الشاه جهانية وفتاوى عزيزيه ج: ٢، ص: ١٠٧، وج: ١، ص: ٩٠) و(الدر المختار كتاب الصوم) قوله باطل بالاجماع بوجوه: منها أنّه نذر مخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ومنها أنّ المنذور له ميت والميّت لا يملك ومنها أنّه ظن أنّ الميّت يتصرف في الامور دون الله تعالى واعتقاده كفر.

فعلم من هذا التفصيل أنّ الحكم مطلقاً خطأ كما هو ديدن الغالين المتجاوزين اتباعا لمرشدهم فالحاصل أنّ الذبح لاهداء الثواب لاحد ويذكر عند الذبح اسم الله تعالى لا غير، جائز كما علم من اضحية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من امته واضحية

---

(١) مؤلف النهر الفائق عمر بن نجيم المصري توفي سنة ١٠٠٥ هـ. [١٥٩٦ م.]

علي رضي الله عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغير ذلك مما ذكرنا سابقاً جائز وهو محمل ما ذكر في (التفسير الأحمدي: ص: ٦٩).

ومن ههنا علم أنّ البقرة المنذورة للأولياء كما هو الرسم في زماننا حلال طيب والاّ فالنذر لغير الله تعالى حرام كما علمت آنفا بأن لم يقصد صرفه إلى الفقراء وقصد التذلل غاية التذلل لغير الله كما هو معنى العبادة على ما صرح به مرشد الشّيخ في (كتاب التوحيد) العبادة التذلل غاية التذلل. وكذا قال القاضي البيضاوي (ص: ٨) والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة إذا كان في الصفاقة ولذلك لا تستعمل الاّ في الخضوع لله تعالى. قال في (المنهية) اي لا يجوز شرعاً وعقلا فعل العبادة الاّ لله لأن المستحق لاقصى غاية الخضوع من يكون موليا لاعظم النعم من الوجود والحياة وتوابعهما ولذلك يحرم السجود لغير الله تعالى لأن وضع اشرف الاعضاء على اهون الاشياء وهو التراب غاية الخضوع.

اقول: هذا هو المراد بالقصر المستفاد من (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ** * الفاتحة: ٥) فإنّ معناه على قانون البلاغة الباحث عن المعاني الثانوية: نعبدك ولانعبد غيرك اي نتذلل غاية التذلل لك لا لغيرك.

واما المحبة مع أولياء الله تعالى فامر آخر غير العبادة لانا مأمورون بالمحبة مع الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام مع أنّ العبادة لغير الله تعالى مطلقاً حرام ولذلك ورد في الحديث الّذي صحّحه الامام البخاري رحمة الله عليه (**واسألك حبّك وحبّ من يحبّك**) فعلم أنّ المحبة مع من يحب الله تعالى امر مطلوب سأله النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالاهتمام ولا شكّ أنّ انبياء الله تعالى واولياءه يحبون مع الله فلو كانت المحبة عين العبادة لما قال النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ذلك كما لا يخفى ولذلك ورد في الرّواية (**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**).

واما الاستعانة من الله تعالى لا ينافي في الوسائل كما علم مفصلاً في بحث

التوسّل. الا ترى إلى أن طلب الوسائل والآلات لا ينافي كون الله تعالى مستعانا. ولا ينافي (**اياك نستعين**) قال القاضي البيضاوي الاستعانة: طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها. والضّرورية ما لا يتأتّى الفعل دونها كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند اجتماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل. وغير الضّرورية تحصيل ما تيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف (البيضاوي ص: ٨).

فعلم أنّ طلب الوسائل لا ينافي كون الاستعانة من الله تعالى كما هو مزعوم الفئة المنكرة ولذا قال البيضاوي في (ص: ٩) ويعلم منه أنّ تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى إلى الاجابة.

وما ذكر في (ص: ١١) من قوله تعالى (**اِنَّكَ مَيِّتٌ وَاِنَّهُمْ مَيِّتُون** * الزمر: ٣٠).

ان كان المراد من ايراده نفي الحياة البرزخية كما هو مزعوم الفئة المنكرة فذلك باطل لأن الأحاديث الصّحيحة دالة على حياة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام والشهداء والصديقين والصّالحين كما ورد في الحديث (**فنّبيّ الله حيّ يرزق**) وكذا ورد في الحديث (**من صلّى عليّ نائياً ابلغته ومن صلّى عليّ عند قبري سمعته**) (المشكاة ص: ٧٩) والسمع لا يكون بدون الحياة كما لا يخفى وكذا روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيزقال لما كان ايام الحرة و لم يوذن في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثاً و لم يقم و لم يبرح سعيد بن المسيب المسجد وكان لا يعرف وقت الصّلاة الاّ بهمهمة يسمعها من قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلم رواه الدارمي (المشكاة ص:٥٣٧)

وكذا صرح في (عقائد علماء الديوبند) وتلك عقائد علماء العالم سوى الفئة المنكرة بأن للانبياء عليهم الصّلاة والسّلام حياة برزخية جسدانية ويدل عليه قوله عليه الصّلاة والسّلام (**مررت بقبر موسى فإذا هو يصلّي في قبره**) والصّلاة تقتضي جسداً حيّاً وكذا صرح به في (التفسير المظهري) بل ذكر في رواية التّرمذي تلاوة

(سورة الملك) من موضع لا يعرف فيه القبر كما ذكر في (المشكاة باب فضائل القرآن) وقد ذكرناه مستوفى في المقاصد ونقلنا عن (التفسير المظهري): إنّ الحياة البرزخية غير مختصة بالشهداء بل تجري في الانبياء والصديقين والصّالحين على ما يدل عليه التّرتيب في قوله تعالى (**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَآءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ اُولَئِكَ رَفِيقًا** * النساء: ٦٩) وإن كان المراد الموت الظاهري الدّنيويّ فلا ينكر عنه عاقل.

وايضاً روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم (**ما من احد يسلّم عليّ الاّ ردّ الله تعالى عليّ روحي حتّى اردّ عليه السّلام**) رواه أبو داود والبيهقي في الدعوات الكبير.

وكذا روى الدارمي والنّسائي (**ان لله تعالى ملائكة سيّاحين في الارض يبلغوني من امتي السّلام**) (المشكاة: ص: ٧٨) قال في الحاشية (**رد الله علي روحي**) ليس المراد بعود الروح عودها بعد المفارقة عن البدن وانما المراد أنّه صلّى الله عليه وسلّم في البرزخ مشغول حول الملكوت مستغرق في مشاهدة الرب جلّ وعلا كما كان في الدّنيا في حالة الوحي وفي الأحوال الأخر فعبر عن افاقته من تلك المشاهدة وذلك الاستغراق بردّ الروح.

والحاصل أنّ مسألة الحياة البرزخية للانبياء عليهم الصّلاة والسّلام مما تلقتها الامة بالقبول سلفاً وخلفاً اولا وآخرا والفئة المنكرة تنكرها كما ذكر مولانا السيّد حسين أحمد المدني نور الله مرقده وبرّد مضجعه وافاض عليه شآبيب الغفران في (الشهاب الثاقب) إن شئت فطالعه وللعلامة السّيوطي رسالة في حياة الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام ذكر فيها دلائل شافية كافية دالة على حياة الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام من اراد فليطالعها فإنّ فيها شفاء العليل ودواء الغليل.

وما ذكر في (ص: ١٣): ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى، يقولون نريد منهم التقرب إلى الله تعالى ويزيد شفاعتهم عنده.

فتعنت بيّن لأن كفرهم كان بالعبادة لا بالتوسّل بعباد الله الصّالحين. والدليل عليه قوله تعالى (**مَا نَعْبُدُهُمْ الاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى** * الزمر: ٣) فعلى تقدير أن يكون تلك اسماء صالحيهم انما كفروا بالعبادة لأن الاستثناء من النفي اثبات فتقديره ما نعبدهم الاّ نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ولا شكّ أنّ عبادة غير الله لا يكون سببا لقرب الله تعالى بل سببا للبعد من الله تعالى والمنكرون كيف يقيسون التوسّل على العبادة فإنّ التوسّل إلى الله تعالى بالذوات الفاضلة مستحسن العلماء عربا وعجما وعبادة غير الله تعالى شرك اجماعا فكيف يصح القياس.

والمشركون وإن اقرّوا بالخالق كما يدل عليه قوله تعالى (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضَ لَيَقُولُنَّ** * لقمان: ٢٥) وامثاله الاّ أنّهم يشركون مع الله تعالى غيره في العبادة فلذا حكم عليهم بالشّرك لا لأن التوسّل بالذوات الفاضلة المستحسن عند العلماء قاطبة شرك.

ولا يشك مؤمن أنّ الرازق والخالق والمحيي والمميت والمعزّ والمذلّ هو الله تعالى وكلّنا عبيد تحت قهره الاّ أنّ الانكار عن تفاوت المراتب زندقة والحاد. فوجه عدم دخولهم في التوحيد مع الاقرار بالخالق والرازق هو الشّرك في العبادة (**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ** * الانعام: ٩١) فكان اقرارهم كلا اقرار.

والعجب! كيف خفي على مرشد الشّيخ هذا المعنى مع كونه واقفا بالعربية ولنعم ما قيل: حبك الشيء يعميك ويصمّك وصاحب الغرض مجنون وللجنون فنون والكلام ذو شجون.

ولا يطلب المؤمن الرزق من غير الله تعالى ولا يعتقد كاشف الضرّ الاّ الله تعالى وشافي المرضى الاّ الله والجواب عن حديث الطبراني وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام (**لا يستغاث بي، انما يستغاث بربي**) ذكرنا سابقاً أنّه إذا كانت الدلائل قائمة على جواز التوسّل والامة تلقته بالقبول فلا بدّ أن يقال إنّ هذا محمول على التواضع كما ورد في الحديث (**لا تخيرّوني على يونس بن متى ولا تقولوا السيّد فإنّ السيّد هو**

الله تعالى) مع كون النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خير الرسل وكونه سيّد الانبياء عليهم الصلاة والسّلام كما في الأحاديث الصحاح.

او نقول هذا مثل ما ذكر في (المشكاة ص: ٥٠١) في رواية أبي داود اتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اعرابي فقال جهدت الانفس وجاعت العيال وهلكت الاموال فاستسق الله لنا فإنّا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. فقال (**سبحان الله، سبحان الله**) فما زال يسبّح حتّى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال (**ويحك إنّه لا يستشفع بالله تعالى على احد، شأن الله اعظم من ذلك**) فإنّ الانكار كان على كون الله تعالى وسيلة إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم لا على كون الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم وسيلة لله والاّ لانكر على القول الاول.

وكون النذر عبادة لا ننكره كما ذكرنا سابقاً.

وما ذكر من واقعة تقرب الذباب.

فتكشف عن عقيدته بأن الأولياء الاموات جمادات ولذا قاس ايصال الثواب إلى الاموات على تقرب الذباب إلى الاصنام وهل هذه الاّ غواية بينة.

وما قال إنّ اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام.

فنقول إنّ اقرارهم انما لم يدخلهم في الاسلام لأنّهم اشركوا مع الله في العبادة لا أنّهم كفروا بنفس التوسّل إلى الله تعالى بالنفوس القدسية.

وما قال في (ص: ١٧) فإذا عرفت إنّ جهال الكفّار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة.

ففي غاية السقوط لانه إن كان معنى (**لا اله الاّ الله**) نفي الوسيلة فهو ليس معناه بل مخترع من عندك اودعة لذرياتك وإن كان المعنى لا معبود الاّ الله فهو يعرفه كل مسلم ومؤمن.

وما قال في (ص: ١٨) واعلم أنّ الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الاّ جعل له اعداء.

ان كان المراد بهذا التوحيد التوحيد المخترع من عندك بأن يكون التوسّل فيه شركاً فذلك انسب بك وإن كان التوحيد المبعوث به الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام الساعون لتبليغه العلماء المجاهدون لاشاعته الشهداء الباذلون انفسهم واموالهم في تأييدهم الأولياء فليس مؤمن عدوا له.

وما قال في (ص: ١٩) والعامي من الموحدين يغلب الفا من علماء هؤلاء المشركين.

فأقول: إن كان المراد من العامي الموحد الّذي لا علم له بل جاهل محض مقلدك في التوحيد والشّرك المخترعين من عندك فلا نسلم إنّ العامي الكذائي يغلب على عالم واحد فضلاً عن أن يغلب على الف بل العالم الكذائي الساعي في اشاعة عقائدك بحمد الله مغلوب لا يقدر على التكلم بالكلام العربي عند علمائنا ولذلك شواهد وامثال لا تخفى من اتباعك خافية. والتفوه بانتساب الشّرك إلى العلماء من عدم مبالاته بمثل هذه الاطلاقات وذرياته يقتدون بامامه في سنته السيئة (**ومن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**) فَلْيُقِلَّ من الوزر او لِيُكْثِرْ.

وما قال إنّه احتج مشركوا زماننا. فنقول إنّ نسبة الشّرك إلى من هو برئ من الشّرك ترد إلى المنتسب كما في الحديث الصّحيح فهنيئا لك ردّ تلك الكلمة.

وما قال في (ص: ٢٠) إذا قال لك بعض المشركين (**اَلآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** * يونس: ٦٢) وإنّ الشفاعة حق وإنّ الانبياء لهم عند الله جاه او ذكر كلاما للنبي صلّى الله عليه وسلّم يستدل على شيء من باطله وأنت لا تعلم معنى الكلام الّذي ذكره فجاوبه بقولك إنّ الله ذكر في كتابه إنّ الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه. وما ذكرته لك من أنّ الله تعالى ذكر أنّ المشركين يقرون بالربوبية وأنّه كفرهم بتعلقهم على الانبياء والملائكة والاولياء، قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هذا امر محكم بين لا يقدر احد أن يغير معناه.

يقول العبد العاصي بانواع المعاصي كنت اسمع من خدائع هذه الفئة المنكرة

ومسخ الكلام لاثبات المرام وكنت اتعجب منها إلاّ أني رأيتها بعيني في كتاب مرشدهم وليس الخبر كالمعاينة. ليت شعري كيف التشابه في قوله تعالى (**اَلآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** * يونس: ٦٢) وهل يعرف معنى التشابه وهل عدّه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم او الصّحابة او التابعون او تبع التابعين او من بعدهم من السلف الصالحين من المتشابهات وكذا الشفاعة حق وكذا أنّ الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام لهم جاه اي تشابه فيها بل معناها ظاهر نعم فيها تشابه حيث تناقض مطلوبهم وهي العداوة مع أولياء الله تعالى والانكار من التوسّل بجاه عظيم الجاه.

وايضاً اتعجب تعجبا لا ساحل له من قوله وأنّه كفرهم بتعلقهم مع الملائكة انتهى. أليس للمؤمنين تعلق بالانبياء والملائكة والأولياء فإنّ من ادعى الإيمان بالكلام الالهي والكلام النبوي لهم محبة مع الملائكة والانبياء عليهم الصّلاة والسّلام يعتقدون عصمتهم وقربهم إلى الله تعالى ويجعلونهم الوسائل لفيضان رحمة الله تعالى وبركته، فهم منازل الرحمة فهل هذا التعلق كفر بل المحبة معهم مأمور بها (**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فإنّه نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وهُدًى وبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** * البقرة: ٩٧)

وكذا التعلق بالأولياء امر مطلوب كما في الحديث و(**أسألك حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ**) وكذا (**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**)

فانظر إلى هذا التحريف والتزوير بأن كل ما يكون مناقضا لدعواه فهو متشابه وهذا تعريف جديد للمتشابه وكل جديد لذيذ فبذلك فليفرحوا ولا ادري إنّ قوله تعالى (**هَؤُلآءِ شُفَعَآؤُنَا عِنْدَ اللهِ** * يونس: ١٨) كيف هو محكم بين في مطلوبهم فإنّ مطلوبهم إنّ التوسّل إلى الله تعالى بالانبياء عليهم الصّلاة والسلا والأولياء شرك والمعلوم من الآية مع انضمام (**مَا نَعْبُدُهُمْ الاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَىَ اللهِ زُلْفَى** * الزمر: ٣) إنّ عبادة الاصنام وجعلهم وسائل وشفعاء كفر وبينهما بعد المشرقين وهؤلاء المنكرون كيف اشاعوها ولم ينظروا في عاقبتها، هل يطالعه احد من العلماء وفيها من

التلبيسات والتزويرات ولنعم ما قال الشاعر: **بيت:**

وكم من عائب قولاً صحيحاً * وآفته من الفهم السقيم

وإني اتعجب أنّه كيف اشاعه رجل من ولاية السوات والحال اني سمعت من العلماء والطلبة أنّ والد والي السوات ذو علم وفهم وذكاء وتقوى واقام المدارس الدّينية في ولايته والوالي يحب العلماء وسمعت من الاكابر أنّ صاحب السوات رحمه الله تعالى رحمةً واسعة وافاض علينا من بركاته، كان يقول: مثلي كمثل الشتاء، إنّ الموذيات كلهم يدخلون إلى جحرهم في الشتاء وهذه المقولة صحيحة بلا ريب فإنّه بعد زمن الصاحب ظهرت الفتن حتّى أنّ رجلا من رئاسة السوات يشيع عقائد محمّد بن عبد الوهاب النجدي الّذي رأس الوهّابيّة وكان صاحب السوات يسعى في كسر رؤسهم فعلى الوالي الحاضر اصلح الله ولايته واخلاه من ذريات محمّد بن عبد الوهاب النجدي أن يستفتي عن علمائه الاجلاء والاساتذة الجهابذة مثل مولانا المارتونجي ومولانا الچكيسري وغيرهما من العلماء الاعلام في شأن محمّد بن عبد الوهاب النجدي واتباعه ويمنع ذلك الرجل الّذي طبع كتاب (كشف الشبهات) لمحمّد بن عبد الوهاب النجدي عن اشاعة مثل هذه الكتب ويخرج من مدرسته اصحاب العقائد الزائغة وأن لا يعيدوا إلى مثل تلك الجريمة. وما اقول ذلك من تلقاء نفسي بل قال المتشدد في الافاغنة فاشمر الاخي المولوي القاري سيّد رحيم فاضل مدرسه عاليه دار العلوم حقانيه سيّد وشريف بطبعه. وقال عليه الصّلاة والسّلام **(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبلقبه وذلك اضعف الإيمان)** قال شراح الأحاديث: الاولى مرتبة الولاية والامراء والثاني مرتبة العلماء المبلغين والثالثة مرتبة العوام فإنّه ورد **(يوذي الميّت ما يوذي في أهله)** ولا ايذاء اعظم من هذا الايذاء في وطن صاحب السوات وهذه عريضتي في خدمة الوالي ذي المعالي اكررها واصر عليها. فإن وصلت إلى اوج القبول فهي غاية المأمول ولعل الوالي وقف على احوالهم في ولايته فإنّا نسمع من الطلبة ما يفسدون هناك ويسيئون

الادب في شأن الأولياء وحكم بعضهم في زمن قريب بشرك من جاء بالغلاف إلى قبر الصاحب رحمه الله تعالى رحمةً واسعة هذا والله على ما نقول كيل.

وما قال في (ص: ٢٠) فإنّ اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه. منها قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنّه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلاً عن عبد القادر او غيره ولكن أنا مذنب والصّالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو إنّ الذين قاتلهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مقرون بما ذكرت ومقرون إنّ اوثانهم لا تدبرهم شيئاً فانما ارادوا الجاه والشفاعة وأقرأ عليهم ما ذكر الله في كتابه ووضحه فإن قالوا هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الاصنام كيف تجعلون الصّالحين مثل الأوثان ام كيف تجعلون الانبياء اصناما؟ فجاوبه بما تقدم فإنّه إذا اقرّ أنّ الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وأنّهم ما ارادوا ممن قصدوا الاّ الشفاعة ولكن اراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذكر له إنّ للكفّار منهم من يدعو الاصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله تعالى فيهم (**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** * الإسراء: ٥٧) ويدعون عيسى بن مريم وامه وقد قال تعالى (**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** * المائدة: ٧٥- ٧٦) إلى آخر ما قال.

فنقول اما اولا فبأن القائلين بالتوسّل ليسوا اعداء الله تعالى وليس لهم اعتراضات على دين الرسل ولا يصدون الناس عن دين الرسل بل أولياء الرّحمن، لهم اعتارضات على اعوان الشيطان وحزبه والمسيئين للادب في شأن أولياء الديان وقال عليه الصّلاة والسّلام (**هنالك يطلع قرن الشيطان**) يعني حزبه واعوانه (**ويصدون الناس عن اتباعهم**) فانظر إلى البون.

والكفّار وإن كانوا يشهدون بالربوبية الاّ أنّهم اشركوا بالله في العبادة وعبدوا غير الله تعالى وعبادة غير الله تعالى شرك سواء كان صنما او غيره ونحن لا نعبد غير الله تعالى وإن كان التوسّل عبادة فالحيّ والميّت فيه سواء.

والله تعالى قال (**قُلْ لآ اَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ولاَ ضَرّاً اِلاَّ مَا شَآءَ اللهُ** * الاعراف: ١٨٨) ومرشد الشّيخ لم يذكر الاستثناء ولعلّه نسي فسبحان من لا ينسى وليت شعري ما معنى مالكية الضّرر والنفع إن كان معناه خالق الضّرر والنفع فذلك لا يعتقده احد وإن كان المراد أنّ النفع والضّرر لا يصلان بدعائه إلى احد فذلك باطل. قال الله تعالى (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إذا ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) وتذكر في الآية واقعة الاعرابي على ما ذكرت من (تفسير المدارك) كي تقر عينك ويبرد قلبك او يحرق. ووجد أنّ الله تعالى غفورا ليس إلاّ نفع وصل بسبب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإن قلت إنّه في الحياة، قلنا: واقعة الاعرابي كانت بعد الوفاة فإنّ فيها فنودي من القبر (ان غفر لك).

وايضاً قال عليه الصّلاة والسّلام في حق كافر (**اللّهمَّ سلط عليه كلباً من كلابك**) فكان كذلك.

وقال في حق ملك مزّق كتاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم (**اللّهمَّ مزّقه كل ممزّق**) فكان كذلك.

وقال عليه الصّلاة والسّلام (**اللّهمَّ اجعل عليهم سنين كسني يوسف**) عليه الصّلاة والسّلام فصار الامر كذلك.

وايضاً ذكرنا سابقاً في الحديث (**أنا رسول الله الّذي إن اصابك ضر فدعوته كشفه عنك وإن اصابك عام سنة فدعوته انبتها لك وإذا كنت بارض قفر إو فلاة فضلّت راحلتك فدعوته ردها عليك**) انتهى رواه أبو داود. قال المحشي في تفسير (**فدعوته**) اي انت بوسيلتي او انا.

فعلم من هذا كله أنّ النفع والضرر يصلان إلى الخاص والعام بدعائه عليه

الصلاة والسّلام وهذا معنى التوسّل وإن قلت إنّه حين الحياة، قلنا: قد ثبت من مبحث التوسّل مطلقاً كما في واقعة الاعرابي وغير ذلك من الدلائل بل يصل النفع والضّرر بدعاء غير النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ايضاً كما في الحديث المتّفق عليه عن عروة بن الزبير ان سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل خاصمته اروى بنت اوس إلى مروان بن الحكم وادعت أنّه اخذ شيئاً من ارضها فقال: أنا كنت آخذا من ارضها شيئاً بعد الّذي سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ما ذا سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**من اخذ شبرا من الارض ظلما طوقه إلى سبع ارضين**) فقال له مروان: لا أسألك بينة بعدها. فقال سعيد: اللّهمّ إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في ارضها. قال: فما ماتت حتّى ذهب بصرها. وبينما هى تمشي في ارضها إذ وقعت في حفرة فماتت متفق عليه. وفي رواية لمسلم عن محمّد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه وأنّه رآها عمياء تلتمس الجدر تقول اصابتني دعرة سعيد وانها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها فكانت قبرها. فعلم أنّ النفع والضّرر يصلان إلى احد بدعاء ذو جاه. فما يقول مرشد الشّيخ؟ فإن قال ما قال، قلنا ما قلنا.

وبالجملة الكتب مشحونة بمثل هذه الواقعات باسانيد صحيحة ليست باكاذيب كما هو سوء ظن الفئة المنكرة.

وما قال: إنّ الكفّار منهم من يدعو الاصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله تعالى فيهم (**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ اَيُّهُمْ اَقْرَبُ ويَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ويَخَافُونَ عَذَابَهُ اِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** * الإسراء ٥٧).

قلنا دعوة النصارى عيسى عليه الصّلاة والسّلام انما كانت باعتقاد أنّه ابن الله او الله او ثالث ثلاثة ودعوة عبّاد الملائكة كانت عبادهم اياها لا نفس التوسّل بدليل قوله تعالى (**اَتَعْبُدُونَ منْ دُونِ الله مَا لاَ يَمْلكُ لَكُمْ ضَرًّا ولاَ نَفْعًا** * المائدة: ٧٦) وكذا قوله تعالى (**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَئِكَةِ اَهَؤُلآءِ اِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ** * سبأ:

٤٠) وكذا قوله تعالى (**وَاِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَاُمِّيَ اِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ** * المائدة: ١١٦) فهذه كلها ظاهرة في أنّ الدعوة كانت بطريق العبادة ومرشد الشّيخ كيف غفل عن هذا؟

وما قال في (ص: ٢٢) إنّ الله كفّر من قصد الاصنام وكفّر ايضاً من قصد الصّالحين وقاتلهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

فنقول إنّ المراد من القصد القصد بالعبادة كما يظهر من (صحيح البخاري ج: ٢، ص ٧٣٢ في كتاب التفسير) بعد ما ذكر الود والسواع ويعوق ونسراً اسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السّلام فلما هلكوا اوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصباء وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتّى إذا هلك اولئك وتنسخ العلم عبدت. ولا شكّ أنّ عبادة غير الله شرك سواء كان صنما او صالحا فلا يكون دليلاً لمرشد الشّيخ وإن كان المراد مطلق القصد إلى الصلحاء فذلك ليس بشرك كما هو الظاهر على أنّ الظاهر من سياق (البخاري) إنّ العبادة كانت للانصباء كما هو الظاهر من قوله وسموها باسمائهم وقوله عبدت لا للصلحاء والعبادة لغير الله تعالى شرك مطلقاً سواء كانت للانصباء المسماة باسماء الصلحاء او انفس الصلحاء كما لا يخفى على ذي لب.

وما قال (**ان الدعاء مخ العبادة**).

فنقول نعم، لكن الدعاء من الله كما في (اللّهمَّ اني اتوسّل اليك بنبيك) فالدعاء من الله والالتجاء بوسيلة نبيّ الرحمة.

وما قال في (ص، ٢٣) ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا او غيره: هل اشركت في عبادة الله غيره فلا بدّ أن يقول نعم.

فنقول قد ذكرنا مراراً إنّ الدعاء من الله تعالى والذوات الفاضلة وسائل في البين إلاّ أنّ من توسّل بالأحياء فانما الدعاء من الله تعالى كما توسّل عمر رضي الله عنه بالعبّاس رضي الله عنه وقال اللّهمَّ إنّا كنّا نتوسّل اليك بنبيك فاليوم نتوسّل اليك

بعم نبيك وقال العبّاس رضي الله عنه اللّهمَّ إنّ القوم توسّلوا بي اليك لمكاني من نبيك فاسقهم انتهى.

واما النحر فقد مر تفصيله.

وما قال إنّ الشفاعة باذن الله تعالى.

قلنا: التوسّل ايضاً في معنى الشفاعة.

وما قال في (ص: ٢٤) إنّ الله تعالى اعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال (**فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ اَحَداً** * الجن: ١٨).

قلنا: عامة المفسّرين بينوا معنى (**لا تدعوا**) اي لا تعبدوا مع الله احداً.

وما قال في (ص: ٢٥) وإن قال هو من قصد خشبة او حجرا او بنية على قبر او غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنّه يقربنا إلى الله زلفى فيدفع الله ببركته او يعطينا ببركته فقل: صدقت وهذا هو فعلكم عند الاحجار والابنية التي على القبور وغيرها.

قلنا السؤال عن الله تعالى ببركة احد لا يكون شركاً كما في الحديث (**اللّهمَّ افتح بصعاليك المهاجرين**) اي ببركتهم وفي الحديث (**انكم تنصرون وترزقون بضعفائكم**) اي ببركة ضعفائكم فلامعنى للشرك فيه.

وما قال في (ص: ٢٦) إنّه الّذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، إنّ عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا اجعل الآلهة الها واحداً إنّ هذا لشيء عجاب فتعنت ظاهر أيقول أحد للانبياء والاولياء آلهة ام يعتقدونها آلهة ام يعبدونها؟ كلا وحاشا! وقد صدق قول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في بيان علامة الخوارج: أنّهم يطبقون الآيات في حق الكفّار على المؤمنين فعرفنا بهذه العلامة كونه خارجيا كما عرفنا بغيرها من العلامات بل التوسّل بهم اقرب لوحدانية الله تعالى بأن الذوات الفاضلة بسبب رسوخهم في التوحيد وقربهم من الله بالعبادة والرياضة نتوسّل بهم إلى الله تعالى.

وما قال في (ص: ٢٦) فاعلم أنّ شرك الاولين اخف من شرك اهل زماننا بامرين: الاول إنّ الاولين كانوا يدعون الالهة في الرخاء واما في الشّدّة فيخلصون لله الدّين (**وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ** * الإسراء: ٦٧)، (**فَإذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدّين** * العنكبوت: ٦٥).

قلنا الحكم بكون المسلمين مشركين شركاً اكبر من شركهم، غاية الغلو والجراءة فكيف يليق بحال عاقل انتساب الشّرك إلى المسلمين المعتقدين للتوسّل الثابت بالادلة والتوسّل في الشّدّة والرخاء على السواء وهو لا ينافي دعوة الله خالصا بوسيلة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم او الوليّ او بجاه من له جاه كما سبق نقلا من تفسير (روح المعاني).

وما قال في (ص: ٢٧) إنّ الاولين يدعون مع الله اناسا مقرّبين عند الله تعالى والملائكة او يدعون احجارا واشجارا مطيعة لله تعالى ليست عاصية واهل زماننا يدعون مع الله اناسا من افسق الناس انتهى.

قلنا: كلامنا في الذوات الفاضلة والفضل لا يكون الا بالعبادة لا بالفجور والزنا وترك الصلاة والسرقة فعلم أنّ قوله في (ص: ٢٧) إذا تحققت إنّ الذين قاتلهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم اصح عقولاً واخف شركاً مردود على انف المنكرين.

وما قال في (ص: ٢٩) وإذا جحد التوحيد الّذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر سبحان الله! ما اعجب هذا الجهل؟

فنقول إنّ التوسّل ليس انكاراً عن التوحيد حتّى يكون المتوسّلون مشركين ويحل مالهم ودمهم كما هي العقيدة الزائغة للفئة المنكرة وهذا يكشف لك ما قال العلامة الشامي رحمة الله عليه: أنّه كان يبيح سفك دماء المسلمين ونهب اموالهم فظهر من هذا أنّ من كان مخالفاً عن عقيدته فهو مشرك عنده دمه حلال وماله حلال ولذا قتل علماء اهل الحق كما ذكرنا سابقاً.

وما قال في (ص: ٢٩) فكيف بمن رفع شمسان او يوسف اوصحابيا أو نبيا في رتبة جبار السّموات والارض؟

فنقول هذا بهتان عظيم لأن القائلين بالتوسّل علماء العرب والعجم وعلماء المذاهب الاربعة الذين انحصر الحق في زمانهم فيهم. كيف يرفعون النّبيّ او الصّحابي او الوليّ مرتبة الجبار بل اعتقدوا أنّهم عبيد مربوبون متعبدون خاشعون معرضون عن اللذات منهمكون في الطاعات وهذا هو اعتقاد عبديتهم فضلاً أن يعتقدوهم في رتبة الجبار فإنّا نعتقدهم عبيد الجبار.

وما قال في (ص: ٢٩) إنّ عليا احرق اناسا، كلهم يدعون الاسلام وهم من اصحاب علي رضي الله تعالى عنه وتعلموا العلم من الصّحابة.

قلنا إنّ تلك الفرقة هي الفرقة السبائية اتباع عبد الله ابن سبأ فإنهم كانوا يقولون لعليّ رضي الله تعالى عنه: أنت الهنا وأنت رازقنا ويقول علي رضي الله تعالى عنه انما أنا ابن أمرأة، آكل واشرب فلما لم يرجعوا عن قولهم احرقهم. فهؤلاء كانوا مرتدين فكيف يقاس المتوسّلون القائلون بعبدية الذوات الفاضلة على السبائية القائلة لعليّ رضي الله تعالى عنه: انت الهنا ورازقنا **مصرع:**

هذا لعمري في القياس بديع

والتوسّل ليس مخالفاً عن الدّين حتّى يكون سببا لقتال المسلمين كما في عبيد القداح الذين ذكرت.

وما قال في (ص: ٣٠) ويقال الذين قال الله تعالى فيهم (**يَحْلِفُونَ بِاللهِ** * التوبة: ٧٤) ما قالوا.

فان ذلك في شأن المنافقين الذين قالوا فيما بينهم (**لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا** * المنافقون: ٧) كما في (**صحيح البخاري**) عن زيد بن ارقم مفصلاً فكيف يقاس المتوسّلون على المنافقين الذين هم في الدرك الاسفل منَ النَّارِ.

وما قال في حكاية قول بني إسرائيل (**يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَآ اِلَهًا كَمَا لَهُمْ اَلِهَةٌ** *

الاعراف: ١٣٨).

كيفا يقاس عليهم حال المؤمنين الذين يقولون (**لا اله الاّ الله محمّد رسول الله**) المخلصين في التوحيد القائلين للتوسّل وهذا ايضاً معنى ما قال ابن عمر رضي الله تعالى عنه في بيان علامة الخوارج: أنّهم يطبقون الآيات الواردة في حق الكفّار على المؤمنين.

واما ما قال في (ص: ٣١) وقول اناس من الصّحابة: واجعل لنا ذات انواط فحلف النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**انّ هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى عليه الصّلاة والسّلام: اجعل لنا الها كما لهم آلهة**).

فاقول: هذا لا يدل على نفي التبرك لانا قد ذكرنا أنّ التبرك بشعره المبارك والجبة المباركة وبسائر ثيابه وبفضل وضوئه ثابت بالأحاديث الصّحيحة والنصوص الصريحة كما ذكر في قوله تعالى (**فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هَرُونَ** * البقرة: ٢٤٨) قال المفسّرون فيه عصا موسى عليه الصّلاة والسّلام ونعلاه وعمامة هارون عليه الصّلاة والسّلام وقفيز من المن الّذي كان يترل عليهم ورضاض الالواح وكانوا يقدمونه ويسكنون اليه في القتال ويستفتحون به على عدوهم كما في (الجلالين: ص: ٣١) ومثل ذلك في (المدارك) و(الخازن ج:١، ص: ١٧٢) وعلم منه جواز التوسّل بالتبركات ايضاً.

وايضاً ذكر (في المشكاة) عن طلق بن علي خرجنا وفدا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فبايعناه وصلينا معه واخبرناه بأن بارضنا بيعة لنا فاستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ وتمضمض ثم صبه لنا في اداوة وامرنا فقال (**اخرجوا فإذا اتيتم ارضكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء واتخذوها مسجدا**) قلنا إنّ البلد بعيد والحر شديد والماء ينشف فقال (**مدوه من الماء فإنّه لا يزيده الاّ طيبا**) رواه النّسائي (المشكاة: ص: ٦١).

فعلم أنّ مسألة التبرك مما لا ينكر عنها عاقل مصدق بالكلام النبوي وهؤلاء

المفرطون ينكرون عنها وقد ذكرناها بالاستقصاء في مقصد التوسّل. واما الانكار على من سأل أن يجعل لهم ذات انواط فلاجل مشابهة الكفّار من غير غرض صحيح لا لأن التبرك ممنوع. كيف؟ والرّوايات فيه كثيرة فقياس احدهما على الآخر قياس مع الفارق. الا ترى إلى أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يهتم اللبث في المواضع التي لبث فيها النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في سفر الحج وما ذلك إلاّ للتبرك بتلك المواضع المتبركة.

وما قال في (ص: ٣٢) فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم إنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولرن (**لا اله إلاّ الله**) وإنّ اصحاب النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن (**لآاله الا الله**).

فنقول إنّ قتال اليهود كان لانكارهم رسالة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وسائر عقائدهم الكفرية من كون عزير عليه الصّلاة والسّلام ابن الله و(**لَنْ يَدْخُلَ الجنّة إلاّ مَنْ كَانَ هُودًا** * البقرة: ١١١) و(**لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ الاَّ اياماً مَعْدُودَةً** * البقرة: ٨٠) إلى غير ذلك. والقتال مع بني حنيفة لاجل الانكار من الزكاة وقد ورد في الحديث (**امرت أن اقاتل الناس حتّى يقولوا لآ اله الاّ الله فإذا قالوا لآ اله الاّ الله فقد عصموا مني دماءهم واموالم الاّ بحق الله**) الحديث. والزكاة ايضاً حق الله تعالى وبهذا احتج أبو بكر رضي الله تعالى عنه على الصّحابة فكيف يقاس حال المسلمين المصدقين بالاحكام على المنكرين وهذا من قياساته البديعة.

وما قال: إنّ اعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فنقول إنّ أولياء الله تعالى فهموا معنى الأحاديث واعوان الشيطان تجاهلوا عنها

وما قال في (ص: ٣٣) إنّ الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما في قصة موسى عليه الصّلاة والسّلام (**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ** * القصص: ١٥).

فنقول: الاستعانة من الله تعالى بوسيلة الذوات الفاضلة من اصحاب القبور ليس فيها طلب الامور الغير المقدورة فإنّ الله تعالى قادر على كل شيء ويجيب الدعاء بحرمتهم وبركتهم واما الامور الغير المقدورة لهم فلا نسألها منهم وهذا هو المراد بحديث طويل فيه (**لا الفينّ احدكم على رأسه بعير يقول يا رسود الله اغثني فاقول لا أملك لك من الله شيئاً**) قد بلغت إلى آخر الحديث. والتوسّل بالذوات الفاضلة ليس خارجا عن دائرة الاسباب كما عرفت سابقاً.

وما قال في (ص: ٣٤) وهذا مثل أن تأتي عند رجل صالح حتّى يجالسك ويسمع كلامك كما كان اصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم كذلك واما بعد موته فكلا وحاشا! بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف دعاءه لنفسه.

فنقول هذا كاشف عن عقيدته الزائغة: إنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ايضاً لا يسمع ولا يقدر على دعاء احد في البرزخ وهذا باطل بلا ريب. لأن الادلة على حياة الانبياء كثيرة قد ذكرنا سابقاً نبذا منها فالانكار تعنت.

والدعاء عند قبره صلّى الله تعالى عليه وسلّم ما أنكر عليه السلف بل قال الحسن البصري رحمة الله عليه في خط طويل: إن لم تجب الدعاء عند قبره صلّى الله تعالى عليه وسلّم ففي اي موضع تجاب فقد عدّه من مواضع الاجابة على ما ذكرنا.

وايضاً قال تاج الدّين السبكي رحمة الله عليه: ما زال السلف يتوسّلون بالانبياء عليهم الصّلاة والسّلام والأولياء حتّى جاء ابن تيميّة فابتدع انتهى. فعلم أنّ الانكار من التوسّل مخالفة عن السلف وبدعة نعم، سلف محمّد بن عبد الوهاب وقدوته وامامه أنكر ذلك وهو ابن تيميّة ونحن لا نعتقده سلفاً. **بيت:**

نحن بما عندنا وانت بما عنـــ * ـــدك راض والرأي مختلف

وليكن هذا آخر ما تيسر لهذا العبد الضعيف الّذي لا بضاعة له الاّ السيئات في ردّ كتاب رأس الوهّابيّة ورئيسهم.

اللّهمَّ! اجعل سعيه مشكورا مقبولا بجاه الرسول النّبيّ الامين وصلّى الله تعالى على خير خلقه محمّد وآله واصحابه اجمعين وما توفيقي الاّ بالله، عليه توكلت واليه انيب وأنا العبد الاواه محمّد حمد الله الداجوي مسكنا والحنفي مذهبا والقادري مشربا والمظاهري تلمذا (دار للتدريس داجي) فرغت من تسويدها غرة ربيع الثاني يوم الثلاثاء سنة ١٣٨١ هـــ.

تمت الكتابة بعون الله البارئ بيراع محمد رحيم الاسماري مالك المكتبة الرّحيمية الواقعة ببلدة فشاور يوم الاحد الثالث والعشرين ربيع الثاني سنة ١٣٨٥ هــ. الحمد لله ١٢ آغست سنة ١٩٦٥ م.

غَوْثُ الْعِبَادِ

بِبَيَانِ الرَّشَادِ

من تأليفات

مصطفى أبو سيف الحمامي

أحد علماء الازهر وخطيب المسجد الزينبيّ

به كتابت مالك

كتب خانه رحيميه محله جنگى بشاور شهر

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول–تركيا

هجري قمري	**هجري شمسي**	**ميلادي**
١٤٣٨	**١٣٩٥**	**٢٠١٦**

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ* النحل: ١٢٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يا غياث المستغيثين باسباب وغير اسباب

أحمدك لانك اكرم الاكرمين. وأرجو رحمتك إذ انت الحليم التوّاب. واشهد أن لا اله سواك فإنّك الخلاّق العليم. وعدم يا مولاي كل ما عداك لولاك. ولا استثناء من هذا الحكم العظيم. واشهد منشرح القلب منطلق اللسان: إنّ احبابك لهم عندك جاه كبير. من والاهم تواليه بجزيل الاحسان. ومن ناوأهم تهينه هنا وفي يوم المصير.

أمّا بعد: فلما كتبت مقدمة ديواني الثالث (**منتهى آمال الخطباء ومنار المسترشدين النبلاء**) استتبع الكلام في بعض فصولها كلاماً طال وطاب. انبت به حقائق لا تزال خفية لليوم على طوائف من الناس. رأى ذلك بعض قادة الامة العلماء. لا حرم الله الوجود منهم. فسرّوا به واثنوا عليه وبالغوا في الثناء فقال فيه حضرة صاحب الفضيلة: رجل العلم والتحقيق والصفاء ولسان الدفاع عن الاسلام اليوم الشّيخ يوسف الدجوي احد هيئة كبار العلماء بديارنا المصرية اثناء تقريظه الديوان ما نصه:

اما مقدمة الديوان فهي مقدمة تفوق المقاصد اتى فيها من التحقيق ما يقمع كل مكابر ومن الحق الصراح ما تنشرح به الصّدور وتقر العيون ومن السّنّة النبوية ما يذعن له العلماء ويشهد له اساطين الكبراء.

وقال فيه حضرة صاحب الفضيلة العالم الجليل شيخ العلماء بوادي الفرات الاستاذ البحاثة الكبير الشّيخ محمّد سعيد العرفي في تقريظه لهذا الديوان ما لفظه:

ولكن لو دريت أنّه اتى في المقدمة بما بهر العقول من تبيان مجد الاسلام وعظمة مقام النّبوّة ورفعة اصحاب الكمال بابلغ العبارات وافصح الجمل وارصن الكلم. واحسن الاساليب مدللا على ذلك بالحجج الناصعة والبراهين القاطعة بحيث لو قلت يجب على كل طالب علم متمسك بدينه أن يطالعها ليغترف من بحرها الزاخر وعبابها الخضم، ما جادلني الاّ حسود مكابر او جاهل متفقه إلى آخر ما قال.

وقال فيه حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير، والمحدث الشهير فخر الاقطار المغربية وخادم العلم بالحرمين الشّريفين ونزيل مصر الآن، الاستاذ الشّيخ محمّد حبيب الله الشنقيطي ما يلي:

اما مقدمة الديوان فلعظم مزيتها كادت تغني عن ضخام المجلدات، لما اشتملت عليه من جميل الصفات في دقائق المعتقدات فالاولى ان تجعل رسالة مستقلة ليرد عذب حياضها اكابر العلماء الاجلة.

ان هذه الثناء على تلك المقدمة من اولئك القادة الهداة جعلني افرح فرح شكر له سبحانه وتعالى على أن اظهر على يدي ما جعل مثل الشّيخ الشنقيطي في فضله يستقل عليه أن يكون موردا للعلماء الاجلة والّذي يراه أن يكون ذلك حياضاً عذبة يردها الاكابر من العلماء الاجلة وليس الشّيخ الشنقيطي وحده الّذي اقترح طبع ذلك الفصل من تلك المقدمة في رسالة مستقلة بل وافقه عليه الكثير من افاضل العلماء. وشددوا عليّ في ذلك ليكون النفع بها اعم. فلم يسعني الاّ النزول على ارادتهم والمبادرة إلى تحقيق امنيتهم ودعوتها.

غوث العباد ببيان الرشاد

وقد تفضل هؤلاء العلماء الاجلاء فقرظوا تلك الرسالة تقريظا قليلا، عليه أن يكتب بماء الذهب واجزلوا فضلهم فيه عليّ (بوسام) من الشرف منحونيه لم اسمع أن منحوه احداً قبلي، يعرفه من يرى ذلك التقريظ وهو شرف اتقبله شاكرا مولاي عليه ومعتبرا أنّ ذلك تشجيع من حضراتهم لي بموافقتهم لي على ما تضمنته تلك

المباحث. اصبح ذلك أمراً مجمعا عليه من علماء الاسلام، وهم ائمة الامة وادلاؤها في دياجي المعضلات.

وإني اسأل ربي وهو اكرم مسؤول أن يتقبل ذلك مني وأن ينفع به عباده.

وها أنا ذا اقدّم بيد الاخلاص والادب تلك المباحث لحضرات القراء الافاضل ولا ينتهي سروري إن رأوها اهلا لأن ينظروا اليها والسّلام.

مصطفى ابوسيف الحمامي

حياة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في البرزخ حياة حقيقية

روى ابن ماجة عن أبي الدرداء أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: (**اكثروا من الصّلاة عليّ يوم الجمعة فإنّه مشهود تشهده الملائكة وإنّ احداً لن يصلّي عليّ الاّ عرضت عليّ صلاته حتّى يفرغ منها**). قال قلت: وبعد الموت؟ قال (**ان الله حرم على الارض أن تأكل اجساد الانبياء**) عليهم السّلام. ووافق ابن ماجة أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم في رواية قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ان الله حرم على الارض أن تأكل اجساد الانبياء**). ومن هذا الوادي ما رواه ابن سعد[١] والبزار بسند صحيح. ورواه ايضاً القاضي اسماعيل والحارث في مسنده وهو قوله صلّى الله تعالى عليه وسلم (**حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم**) اي تحدثون شؤونا ويحدث لكم احكاهها (**فإذا انا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض عليّ اعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شرّا استغفرت لكم**).

فهذه اعمال امة باسرها صلاة عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما يفهم من الحديث الاول. وسواها كما يفهم من الحديث الثاني. اخبر صلى الله تعالى عليه وسلّم وهو لا ينطق عن الهوى. انها تعرض عليه فيحمد الله لخيرها ويستغفره لشرها. ومن في الدّنيا له ذرة من العقل ينكر حياة من هذا حاله؟ ولا تفهم أنّ هذا العرض

---

(١) ابن سعد المعروف بكاتب الواقدي ومؤلف الطبقات الكبرى توفي سنة ٢٣١ هـ. [٨٤٥ م.]

على الروح بل هو على البدن مع روحه من غير شك، كما يفيده قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ان الله حرم على الارض أن تأكل اجساد الانبياء**) جوابا لمن استبعد عرض العمل عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعد الموت وسأله السؤال المار فاهما أنّ هذا العرض انما يكون عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو ببدنه وبدنه بعد الموت بلي وانتهى. فافهمه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّ اجسام الانبياء حية لا تبلى. وهذا العرض عليه ببدنه ليقتلع من نفسه ذلك الاستبعاد.

ويزيدك بصيرة في حياة الانبياء في قبورهم قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**الانبياء أحياء في قبورهم يصلون**) رواه ابو يعلى والبيهقي وهذا حديث لم يقتصر على حياته صلّى الله تعالى عليه وسلّم بل تعدى إلى جميع الانبياء فحكم عليهم بأنّهم أحياء في قبورهم يفعلون فعل الأحياء في الدّنيا. وهو الصّلاة ذات الركوع والسجود والقيام والقعود والقراءة وذكر الله تعالى وهي اعمال لو شكّ شاك في حياة فاعلها لكان شاكاً في حياة نفسه.

وقد جاء هذا المعنى كذلك في قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**مررت ليلة أسري بي على موسى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلّي في قبره**) رواه ابن عساكر والطبراني والنّسائي وابن حبان وابن خزيمة ومسلم. ولا يتردد الناظر هنا في أنّ الصّلاة هي الصّلاة ذات الركوع والسجود فإنّ الشّرع إذا اطلق الصّلاة لا يفهم منها الاّ ذلك المعنى.

وكذلك جاء هذا ايضاً في قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**وقد رأيتني في جماعة من الانبياء**) إلى أن قال (**وإذًا ابراهيم عليه الصّلاة والسّلام قائم يصلّي اشبه الناس به صاحبكم**) يعني نفسه صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**فحانت الصّلاة فأممتهم**) الحديث رواه مسلم من حديث الإسراء وهذا الحديث يذكر شبه سيّدنا ابراهيم عليه السّلام وشبهه، انما يكون ببدنه الحقيقي. فدل ذلك قطعاً على أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم صلّى بهم اماما وهم بأبدانهم التي كانوا عليها في الدّنيا.

وكذلك جاء ذكر وصف اجسامهم في قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**رأيت عيسى وموسى وابراهيم فاما عيسى فاحمر جعد**) اي مجتمع الخلق شديده عريض الصدر (**واما موسى فآدم**) اي اسمر جسيم سبط حسن القد كأنه من رجال الزطّ صنف من السودان والهنود (**واما ابراهيم فانظروا إلى صاحبكم**) يعني نفسه صلّى الله تعالى عليه وسلم. فها هو ذا عليه الصّلاة والسّلام كما يصف بدن سيّدنا عيسى الحيّ يصف بدن سيّدنا موسى وسيّدنا ابراهيم عليهم الصّلاة والسّلام المنتقلين من هذه الدار وهل يقال جسيم وحسن القد الاّ للحيّ بجسمه الحقيقي الّذي خلق به. واني ازيدك يقيناً بهذا المعنى واذهب بك في حياة الانبياء إلى ابعد مما سمعت. فقد روي أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**كأني انظر إلى موسى في هذا الوادي محرما بين قطوانيتين**) القطوانية: العباءة البيضاء المنسوبة إلى قطوان بلدة بالعراق وروى ابن ماجة وأحمد ومسلم أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**كأني انظر إلى موسى هابطا من الثنية**) مكان مرتفع (وله جؤار) صوت مرتفع إلى الله تعالى بالتلبية (**كأني انظر إلى يونس بن متى على ناقة حمراء جعدة**) مجتمعة الخلق شديدته (**عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة**) ليف (**مارًّا بهذا الوادي ملبياً**).

وهذا الحديث وما قبله يثبتان أنّ الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام يخرجون من قبورهم بأبدانهم الحقيقية لابسين الثياب ماشين او راكبين، ويذهبون إلى حيث يحجّون ويلبون ويراهم بعينه من كشف الله عن بصيرته من العباد وانت لا تشك في أنّ سيّدنا موسى وسيّدنا يونس انتقلا إلى الرفيق الاعلى قبل أنّ يوجد النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بدهور. واذن فلا شكّ أنّ نظره اليهما وهما ذاهبان إلى الحج يلبيان انما كان وهما في عالم البرزخ.

كل هذا نقوله إذا كان ما نروي كلاماً موضوعا وضعا عربيا. وعلى قواعد الوضع العربي تفهمه العقول وليس هناك استحالة عقلية او شرعية تمنع من فهمه على ظاهره.

وإنّا بعد أن نفهمه هكذا لا نستطيع أن نتردد في حياة الانبياء في قبورهم

الحياة الحقيقية التي يفعلون معها ما يفعله اقوياء الرجال. فإنّ السفر إلى الحج ليس من الامور التي يستطيع فعلها كل حي وإنّا إذا ترددنا في ذلك فقد وقفنا امام كلام الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم موقف التّكذيب. وهو موقف لا يقوي عليه ذو دين، خصوصاً إذا لاحظنا ما قرره العلماء من أنّ العدول عن ظواهر النصوص من غير مقتض قاطع إلى معان يدعيها اهل الباطن، الحاد وكفر. وهذا حديث المعراج، وهو متفق عليه، يصرح أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم رأى في السّموات جماعة من الانبياء سيّدنا آدم وسيّدنا ابراهيم وسيّدنا يوسف وسيّدنا موسى وسيّدنا هارون وسيّدنا يحيى وسيّدنا عيسى عليهم الصّلاة والسّلام وكلّمه كل واحد منهم بما كلّمه ونحن -معشر الامة المحمّديّة- اليوم والى انقضاء الدّنيا نتمتع براحة ما اجلّها وما اعظمها. لولا سيّدنا موسى صلّى الله تعالى عليه وسلّم ما رأيناها ولكنا في شقاء يومي طول حياتنا باداء خمسين صلاة فرضها علينا ربنا عزّ وجلّ في اليوم وبلغها لنبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم فاشار اليه هذا الوجيه الكليم أن يسأل ربّه التخفيف عن امته، فسأله ثم سأله حتّى جعلها الكريم الرّحيم خمسا فقط. كما انا لليوم وبعد اليوم نذكر ربنا بقول (**سبحان الله**) و(**الحمد لله**) الخ، امتثالا لوصية سيّدنا ابراهيم الخليل التي وصلت الينا في قول نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**رأيت ابراهيم ليلة اسري بي فقال يا محمد اقرأ امتك السّلام**) وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا خليل الرّحمن وصلّى الله وسلّم وبارك عليك وعلى آلك (**واخبرهم أنّ الجنّة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان**) اماكن ممهدة واسعة (**وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله إلاّ الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله**) رواه الطبراني.

وهل تشك في أنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذا قال رأيت فلاناً وفلاناً يقظة فانما يريد أنّه رآهم صلّى الله تعالى عليه وسلّم بأشخاصهم وارواحهم خصوصاً إذا كلموه وروي عنهم مثل ما سمعت وعالم البرزخ تغلب فيه احكام الارواح على احكام الاشباح، فليس بغريب حينئذٍ أن يرى صلّى الله تعالى عليه وسلّم سيّدنا

موسى في تلك الليلة في قبره يصلّي ويراه في السّموات والارواح ليس ببعيد عليها أن ترقى السّموات في قليل من الزمن بلا سبب ترقى عليه كالملائكة تماماً.

واظنك بعد هذا البيان اصبحت حياة الانبياء في قبورهم عندك من الامور البديهية، غير اني ارجو أن لا تنسى مع ذلك كله إنّ الانبياء في عالم البرزخ الآن. فلا تقل إذا كانوا أحياء فلما ذا لا نراهم يذهبون بيننا ويجيئون كما كانوا في الدّنيا؟ فإنّ لعالم البرزخ احكامه كما لا يخفى على فطنتك إنّ هذا الّذي نشرحه الآن ليس معنى انفردنا نحن بالقول به، بل يشاركنا في تقريره واعتقاده علماء الاسلام متقدموهم ومتأخروهم ولم ننقل عن احد ما يؤيدنا لانا وجدنا صرائح من قول رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم تؤيدنا كما سمعت وليس اللياقة في شيء أن يلتفت إلى الناس من معه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم.

ولقد كان هذا المعنى من الأوليات في عصر النّبوّة ايام ان كانت العقائد تتلقى غضة طرية من مهبط الوحي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وكانت القلوب إذ ذاك في منتهى صحتها لم يطرأ عليها من أمراض الشبهات والشكوك شيء. وإن شئت فاسمع ما تقوله امنا الجليلة السيّدة عائشة رضي الله تعالى عنها (كنت ادخل بيتي الّذي فيه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وابي واني واضع) التذكير باعتبار انها شخص (ثوبي واقول انما هو زوجي وابي. فلما دفن عمر معهم فو الله ما دخلت الاّ وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر) رواه أحمد وهو تقرير منها واضح جدا أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعد انتقاله إلى الرفيق الاعلى لا يزال زوجها. لا حرج عليها أن يرى منها ما لا يراه الاجنبي، وهو لا يكون كذلك الاّ إذا كان حيّاً حياة حقيقية وهذا يؤيد ما صرح به بعض العلماء من أنّ نساءه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ما كنّ في عدة منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم عقب انتقاله من هذه الدار بل كان نكاحهنّ لا يزال قائما بينه وبينهن ومن اجل هذا حرم على غيره صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن ينكحهنّ رضي الله تعالى عنهن.

ومما يدل دلالة واضحة على حياة الانبياء صلّى الله تعالى عليهم وسلّم بعد انتقالهم من الدّنيا: إنّ المال الّذي يتركونه لا يورث عنهم وانما يكون صدقة من الصدقات كما يتصدق الحيّ بماله ولو كانوا امواتاً لكانت تركتهم كسائر تركات الاموات تورث عنهم لوارثيهم.

واني الفت نظر القارئ إلى تحفظ السيّدة عائشة رضي الله تعالى عنها بالتستر البالغ إذا ارادت الدخول على زوجها وابيها لما دفن معهما سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه حياء منه فإنّ ذلك يفهمنا انها لا تشك في أنّ سيّدنا عمر يراها، كما انها لا تشك في أنّ والدها يراها ولكنها ما كانت تتحفظ منه بذلك التستر لانه ابوها، يجوز له أن يرى من بدنها ما ينكشف إذا القت ثيابها التي تستر بها من الاجانب وهذا الّذي تصرح به هذه السيّدة الجليلة لم تخترعه من نفسها بل صرح به رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في قوله (**وما ابالي قضيت حاجتي على القبور او في السوق والناس ينظرون**) رواه ابن ماجة من حديث، وهو خبر نبوي يفهم في وضوح أنّ الاموات يرون ما يفعل عندهم كما يرى الأحياء بلا تفاوت، ولذلك لم يفرق صلّى الله تعالى عليه وسلّم بين من يقضي حاجته عندهم وبين من يقضيها في السوق مجتمع الناس وهم ينظرون اليه في أنّه يرى لهؤلاء كما يرى لهؤلاء وهو منكشف العورة وحينئذٍ لا يجوز ذلك عند الاموات كما لا يجوز امام الأحياء. واني آخذ بيدك إلى حيث اريك اكثر من هذا. اريك إنّ افراد المؤمنين الذين ليسوا برسل ولا انبياء ولا أولياء إذا زارهم زائر وسلّم عليهم ردوا عليه السّلام فوق رؤيتهم له. وإن استغربت هذا فاسمع الدليل. روى مسلم أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان يعلّم الصّحابة إذا خرجوا إلى زيارة اهل المقابر أن يقولوا لهم (**السّلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية**) فهل يأمر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّ يسلّم الناس على من لا يسمع ولا يرد؟ اظن أنّ ذلك تقشعر فيه جلود المؤمنين بحكمة ربّنا عزّ وجلّ.

بل الامر في طبقات المؤمنين فوق ما رويت لك. فقد روى التّرمذي والحاكم وابن مردويه[١] وابن نصر والبيهقي (فى الدلائل) عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما أنّ بعض الصّحابة ضرب خباءه على قبر وهو لا يحسب أنّه قبر انسان. فإذا هو قبر انسان يقرأ (سورة الملك) حتّى ختمها. فاخبر بذلك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال له عليه الصّلاة والسّلام (**هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**) وهل يبقى من شكّ في حياة امرئ يقرأ القرآن، يعبد الله تعالى بصوت مرتفع به لدرجة أن يسمعه من بينه وبينه حائل عظيم من اتربة واحجار، ألاّ أنّه ينبغي أن يعلّم أنّ هذه الحياة لا تبلغ درجة حياة الانبياء، بل الشهداء في سموّ مقامهم لا تبلغ درجة حياتهم درجة حياة الانبياء وإن كان القرآن يخبر عنهم أنّهم أحياء يرزقون ويفرحون ويستبشرون فإنّه ليس بمعقول أن يبلغ فرد من افراد امة ايا كان مركزه سموّا وكمالا عند ربه المبلغ الّذي بلغه رسوله بل لاكثر من كل ما سبق، اذهب بك فقد روى البخاري عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه (ان النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلام قام على شفة الركية) البئر التي لم تطو (فجعل يناديهم باسمائهم واسماء آبائهم) قتلى بدر الكفّار الذين القوا في تلك البئر (**يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ايسرّكم انكم اطعتم الله ورسوله؟ فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا**) قال فقال عمر رضي الله تعالى عنه أتكلّم اجسادا لا ارواح لها. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**والّذي نفس محمّد بيده ما انتم بأسمع لما اقول منهم**) فها هو ذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخبر مؤكدا بالقسم إنّ الأحياء الموجودين معه في الدّنيا لا يزيدون عن اولئك القتلى الكفّار في سماع كلامه صلّى الله عليه وسلّم واني احب أن يهون القاريء على نفسه ولا يستغرب عند سماع هذا في حق الكفار فإنّه يعلم حق العلم إنّ البدن ممن تموت أبدانهم بعد الانتقال من هذه الدار هو الّذي يموت بانقطاع الصلة بينه وبين روحه الّذي كان

---

(١) ابن مَرْدَوَيْهْ ابو بكر أحمد الاصفهاني توفي سنة ٤١٠ هـ. [١٠١٩ م.]

يدبره ويحركه. اما الارواح فباقية بعد الموت كما كانت في الدّنيا قطعا. والارواح في الحقيقة هي العاقلة المكلفة الفاهمة التي كانت تسمع في الدّنيا الاسئلة التي توجه إلى الانسان وترد عليها وهي هي عين الانسان وهذا البدن آلتها التي تسخّرها فيما تريد من اعمال. وإذا كانت الارواح التي هذا قدرها باقية بعد الموت كما كانت في الدّنيا فأي غرابة في سماعها ما يوجه اليها من كلام بعد أن تموت أبدانها ولو كانت ارواح الكفّار وارواح المؤمنين تزيد صفاء وكمالا بعد موت أبدانها عما كانت قبل ذلك الموت، فإنّها في الدّنيا كانت مقيدة بهذا البدن الظلماني الكثيف تقيدا عظيماً بتدبيرها وتصريفها لشؤونه في كل حال. وبعد الموت انقطع ذلك التعلق العظيم واصبحت مطلقة اطلاقا لا يعلم قدره الاّ الله عزّ وجلّ ولهذا ينبغي أن تعلم انها تجول في هذه العوالم باذن ربها. فتأمر مناما بمصالح وتنهي عن مضار وتبشّر عجابا وتنذر بمكاره وتأخذ وتعطي وتدعو الله تعالى وتعلم علوما. وتخبر عن غيوب مستقبلة. وهي إذا قالت شيئاً كان حقا ما تقول؟ فإنّها في عالم لا يعرف الكذب. وكم حمد الله تعالى من اطاعها فيما تشير اليه. وكم ندم من خالفها. وكم وصل من خير لعباد الله تعالى الأحياء من طريقها وكم وصل من شر. والفاعل في الكل رب الجميع وهو المسخر لها في كل حركاتها، الآذن لها أن تقول ما تقول وتفعل ما تفعل.

كل هذا اقوله وبراهينه كما ترى قوة واتجاهاً. وانا اعلم أنّ بيننا فريقا تقع منهم هذه الحقائق موقعا غريبا واليما ولا يكادون يصدقونها ولعلك تقول وما ذا يفعلون في هذه الحجج اليقينية التي تسوقها؟

فأقول لك إنك يا اخي كأنك لم تكن في الدّنيا لتعلم ايها الفاضل إنّ الفريق الّذي نشير اليه لا قيمة للحجة عنده إذا كانت من السنّة. كان السّنّة نسخت في هذا الزمان. نعم، لقد وصلوا في الاستخفاف بالسنّة النبوية التي لولاها ماكان لنا دين إلى حدّ لا يكاد يصدقه المؤمن. وما ذا عسى أن تنتظر في الاستخفاف بها بعد أن تسمع احد هؤلاء يصرح في غير خجل إنّ بنتا صغيرة خادمة أصدق من رواة (البخاري)

الّذي يعده علماء الاسلام اصح كتاب في السّنّة لا تفزع ايها الاخ واعلم أنّ هذا الفريق الّذي حاله ما نذكر وصل أمره إلى اكثر مما نقول. فقد طبع في العام المنصرم عام (١٣٤٩ هـــ) تفسير لواحد من هذا الفريق بتشجيع من اخوانه ومساعدة كبيرة هذا التفسير لكلام الله وهو ينكر كلام الله انكاراً صريحاً بصرف كثير من عباراته الكريمة إلى معان لا يدل عليها الوضع العربي الّذي به نزل هذا الكتاب الحكيم.

وبذلك أنكر حقائق، انكارها كفر صريح وقامت له الامة وقعدت. وكان اول خطوة معه أن صودرت نسخة لئلا تصل إلى ايدي الناس ومنهم الجاهل الّذي لا يميز صوابا من خطإ. وهذا المفسّر الجديد لم يرد على أن اضاف إلى الفريق الباطنية واحداً. واصبح بين الامة كالمجذوم يفر منه كل من وقعت عينه عليه، وسترى عاقبة ذلك في يوم يشيب الولدان.

ومع كون ذلك الفريق بتلك الدرجة التي نحكيها مع الحجج النبوية تراه إذا عثر على شبه حجّة له على معنى يعتقده تجده يتشبث بها تشبثه بروحه، مع انها من السّنّة التي لا قيمة لها عنده. ولكنها الاهواء تفعل اكثر من ذلك كما يتشبث بقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**اذا مات الانسان انقطع عمله الاّ من ثلاث: صدقة جاربة او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له**) يحتج هؤلاء الناس بهذا الحديث على أنّ الانسان متى مات فلا عمل له اصلاً وهو خطأ قبيخ. فإنّ الحديث الكريم يتكلم عن الاعمال التكليفية التي تزداد بها الحسنات والسيئات فافادنا أنّ العمل الّذي هذا حاله ينقطع عن الميّت بمجرد موته، ومعقول هذا الانقطاع، فإنّ الحسنات والسيئات في دار العمل، ودار العمل الدّنيا. والميّت قد انتقل من الدّنيا، غير ان الحديث استثنى الاعمال الصّالحة التي يبقى نفعها في الدّنيا للأحياء بعد موت العامل. فاخبر انها ما دامت منتفعا بها، فالعامل في ازدياد من الثواب وإن كان في قبره.

وبما أنّ الكلام في الاعمال التي بها مزيد الثواب مثّل صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالامثلة المذكورة وهذا معنى واضح لا يتوقف فيه عاقل، اما الاعمال

التكوينية، فالامر فيها بالنسبة للاموات كما قررنا ولعلنا لا نبعد عن الواقع إذا قلنا إنّ من النادر ان نجد انساناً ليس له واقعة او وقائع منامية مع اناس ماتوا من زمن بعيد أو قريب حاورهم فيها وحاوروه وكان منهم له ما يسره او لا يسره من اقوال او أفعال يحكيها بعد أن يقوم من منامه وتقع او تكون واقعة كما قالوا.

وإنّا ننقل هنا مثالا لا شكّ في صحته في (البخاري) مختصرا و(الطبراني) مطولاً عن انس رضي الله تعالى عنه قال: لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس: الا ترى يا عم ووجدته يتحنط فقال: ما هكذا كنّا نقاتل مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم، بئس ما عودتم اقرانكم! اللّهمَّ اني ابرئ اليك مما جاء به هؤلاء ومما صنع هؤلاء ثم قاتل حتّى قتل وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل مسلم فاخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم اتاه ثابت في منامه فقال اني اوصيك بوصية اياك أن تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت اخذ درعي فلان ومنزله في اقصى الناس، وعند خبائه فرس تستن اي تذهب وتجيئ عدوا في نشاط ومرح ولا راكب عليها، وقد كفئ على الدرع برمة وفوقها رحل. فائت خالدا فمره فليأخذها وليقل لأبي بكر رضي الله تعالى عنه: إنّ عليّ من الدّين كذا وكذا وفلان عتيق، فاستيقظ الرجل فاتى خالدا فاخبره فبعث إلى الدرع فاتى بها، وحدث ابا بكر رضي الله عنه برؤياه فاجاز وصيته.

هذا لفظ ابن حجر فى (الاصابة) في ترجمة ثابت بن قيس فهذا رجل ميت يغضب على تركته أن يأخذها غير وارثه فيأمر من يذهب إلى قائد الجيش، يخبره بمكانها ليردها إلى ورثته ولما سمع هذا القائد ذلك بعث إلى الدرع فاتى بها، ثم امر هذا القائد أن يخبر خليفة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بما عليه من الدّين ليؤدي عنه ليستريح من ناحيته، وحتّى لا يندم ربّ الدّين على ضياع ماله بموت المديون، وأن يخبره بوصيته بعتق غلامه لينفذ هذه الوصية بماله من السلط العامة وليكون هو قام بمكافاة ذلك الغلام على طول خدمته له في حياته. فنفد أبو بكر

رضي الله تعالى عنه ذلك. وانظر لما ذهب إلى الرائي، كيف شدد عليه أن يبلغ ما يوصيه به وافهمه أنّ الأمر جد لا هزل، وحق لا باطل ليقتلع من نفسه التردد الّذي يقع في النفوس في بعض ما يرى في المنام.

وانظر كيف يصف المكان الّذي به الدرع على مبالغة آخذها في اخفائها. وانظر كيف فطن هو وحده لذلك الاخذ مع أنّه ميت و لم يفطن له الأحياء المحيطون به من كل مكان. فمن بعد هذا ينكر او يتردد او تخطر له شبهة في أنّ الميّت بعد موته يعمل ويقول؟ وهل عقيدة أنّ الميّت لا يقول بعد موته ولا يفعل الاّ عقيدة من يئسوا من اصحاب القبور.

وإذا احطت علماً بهذا كله، علمت أنّ الامر عادي صرف في مخاطبة الانبياء والأولياء وجميع المؤمنين، بل والكافرين بعد موتهم المخاطبة التي لا تقل عن مخاطبتهم وهم أحياء في الدّنيا فإنّ الميّت يسمع ويفهم فمن خاطبه خاطب سميعا فاهماً.

وعلمت أنّ من يحكمون بالشّرك على من يخاطب وليا اونبيا بعد انتقاله من هذه الحياة، بعدوا عن الحق بعد الحق عن الباطل، وبرهنوا بذلك على أنّهم لم يكلفوا خاطرهم بالنظر في دين الله حتّى وصلوا في الجهل به إلى درجة أن تخفى عليهم تلك الحقيقة الواضحة؟

هل للانبياء والأولياء وجاهة عند ربنا شيء من وجاهة الانبياء؟

ليعذرني القارئ الفاضل في هذه الترجمة ثم الاستدلال عليها، فإنّ ذلك وإن كان بديهيا عنده، منكر عند قوم إلى حد لا حد له، وإنّا نكتب ما نكتب، نرجو ان ينتفع اولئك القوم به وإن لم ينتفعوا وذلك اكبر الظن بهم. فالدّنيا مملوءة –والحمد لله– بمن ينتفع به من المؤمنين الصادقين.

قال ربنا عز وجل في سيّدنا موسى الكليم (**وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وجِيهًا** * الاحزاب: ٦٩) وقال في سيّدنا عيسى (**وَجِيهًا فِي الدّنيا والآخرة** * آل عمران: ٤٥) هذا كلام ربنا وليس بعد كلام ربنا كلام. لانه الخالق العالم بما عليه خلقه. فإذا ذكرحقيقة

وردها احد كان ذلك ردة في ذلك الراد. ذلك لا نزاع فيه. وما ذكر من كلامه تعالى يقرر في وضوح أنّ لربنا عبيدا لهم عنده وجاهة وأنّ سيّدنا موسى وسيّدنا عيسى صلّى الله عليهما وعلى جميع الانبياء وسلّم من اولئك الوجهاء.

ومعنى هذه الوجاهة عنده تعالى لمن جعلها لهم المترلة الرفيعة التي بها يتولى شؤونهم توليا خاصا ويعاملهم كما نعامل نحن الوجهاء عندنا فكما لا نردّ نحن طلب الوجهاء عندنا اجلالا لهم واحتراما لمترلتهم الرفيعة عندنا، كذلك هو تعالى لا يرد طلب الوجيه عنده الاّ لحكمة هو يعلمها، وإن اختلف المقتضي للاجابة عندنا وعنده تعالى. وإنّا نحب كثيرا أن يسمع لنا القارئ الكريم لنقص عليه شيئاً من آثار وجاهة الانبياء صلّى الله وسلّم عليهم عنده تعالى ليزداد إيمانا بها على إيمانه فنقول:

مكث العبد الشكور سيّدنا نوح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قومه الف سنة الاّ خمسين عاما يدعوهم إلى الحق ليلا ونهارا، سراً وجهارا، ويلاقي منهم في سبيل تلك الدعوة ما يلاقي من اصناف الايذاء ولم ينته ذلك عن القيام بما كلف به ولما يئس من هدايتهم قال ما حكى عنه ربنا (**اَنّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ** * القمر: ١٠) ثلاث كلمات حرك بها لسانه هذا العبد الكريم أتعرف ايها القارئ ما ذا كان اثرها؟ لقد كان ما قال مولاه عزّ وجلّ (**فَفَتَحْنَآ اَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَآءٍ مُنْهَمِرٍ * وفَجَّرْنَا الْاَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَآءُ عَلَى اَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ اَلْوَاحٍ ودُسُرٍ * تَجْرِي بِاَعْيُنِنَا** * القمر: ١١-١٤) هيج تعالى السماء لدعوة ذلك العبد الجليل. فافرغت ماءها ينهمر انهمارا. وهيج الارض فقذفت ماءهاه يتفجر تفجرا. وبالضّرورة كان الجو اذ ذاك في منتهى العبوثة والغضب.

ولما التقى ماء السماء بماء الارض كان منهما طوفان عظيم غمر كل الارض، وفي هذا الهول الّذي تنخلع له القلوب فزعا اغرق تعالى كل من على وجه الارض من الكفّار الذين تغير منهم قلب سيّدنا نوح عليه الصّلاة والسّلام ودعا عليهم بتلك الكلمات ولعلك تقول وما ذا جرى لهذا الرسول ومن آمن معه في ذلك الهول الّذي

يشيب الولدان؟ وهل طار عليهم من رشاش ذلك الطوفان شيء او احست قلوبهم بذرة من ذلك الفزع المذهل؟

فاقول لك: ما كان من ذلك شيء مع أنّهم في سفينة (**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ** * هود: ٤٢) وكيف يكون ذلك والقدير الرّحيم يقول في تلك السفينة (**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** * القمر: ١٤) وهل يخشى شيئاً من يسير محروسا بعينه تعالى التي لا تنام محوطا بحفظه الّذي لا يمس. فليقل لي القارئ وليفتني في مبلغ هذه الوجاهة التي تغضب، فيغضب الله وتغضب السّموات وتغضب الارض ويغضب الجو ولا يهدأ هذا الغضب حتّى يكون ما تريد من تغير وجه البسيطة كلها واهلاك كل من عليها من الكفّار.

وكسر سيّدنا ابراهيم خليل الرّحمن عليه السّلام الاصنام التي كان يعبدها الوثنيون الذين كانوا يعاصرونه، وانت تعرف أنّ مس العقيدة بأيّ شيء مظنة انفجار براكين الغضب فكيف إذا طعن فيها ووصل الطعن إلى درجة أن مس الالوهية لا بل تعدى ذلك إلى التعدي بالتكبير والتهشيم لنفس الآلهة التي تعبد ويعتقد فيها انها تنفع وتضر لذلك لم يكن عليه الصّلاة والسّلام جزاء عند اولئك الوثنيين الاّ قتله صلّى الله تعالى عليه وسلم، وليس هذا القتل مطلق القتل بل ا لم القتل واشده. وهو الإحراق بالنّار التي اججت ثم اججت والقي فيها وهل يدري القارئ ما ذا فعل به ربه، وهو تعالى يعلم أنّه ما اقدم على ما اقدم عليه الاّ غيرة منه على مقامه الاسمى أن يشارك في العبادة لقد كان أن قال عزّ وجلّ للنار وهو ربها (**كُونِي بَرْدًا وسَلاَمًا عَلَى اِبْرَهِيمَ** * الانبياء: ٦٩).

ان اسم ابراهيم في هذا المقام لا تشبع اذن العقل ابدا من سماع حلاوته. وهل تدري، ما ذا كان من النّار؟ كان منها ان صدعت بما اراده منها ربها، ولم تمس هذا الخليل بادنى ضرر فما ذا يرى القارئ في تقدير هذه الوجاهة التي بلا سؤال بل مع رفض السؤال كما ورد. سلب لها رب السّموات والارض خاصة هذا العنصر المحرق

وجعلها عليه بردا وسلاما. فكان صلّى الله تعالى عليه وسلّم في وسط النّار الملتهبة وهو يشعر بهذا البرد اللطيف ولا تظن أنّ هذا على فخامته كل ما كافأ ربنا به خليله الا تظن ذلك.

واعلم أنّه ما حيى حي بعد هذا العبد الغيور على مولاه الاّ وبه حيى لهذا اليوم والى أن تنقضي الدّنيا فإنّه يبعث نبيّ بعده صلّى الله تعالى عليه وسلّم الا وهو من ذريته ولم يترل بعده كتاب من السماء الاّ وعلى ولد من اولاده انزل كما يقول تعالى (**وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ** * العنكبوت: ٢٧) اذن لم يؤمن انسان بعد سيّدنا ابراهيم الاّ على يد ولد من اولاده.

ومعروف أنّ ربّنا عزّ وجلّ جعل الشرائع ارواحا للخلق كما يقول عزّ وجلّ (**وَكَذَلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ رُوحاً مِنْ اَمْرِنَا** * الشورى: ٥٢) فمن آمن بهذه الشرائع حيى، ومن لم يؤمن بها كان ميّتاً. ولقد صرح تعالى بذلك في قوله الكريم: (**اَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَاَحْيَيْنَاهُ** * الانعام: ١٢٢) وقوله (**وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ اْلاَمْوَاتُ** * فاطر: ٢٢) وغير ذلك كثير في كلام الله تعالى فكان ربّنا الشكور يقول لهذا الخليل العظيم: انت قدمت حياتك في سبيلنا وسخوت بها عن طيب خاطر ولم تلتفت لها واستهنت بالموت غيره علينا واجلالا لنا. فكان جزاؤك عندنا، ان حلنا نحن بينك وبين ذلك الموت مكافاة لك على هذا الاخلاص البالع. وخرقنا عادتنا في ملكنا من اجلك فجعلنا الجسم المحرق بردا وسلاما عليك وليس ذلك فقط كل جزائك عندنا بل جعلنا كل من يحيى في ملكنا في حياتك وبعد مماتك إلى قيام الساعة انما بك يحيى. هذا جزاؤك عندنا في الدّنيا التي ليست بدار جزاء وجاه هذا اثره عند ربنا عزّ وجل، انما يعلم قدره ربنا فقط. واما نحن فلا يسعنا امامه الاّ طأطأ الرأس والسكوت التام.

ويئس سيّدنا موسى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم العبد الكليم الوجيه الّذي اصطعنه ربنا لنفسه من هداية فرعون وقومه. فاوحى اليه مولاه أن يخرج بمن آمن به من مصر ليلا. واخبره أن سيتبعه فرعون وجنده لقضاء قضاه فيهم. فخرج

عليه السّلام بمن اتبعه وصدقه كما امر. ولما علم بذلك فرعون جمع من قومه ما جمع وخرج وراءهم فلما دنا منهم وراوه بجموعه قلقوا وقالوا لسيّدنا موسى عليه السّلام (**اِنَّا لَمُدْرَكُونَ** * الشعراء: ٦١) يعنون انا ميتون ولا بدّ بيد هذا الطاغية الجبار وجيوشه هذه الكثيرة القوية، فطمأنهم عليه السّلام باعظم انواع المطمئنات، إذ قال لهم (**كَلاَّ إنّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** * الشعراء: ٦٢) هكذا حكى ربّنا عزّ وجلّ عنه عليه السّلام وعنهم يريد سيّدنا موسى أن يقول لهم: إن ظننتم أنّ فرعون وقومه اقوياء يفتكون بنا.

فاعلموا العلم الّذي لا شكّ معه إنّ معي خالق فرعون وقومه القادر على أن يزيل كل هذا الوجود سمواته وارضه في لمحة وإذا كان معنا هذا القادر العظيم، فلا بدّ أن يكفينا عدونا ويرشدنا إلى ما به نجاتنا منه. واذن دعوا هذا الخوف واطمئنوا كل الاطمئنان وهل تعرف ما ذا كان بعد ذلك؟ كان إن هداه ربه إلى نجاته ونجاة قومه كما قال عليه الصّلاة والسّلام لهم فإنّه تعالى أمره أن يضرب بعصاه البحر ففعل كما امر فانفلق البحر الماء السائل وصار شوارع يرونها باعينهم، وهو من كل ناحية من نواحي هذه الشوارع متماسك جامد شاهق متين لا كمتانة المباني التي يبنيها البشر، بل كالجبل الشامخ العظيم الّذي بناه القوي المتين، وحينئذٍ فرحوا واقبلوا على تلك الشوارع يسيرون فيها آمنين، مطمئنين حتّى انتهوا إلى الشاطئ الثاني ولما وصل فرعرن إلى البحر ووجده بهذه الحالة اقتحمه هو وقومه فلما صاروا فيه انساب عليهم وانطبق على بعضه كما كان فاغرقهم اجمعين. وسيّدنا موسى وقومه ينظرون. وما ذا عسى أن يقول القائلون في تقدير الوجاهة التي هذا قدر عمل الخالق على رضاها، إنّ الالسنة هنا لتخرسها الهيبة ويعقلها هذا الجلال.

وهذا سيّدنا داود الرسول الكريم عليه السّلام خليفة الله في ارضه الّذي يقول فيه خالقه (**نِعْمَ الْعَبْدُ** * ص: ٣٠) وصل من جاهه عنده سبحانه وتعالى أن جعله عليه السّلام يعمل في الحديد ما لا تعمله النّار الملتهبة والمطارق الثقيلة القوية، جعله يتناول

ذلك الحديد بيده اللحم والعظم والعروق فيفصل منه وهو الحديد كما يشاء من الدروع وسواها بغاية اليسر والسهولة والسرعة، كأنه في يده قماش في يدنا او الين. ولا تعجب ايها القارئ! فإنّ سيّدنا داود هذا هو الّذي سخر له ربه الطيور التي لا تعقل بل والجبال الجمادات، فجعلها تفهم تسبيحه حينما يسبح. فتأخذ هي في التسبيح كذلك مشاركة له عليه السّلام ويفهم هو منها هذا التسبيح. إنّ الجاه الّذي يعمل له ربنا كل هذا جاه ليس له حد، لقد اجزل ربنا النعمة على هؤلاء الناس. فانّي لا اجد عبارة تفي بشرح قدر اللذة التي كان يشعر بها سيّدنا داود وهو يسمع الطيور والجبال تسبح بتسبيحه. ولا يمكنني أن اصف ما يقوم به من الفرح بنعمة ربه وهو بتلك الحال او وهو يرى الحديد في يده ينفصل له كما يشاء عليه السّلام.

اما سيّدنا سليمان الرسول الكريم فعجيب والله جاهه عند ربه، ثم عجيب، كيف لا وربه لم يرض له أن يسير إلى مقاصده في الارض التي جعلها تعالى مكاناً لسير الخلق بل جعل تعالى طريقه إلى ما يريد الجو كما أبى تعالى أن يجعل مراكبه دوابا يسير عليها بل جعل دابته الريح تسير به في الغدوة مسافات تستغرق شهرا كاملا بالسير المعتاد. وكذلك تسير به في الروحة وهو بالخيار معها بين أن يجعلها رخاء هينة لينة كما تتساهل مع دابتك فتتركها تمشي الهوينا، وبين أن يجعلها عاصفة شديدة كما تحمل دابتك على السّير السريع. وليس هذا كل آثار جاهه عند ربه تعالى بل من تلك الآثار إن جعله تعالى حاكما على الجن، مطاعا فيهم، يحبس منهم من يحبس لتمرده وافساده ويطلق من يطلق يعملون له ما يشاء ومن تلكأ منهم وزاغ عن أمره اذاقه الله العذاب الاليم بل من آثار ذلك الجاه، أن جعل تعالى له الطير تحت أمره يسخره كما يشاء ووهبه فهم منطقه يحاوره ويتفاهم معه كما يتفاهم مع بني آدم. فقل لي بربك أيّ جاه هذا الجاه الّذي جعل الله تعالى له الجن والانس والطير مسخرين له يأتمرون بامره وينتهون بنهيه ومع ذلك يقول له تعالى (**هَذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ اَوْ اَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** * ص: ٣٩) اي هذا الملك العظيم وهذا العطاء المعدوم النظير

لا حساب عليك فيه وإن امسكته و لم تعط منه شيئاً لاحد، أنت مطلق التصرف فيه، لا جبر عليك في اعطاء ولا ذمّ عليك في منع، ومن اجل هذا كان ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده عليه السّلام.

اما سيّدنا عيسى بن مريم عليه السّلام، فكان في جاهه عند ربه آية، كما أنّ خلقه آية كان عليه السّلام إذا لمس بيده الشّريفة مريضا عوفي من مرضه، مهما كان ذلك المرض ولو عمى او برصا ولا تستكثر هذا عليه عليه السلام فإنّه كان فوق هذا. إذا نادى ميّتاً أن يحيى حيى باذن الله عزّ وجل. ولعل ذلك يقع عندك موقع الغرابة، لا تستغرب. واعلم أنّ مولاه مكنه فوق هذا من مدهش، مكنه من أن يصور القطعة من الطين كهيئة الطير فينفخ في تلك القطعة فتكون طيرا حقيقة باذن الله واظنك تسارع عند هذا إلى قولك: هذا مظهر من مظاهر الخلق والابداع والاختراع. فاقول لك إلى هذا الحد وصل جاه سيّدنا عيسى عليه الصّلاة والسّلام عند ربه ولكن لا يخفى على فطنتك أنّ الفاعل هو ربّنا عزّ وجلّ وهذه المظاهر اسباب فقط لخلقه تعالى.

واما سيّد العالمين حضرة نبيّنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فليس في خلق الله من يدانيه في وجاهته عند ربه، وكيف يداني من يقول له تعالى (**وَمَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلاَّ رحمَةً لِلْعَالَمِينَ** * الانبياء: ١٠٧) ولفظ (العالمن) معلوم أنّه يشمل كل ما عداه سبحانه وتعالى. وإذا كان صلى الله تعالى عليه وسلّم رحمةً لكل الخلق فكيف يكون فيهم من يدانيه في منزلته عند مولاه عزّ وجلّ وما ذا يقول ملوك البيان في تقدير هذا الجاه العظيم؟ وما ذا عسى أن يصف البيان فيمن يخاطبه بقوله (**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيهِمْ** * الانفال: ٣٣) مع أنّهم الذين يحكي تعالى عنهم قولهم (**وَاِذْ قَالُوا اللَّهمَّ اِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَآءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيمٍ** * الانفال: ٣٢) فجاه يحمي وجوده حتّى الكفّار الذين يستهزؤن بالدّين وبمن جاء بالدّين، جاه تقف عنده الالباب والاقلام والالسنة حيرى لا تبدي ولا تعيد. ويزيدك علماً بمبلغ

عظم هذا الرسول الاعظم صلّى الله تعالى عليه وسلّم ومقدار جاهه عند مولاه تعالى غيرته عزّ وجلّ عليه، الغيرة التي تحرم تحريما قاطعا أن يتقدم احد عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم في شيء وتوجب على الكافة أن يكونوا تابعين له في كل شيء لتكون كل حركة من حركاتهم مذكرة لهم ما يجب له صلّى الله تعالى عليه وسلّم عليهم من التوقير والاحترام وما يجب أن يكونوا عليه هم من التبعية المطلقة له عليه الصّلاة والسّلام، الغيرة التي تجعل رفع الصوت فوق صوته قرينة الردة في احباط جميع اعمال من يرفع صوته فوق صوته صلّى الله تعالى عليه وسلم، الغيرة التي تجرد من العقل قوما نادوه وهو في احدى حجراته صلّى الله تعالى عليه وسلّم ليخرج اليهم. أفهمتم هذه الغيرة الالهية إنّ ذلك فيه تكليف لخاطره عليه الصّلاة والسّلام والّذي يقتضيه العقل السليم، أنّهم كانوا ينتظرونه حتّى يخرج هو اليهم من تلقاء نفسه. ومن اعطى هذه الحقائق حقها من النظر عرف حق المعرفة من هو عليه الصّلاة والسّلام، الغيرة التي حتمت على كل من يريد الكلام معه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن لا يتقدم إلى ذلك الاّ بعد أن يقدم بين يدي ذلك صدقة.

واني لارى توجيه هذا بأي تعليل مقللا من شأنه ومحددا لعظمته ثم نسخ تعالى هذا تخفيفا ورحمةً بالفقراء ولكن هذا النسخ لا يمكن أن ينسخ ما وقر في النفوس له صلّى الله تعالى عليه وسلّم من التوقير والتعظيم الّذي احدثه الحكم المنسوخ.

ولما أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بهذا القدر الكبير عند ربه، استطاعت السيّدة الصديقة الزوجة الكريمة أمنا الجليلة السيّدة عائشة رضي الله تعالى عنها أن تقول له (ما ارى ربك لا يسارع في هواك) مما رواه (البخاري) و(مسلم) وغيرهما تريد رضي الله تعالى عنها بكلامها هذا إنّ ربه عزّ وجلّ لا يحوجه إلى مشقة سؤال يتجشمها، ثم بعد السؤال تكون الاجابة بل هو تعالى يعلم ما يهواه ويحبه فيفعله له ولو من غير سؤال ولا يفعل له ذلك مطلق فعل بل بقيد الاسراع وهذا تقوله رضي الله تعالى عنها تحكي به ما تشاهد من عادة الله تعالى معه في امياله ومحابّه.

وإنّا نذكر هنا شيئاً يفهم منه الناظر، كيف يطيعه ربّه ويسارع في هواه فليسمع: سأله صلّى الله عليه وسلّم اهل مكة، أن يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين اي (فلقتين) رواه (البخاري) و(مسلم) و(التّرمذي) وغيرهم وصرح بهذه آية القرآن فهي من المعجزات التي لا يقوى مسلم على أن يمتري فيها، ولعل هذا الوجود من بدئه لم ير آية مثلها في الضخامة والعظم.

واراد يوماً صلّى الله عليه وسلّم أن يقضي حاجة واحتاج إلى شيء يستتر به فاخذ بغصن شجرة وقال لها (**انقادي عليّ باذن الله**) ثم ذهب إلى اخرى واخذ بغصنها وقال لها مثل ذلك فانتقلتا من مكانهما إلى حيث شاء ثم امرهما أن (تلتئما) فالتأمتا. وقضى حاجته مستتراً بهما ثم تركما فرجعتا إلى مكانهما. رواه مسلم فأي جاه هذا الجاه الذي يأمر فلا يعصيه حتّى الجماد؟

وشكا الصّحابة اليه يوماً العطش وكانوا بالحديبية فليس في الجيش الاّ ركوة بين يديه صلّى الله عليه وسلّم والركوة زقّ صغير بها بقية ماء فوضع صلّى الله عليه وسلّم يده الكريمة في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون. فشربوا وتوضؤا وكانوا الفا وخسمائة ولو كانوا مائة الف لكفتهم رواه (البخاري) و(مسلم) فما ذا يقول القارئ في جاه لاجله يفور الماء من الاصابع التي بينها وبين الماء المباينة كلها؟ فإنّها عظم ولحم. واين ذلك من الماء الّذي لو نبع من الحجر الصلد لكان اقرب من نبعه من الاصابع فإنّ الحجر من جنس الارض التي بها ما بها من ينابيع الماء بل أحياء الموتى اقرب من هذا فإنّ الميّت كان به حياة وقريب أن تنفخ فيه الحياة ولكن كيف يكون اللحم والعظم ينبوعا للماء؟ إنّ ربنا ليفعل له صلّى الله عليه وسلّم ما لا يخطر على القلوب جلت قدرته.

ودعا لام سيّدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن يهديها الله تعالى وكانت قالت ما قالت فيه صلّى الله تعالى عليه وسلّم من الذم ردا على ابنها أبي هريرة لما عرض عليها الاسلام. وكان ابوهريرة يبكي عليها غما. فلمّا دعا لها صلّى الله تعالى

عليه وسلّم بالهداية رجع ابوهريرة رضي الله تعالى عنه في الحال إلى البيت فسمع خضخضة الماء والباب مغلق فلما سمعت حركة قدميه قالت له: مكانك يا ابا هريرة فلما فرغت من الغسل فتحت الباب ثم قالت يا ابا هريرة (**أشهد أن لا اله الاّ الله وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله**) فرجع إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو يبكي سرورا رواه (مسلم).

وكان صلّى الله تعالى عليه وسلّم على المنبر يوماً فسأله اعرابي أن يدعو الله تعالى أن يسقيهم وكانوا في قحط فرفع يديه وما بالسماء قطعة سحاب، فما ردهما الاّ وقد ثار السحاب كامثال الجبال و لم يترل صلّى الله تعالى عليه وسلّم عن المنبر حتّى نزل عليه المطر وصار يتقاطر على لحيته الشّريفة و لم تزل تمطر إلى الجمعة التي تليها. سئل صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن يدعو ربه أن يرفع هذا المطر فرفع صلّى الله تعالى عليه وسلّم يديه وقال (**اللّهمَّ حوالينا ولا علينا**). فانقطع المطر في الحال وخرجوا من المسجد يمشون في الشمس رواه (البخاري).

وكان خطب صلّى الله تعالى عليه وسلّم اولا إلى جذع نخلة فلمّا صنع له المنبر انتقل اليه. فلمّا احس الجذع بفراقه صلّى الله تعالى عليه وسلّم جعل يئن انين الصبي والصّحابة يسمعون ولولا أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم نزل عن المنبر وضمه كما تضم الوالدة ولدها الّذي يبكي ما سكت عن انينه حزنا واسى وحسرة على بعده عنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم رواه (البخاري) فما ذا يقول القارئ في جاه وعظمة وبركة تبكي خشبة على فراقها. وليتذكر في هذا المقام قوم يحرمون تحريما قاطعا السفر إلى زيارته والقرب منه ويغضبون نهاية الغضب عند ذكره بشيء من التعظيم. ليقل لهم القارء إنّ الخشب الجماد يعظّمه ويجلّه ويفرح لجواره وقربه منه لدرجة أنّه يئن ويبكى إذا شعر ببعده عن جواره الكريم.

ومسح صلّى الله تعالى عليه وسلّم رجل عبد الله بن عتيك لما انكسرت ليلة قتل ابا رافع الّذي نقض عهد النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وصار يهجوه فانجبر

الكسر في الحال وكأنه ما كان يشكوها رواه (البخاري).

واكل امامه صلّى الله تعالى عليه وسلّم رجل بشماله فامره صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن يأكل بيمينه فقال: لا استطيع كبرا منه فقال له عليه الصّلاة والسلا، **(لا اصتطعت)** فجمدت يده ولم يستطع بعد ذلك رفعها إلى فيه رواه (مسلم).

ووضعت له السيّدة ام سليم رضي الله تعالى عنها حيسا وهو تمر مخلوط بسمن واقط وارسلته له مستقلة له، فوضع صلّى الله تعالى عليه وسلّم يده الشّريفة في تلك الحيسة ودعا، ثم صار يدعو الناس ليأكلوا فاكلوا وكانوا زهاء ثلثمائة ولا يدرى أكانت؟ اكثر حين وضعت ام حين رفعت رواه (البخاري) (مسلم).

وطلب منه سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه أن يدعو الله فيما بقي مع الناس من زاد وكان يسيرا وكانت اصابتهم مجاعة في غزوة تبوك، فدعا صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالبركة في ذلك الشيء اليسير ثم امرهم أن يأخذوا فلم يبق احد من الجيش الاّ اكل وشبع ولم يبق معهم اناء حتّى ملئ وبقي فضلة. فقال حينئذٍ صلّى الله تعالى عليه وسلّم **(اشهد أن لا اله الاّ الله واشهد اني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنّة)** رواه مسلم.

وساخت ارجل فرس سيّدنا سراقة رضي الله تعالى عنه إلى بطنها في الارض، لما دعا عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم حينما تبعه هو وسيّدنا ابا بكر رضي الله تعالى عنه وهما في طريق الهجرة. وكان سيّدنا سراقة لم يسلم بعد فاخذ لهما على نفسه عهدا أن يرد عنهما إن هما دعوا له. فدعا له صلّى الله تعالى عليه وسلّم فنجت فرسه فرجع يرد عنهما وفاء بعهده رواه (البخاري) و(مسلم).

ودعا صلّى الله تعالى عليه وسلّم اعرابيا إلى الاسلام. فقال له الاعرابي ومن يشهد على ما تقول؟ فقال له عليه الصّلاة والسّلام هذه السلمة – شجرة. فدعاها صلّى الله تعالى عليه وسلّم فاقبلت تخدّ الارض خدّا حتّى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا، فشهدت ثلا ثا، ثم عادت إلى منبتها رواه (الدارمي).

ودعا صلّى الله تعالى عليه وسلّم عرجون نخلة فجعل يترل شيئاً فشيئاً حتّى نزل عنده صلّى الله تعالى عليه وسلم، ثم أمره أن يرجع إلى مكانه فرجع. فعل ذلك صلّى الله تعالى عليه وسلم ليبرهن لاعرابي على أنّه نبيّ فلما رأى ذلك الاعرابي طاعة العرجون له صلّى الله تعالى عليه وسلم اسلم رواه (التّرمذي).

وقرأ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قول ابراهيم (**رَبِّ اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ** * ابراهيم: ٣٦) إلى (**رَحِيمٌ**) وقول عيسى (**اِنْ تُعَذِّبْهِمْ فإنهم عِبَادُكَ وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** * المائدة: ١١٨) فرفع يديه وقال (**اللّهمَّ امتي اللّهمَّ امتي**) وبكى فقال الله تعالى: (يا جبرئيل اذهب إلى محمّد فقل له وربك اعلم فاسأله ما يبكيك؟ فاتاه جبرئيل وسأله فاخبره بما قال-وهو اعلم- فقال تعالى يا جبرئيل اذهب إلى محمّد فقل له إنّا سنرضيك في امتك ولا نسوؤك (رواه مسلم).

ليقف هنا القارئ طويلا ويفكر في هذا الجاه العظيم الّذي يتلطف به ربه هذا التلطف البديع.

واختطف الذئب شاة فانتزعها منه الراعي. فاقعى على ذنبه وقال له: الا تتقي الله تترع مني رزقا ساقه الله إليّ. فقال الراعي يا عجبا! ذئب يتكلم؟ فقال الذئب: الا اخبرك باعجب من ذلك؟ محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق. فذهب الراعي إلى المدينة واخبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم بذلك، فامر فجمع الناس وأمر الراعي أن يخبرهم فاخبرهم رواه (أحمد) و(البزار).

وسأل ابن مسعود من اخبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالجن؟ ليلة استمعوا القرآن؟ فقال شجرة رواه البخاري ومسلم.

وقال سيّدنا عليّ كرم الله وجه ورضي عنه: كنت مع النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلاّ وهو يقول: السّلام عليك يا رسول الله رواه (التّرمذي).

وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ان بمكة حجرا كان يسلّم عليّ ليالي بعثت**

اني لأعرفه الآن). رواه (مسلم).

اين العقل والفهم ايها الناس؟ اشجار وجبال وحجارة تسلّم على رسولى الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وآدميون يقفون في وجه كل من يريد الاتصال به صلّى الله تعالى عليه وسلّم بأيّ حال. هذا شيء غريب عجيب.

وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**لا تمسّ النّار مسلما رآني او رأى من رآني**) قال طلحة: فقد رأيت جابرا وقال موسى: قد رأيت طلحة قال يحيى وقال لي موسى وقد رأيتني ونحن نرجو الله رواه (التّرمذي). ارجو أن لا يستكثر القارئ هذا عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو رحمة الله تعالى للعالمين وقد سبق ما رويناه عن (مسلم): إنّ الله تعالى يقول له (**إنّا سنرضيك في امتك ولا نسوؤك**) وليتأمل كثيرا في قوله تعالى (**في امتك**) إنّ معنى هذا الارضاء كبير ثم كبير ولو فهم الانسان هذه العبارة كما هي عليه لصرح بأن هذه الامة لا يعذب منها احد متى كان مسلما. فإنّ ذلك هو الّذي يرضيه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وليسؤه من غير شك تعذيب واحد منها. هذا نقوله ولا نستبعده ابدا على ربنا وهو الّذي يعد سيّد خلقه صلّى الله تعالى عليه وسلّم في كتابه فوق ما تقدم فيقول له (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** * الضحى: ٥) والمبشرات الشاملة لامة الاجابة كلها كثيرة في السّنّة وكثيرة.

وجاءه حرملة بن زيد فقال: يا رسول الله الإيمان ههنا؟ واشار إلى لسانه والنفاق ههنا واشار إلى صدره. ولا نذكر الله الاّ قليلا فسكت عنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم فردد ذلك حرملة فاخذ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بطرف لسان حرملة فقال (**اللّهمَّ اجعل له لسانا صادقا وقلبا شاكرا وارزقه حبي وحبّ من يحبني وصيّر امره إلى الخير**) فقال حرملة يا رسول الله إنّ لي اخوانا منافقين، كنت فيهم رأساً ألا ادلّك عليهم؟ فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**من جاءنا كما جئتنا استغفرنا له كما استغفرنا لك ومن اصرّ على دينه فالله اولى به ولا تخرق على احدا سترا**) رواه الطبراني في (الكبير) وانما دعا له صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن يرزقه الله حبه لأن حبه هو

الإيمان بعينه كما أنّ بغضه هو الكفر بذاته. وليس حبه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أمراً يحكى باللسان فحسب بل القلب قبل اللسان ومتى استقر حبه صلّى الله تعالى عليه وسلّم في قلب رأيت آثاره في الحال من تعظيم يناسب قدره الافخم صلّى الله تعالى عليه وسلم، ومن ولوع بالصّلاة والسّلام عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ومن حرص شديد على اتباعه الاتباع المطلق في كل حركاته وسكناته صلّى الله تعالى عليه وسلم، ومن شوق يتأجج في الفؤاد يطلب طلبا لا هوادة معه ولا سكون أن يسعى اليه ويتشرف بالمثول بين يديه، وما إلى ذلك من آثار الحب الصّحيح. اما من يقول بلسانه: أنا احبه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ثم لا يجد من آثار ذلك الحب شيئاً فهو محب باللسان لا بالقلب وارجو ان تسمع ما يقوله محب أمرأة **بيت**:

وكنت إذا ما جئت ليلى ازورها * ارى الارض تطوي لي ويدنو بعيدها

وانظر إلى اي حد يبدي المحب من الطاعة لحبيبه، إذ يقول **بيت**:

ولو امروني أن امرَّ على لظى * لقلت نعيما في هواهم وجنتي

اين هذا من محب يكره زيارة محبوبه وينهى اشد النّهي غيره عنها ولوسمع أمراً يذكر هذا المحبوب بشيء من التعظيم يمتحض ويعبس ويوجه اليه من الملام ما تأبى حكايته الاقلام ليفتني القارئ الكريم أمحب هذا؟ اما أنا فتقع لديّ هذه المحبة موقع الغرابة، إن لم اقل إنّها محبة كاذبة ثم كاذبة.

ولعل القارئ يفهم من هذا النزر اليسير الذي حكيناه هنا عنه صلّى الله عليه وسلّم إلى اي درجة بلغ قدره صلّى الله عليه وسلّم ووجاهته عند ربه والى اي حد بلغت مسارعته تعالى وطاعته لهواه صلّى الله عليه وسلم، عرف هذا حق المعرفة اصحابه رضي الله عنهم وكانوا عربا اتوا ما اتوا من نفوذ البصيرة ومعرفةً حقائق الاشياء على ما هي عليه بفطرهم السليمة واستعداداهم العالية وزاد هذا بما منحوه من نور الاسلام ومجاورتهم له عليه الصّلاة والسّلام. لذلك كانوا يعظمونه ويبجّلونه إلى درجة يمثلها لك ويقرّبها إلى ذهنك قول بعض اعدائهم يصفهم معه صلّى الله عليه

وسلم، إذا امرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلّم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيماً له ولذلك لما رجع من عندهم قال لقومه: والله لقد وفدت على الملوك كسرى وقيصر والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظّمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمّد محمداً الخ (البخاري).

ومن آثار بلوغهم النهاية في تعظيمه صلّى الله تعالى عليه وسلم: أنّهم كانوا لو ظفر احدهم بشيء من آثاره كقطعة من ثوبه او قليل من شعره صلّى الله تعالى عليه وسلّم لاحتقر الدّنيا باسرها بجانب ما ظفر به. كان هو صلّى الله تعالى عليه وسلّم يرى بعينه ذلك الاجلال البالغ منهم ولا ينكر عليهم شيئاً منه اشارة منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى أنهم في كل ذلك ما تجاوزوا المطلوب منهم نحوه عليه الصّلاة والسّلام.

ولقد رأى صلّى الله تعالى عليه وسلّم ام سليم تجمع عرقه في آنية معها وكان نائماً فاستيقظ وقال: ما تصنعين يا ام سليم؟ فقالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو اطيب الطيب وفي رواية: انها قالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. فقال: لها عليه الصّلاة والسّلام مقرا ومشجعا ومادحا (**اصبت**) رواه الشّيخان والنّسائي.

ولقد كانوا والله معذورين رضي الله تعالى عنهم فيما يفعلون معه صلّى الله تعالى عليه وسلّم من انواع التعظيم والاجلال. وكيف لا يعذرهم العاقل وهم يرون خالقه رب السّموات والارض معه كما اشرنا سابقاً إلى بعضه عرفوا وما اذكاهم: أنّه حبيب ربهم إلى تلك الدرجة التي ليس فوقها درجة فكانوا كما وصفنا معه عليه الصّلاة والسّلام ليبرهنوا لربهم عزّ وجلّ: أنّهم احبوا حبيبه ذلك الحب الخالص من كل شائبة من شوائب التصنع ومتى عدوا من رجال هذه الطبقة احبهم سبحانه وتعالى لأن محب المحبوب محبوب بلا نزاع وهم اعلم بدرجة من يحبه الله وبمقدار ما يصل اليه من جزيل الاحسان ممن كل احسان من فيض احسانه ولقد وصلوا رضي الله تعالى عنهم إلى حيث كانوا يقصدون فإنهم خير امة اخرجت للناس لم ير هذا

الوجود من اوله لمنتهاه امة مثلهم في المنزلة عند ربنا سبحانه وتعالى رضي الله تعالى عنهم ورضي عنا بحبهم. فلقد كانوا المثل الاعلى في حبه صلّى الله تعالى عليه وسلّم الحب الّذي معه برهانه وهل هناك برهان فوق ما تقدم لك بعضه؟ واضف إلى ذلك: أنّهم كانوا رضي الله تعالى عنهم يبذلون ارواحهم واموالهم في طاعته، ولو عرض على احدهم أن يقتل في ايّ واد بايّ نوع من انواع القتل او أن يشاك هو صلّى الله تعالى عليه وسلّم بشوكة على سريره في بيته لأبى كل الاباء أن يشاك صلّى الله تعالى عليه وسلّم بتلك الشوكة وسارع هو بكل ما فيه من قوة إلى حيث يقتل ليباعد بينه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبين تلك الشوكة وما عن خيال اقول، بل عنهم اقول وكان احدهم في اقتناع تام أنّه إن قتل فهو فرد من افراد الناس لا اثر في الوجود بموته. اما إن مات هو صلّى الله تعالى عليه وسلّم فهو رسول الله الّذي موت الامة باسرها اخف من موته. فإنّه لولاه ما كانت الامة فلو ذهبت الامة كلها وبقي هو صلّى الله تعالى عليه وسلّم لكان من القريب جدا أن تهتدي به امة اخرى، تحل محل التي ذهبت وربما كانت اجل واعظم، لكن لو انتقل هو الى الرفيق الاعلى لا ينتظر أن يحل محله رسول آخر لذلك كانوا رضي الله تعالى عنهم في ميادين القتال لا يفكرون في انفسهم ماتوا ام بقوا. ولكنهم في وجل لا يماثله وجل عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم لانه رسول الله.

واسمع مثلاً من ذلك لما كان يوم احد حاص اهل المدينة حيصة وقالوا: قتل محمّد حتّى كثرت الصوارخ فخرجت امرأة من الانصار فاستقبلت بابيها وابنها وزوجها واخيها فقالوا: هذا ابوك، اخوك، زوجك، ابنك تقول: ما فعل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم؟ يقولون: امامك، حتّى وقفت عليه، فاخذت بناحية ثوبه ثم قالت: بابي انت وامي يا رسول الله لا أبالي، إذا سلمت من عطب رواه الطبراني في (الاوسط). هذه أمرأة فما بال الرجال وما بال عظماء الرجال؟ وكلهم رضي الله تعالى عنهم عظماء. ومن راجع حالهم رضي الله تعالى عنهم يوم انتقل صلى الله

تعالى عليه وسلّم إلى ما اعد له من خير لا يعلم قدره الاّ ربه عرف ما نقول من حبهم له الحب الّذي ما سمع الوجود مثله فلقد ملك الذهول بعضهم إلى حد أن اخرس السنتهم وبعضهم وصلت به الصدمة إلى درجة أن خارت قواه فهوى إلى الارض، لا يستطيع الحركة. وبعضهم استولى عليه الحزن لدرجة أن اذهب عقله وافقده رشده وكان ذلك منهم وهم الكماة الابطال، فخر الدّنيا في شجاعتهم وجلدهم وقوم هذا وصفهم أنت تقدر مبلغ الحادث الّذي يصل بهم في الهزيمة إلى الحد الّذي نذكر لك. وما كثير والله وذلك منهم لفقد بركة الوجوب وشمس الهداية وينبوع سعادة الدّنيا والآخرة. اللّهمَّ صل وسلّم وبارك عليه عدد وكيفما صلّى وسلّم وبورك ويصلّي ويسلم ويبارك عليه نعم، كان صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما نقول وفوق ما نقول في العظمة التي لا تدانيها عظمة مخلوق بل ولا يتصور مبلغها عند ربها احد ومن اجل هذا كان امته اجل الامم كما وكيفا. اما في الكم فحسبك انها وحدها الثلثان من اهل الجنّة وجميع الامم ثلث واحد. واما في الكيف فهي خير امة اخرجت للناس، اخبر بالاول نبيّها، واخبر بالثاني ربها وبهذا تتناسب عظمة الامة مع عظمة رسولها صلّى الله تعالى عليه وسلم.

ومما تنفر منه الطباع وتكذبه البديهة ويلعنه الانصاف لعنا اعتقاد أنّ كل هذه الامة حتّى علمائها وقادتها مشركة، لا تستحق الاّ محوها من الوجود مع أنّ رسولها بالقدر الّذي عرفت وتقديره لها ما روينا لك وحكم خالقها وبارئها عليها ما سمعت فإنّا إذا ماشينا ذلك الرأى وقلنا: ليس في الامة مؤمن بحق الاّ شرذمة ظهرت في آخر الزمان، ليست هناك في علم ولا في عمل نكون قد وقفنا في وجه كلام ربنا وكلام رسولنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم ودفعنا في صدورهما دفعا، وشهدنا على انفسنا بنقيض ما شهد لنا به ربنا ونبيّه، ولا اظن أنّ الدّنيا تحمل عاقلا يرضى هذا ويتقبله.

اني احب أن يعرف القارئ هذا المقام حق المعرفة فإنّه في حاجة شديدة اليه في كل زمان وخصوصاً في هذا الزمان الّذي ابتلى بكثير من الناس، يخففون من قدره

صلّى الله تعالى عليه وسلّم ويزعمون أنّ ذلك هو التوحيد ووالله ما ذلك توحيدا ولا يقرب من التوحيد، وأنّه ليغضب التوحيد واهل التوحيد ويغضب قبل الكل رب التوحيد. واني لفي عجب عجاب من رجل يستغرب اكراما نسب اليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم او نسب إلى واحد من اخوانه الانبياء صلّى الله تعالى عليهم وسلّم فإنّ استغرابه هذا، اما أن يرجع لقدرته تعالى على ما يستغرب، واما إلى استحقاقهم الشيء الّذي يستغربه واما إلى حصول ذلك الشيء ووقوعه في الخارج بالفعل فإن اختار الاول فقد برهن على أنّه لا يعرف الله ولا مبلغ قدرته فإنّه لو عرف ذلك، ما استبعد عليه شيئاً اراده. ولو ازالة كل هذا الوجود في لمحة، وإن اختار الثاني فقد اقام الدليل واضحا على أنّه لا يعرف من هم الانبياء.

ولو عرف أنّهم الطبقة العليا من حزبه تعالى وصفوة الصفوة من احبابه ما استعظم عليهم كرامة يكرمهم بها ربهم ليعلم المستغرب إنّ هؤلاء الانبياء هم الذين نسوا انفسهم وفنيت ارادتهم في ارادة مولاهم تعالى.

ولذلك ما كانت تزعجهم المزعجات ولا تنهنهم المؤلمات عن القيام بما كلفوا به منه تعالى بل كانوا مهما عصفت حولهم عواصف البلايا والمحن، لا تراهم الاّ كالجبال الرواسي التي تهزأ بكل قاصفة او هي لا تشعر بما يجري حولها من زوابع. ولو لم يكونوا كما نقول، ما استطاعوا أن يقفوا يوماً واحداً في مهب عواصف الاهواء المتباينة ولا امكنهم أن يتحملوا يوما واحداً ما يصيبهم من الاذى انواع الّذي يصوب اليهم من صوب سفهاء اممهم وهو كثير ثم كثير وإذ قد رأينا احدهم يمكث بين قومه الف سنة الاّ خمسين عاما يوالي الدعوة إلى توحيد ربه غير ملتفت لما يناله ممن يدعوهم وهو مع تواليه كثير واليم. دلّ ذلك قطعاً على أنّهم لا ارادة لهم مع ارادة مولاهم. وقوم هذا قدرهم ليس من العقل ولا من الانصاف أن يستعظم عليهم منحة يمنحوها مهما عظمت.

وإن اختار الثالث، كان كمن يسلم المقدمات ولا يسلم النتيجة فإنّه إذا سلم

أنّ الله تعالى قادر على تلك المنح وسلّم أنّهم يستحقونها كان لا وجه له في وقوفه امام وقوعها ولو كان لا دين له الاّ إذا كان لا يعتقد في ربنا تعالى الحكمة التي تعطى لكل ذي حق ما يستحقه، اما من يعتقد أنّه حكيم فلا يمكن ابدا أن يتردد في وقوع هاتيك الكرامات. اما من يعتقد فوق حكمته أنّه كريم شكور يكافئ على القليل بالكثير فهذا لا يستبعد شيئاً مهما جلّ على كرمه تعالى وشكره. وكيف يستبعد عليه شيئاً وهو الغني الّذي لو سأله اهل السّموات والارض كل ما خطر على باله من مطالب مهما بالغ فيها لاعطى الجميع ما يسألون دون أن ينقص من خزائنه شيء. المختار الّذي لا يجبر على عطاء ولا يرغم على منع والقدير الّذي إذا اراد اعطاء اي شيء كان من المحال أن يقهره قاهر على منعه. هذا نقوله لمن يعرفه تعالى ولكنه لا يؤمن بالاديان.

اما ذووا الدّين الذين يؤمنون بكتب الله تعالى واخبار الانبياء فإنّ هذا الاستغراب لا يخطر على بالهم لأن تلك المنح نطقت بها الكتب الالهية ونطق بها الانبياء ونقل ذلك عنهم نقلا لا شكّ فيه فلم يبق بعد ذلك كله الا التصديق الخالص الّذي لا يشوبه ادنى ريب. ومن ارتاب في حصولها من المؤمنين، كان عدّه منهم ظلما على المؤمنين.

وخلاصة القول: أنّ المؤمنين قديماً وحديثاً اينما كانوا ومتى وجدوا لا يتردد واحد منهم في أنّ للانبياء عند ربهم جاهاً عظيماً له آثاره الجليلة في حياتهم الدّنيويّة وبعد انتقالهم، إلى الرفيق الاعلى بل ولا يتردد واحد منهم في أنّ لاتباعهم اهل الاستقامة جاهاً عنده تعالى، له آثاره في حياتهم وبعد مماتهم. دلّ على ذلك كتاب ربنا وسنة رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فالمرتاب فيه واقف في وجه كلام الله تعالى وكلام نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلم.

واني لا اكذب القارئ الحديث انا اشتم من تردد من تردد في ذلك رائحة الاستخفاف بخالق السّموات والارض فإنّ العقول متفقة على أنّ الآثار تدل على من

صدرت عنه حقارة وعظما فإن حقرت حقر من صدرت عنه وإن عظمت كان عظيماً. ومن هذا ترى الصّوفية يقولون: عنوان الرجل اصحابه. يعنون أنّهم إن صلحوا كان صالحا وعلى قدر صلاحهم يكون صلاحه والعكس بالعكس وترى العلماء المشتغلين بتعليم العلم، يستدلون بنجابة الطلبة وبلادهم على نبوغ المعلّمين وضعفهم. وترى تفاوتاً هائلا جدا في اجلال الناس لارباب الصنائع فإنّ اثر كل صانع دال على قدر احسانه وبراعته في صنعته وعلى قدر هذا الاحسان وتلك البراعة يجل الناس الصانع ويدعونه إلى اعمالهم.

وإذا كان الامر هكذا فإنّي اقول: إنّ اجل خلق الله تعالى على الاطلاق هذا النوع الانساني فإذا لم يكن في هذا النوع عظيم ذو مكانة رفيعة وجاه كريم وكانوا كلهم لا قيمة لهم، ولا يستحقون اجلالا ولا تعظيماً، دلّ ذلك من غير شك على أنّ الخالق ليس بعظيم، تنزه ربّنا وتقدس وكيف يكون عظيما من اعظم آثاره لا قيمة له ولا يستحق اجلالا ولا تعظيماً وهو كما ترى شناعة وكفراً.

اذن نستطيع أن نستنتج من هذا أنّ الاستخفاف بمن صرح ربنا أنّه انعم عليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصّالحون، استخفاف به عزّ وجلّ فإنّه تعالى اخبر في كتابه أنّه انعم على هؤلاء دون سواهم وفي ذلك سوى من انعم عليه بالدّنيا باسرها كان يملك كل سهولها وجبالها ومجارها ورجالها ونسائها وحيواناها وبلادها وذهبها وفضتها ومع ذلك لم يعدم مثله ممن انعم عليهم وذلك يدل بلا نزاع إنّ انعامه على الواحد ممن انعم عليهم فوق انعامه بالدّنيا باسرها بل يمكنك أن تقول: ركعتان يركعهما الواحد ممن انعم الله عليهم خير من الدّنيا وما فيها فانظر انت، الباقي كيف يكون قدره وهو لا يعلمه الاّ هو تعالى.

وإذا كان انعامه تعالى على احدهم بهذا العظم فالاستخفاف بهم استخفاف بمن انعم عليهم والاستخفاف بنعمه التي منحها لهم وهذا كفر لا يختلف فيه مسلم ولو لم يكن المستخف بهم هذه حاله لكان له شأن آخر مع اولئك المنعم عليهم فكان

يقول إنّ هؤلاء مواضع هبات ربّنا وهداياه والهدايا على مقدار مهديها. وربّنا تعالى لا نهاية لفضله واحسانه وكرمه وغناه فاذن هباته وانواع فضله على من انعم عليهم لا يعلم مبلغها سواه. اذن هؤلاء المنعم عليهم من العظم بالدرجة التي لا تعرف لامثالي وانما يعلمها مانحها فقط وبهذا ينظر اليهم بعين كلها اجلال وتوقير واحترام. ومع ذلك يجزم كل الجزم أنّه ما رعى حرمتهم حق الرعاية لأن الكريم الغني اختارهم من كافة الخلق واصطفاهم وجعلهم خاصته واغدق عليهم من انواع فضله واحسانه ما هو له اهل وعظمهم هو واجلهم اجلالا وصل إلى درجة أنّه اعتبر اكرامهم اكراما له واهانتهم اهانة له وطاعتهم طاعة له ومعصيتهم معصية له وفي حكمه العادل العاذل يكفر ويستحق النّار الابدية، يعاني فيها اشد العذاب. من اهان رسولا له واحداً بكلمة واحدة مرة واحدة في حياته كلها فلم يتب منها. وصمم على أنّه يستحقها ومات على ذلك بل ليقل لي هذا المتردد في جاه وعظمة احباب ربنا عنده: ما ذا يفعل إذا كان بيده من المنافع الدّنيويّه شيء مكنه منه ربه وله احباب اعزاء اجلاء، لا اظن أنّه يتردد في بذل ما يستطيعه من ذلك لهم، إن كان فيه من كرم الطباع شيء وذلك معدود بين الناس على اختلاف مشاربهم من مكارم الاخلاق

بيت:

ان الكرام إذا ما ايسروا ذكروا * من كان يألفهم في الموطن الخشن

ومن النقائص المتّفق على قبحهاه أن يكون الانسان من السعة وبسطة العيش كما ذكرنا ثم يبخل على ذوي قرباه واحبابه فيكون هو غارقا في اصناف النعم وهم بين سمعه وبصره يتضورون جوعا. إنّ الناس يعدون من ذلك حاله فاقد المروءة لئيما شحيحا لا خير فيه ولعل ذلك لا يرضى به احد لنفسه وإذا كنّا لا نرضاه لانفسنا على نقصنا وفقرنا وشحنا الطبيعي فكيف نرضاه لمولانا الغني الّذي كل غنى من اثر غناه الكريم الّذي كل كرم من فيض كرمه الّذي كل العوالم حتّى الكافرون به بما فيهم المنكرون لوجوده يتقلبون في بحبوحة كرمه ويرتعون في موائد نداه ويستظلون

بظله الدائم الوارف الاّ من شاء له غير ذلك ممن لا يستحق من عباده في آخرته. أفيكون بهذا الغنى وهذا الكرم وهذا الجود وبهذه القدرة الباهرة وإذا قيل لنا إنّه اكرم بعض احبابه بكذا من المنح الجليلة التي ليس بمعتاد أن يراها غيرهم يقع ذلك موقع الانكار من انفسنا ونحاول بكل ما نستطيع من قوة أن ندفع ذلك القيل ليخبرني ذلك المنكر إذا لم يكرم هذا القادر الكريم فمن يكرم؟ وإذا لم يكن جزيلا كرمه فكرم من يكون جزيلا؟

شيء من آثار وجاهة الأولياء عند ربنا عزّ وجلّ

امتلأت الدّنيا اليوم بمنكري كرامات الأولياء. بل وبمن يهزؤون بمن يعتقد كرامات الأولياء ويعدون هذا المعتقد من بقايا القرون الوسطى ويرون أنّا لا نزال في تأخر في ديننا ودنيانا ما دام الوجود يحمل هذا الطراز من الناس. الأمر هكذا: ولو انك التفت لفتة بسيطة لوجدت اقواما آخرين عندهم الإيمان بكرامات الأولياء من اوليات ما ينطوون عليه من العقائد لا يتوهمون أنّ الدّنيا فيها انسان واحد يتردد في وقوع تلك الكرامات وكثرتها، الكثرة التي صيرتها من الامور المألوفة بين صالحي عباد الله تعالى لأنّهم يشاهدونها كل يوم ممن يصحبونهم من الاخيار ومن يستطيع أن ينكر شيئاً يراه كل يوم بعينه.

اما اولئك المنكرون فقد برهنوا بانكارهم هذا على امرين:

الامر الاول: أنّهم لم يروا ذلك من انفسهم ولا ممن يحبونهم ويصحبونهم من الناس. فقاسوا كل الناس على انفسهم كفاقد حاسة البصر ينكر على كل من يدعي أنّه يشاهد نورا لأنّه لا يشاهد نورا.

والامر الثاني: أنّهم لم يطلعوا على كتاب ربنا وسنة نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ولو اطلعوا عليها لرأوا كثيرا ثم كثيرا من الكرامات. يحكي ربنا أنّه اكرم بها احبابه واني لا ارى بأساً من ذكر بعض ذلك هنا.

فاقول حسب القارئ برهانا على اثر وجاهة الأولياء عنده تعالى قصة (اهل

الكهف) التي قصها علينا القرآن الكريم. فإنّ تلك القصة تضمنت: إنّ اولئك الفتية ناموا ثلاثمائة عام وتسعة اعوام دون أن يتناولوا فيها طعاما ولا شرابًا وهي مدة لم تجر العادة بأن ينامها او ينام القريب من القريب منها احد. كما أنّ العادة لم تجر بان يصبر عن الطعام والشراب احد في مثلها أو فيما يداني ما يدانيها.

وتضمنت أنّه تعالى تولى تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال بدون اي سبب ليكون نومهم معتادا لا تتألم منه جنوبهم كل تلك الرقدة الطويلة وهي عناية افخم مما لو تركهم على جنب واحد وسلب عنه الألم.

وتضمنت (القصة) أنّه تعالى انامهم تجعل الناظر اليهم يحسبهم ايقاظا وهم رقود. وذلك من اسباب بعد السؤء واهله عنهم فإنّ اليقظ دائماً مهيب بخلاف النائم الّذي يستطيع أن يكيد له اضعف الناس وهو لا يشعر.

وتضمنت أنّه تعالى القى عليهم من الهيبة ما يكفي لأن يملأ من يطلع عليهم رعبا ويحمله على أن يولي منهم فرارا. وهو مبالغة في المحافظة عليهم ومن ارباب الشرّ من الناس.

وتضمنت أنّه تعالى جعل الشمس إذا طلعت وغربت لا تصيب المكان الّذي هم به حفظاً لهم من الشمس ومن حرارتها أن تؤذيهم. منعها تعالى من اصابة الفجوة التي هم بها من الكهف مع أنّه لا حاجب يحجبها من تلك الفجوة إلاّ محض القدرة الالهية ولذلك قال تعالى في هذه المنحة (**ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ** * الاعراف: ٢٦).

نعم إنّها من آيات الله الكبرى الدّالة على أنّ قدرته تعالى لا تقف عند حد. نعم كان قادرا ربنا أن يحميهم من حرارتها مع تسلطها عليهم او يسلبها الحرارة بالنسبة لهم ولكن ما فعله تعالى اضخم وافخم. ولما ذا فعل ربنا تلك الخوارق الباهرة من اجل تلك الفتية؟ لا جواب على ذلك الاّ أنّ وجاهتهم عنده ومكانتهم السامية التي يعلمها هو هي التي بها فعل بهم ما فعل مما انبأ أنّ قصتهم العجيبة تضمنته.

ومما يدل دلالة قاطعة على جاه أولياء ربنا عنده ما فعله مع السيّدة الجليلة

الكاملة سيّدتنا مريم بنت عمران رضي الله تعالى عنها فإنّه تعالى قال عنها في كتابه (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ انَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ انَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** * آل عمران: ٣٧) فإنّ سيّدنا زكريا لا يقول لها انّى لك هذا؟ وهو يرى أنّ ما عندها من الرزق وصل اليها من طريق معتاد وهي لا تقول له في الجواب هو من عند الله وهو من المعتاد من الارزاق فلم يبق الاّ انّه كان يجيئها من طريق غير مألوف وذلك هو الكرامة ونداء الملائكة لها غير مألوف ورؤيتها لسيّدنا جبريل ليست بمألوفة. وحملها سيّدنا عيسى بلا مسّ بشر غير مألوف. وكلامه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو في المهد من اجل براءتها ليس بمألوف. وكله حكاه القرآن فلا شكّ فيه وهل يكرمها ربها بكل تلك الكرامات العظيمة الاّ لما لها عنده تعالى من الوجاهة والمنزلة السّامية. إنّ ذلك من البديهيات التي لا تحتاج في ادراكها إلى طول تفكير وفي القرآن كثير غير هذا.

واما ما جاء في السّنّة فشيء تصعب الاحاطة به ولا بأس من ذكر شيء منه فقد روى البخاري رضي الله عنه أنّ سيّدنا حبيباً رضي الله تعالى عنه كان يأكل الفاكهة في غير اوانها وهو اسير.

وإنّ قريشا ارادوا أن يأخذوا قطعة من جسم سيّدنا عاصم رضي الله تعالى عنه بعد أن قتل فلم يستطيعوا، وحال بينهم وبين ذلك ظلة من الزنابير.

وإنّ رجلين خرجا من عند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في ليلة مظلمة فاضاءت لهما عصا احدهما فلمّا افترقا اضاءت للآخر عصاه.

وإنّ سيّدنا عبد الله والد سيّدنا جابر ما زالت تظله الملائكة بعد قتله يوم احد حتّى رفعوه.

وإنّ سيّدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه كان إذا دعا استجاب الله دعاء بعين ما يطلب واتفق مسلم في هذا مع البخاري، كما اتفقا على رواية أنّ عابدا ممن قبلنا يسمى جريجا رضي الله تعالى عنه اتهمته بغيّ أنّه أبو ولدها الّذي

ولدته من سفاح فصلّى ودعا ونخس الغلام قائلاً له: يا غلام من ابوك؟ فانطق الله هذا الوليد الجديد الولادة. فاخبر بوالده الحقيقي وبرأ هذا العابد الجليل.

وروى (البيهقي) و(الحاكم) و(ابن سعد) عن سيّدنا عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه: أنّه كان يقول قبل يوم أحد، اللّهمَّ اني أقسم عليك أن القى العدو غدا فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا انفي واذني وتسألني بم ذلك؟ فاقول فيك، فقتل رضي الله تعالى عنه وفعل العدو به ما طلب.

وغلب المسلمين اعداءهم في غزوة بعد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فذهبوا إلى البراء بن مالك شقيق سيّدنا انس بن مالك خادم الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلم، وقالوا: يَا براء! اقسم على ربك فقال يا رب! اقسم عليك لما منحتنا اكتافهم والحقتني بنبيك محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فكان ما اقسم رضي الله تعالى عنه وانما طلب الصّحابة رضي الله تعالى عنهم منه أن يقسم على ربه، لأنّهم سمعوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول فيه؟ (**كم من اشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابرّه، منهم البراء بن مالك**) رواه التزمذي والضياء[١] في (المختارة).

وكهذا الّذي حصل من سيّدنا البراء ما حصل من سيّدنا عمرو بن الجموح رضي الله تعالى عنه لما سمع له اولاده أن يخرج الجهاد في غزوة احد بعد أن شكا لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم منعهم له من ذلك وكان اعرج ممن عذرهم الله تعالى أن تأخروا عن الغزو وكان مما قال لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم: والله اني اريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنّة فلما خرج بسلاحه مع المجاهدين استقبل القبلة وقال: اللّهمَّ ارزقني الشهادة ولا تردني خائباً إلى اهلي فرزقها رضي الله تعالى عنه ولم يرده ربه خائبا وحينئذٍ قال عليه الصّلاة والسّلام (**والّذي نفسي بيده أنّ منكم من لو اقسم على الله لابرّه منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ في الجنّة**

(١) ضياء الدّين محمّد المقدسي الحنبلي توفي سنة ٦٤٣ هـ. [١٢٤٥ م.]

بعرجته) رواه ابن عبد البر في (الاستيعاب).

وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم مثل هذا الديث دون لفظ منهم فلان في سيّدنا انس بن النضر عم سيّدنا انس بن مالك رضي الله تعالى عنه، لما كسرت اخته الربيع سن جارية من الانصار وطلبوا القصاص منها وحكم به الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم فكان مع ذلك يقسم أنّ سنها لا تكسر ثم قبل اهلها الارش و لم تكسر سن الربيع كما كان يقسم سيّدنا انس بن النضر رضي الله تعالى عنه رواه البخاري.

وقال: مثله في سيّدنا اويس القرني[١] رحمه الله تعالى رواه البخاري.

وشرب سيّدنا خالد رضي الله تعالى عنه السّم يبرهن لقوم كافرين إنّ دين الاسلام حق فلم يضره. رواه البيهقي وأبو نعيم وابويعلى ودعا رضي الله عنه أن يكون الخل عسلا فكان كما دعا رضي الله تعالى عنه رواه ابن أبي الدّنيا.

وغسلت الملائكة سيّدنا حنظلة رضي الله تعالى عنه لما قتل في سبيل الله رواه البيهقي وابو نعيم وابن سعد وكان سمع خروج المؤمنين للجهاد فلم يسمح لنفسه أن يتأخّر عنهم حتّى يغتسل وكان جنبا.

ورووا ايضاً أنّ شهداء احد لما نقلوا من مكانهم الّذي دفنوا فيه وجدت أبدانهم رطابا لدرجة أنّ اطرافهم كانت تتثنى كما كانوا احياء. واصابت المسحاة رجل سيّدنا حمزة رضي الله تعالى عنه فانبعثت دماً وكان ذلك بعد ست واربعين سنة من موتهم وقوله (فانبعثت دما) يفيد أنّهم أحياء بأجسادهم حياة تشبه حياة الدّنيا. ولولا ذلك ما سال الدم من رجل سيّدنا حمزة باصابة المسحاة لها فإنّ الميّت لا نزاع في أنّه لا دم له.

ولقد روت لنا جريدة الاهرام جملة حوادث لعباد صالحين ماتوا من مئات السنين: أنّهم وجدوا لا تغير بأبدانهم عن حياتهم الدّنيوية وقت ما كانوا ينقلونهم من

---

(١) أُويس القرني اليمني استشهد سنة ٣٧ هـ. [٦٥٧ م.]

مدافنهم إلى مدافن اخرى لمناسبة فتح شوارع جديدة بالقاهرة من عهد ليس ببعيد. وحدثنا نحن بحوادث كهذه ممن لا نشك في صدقه فلنقل اذن جميعا لا ينكر بعد اليوم منكر كما قال سيّدنا ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه حينما رأى شهداء احد ورأى ذلك الدم الّذي ينبعث ممن مات من ست واربعين سنة.

وقال سيّدنا الزبير رضى الله تعالى عنه لابنه عبد الله وقد اخبره أنّه ميت لا محالة ظلما في وقعة الجمل إن عجزت عن شيء منه اي دينه فاستعن بمولاى قال عبد الله: فو الله ما دريت ما يقول حتّى قلت: يا ابت من مولاك فقال: الله فو الله ما وقعت في كربة من دينه الاّ قلت: يا مولى الزبير اقض دينه فيقضيه رواه البخاري.

وروى ايضاً هو ومسلم والتّرمذي: أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**) ليسمع المنكر ثم ليسمع.

واني اقول: لو لم يرد في كرامات الأولياء الاّ هذا الحديث لكان كافيا وفوق الكفاية واني ارجو حضرة القارئ الكريم أن يقف هنا طويلا ويتأمّل في مبلغ عظم هذه الكرامة التي تحار الافكار عند سماعها في تقدير جاه سيّدنا سعد هذا عند ربه عزّ وجل.

وروى الشّيخان البخاري ومسلم والتّرمذي أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**سيأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب اصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من صاحب من صاحب اصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم ثم يكون بعث الرابع فيقال، فيقال: انظروا هل ترون فيكم احداً رأى من رأى احداً رأى اصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم؟ فيوجد فيفتح لهم**) هذا الحديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم وهذا الطراز بين صحاح الأحاديث اعلاها وارقاها وهو يثبت أنّ اصحاب رسول الله صلّى الله تعالى

عليه وسلّم بلغوا من الوجاهة عند ربهم عزّ وجلّ إلى درجة أنّ الله تعالى يكرم بالفتح والنصر على الاعداء جيشا لا اقول منهم رضي الله تعالى عنهم ولا من طبقة رأتهم ولا من طبقة رأت من رأتهم، بل يكفي لنصر الجيش أن يكون فيه واحد فقط رأى واحداً فقط وهذا الواحد الثاني رأى واحداً رأى اولئك الاصحاب رضي الله تعالى عنهم.

وهذا نوع من الوجاهة يجعل من لم يؤمن بالكرامات يؤمن بها رغم انفه، كيف لا وهو يرى رب العالمين يأبى خذلان جيش فيه واحد في الطبقة الرابعة من اولئك الغر الميامين رضي الله تعالى عنهم واحب أن لا ينسى القارئ: أنّهم رضي الله تعالى عنهم لم يبلغوا هذه الدرجة الباهرة الاّ لسرّ هو أنّهم اصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم. هذا هو الاكسير الذي كان ينقلب به الرجل من بدوي جلف إلى عالم ينطق بالحكمة ومن شيطان رجيم إلى ملك كريم ومن ظلمة حالكة إلى نور يتوهج توهجا تضئ به الدّنيا من مشرقها إلى مغربها.

يا رب صلّ وسلّم وبارك على هذا الرسول الكريم وافض علينا من بركاته ما يلحقنا بالصّالحين من عبادك.

نعم، كانت صحبته صلّى الله تعالى عليه وسلّم تأخذ بيد من في الحضيض فترفعه إلى ارقى درجة، لا تتصور رفعة البشر اليها ومن شكّ في هذا فليسمع قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**لا يحب الانصار إلاّ مؤمن ولا يبغضهم إلاّ منافق فمن احبّهم احبّه الله ومن ابغضهم ابغضه الله**) رواه البخاري ومسلم والتّرمذي. هذا جاه عريض ومنزلة يعرفها الناس للرسل عليهم السّلام، اما رجل من افراد الناس ليس بنبيّ ولا برسول ثم يكون حبه إيمانا وبغضه يكون كفراً. يحب الله من يحبه ويبغض من يبغضه. هذا شع لولا أن نقرأه في حديث نبوب في اعلى طبقة من الصحة لكان عجيبا وغريبا وقعه في نفوسنا، ومع ذلك من دقق النظر ظهر له أنّ هذا المعنى الّذي يخبرنا به صلّى الله تعالى عليه وسلّم عن الانصار معنى مألوف معروف ذلك. انك ترى الرجل يعامله الناس بما يعاملون به صاحبه فإن كان صاحبه محترما عندهم

احترموه والاّ اهانوه، وبهذا عامل ربّنا عزّ وجلّ اصحاب نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو عنده صفوة الرسل فاختار له عزّ وجلّ صفوة الامم لأن التناسب في الصحبة لابدّ منه وربّنا هو الحكيم وهو العليم فغير منصور في حكمته أن يأتي بأناس ليسوا بذاك ثم يجعلهم اصحاب اجل خلقه. فإنّ النفرة بينهما تكون مستحكمة لعدم التناسب وبعد المشارب، فاستفد هذا ايها القارئ! ولا يقع منك موقعا غريبا أن يكون حب اصحابه صلّى الله تعالى عليه وسلّم إيمانا وبغضهم كفراً خصوصاً إذا كان السبب الباعث على الحب او البغض عنوان هذه الصحبة فإنّ الحب والبغض يكونان منصبين عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ولا يختلف احد أنّ حبه صلّى الله تعالى عليه وسلّم إيمان وبغضه كفر.

واني اكتفي بما سقنا قبلا من الخوارق التي بها اكرم الله بعض عباده المخلصين وابان بها ما لهم عنده من جاه ومنزلة رفيعة وليس ما سبق لنا ذكره بالنسبة لما لم نذكر شيئاً يذكر فإنّ الوارد في الكتاب والسّنّة لو جمع وجمعه عسير ثم عسير لكان كثيرا. وهذا الوارد بالنسبة لما لم ينقل وبالنسبة لما اكرم الله به احبابه من ذلك العهد لليوم شيء يسير ثم يسير ولو جمع هذا وهذا لبلغ عشرات بل ومئات المجلدات فإنّ فضل ربّنا على احبابه بعيد حصره. وكله من أثار ما لهم عنده من وجاهة رضي الله عنهم ونفعنا بمحبّتهم وحشرنا في زمرتهم.

وإذا كان للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذلك الجاه الّذي بيناه في الترجمة التي قبل هذه وللأولياء رضي الله عنهم هذا الجاه وقد بينا كالشّمس نهارا ولا غيم. فأي لوم على من يلوذ بهم ويتحبب اليهم ويسر السرور كله إذا انعم الله تعالى عليه بمحبّتهم له ورضاهم عنه ويغتم الغم كله إذا احس بشيء من تغير قلوبهم من جهته.

وايّ لوم على من يذهب اليهم وهم أحياء او أموات ويناديهم في شدائده كلها ويستغيث بهم أن يتوجهوا إلى خالقهم بما لهم عنده من جاه ومنزلة ويسألوه بألسنتهم الطاهرة أن يتفضل عليه بمنحه ما له من حاجات. إنّ من لا يفعل ذلك

وهو يعلم ما لهم من تلك الوجاهة عند ربهم يكون قد غبن نفسه غبنا لا يعرف مداه وجنى عليها جناية لا يدري مبلغ اثرها عنده. وسنتكلم فيما يأتي طويلا بمشيئة الله تعالى. نشرح هذا المعنى شرحا لا يدع في قلب العاقل شبهة ولا شبه شبهة فلينتظر وهل يستوي من يتقدم إلى ربه بنفسه وهو ملطخ بقاذورات المعاصي، متدنس بدنس الذنوب بمن يتقدم اليه بين احبابه وصفوته من عباده يحتمي بهم بيده علم القبول الّذي لا ينكس وحجّة الفوز التي لا تخدش (**اَنْتَ مَعَ مَنْ اَحْبَبْتَ**).

لفتة لمنكري تلك الوجاهة

واني التفت إلى منكري هذه الوجاهة ومنكري آثارها او المخففين من شأنها وشأن آثارها.

فاقول لهم انتم يا اخواني في مقام لو فكرتم فيه لجزعتم على انفسكم جزعا عظيماً ورأيتم مستقبلكم اسود حالكا لا تدرون ما ذا قضى لكم فيه من انواع الاهانات احب أن تقولوا إليّ بانصاف ما ذا يفعل احدكم إذا كان من ارباب الوجاهة ومن ذوي المروءة والاحساب الكريمة والوجوه الوجيهة وفيه من الدم العربي قطرات تجري وجاءه من يستغيث به ويحتمي بحماه ويلوذ باركان بيته هربا من ظلم الظالمين وعسف الجائرين واعتداء اهل السفاهة المعتدين ما ذا يكون منك ايها الاخ إذا ترامى هذا في احضانك ولم ير له ملجأ ولا مفرّا الاّ اليك وواجهك بقوله انا في وجهك عائذ بجاهك ممن يناولني ويريد البطش بي وانا مسكين ضعيف لا ناصر لي لا اظنك وقد دبت في رأسك حمية العرب وهاجت فيه عاطفة الكرام الاّ قائلاً اني اقف دونه بنفسي وبرجالي وبمالي احوّل بينه وبين ايّ اذى حتّى الشوكة يشاكها من عدوه. إنّك إذا قلتها وجدت لك اسلافا من العرب الذين اليهم ينتهي خلق الوفاء في عهدهم فإنّ احدهم كان يسمع الكلمة من المغلوب يستنصره ويلوذ به وهو في حيه هادئ مطمئن، فيلقى رداءه عن كاهله ويقوم ثائرا كالعاصفة القاصفة ولا يهدأ الاّ إذا قضى القضاء الاخير على كل ظلم يحيط بمن استغاث به او يقضي هو وكل

من يتصل به وكم شبت حروب وكم ذهبت ارواح في هذا السبيل نحن لا نبعد ونرجع بك إلى العرب الذين بعد عهدهم ونسيت او كادت تنسى آثارهم.

بل نقول لك نحن اليوم نرى الرجل في غاية الذل والضعة فإذا انتسب إلى دولة من الدول القوية واحتمى بها تبدل بهذه الحماية ذله عزا وانقلبت ضعته رفعة واصبح يتقلب في انحاء الارض يرفرف على رأسه علم تلك الحماية لا يخشى اعتداء من احد بل يخشى اعتداءه الاقوياء يمر على من كان يحتقره ويؤذيه بالامس فينكمش امامه لا يبدئ ولا يعيد وكم رأينا دولا قامت وقعدت وقام بها من الغضب ما فعلت معه الافاعيل من اجل اعتداء وقع على فرد ممن ينتمون اليها ويحتمون بحمايتها لأنها تفهم أنّ هذا الاعتداء وقع عليها هي لأن المعتدي لو كان يعرف قدرها ويحسب الحساب لعواقب غضبها ما كان يجرؤ على احد تابعيها بالاعتداء عليه. وإذا كان هذا لا يزال بين يديك تراه وتسمع به من وقت لآخر مع أنّ الخلق على ما تعلم من ضعف وذل ولؤم طبع افترى ربك القاهر القادر الكريم اقل غيرة على احبابه وخواصه من الخلق فيتركهم يفعل بهم اللئام ما يفعلون من انواع الاهانة ولا يغضب لهم ويحميهم من اعدائهم. انك إن فهمت هذا فقد ودعت عقلك وزايلت رشدك واقمت البرهان ابلج واضحا على انك لا تعرف ربك كما ينبغي أن يعرف.

يجب أن تعلم ايها الاديب المهذب أنّ غيرة ربنا على احبابه وحمايته لهم من الخلق فوق ما يقع في خيالك واسمى مما يتصوره فكرك الم تسمع أنّ حمايته لهم وغيرته عليهم جعلته يبيد أمما باسرها ولا سبب لهذه الابادة الاّ غضبهم ولو كنت تحفظ القرآن او تنظر فيه لما احتجت إلى تنبيهي هذا.

ألم يهلك ربّنا قوم سيّدنا نوح بالطوفان غيرة وانتصارا لسيّدنا نوح عليه السّلام؟

ألم يهلك بالريح الصرصر العاتية قوم سيّدنا هود انتصارا وغيرة وحماية لسيّدنا هود عليه السّلام؟

ألم يهلك بالصيحة قوم سيّدنا صالح غيرة وانتصارا وحماية لسيّدنا صالح عليه السّلام؟

ألم يهلك قوم سيّدنا لوط بالخسف والرجم بالحجارة غيرة وانتصارا لسيّدنا لوط عليه السّلام؟

ألم يهلك قوم سيّدنا شعيب بعضهم بالصيحة وبعضهم بالظلة غيرة وانتصارا لسيّدنا شعيب عليه السّلام؟

ألم يهلك بالإغراق في البحر قوم سيّدنا موسى وسيّدنا هارون عليهما السّلام غيرة عليهما وانتصارا لهما؟

ألم يهلك بالصيحة قوم صاحب ياسين لما نصحهم أن يتبعوا المرسلين فلم يسمعوا نصيحته وكذبوا الرسل الثلاثة عليهم السّلام؟

ألم يمزّق سبأ كل ممزق وجعلهم أحاديث للناس لما اعرضوا عن رسلهم ولم يتبعوهم؟ وليس هذا فقط تلك عادته مع كل امة جاءها رسولها وكذبته كما يقول عزّ وجلّ (**ثُمَّ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّمَا جَآءَ اُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ** * المؤمنون: ٤٤)

ولقد روينا لك فيما سبق وليس العهد ببعيد قوله تعالى في الحديث القدسي (**من عادى لي وليًّاً فقد آذنته بالحرب**) إنّ هذا التهديد بالحرب من الله تعالى لمن يعادي له وليا بلغ المنتهى في التهويل وانما ابرزه ربنا بهذه الصورة التي تنخلع لها القلوب هلعا وفزعا ليعرف الناس لعباده المتقين حقهم ويقفوا امامهم موقف الادب الكامل والاحترام الّذي كله اخلاص وتوقير كافين الكف كله عن ايّ اشارة تقع منهم موقع الغيظ والالم فاهمين حق الفهم قدر من هم في حمايته مقدرين حق التقدير ما ذا يحل بهم من انواع النكار إذا بدرت منهم بادرة ضد اولئك الصّالحين.

نعم أنّ حماية ربّنا لعباده الصّالحين هي الحماية التي يقال لها حماية بمعنى هذه العبارة وما حماية الافراد والدول بنسبة حماية هذا الاله القدير العزيز؟ إنّ حماية

الافراد والدول لمن تحميه يجوز جوازا قريباً جدا أن تداس وأن تهتك بداهية سماوية تنزل بالحامي تتركه اثرا بعد عين او بفرد اقوى من الحامي او دولة اقوى من الحماية فيغلب هذا الحامي الاضعف بمن هو اقوى منه وبهذا يصبح من كان بالامس في حماية اولئك المغلوبين ذليلا حقيرا يعاني من اصناف الصغار ما يستهين معه الموت. دعك من الخلق وقل لي هل يستطيع الحامي فردا ودولة أن يحمي التابع من رب الجميع أن ينزل به من اشكال الذل ما لا قبل له به؟ لا ولا يستطيع أن يحميه من الموت ولا يستطيع أن يحميه من عذاب الله بعد موته وبعد بعثه فإنّه لا يستطيع أن يحمي نفسه من ذلك ولكن من يحميه ربّنا يحميه في دنياه وفي برزخه وفي آخرته ولا تزال راية هذه الحماية على رأسه حتّى يدخل دار النعيم المقيم واللذات الابدية.

ومن به ذرة من العقل يسمع القادر المنتقم يعلن اعلانا عاما لا يخص فردا دون آخر يهدد به ويتوعد بالحرب كل من عادى له حبيبا ثم يتقدم إلى اي حبيب من اولئك الاحباب بكلمة لا تناسب؟ نعم إنّ هذه هي الحماية التي لو فهم قدرها الناس ما رضوا بسواها ولا عملوا للوصول إلى غيرها.

ومن هذا الوادي في التهديد الّذي ترتعد له الفرائص وتصفر منه الوجوه قول ربّنا عزّ وجلّ (**اِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا والَّذينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْاَشْهَادُ** * المؤمن: ٥١) وقوله عزّ وجلّ (**وَكَانَ حقاًعَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمنينَ** * الروم: ٤٧) وقوله تعالى (**اِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذينَ آمَنُوا** * الحج: ٣٨) ومن في الدّنيا يستطيع أن يقف امام عباد يصرح من بيده ملكوت كل شيء الواحد القهّار انه يدافع عنهم وينصرهم على اعدائهم نصرا جعله حقاً واجبا عليه أنّ من يقف امامهم وحالهم ما ذكر انما يقف امام من اخذ على نفسه نصرهم والمدافعة عنهم سبحانه وتعالى.

ولا شكّ أنّ من وقف هذا الموقف مخذول لا محالة وهالك دون ايّ تردّد واني احب مع هذا أن يقرأ المستخف باحباب ربنا المنكر وجاهتهم ومنزلتهم السامية عند ربهم قوله تعالى (**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذينَ اتَّقَوْا** * النحل: ١٢٨) نعم احب أن يقرأها ثم

يقرأها فإنّه يجده عزّ وجلّ لا يقول إنّ الذين اتقوا معي ولو قالها لافادت أنّهم موضع رعايته وعنايته ونصره فإنّ العادة تقضي أن لا يتساهل عظيم في شأن من في معيته بل يجعلهم دائماً محطّ نظره وموضع حفظه وكلاءته نعم ما قال مولانا ذلك بل الّذي قاله مولانا الجليل إنّ الله مع الذين اتقوا فجعل نفسه في معية عبيده الاتقياء مبالغة في عنايته بهم ومحافظته عليهم وما في هذا التعبير من بأس ابدا فإنّه هو الرب والسيّد على كل حال وعبيده هم عبيده وكفى وانما ذلك تنزل منه تبارك وتعالى واكرام لعبيده لا تشرئب الاعناق لمزيد عليه مع ما في هذا التعبير من التنصيص على المعنى الّذي يوقع الرعب والرهبة في قلوب السامعيّن المعنى الّذي لا يحتمل غير الاهتمام والعناية والانتصار لاولئك المتقين وبهذه المعية الالهية للصالحين من العباد لم يبق اثر ولا شبه اثر لضعف او فقر او جهل او ذل اولئك الاحباب وكيف يبقى من ذلك وما اليه من النقائص والعيوب شيء. والقوي الغني العليم العزيز المتصف بكل كمال معهم يفيض عليهم من آثار كمالاته ما يفيض مما لا يعلم قدره سواه عزّ وجلّ ومن يسمع مالك الملك ورب العالمين يخبر أنه مع المتقين ثم يدنو اليهم بأي اذى أبه خبل حتّى يخفى عليه أنّه يكون كامس الدابر إن كان منه ذلك؟

وإذا لم يكن لمعادي اولئك الاحباب الاّ النّار تنتظرها يوم القيامة يلاقي فيها من العذاب ما لا تحتمله الجبال لكفت رادعا واثرا لهذه المعية وتلك الحرب إلاهية فكيف إذا انضم إلى ذلك ما يتوالى على ذلك المعادي من النكبات الدّنيوية التي تنهال عليه كل يوم من ايام حياته تارة في نفسه وتارة في امواله وتارة في اهله وتارة في احبابه وناصريه مما يكون معه دائماً موجع القلب مشوش الفكر مفرق الخاطر وقد لا يفطن للسبب الّذي له كل هذه الدواهي اني والله الّذي نفسي بيده لا الوم ابدا من يتقدم إلى اولئك الاتقياء من العباد فيقبل ايديهم بل ولا الوم من يقبل ارجلهم بل ولا الوم من يتبرك بثيابهم التي تشرفت بمس أبدانهم المباركة لا بل ولا الوم من يتبرك بنعالهم التي لها الشرف والفخر بأنّها مداس اقدامهم الكريمة لا وبل لا

الوم من يتبرك بالتراب الّذي يطئون عليه بتلك النعال.

و لم يخطئ والله منفعته الدّنيويّة والآخروية رجل يخوض البحار ويقطع القفار في ظلمات الليل او في هجير النهار راكبا نجائب هممه تسوقه الاشواق إلى حيث يكون اولئك الذين لاذوا بالله واحتموا بحماه واتخذوا بضاعتهم الرابحة طاعته يستيقظون إذا نام الغافلون مستترين بظلام الليالي تشهد عليهم السماوات وكواكبها والارض وآكامها ووهادها وهم في محاريبهم ركع وسجد تتدفق سيول عبراتهم على اودية خدودهم تلتهب نيران المخاوف من ربهم في مراجل قلوبهم وتراهم يصومون إذا افطر عبيد البطون والفروج يبذلون في وجوه الخير من الاموال ما ملك قلوب كلاب الدّنيا وانساهم ربهم ودينهم ومستقبلهم السرمدي وإذا تفرقت قلوب الناس في شعاب الاهواء والشهوات كانت قلوبهم وقفا على حب مولاهم عزّ وجلّ وحب طاعته وحب احبابه لا يزايلها طرفة عين ملاحظة جلاله وعظمته. اشرفت عيون قلوب هؤلاء الناس على ما اعد لهم مما لم تر عين و لم تسمع اذن ولا خطر على قلب بشر فاستهانوا بزخارف هذه الحياة واحتقروا لذاتها وغمضوا اعينهم عما لها من جمال مزيف.

وكيف ألوم من يتقرب إلى اولئك الناس على تقربه منهم وحبه لهم وهو انما يتقرب هذا التقرب منهم لانه يعلم أنّ معهم من بيده الآخرة والاولى. فهو بهذا التقرب يتقرب اليه هو تعالى ويتعرض لحبه حيث أنّه احب احبابه وهو يرى ويعلم منه مبلغ تلك المحبة وهو تعالى إذا احب كان للمحبوب كل ما يحب في دنياه واخراه فالّذي يحب اولئك المتقين ويدنو منهم للتبرك بهم انما يفعل ذلك ليسعد في هذه الحياة وفي الحياة الابدية ومن يلوم من يسعى ليسعد السعادة المطلقة.

من هذا يفهم القارئ أنّ حب الصّالحين والتودد اليهم ينفع المحب لا في دنياه فقط ولا في اخراه فقط بل ينفعه في الدّنيا والآخرة معا وكيف لا ينفعه ذلك النفع ومع المحبوب من بيده الآخرة والاولى ويفهم أنّ ايذاء اولئك الاصفياء لا يضر من

يؤذيهم في دنياه فقط ولا في اخراه فقط بل يضره فيهما جميعا وكيف لا يكون ضرر مؤذيهم بهذه الدرجة والمنتقم القدير يحاربه؟

اذن ليس اللوم على من يحب أولياء الله تعالى واحبابه بل اللوم كل اللوم على من يحتقرهم ويستصغرهم ويهوّن من امرهم وينفر الناس عنهم إلى حد أنّه لو امكنه أن يحول بينهم وبين الناس بحيث لا تكون بينهم جامعة ابدا لفعل فاهما أنّه يحمي الناس من الشّرك وعبادة غير الله تعالى وهو يحول بينهم وبين ربهم واحبابه. هذا هو الّذي يتوجه عليه اللوم بل اشد اللوم ويجب على المؤمنين أن ينبهوه وينصحوه ويبيّنوا له أنّه بفعله هذا في صفوف من يؤذون اولئك الأولياء باحتقارهم ذلك وتخفيف شأنهم وايقاع النفرة في قلوب الناس منهم وعدهم اصناما تعبد من دون الله عزّ وجلّ وهم بهذا يؤذون الناس كذلك بتسببهم في حرمانهم من التقرب ممن معهم ربّ الفضل والجود في الدّنيا والآخرة فهم بإبعاد الناس عن اولئك الصّالحين ويبعدونهم عن ربهم وفضله واحسانه ذلك لا نزاع فيه.

إني لاكتب هذا كله اعالج به طوائف من الخلق موجودين على ظهر الارض اليوم يدينون بالاستخفاف بصالحي عباد الله ولا يستبعد أن يكون فيهم من يدين بالاستخفاف بسيّد الخلق ويعمل بكل جهده في الحيلولة بينه وبين امته.

وإني لاستهل حكمي على هؤلاء بذهاب عقولهم عن أن اقول إنّهم عقلاء ثم مع عقلهم هذا يستخفون باحباب مالك الملك وهم لا يشكون في كلام الله الّذي يخبر أنه تعالى معهم وإن كانوا يشكون فلا علم لي بشكهم ذلك فإنّي إن اخترت هذا الشق الثاني كان ذلك مني حكما عليهم بأنّهم لا يصدقون كلام الله ولا كلام رسوله وهو حكم في منتهى القسوة. لا اجترئ على إصداره على احد من اهل القبلة وانما كان هذا الحكم لازما لاستخفافهم ذلك لانّك رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخبر كما روينا لك قريباً أنّ احد هؤلاء الاحباب يبلغ من القرب والدلال على رب الآلاء إلى حد أنّه **(لو اقسم عليه لابره)** والحديث صحيح لا شكّ فيه.

وسبق أن روينا لك امثلة وقعت من هذا القبيل. ومعنى هذا أنّ المسألة ليست خيالية ولا فرضية بل هي حقيقية واقعة وامر جدي لا هزل فيه وهذا مقام لا اظن عاقلا يخالف في أنّه من السمو والعظمة والفخامة بدرجة لا يعلمها حق العلم الاّ من منحها سبحانه وتعالى.

وإذا كان الأولياء يصلّون من العظم عند خالق هذا الوجود إلى هذه الدرجة فليحكم لي على نفسه من يقف امام هذا التعظيم الالهي يحتقر ويستصغر اولئك العظماء أليس حكمه ذلك على الاقل يكون بأنّه يعاند ربّه وخالقه ربّه يعظم عبيده وهو يحتقرهم؟ وإن شاء أن يخفف الحكم عن نفسه فليعترف بأنّه لا يدري ما يقول واذا لم يصدق هؤلاء المستخفون باحباب ربّنا هذا الحديث وطعنوا فيه وهو صحيح فما ذا يقولون في القرآن وهو يصرح بأن اولئك الاتقياء هم الذين يقول ربّنا عزّ وجلّ فيهم كما قدمنا ذلك لك (**اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا** * النحل: ١٢٨) فإنّه تعالى إذا كان معهم كل خير لا تفرق في هذا بين حيّ وميّت ولا بين نبيّ ووليّ فإنّ كلا موصوف بالتقوى وهي مدار هذه المعية الشّريفة التي هي ينبوع كل احسان فمتى وجدت التقوى وجدت هذه المعية الخاصة وينبغي أن يعلم أنّ هذه المعية تقوى كلما قويت التقوى فمعية الله تعالى للانبياء اقوى منها للأولياء وهي للافضل من كل اقوى منها المفضول فليعلم.

هل التوسل بالانبياء والأولياء كفر بالله

هذا العنوان وإن كان يقع غريبا في نفس القارئ الكريم يقول بموجبه اناس موجودون اليوم على ظهر الارض فيصدرون احكامهم بالكفر المبيح للدم والمال وعلى كل من يتوسّل بنّبيّ او ولي أن يقضي له ربه حاجته. وإنّا نقول لهؤلاء الناس رويدا رويدا فإنّ المتوسّل بالانبياء والأولياء لا يعتقد ولا يخطر على باله إنّ الانبياء او الاولياء يقضون له حاجته التي يتوسّل بهم إلى الله تعالى أن يقضيها له وانما الّذي يعتقده ويعمله وينطق به كل متوسّل أنّ قضاء الحوائج بيد ربّ العالمين لا يسأل في

قضائها غيره ولا يقضيها سواه وليس لمخلوق كائنا من كان أن يقضي حاجة بمعنى يخلقها ويوجدها مستقلا. هذا ما عليه المسلمون صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم وابيضهم واسودهم، شرقيهم وغربيهم. ليس في عقائدهم أنّ لغيره تعالى حظاً من الايجاد والخلق.

واذن من الاضاحيك أن يقول قائل إنّ التوسّل جائز إذا كان بالأحياء وليس بجائز إذا كان بالاموات فإنّ هذا القول يشمّ منه رائحة إنّ الحيّ لحياته يعمل فيمكن أن يقضي الحاجات وإنّ الميّت لموته لا يعمل فلا يقضي الحاجات هذا ليس من عقائد المسلمين ولا يعرفه صغير منهم ولا كبير ونفس التوسّل صريح فيما نحكي عن عقائدهم فإنّ المتوسّل لا يرفع حاجته الا إلى ربه ولا يطلب قضاءها من غيره وكل ما في الامر انه يرى نفسه ملطخا بقاذورات المعاصي ابعدته الغفلات عنه تعالى ايما ابعاد فيفهم من هذا أنّه جدير بالحرمان من تحقيق مطالبه وقضاء حاجته وله الحق في هذا الفهم فإنّ الله تعالى انما يتقبل من المتقين وشؤم المعاصي معروف اثره في الحرمان من الخيرات لاجل هذا يتقدم اليه تعالى باحبابه الذين لا يعرفون لاطاعته مبتهلا اليه بجاههم عنده وحرمتهم لديه أن يقضي له حاجة لاجل هؤلاء الاحباب هم الذين عوّدهم تعالى أن ينعم عليهم. فالمتوسّل انحاز اليهم وبهم طلب حاجته عسى أن يحظي بالانعام عليه بحاجته وهو بين هؤلاء المنعم عليهم وهم قوم لا يشقى جليسهم فقط فكيف بمن جعلهم وسيلته إلى من عودهم الانعام والاحسان. وهو تلطف في المسألة جدير صاحبه أن يسعف بحاجته ولا يحرم منها.

وإذا كان هذا هو السرّ في التوسّل فلا اثر اذن فيه لحياة المتوسّل بهم او موتهم فإنهم احباب ربّنا تعالى على ايّ حال كانوا وحرمتهم عنده هي حرمتهم وانعامه عليهم انعامه أحياء كانوا ام امواتاً وهو يكرم محبهم كما يهين مبغضهم على ايّ حال كانوا فلا بعد اذن أن يكرم محبهم المتوسّل اليه بهم بقضاء حاجته.

إذا عرفت هذا عرفت أنّه في ناحية وقول من يقول إنّ التوسّل لا يجوز الا

بالأحياء في ناحية اخرى لا صلة بينهما ولا قرب.

وتعجب كل العجب إذا سمعت ذلك القائل يؤيد ما يذهب اليه بأن اصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم توسّلوا في استسقائهم بسيّدنا العبّاس رضي الله تعالى عنه و لم يتوسّلوا برسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فدل عملهم هذا على أنّ التوسّل برسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا يجوز لانه انتقل من هذه الدار هكذا يستدلون على تلك الدعوى.

ونحن نقول لهم إنّ هذه الصورة من التوسّل لا نخالفكم نحن في أنّ المتوسّل به فيها يتعين أن يكون حيا لانّ الناس يخرجون في الاستسقاء من البلد إلى خارجها وهناك يكون المتوسّلون والّذي يتوسّلون به. فيجب اذن أن يكون المتوسّل به حيّاً معهم حياة دنيوية اما من بارح الدّنيا من الانبياء والأولياء فالبرزخ حكمه عليهم ومن احكامه عليهم أنّهم لا يخرجون منه يمشون مع الناس نهارا جهارا حتّى يكون بهم المتوسّل خارج البلد هذا هو السر الذي من اجله توسّل الصّحابة رضي الله تعالى عنهم بسيّدنا العبّاس دون رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في هذه الصورة صورة الاستسقاء اما في غير هذه الصورة فيجوز التوسّل بالحيّ والميّت على السواء كما فهمناك.

والفرق بين الحيّ والميّت في غير صورة الاستسقاء فرق مضحك لا نعلم احداً من علماء الاسلام لا من المتقدمين ولا من المتأخرين ذهب اليه ولا اشار اليه غير ذلك الرجل الّذي فاض اعجابا بنفسه فهوى إلى هوة من الاحتقار والازدراء لا نهاية لها وعامله الله بغير ما كان يقصد ذلك الرجل الّذي خرق الاجماع في كثير من مسائل وسعّر حربا بينه وبين صالحي عباد الله فاعلنه ربّهم بالحرب فكان له في حياته ما كان من اهانات تتلوها اهانات وما ذا ينتظر القارئ من الامانات لرجل عالم فوق أن تتفق كلمة علماء عصره ومعهم حكامه على الحكم عليه بايداعه في ظلمات السجون ولا زال فيها حتّى فارق هذه الحياة والله اعلم بما لاقاه في قبره.

نحن ما قلنا يوماً أنّ المنح التي يمنحها الله عزّ وجلّ لصالحي عباده هم الذين يخلقونها ويخترعونها حتّى يتوقف في ذلك من يتوقف ويقول إنّ ذلك انما يليق بالحيّ دون الميّت وجعلنا بفرقه هذا نفهم أنّه يسند الخلق والاختراع إلى الحيّ دون الميّت انما الذي نقوله في اولئك الصّالحين أنّهم مواضع مباركة يفاض عليها من سماء الفضل الالهي غيوث الرحمات والبركات وانواع الكرامات. وليس بعاقل من يقول إنّ الحيّ اهل لأن تفاض عليه تلك البركات. واما الميّت فليس بأهل لذلك إنّ المسألة قابلة لأن نقول فيها إنّ الميّت اولى باحسان من الحيّ لأن الميّت احوج إلى الاحسان لانقطاع عمله الّذي به تزداد درجاته عند الله ولانه اصبح بالموت على بينة تامّة من ضعف العبودية ومبلغ حاجتها إلى فيض الربوبية. ولا يعلم الحيّ ذلك بدرجة علم الميّت مع ما يعتري الحيّ في فترات غفلاته من دعاوي طويلة عريضة غدا الميّت لا يعرفها لو قلنا هذا لا نكون ابعدنا عن الحق في هذه المسألة.

وعلى كل حال يجب أن نعلم أنّ هذه المنح التي يمنحها ربّنا لخاصة خلقه ليس لهم فيها اكثر من أن يتمتعوا بها ويفرحوا فرح شكر بظهورها على ايديهم وربّنا تعالى هو الّذي يتولى منحه لهم او لغيرهم من اجلهم اما هم فلا دخل لهم في خلق ذلك لا وهم احياءً ولا وهم امواتا فليحفظ هذا ثم ليحفظ.

ومما يدل على طلب التوسّل ما رواه أحمد وابن خزيمة[١] في صحيحه وأبو نعيم في عمل اليوم والليلة والبيهقي في كتاب الدعوات والطبراني في كتاب الدعاء وابن السني وابن ماجه من أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم توسّل وعلّمنا أن نتوسّل بحق السائلين على ربّنا إذا نحن خرجنا إلى المساجد ولفظ الدعاء (**اللّهمّ اني اسألك بحق القائلين عليك واسألك بحق ممشاي هذا اليك**) إلى آخره. فها هو صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتوسّل وهو رسول الله بحق السائلين على ربه، يدعو كل مؤمن إلى التوسّل بهذا الحق الّذي جعله ربّنا عزّ وجلّ للسائلين عليه تفضلاً منه واحسانا كما

---

(١) ابن خُزَيمة ابو بكر محمّد توفي سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.] في نيشابور

كتب على نفسه الرحمة. وكما جعل على نفسه رزق كل دابة وكما جعل على نفسه اجر من عفا واصلح والسائلون هم الذين عرفوا أنّه تعالى هو الّذي بيده وحده الخير وغير الخير ليس ذلك لغيره فاعرضوا عما سواه وقصروا عليه تعالى سؤالهم عما يحتاجون اليه دق ذلك اوجلّ. وهؤلاء السائلون كانوا او يكونون او هم كائنون جعل لهم تعالى حق أن يعطيهم ما يسألون وفوق ما يسألون لمكانتهم السامية عنده تعالى او حق السائلين حرمتهم ومنزلته التي جعلها تعالى لهم وهو معنى لا تخطئ إذا جعلته متعينا.

وإنّا لا نطيل القول في هذا الموضوع موضوع التوسّل بالأحياء والاموات من الصالحين فإنّ جواز ذلك، بل وطلبه امر يدين به كل مسلم في مشارق الارض ومغاربها لأن المذاهب الاربعة تجيزه ليس بينها خلاف في ذلك. والأمة الاسلامية كلها لا تخرج عن هذه المذاهب. ولو كان في التوسّل ادنى ضرر يعود على المتوسّل ما اجمع عليه علماء الامة الاسلامية متقدموهم ومتأخروهم وقبلهم رسولهم صلى الله تعالى عليه وسلم.

ولو قال من لا يجيز التوسّل إنّ المتوسّل يجعل بينه وبين الله تعالى واسطة في مسألته وذلك ضرر.

قلنا له من في الدّنيا يقول إنّ هذه الواسطة تضر وكيف تضر وهو تعالى الّذي امرنا بها في الدّنيا والآخرة.

اما في الآخرة فحسبك فزع الناس إلى الانبياء وتوسيطهم لهم بينهم وبين ربهم في الشفاعة وسيأتي ذلك فانتظر.

واما في الدّنيا فقدجعل سبحانه وتعالى الانبياء وسطاء بينه وبين خلقه في هدايتهم. وجعل الاغنياء وسطاء بينه وبين عباده الفقراء يوصلون رزقهم وفضله اليهم وجعل الاطباء وسطاء بينه وبين المرضى يتسبّبون في دفع الامراض عنهم واعادة الصحة اليهم وجعل الإطعام وسيطا بينه وبين الحيوانات به يدفعون الجوع عن

انفسهم ويجلبون الشبع. وقل ذلك في الماء وقله في اللباس وقله في النوم وقله في النكاح وقله في مراكب الماء وقله في السعي على الارزاق فإنّه لولا الماء لمتنا ظمئا. ولولا اللباس لمتنا من البرد والحر. ولولا النوم لمتنا تعبا ولولا النكاح ما رأينا الاولاد. ولولا المراكب لغرقنا في البحر إذا اقتحمناه. ولولا السعي ما رأينا الارزاق وهكذا كل هذا الوجود مبني على الوسائط. ولولاها ما فعل لنا ربّنا شيئاً من حاجاتنا بحسب عادته التي اجراها في خلقه، بل يوم القيامة لا يدخل الجنّة داخل ولا يدخل النّار داخل الا بواسطة الأعمال (**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** * الاعراف: ٨) (**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** * **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ** * المؤمنون: ١٠٣-١٠٤)

وكل هذا لا ينكره جاهل ولا عالم ولا عاقل ولا احمق. اللّهمَّ الاّ من فقد عقله وجن جنونا وجعل يهذي بما لا يدري، فمثل هذا لا يقام لكلامه وزن ولا يلتفت اليه فإذا كان من يتخذ شيئاً من هذه الوسائط كافراً كان من يتوسّل باحباب الله اليه ويجعلهم وسائط كافراً ولا فرق ابدا.

وان قال المانع ولما ذا لا يرفع السَّائل مسألته إلى الله تعالى بلا توسط احد؟

قلنا ليس الكلام في هذا لانه محل اتفاق انما الكلام في ذلك التوسيط ونحن نقول لكم وما ذا فيه وقد جعله ربّنا سببا لقضاء حوائج عباده وامر به فرفع الحاجة إلى الله تعالى سببا لقضاء الحوائج. والتوسّل اليه باحبابه سبب آخر. فالمتقدم إلى ربه بعباده ليقضي له حاجته متقدم اليه بسببين. والّذي لا يتوسّل متقدم اليه بسبب واحد. والمتقدم اليه بسببين اولى بفضله واحسانه ممن يتقدم اليه بسبب واحد. ولهذا المعنى توسّل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بحق السائلين على ربه وعلّمنا أن نتوسّل بذلك كما تقدم. بل روى التّرمذي والنسائي والبيهقي والطبراني عنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه جاءه ضرير البصر فقال ادع الله أن يعافيني فقال (**ان شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك**) قال فادعه فامره أن يتوضأ فيحسن وضوءه

ويدعو بهذا الدعاء (**اللّهمَّ اني اسألك واتوجه اليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة يا محمّد اني توجهت بك الى ربّي في حاجتي هذه لتقضى لي اللّهمَّ فشفّعه فيّ**) ولما دعا الرجل كما أمره صلّى الله تعالى عليه وسلّم استجاب الله له وعافاه واصبح بصيرا.

فليقل لنا اولئك المانعون ولينصفوا، أهم اعلم بما يليق بالله عزّ وجلّ من سيّد رسله وهو يأمر الضرير أن يوسطه بينه وبين ربه في حاجته لتقضى؟ اظنهم لا يستطيعون أن يقولها فليتفضلوا اذن وينضموا إلى اخوانهم اهل الاسلام بما فيهم رسولهم ويتنازلوا عن هذا المذهب الواضح البطلان المعاند لصحيح البرهان وإن ابوا فليعلموا أنّهم الذين يجادلون في الحق بعد ما تبيَّن.

الاستغاثة باحباب الله عِنْدَ الشَّدائد

اما استبشاع فريق من الناس واستنكارهم استغاثة الناس باحباب الله تعالى عند الشدائد فهو استنكار غريب واستبشاع انما يصدر من رجل يستبشع ما أمر الله به بل اقول إنّ انكار هذا انكار للمحور الذي عليه تدور مصالح الناس في هذا الدار بل هو ينكر ما جبلت عليه الفطر من مبدئها لمنتهاها فإنّ ربنا عزّ وجلّ امرنا. وانظر امرنا أن نتعاون على البر والتقوى. ووعد من امتثل أمره هذا وعدا تطرب الآذان لسماعه وتطير القلوب شوقاً اليه ولا تذكره الجوارح الاّ اندفعت اندفاع السهم إلى ذلك التعاون لا تعرج على شيء سواه. ذلك الوعد الكريم هو أن يكون ربنا القدير الكريم في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ومن يسمع أنّ من بيده الخير كله يكون مع من يعين اخوانه ثم لا يقضي كل اوقاته في تلك المعاونة.

عرف الناس أنّ معاونة بعضهم بهذه الدرجة وعرفوا مبلغ حرص كل عاقل على الوصول إلى هذه الدرجة ليكون رب الآخرة والاولى معه بمعونته ونصرته وتوفيقه وستره. فلما عرفوا ذلك صار احدهم إذا عرضت له منفعة يريد أن يجلبها او مضرة يريد أن يدفعها يفزع إلى اخوانه يناديهم ويستعين بهم طالباً إسعافهم له ومعونتهم التي امروا بها من خالقهم ووعدهم عليها ذلك الوعد الحق ليقوى بهم على

جلب مصلحته او دفع مضرته والانسان قليل بنفسه كثير باخوانه ضعيف وحده قوي إذا انضموا اليه فإذا سمعه الناس يستغيث بهم هرعوا اليه وزاحموه على قضاء حاجته وكذلك يفعل هو معهم اذا استغاثوا به وهكذا يتبادل الناس هذا التعاون في ليلهم ونهارهم في سرّائهم وضرّائهم، ضعفوا امام حاجتهم ام لم يضعفوا هم يرون هذه الاستعانة وهذا التعاون لذة يتقاضونها ويحنّون اليها بطبعهم الكريم من ناحية ومسارعة إلى امتثال امر ربهم لينالوا وعده المحبوب من ناحية اخرى.

وهذه الاستعانة المرغب فيها غير الاستعانة الخاصة بالله تعالى التي لا تطلب من سواه فإنّ الاستعانة بالخلق معناها طلب المعونة منهم على وجه التسبب لمعونة الله تعالى التي هي خلقه وايجاده لحاجاتهم التي يطلبونها منه فمعونة الخلق سبب ومعونة الله مقصد خفي. هذا الفرق على ذلك الفريق فجعلوا الاستغاثة بالخلق والاستعانة بهم عند الشدائد منكرا عظيماً واشراكا بالخالق عزّ وجلّ كأنهم عافاهم الله يرون أنّ المستعين بانسان يطلب منه أن يخلق له ما يستعين به عليه وهو فهم من لم يعرف الدّين ولا اهل الدّين.

وكيف يعرف ذلك من يكفر الناس بشيء هو قطب رحى هذا الوجود وعليه مدار نظامه فإنّ الاستغاثات والاغاثات لو منعت بين الناس لوقفت الحركة وتعطلت المصالح واصبحنا نرى الناس ينظرون باعينهم إلى من يراق دمه او ينهب ماله او يهتك عرضه فلا يلتفتون اليه وهو يستغيث بهم بل يرونه احق بما يفعل به باستغاثاته. تلك وذلك القضاء النهائي على الانسانية وآثارها المباركة بل هو انسلاخ من الحيوانية ونزوع إلى خصائص الجمادات فإنّ الاستغاثات والاغاثات معروفة بين الحيوانات التي لا تعقل، ولا نعرف الجمود امام مقتضيات الاغاثة الاّ من الجمادات فقط فهل يريد من يمنع الاستغاثات أن ننحاز إلى نوع الجمادات؟ قد يقول ذلك الفريق انا لا أنكر الاستغاثة بالحيّ انما كل انكاري على الاستغاثة بالميت لأن الحيّ له حركة وعمل. فإذا استغيث به تحرك وسعى إلى المستغيث وعمل معه ما يطلبه منه

اما الميّت فلا يتأتى منه ذلك لهذا ارى الاستغاثة به كفراً وشركاً يحل به دمه كمرتد عن دين الاسلام وانا نضحك بملإ فينا او نأسف اشد الاسف لهذا العقل الّذي ينقل الشيء من مأمور به مرغب فيه اشد الترغيب إلى منهي عنه منفر عنه كل التنفير وهو هو بعينه لم يتغير اي تغير. فإنّ الاستغاثة بالميت صيغتها هي هي التي يستغاث بها الحي وعقيدة المستغيث بالميت هي بعينها عقيدة المستغيث باخيه الحيّ يستغيث بكل منهما أن يعينه على قضاء حاجته بصفته السببية او لا يعتقد لا في الحيّ ولا في الميّت إنّ له ادنى دخل في الايجاد والخلق.

ولعل ذلك الفريق يرى أنّ الميّت صار كالحجر لا حس ولا حركة له فكيف يستغاث به؟ وانا نعوذ بالله من اعتقاد مثل هذا في اي ميت فضلاً عن احباب ربنا عزّ وجل ومع ذلك نتكلم معهم حتّى على هذا الفرض. فنقول إنّ غاية ما حصل ممن يستغيث بالميت الّذي صار كالحجر في نظركم أنّه اعتقد ما ليس سببا سببا ومن هذا حاله معذورة من يرميه بأنّه بلغ من الجهل درجة كبيرة فهو في استغاثته عابث ولا فائدة له منها والّذي ينبغي أن يتنبه مثل هذا من هذه الغفلة العظيمة وأن يعمل على تخليص نفسه من هذه الغباوة الفريدة فإذا كان ذلك استيقظ ووجه استغاثته إلى من يمكن أن يسمعه ويغيثه. هذا الّذي نقرره في مثل ذلك الغبي الفرضي ولا يمكن ابدا أن نقول لمثل هذا انت تستغيث بمن لا يخلق فاهما أن يخلق حتّى نصدر عليه حكمنا بكفره واشراكه فإنّه حينما يستغيث بالأحياء الذين يجيزون له الاستغاثة بهم لا يعتقد فيهم أنّه يخلقون له ما يستغيث بهم لاجله والاّ كان ذلك كفراً مع أنّ الله تعالى امر به وهل يأمر ربنا بالكفر؟

كل هذا نقوله على تقدير إنّ المنتقل من هذه الدار من احباب الله تعالى لا قيمة له اصلاً ولا اعانة له بحال ونحن لا نقوله ولا نجيز لاحد أن يقوله. ونرى ضلالا عظيماً أن يقوله مؤمن بالله تعالى ذلك انا بينا بالبرهان القاطع فيما سبق أنّ الانبياء أحياء في قبورهم يرون ويسمعون ويعلمون حتّى الحج والتلبية وذلك شيء كثير فهل

كثير على من ذلك حاله أن يتولى اعانة غيره كما يعينه اي حي وإن كان ذلك الغير لا يشعر به ولا يراه.

وهذا القرآن يصرح أنّ الشهداء أحياء يزرقون أي يأكلون ويشربون ويتلذذون بذلك تلذذ الحيّ الّذي يرزقون في هذه الحياة فإنّه تعالى سوى بينهما في أنّه يرزق كلا منهما وكذلك من هذا حاله ليس بكثير عليه أن يعين سواه.

وقد عرفت مما سبق ايضاً أنّ ارواح الصّالحين تجول في هذا العالم باذن ربها وتقول ما تقول وتفعل ما تفعل لمن شاء ربنا أن تقول له وأن تفعل ومن يقول إنّ امثال هؤلاء كثير عليهم أن يعينوا زد على كل هذا ما صرح به القرآن من أنّه تعالى (**مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا** * النحل: ١٢٨) ولم يقل القرآن أنّه معهم وهم في دار التكليف فقط بل اطلق فدل ذلك أنّه معهم في كل حال في الدّنيا وفي البرزخ وفي الآخرة. ومن في الدّنيا يرى كثيرا على الله تعالى أن يكرم هؤلاء الاحباب باغاثة من يستغيث بهم بواسطتهم او مباشرة وليتأكد القارئ أنّ هذا الّذي يستغيث بهم لا يستغيث بهم جزافا بل يستغيث بهم لأنّهم احباب ربنا واولياءه فاهما أنّه تعالى وليهم في الدّنيا والآخرة ولذلك لا نراه ابدا يستغيث بسواهم ممن فارق هذه الحياة اذن هذه الاستغاثة موجهة في الحقيقة إلى ربهم ووليهم. ومن استغاث بعبدك وهو يعلم أنّه لا حول ولا قوة الا بك فهو مستغيث بك. فإذا انت سخرت ذلك العبد في اغاثته ومكنته من ذلك فانت المغيث في الحقيقة والعبد آلة هذه الاغاثة وهذه الحقيقة لا تخرج المستغيث عن أن يكون مستغيثا بعبدك ولا تخرج العبد إذا اغاث بقوة سيّده عن أن يسمى مغيثا فليعلم.

ثم كثيرا ما ترى بعض الناس يستغيث بنبيّ او وليّ. فتسأله ما ذا يعمل لك هذا وهو مثلك أيخلق لك ما له تستغيث به فيبادرك في الحال بقوله اني استغيث به لانه اقرب إلى ربي مني فلعلّه يتوجه إلى ربه بوجهه الوجيه عنده. ويبتهل اليه بلسانه الطاهر أن يقضي لي حاجتي وقد سأل كاتب هذا كثير من الناس هذا السؤال مرات

كثيرة فاجبت بهذا الجواب بعينه من اناس عامة عند استغاثتهم ببعض الصّالحين.

فإذا نحن حللنا استغاثة الناس باحباب الله تعالى الاموات إلى هذا المعنى الّذي يقصدونه ويفسرون به استغاثتهم وهو معنى في غاية الصحة والوضوح فكيف تكون كفراً تلك الإستغاثة و اشراكا بالله عزّ وجلّ تحل به دمائهم واموالهم وفروجهم؟ إنّ هذا الّذي يقولونه لا يخالف ابدا محض الإيمان.

وإن قال هذا الفريق إنّ هذه الاستغاثة والاستغاثة بالاموات لم تكن في الصدر الاول ولا حصلت من واحد من سلفنا الصّالح. ولو كانت خيراً لكانت منهم وما فاتتهم. فاقول إنّ هذا النفي اللساني سهل جدا لا يكلف النافي اكثر من تحريك لسانه حركة بسيطة اما اثبات ذلك فدونه اهوال. فإنّ هذا النافي ما كان مع كل فرد من افراد السلف الصّالح يسمع كل كلمة ينطقون بها ويرى كل عمل يصدر منهم حتّى يصح منه هذا النفي الكلّي قد يقول إنّه لم ينقل عنهم. ولو كان لنقل لنا من ذلك شئ. وانا نقول له إنّ النقل لم يحط بكل ما كان في ذلك العهد. فكم من اعمال واقوال كانت ولم تنقل. ولو نقل كل ما صدر في ذلك الزمن من قول وفعل لضاقت عنه الاوراق ووقفت عجزا عن نقله الاقلام على انا نقول إنّ ائمة هذا الدّين قادة الخلق وورثة الانبياء قد استغاثوا في عصورهم المختلفة برسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبغيره من الانبياء والصّالحين وهم اعلم الناس بالدّين وباسراره وما يجيزه وما يمنعه وقد نقل ذلك عنهم وهذه الكتب بين ايدينا فيها من ذلك الكثير ثم الكثير وإن شئت أن تسمع من ذلك شيئاً فدونك. روى البيهقي أنّ اعرابيا جاء إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يستسقي به وانشد ابياتا في آخرها:

وليس لنا الاّ اليك فرارنا * واين فرار الخلق الاّ إلى الرسل

وروى الطبراني أنّ سيّدنا سواد بن قارب انشد بين يدي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قصيدته التي فيها:

فاشهد إنّ الله لا رب غيره * وأنّك مأمون على كل غائب

وأنّك ادنى المرسلين وسيلة * إلى الله يا ابن الاكرمين الاطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وإن كان فيما فيه شيب الذوائب

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بـــ(الصواعق المحرقة) أنّ الامام الشافي رضي الله تعالى عنه قال:

آل النّبيّ ذريعتي * وهم اليه وسيلتي

ارجو بهم أعطى غدا * بيدي اليمين صحيفتي

وقال شمس الدّين بن جابر الاندلسي:

قسما لئن ابصرت دار محمّد * وشهدت من مغناه مغنى مبهجا

لاعفرن بتربها كرما له * خدا بمسكوب الدموع مضرجا

ولأدعون دعاء عبد مخلص * يا سيّد الكونين انت المرتجى

يا من إذا لجأ الضعيف لبابه * أبت المكارم أن يضيّع من لجا

عظمت ذنوبي والعظائم كلها * بعظيم جاهك نرتجي أن تفرجا

خذ سيّدي بيدي اغثني انني * اصبحت في بحر الذنوب ملجلجا

من منقذي الاّ شفاعتك التي * تنجي إذا لهب الجحيم تأججا

صلى عليك الله ما صدع الدجى * صبح تلألأ ضوؤه وتبلجا

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمة الله عليه:

يا سيّد الرسل الّذي فاق الورى * بأساً سما كل الوجود وجوداً

هذي ضراعة مذنب متمسك * بولائكم من يوم كان وليدا

يرجو بك المحيا السعيد وبعثه * بعد الممات إلى النعيم شهيدا

صلى عليك وسلّم الله الّذي * احيا بك الإيمان والتوحيدا

وقال الامام تقى الدّين[١] ابن دقيق العيد:

---

(١) محمّد بن علي بن وهب المصري الشّافعي المعروف بابن دقيق العيد المتوفى بالقاهرة سنة ٧٠٢ هــ[١٣٠٢م]

يا رسول المليك دعوة من زا * د به شوقه وصح وداده
لك اشكو حالا من الدّين والدنـــ * ـــيا شديداً غلوه واقتصاده
هو هم ثني السرور وغم * كدر العيش عكسه واطراده
وعليك السّلام من ذي اشتياق * انت في الحشر كتره وعتاده

وقال الامام كمال الدّين بن الزملكاني[١] رضي الله تعالى عنه:

يا صاحب الجاه عند الله خالقه * ما ردّ جاهك الاّ كل افاك
انت الوجيه على رغم العدا ابدا * انت الشفيع لفتاك ونساك
يا فرقة الزيغ لاقيت صالحة * ولا شفى الله يوماً قلب مرضاك
ولا حظيت بجاه المصطفى ابدا * ومن اعانك في الدّنيا ووالاك
يا افضل الرسل يا مولى الانام ويا * خير الخلائق من انس واملاك
ها قد قصدتك اشكو بعض ما صنعت * بي الذنوب وهذا ملجأ الشاكي
قد قيدتني ذنوب عن بلوغ مدى * قصدي إلى الفوز منها فهي اشراكي
فاستغفر الله لي واسأله عصمته * فيما بقى وغنى من غير امساك
عليك من ربك الله الصّلاة كما * منا عليك السلام الطيب الزاكي

وقال جمال الدّين بن نباتة المصري:

يا خاتم الرسل لي في المذنبين غدا * على شفاعتك الغراء تعويل
وانت اكرم من طاف الرجا وسعى * إلى حماه فكان القصد والسول
صلى عليك الّذي اعطاك منزلة * شفيعها في مقام الحشر مقبول
انت الملاذ لنا دنيا وآخرة * فباب قصدك في الدارين مقبول

وقال العارف بالله الشّيخ حسين الدجاني مفتي الشافعية بيافا:

يا خير مولى عن الجاني المسئ عفا * وطاب من طيبه العرب البهاليل

([١]) محمّد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني الشّافعي المتوفى سنة ٧٢٧ هـــ. [١٣٢٧ م.]

ما ثم للعبد ملجا غير سيّده * وما له في سوى علياك تأميل
انت العياذ الملاذ المستجار به * فليس الاّ اليك الأمر موكول

وقال سيّدي محمّد البكري الكبير رحمة الله عليه.

ما ارسل الرّحمن او يرسل * من رحمة تصعد اوتنزل
في ملكوت الله او ملكه * من كل ما يختص او يشمل
الاّ وطه المصطفى عبده * نبيّه مختاره المرسل
واسطة فيها واصل لها * يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به في كل ما ترتجى * فإنّه المقصد والمأمل
وعذ به من كل ما تختشى * فإنّه الملجأ والمعقل
وحط احمال الرجا عنده * فهو شفيع دائماً يقبل
وناده إن ازمة انشبت * اظفارها واستحكم المعضل
يا اكرم الخلق على ربه * وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة * فرجت كربا بعضه يذهل

نقلت هذا كله من (كتاب شواهد الحق) للشّيخ المحب برسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم حبا ظهرت آثاره اعظم ظهور، الشّيخ يوسف النبهاني[١] اطال الله حياته والّذي نقلته قطرة من بحر مما في هذا الكتاب وما في هذا الكتاب قطرة من بحر مما قيل فيه صلّى الله تعالى عليه وسلّم توسّلاً واستغاثة به عليه الصّلاة والسّلام وإذا اضيف ما قيل في غيره صلّى الله تعالى عليه وسلّم من الانبياء والاولياء إلى ما قيل فيه صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان لا حصر له نثرا ولا نظما فليكتف الناظر هنا بما نقلنا ولينظر كلام ائمة الاسلام وسادة الامة فيه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وفي مخاطبتهم له وأستغاثتهم به عليه الصّلاة والسّلام يجد أنّ ما عليه الامة مع علمائها في جهة وما يقوله ذلك الفريق في جهة أخرى.

---

(١) الشّيخ يوسف النبهاني توفي سنة ١٣٥٠ هـــ. [١٩٣٢ م.] في بيروت

واقرب من كل هذا أن نقول لمنكر صدور ذلك من السلف الصّالح سلمت لك ذلك يا اخي ولكن هل كل ما لم يفعله السلف الصّالح منكر لا يجوز فعله؟ إنّ هذا انما يقوله الجاهل بدين الاسلام. يريد بجهله هذا أن يلصق بهذا الدّين أنّه من القصور بالدرجة التي لا يحسن معها التصرف في الحوادث التي تحدث بعد عهد نزوله. وهل يرضى له بذلك لك مسلم وهو الدّين الّذي نزل صالحا لكل زمان ومكان لديه من سعة النظر ما لا يتوقف معه عن الحكم على أيّ حادث بحكمه المناسب له؟ ولقد كان إن حدثت له حوادث لا تحصى بعد زمن تشريفنا به وحكم عليها كلها ومن بينها ما حكم عليه بالوجوب القطعي ولا يزال في استعداد لأن يحكم على اي حادث يحدث فلا يضر الجواز أيّ عمل أنّه لم يعمل الاّ بعد زمن طويل من الصدر الاول.

بقي أن يقال إنّ بعض العوام إذا استغاث باولئك الاحباب يخاطبهم في استغاثته بالفاظ ربما فهم منها سامعها أنّهم يطلبون منهم ما لا يليق أن يطلب الاّ من الله تعالى وانا نقول في هذا انك لو سألت هذا الّذي يوهمك قوله ويجعلك تسئ الظن به لازاح ما في نفسك باظهار مكنون قلبه ومخبوء ايمانه الصريح الصّحيح الّذي لم يطرأ عليه من أمراض القلوب ما يخدشه ولقد راجعناهم كما قلنا سابقاً ثم راجعناهم فكان يملأ قلوبنا سرورا ما نسمع منهم من عبارات تشف عن إيمان في غاية الصفاء والمتانة فكنا لا نستغرب ذلك فإنّ الفطرة السليمة لا يخفى عليها ما يناسب الخالق وما يناسب المخلوق. نحن نقول هذا في الفطرة السليمة بمجردها. فكيف إذا شبت وشابت في احضان المؤمنين من آبائهم وجيرانهم وعلمائهم؟ على انك لو دققت النظر قليلا لوجدت في لغتنا ما يسيغ تلك العبارات ولا يأباها فإنّك تستطيع أن تقول فلان هداني واضلني واغناني وافقرني واحياني واماتني واسعدني واشقاني ورزقني وفرج كربي واقالني عثرتي إذ تسبب ذلك فيما تنسبه اليه.

وهذا القرآن يقول للنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**وإِنَّكَ لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ**

مُسْتَقِيمٍ * الشورى: ٥٢) ويقول في الاصنام (**رَبِّ اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ** * ابراهيم: ٣٦) ويقول فيمن تسبب في حياة نفس (**وَمَنْ اَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا اَحياً النَّاسَ جَمِيعًا** * المائدة: ٣٢) ويقول (**فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ** * النساء: ٨) ويقول حاكيا عمن حاج ابراهيم في ربه لما قال له سيّدنا ابراهيم (**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ اَنَا اُحْيِي وَاُمِيتُ** * البقرة: ٢٥٨) فسلم له ذلك سيّدنا ابراهيم وانتقل إلى حجّة غيرها. لانه يعلم أنّه صادق فيما يقول ولا يأبى الدّين ما يقول لانه على معنى أنّه يتسبب في حياة من اشرف على الموت وموت من هو في عافية وغير ذلك كثير في الكتاب و لم يعد ذلك اشراك بالله تعالى ولا له بمخالفته ايّ صلة. والسّنّة صرّحت بإسناد تفريج الكروب واقالة العثرات الينا ولو انا تنطعنا لقلنا إنّ هذا كفر فإنّ الإحياء والإماتة والهداية والإضلال والرزق والإشقاء والإسعاد وتفريج الكروب واقالة العثرات وما اليها لا يقدر عليها الاّ الله عزّ وجل. فمن اسند منها شيئاً لغيره عزّ وجل فقد مرق من الاسلام وكان مشركاً نحن لم نبلغ من الجهل بلغتنا الكريمة إلى هذه الدرجة وهي التي تسند الأفعال إلى الاسباب اسنادا اعتياديا ليس فيه ادنى حرج. فلو أنّا اوتينا سعة من العلم واحاطة باسلوب لغتنا وبصيرة باستعمالات كتابنا وسنة نبيّنا، لخففنا من حدتنا وهوّنا من غضبنا وشدّتنا على من يخاطب احباب ربّنا بما يخاطب به ربّنا وقلنا إنّ هذا من ذاك وتصرفنا تصرف ربّنا ونبيّنا في مثل هذه الاسنادات وقلنا إنّ الخطب هيّن لم نفعل ذلك وابينا الاّ أن نشدّد ومن شدّد شدّد عليه وإن حكم على عباد الله المؤمنين بالكفر الصريح والشّرك المحض ونتبع ذلك باشارة التي منها القتل واراقة الدماء يجب على ذلك الفريق أن يعرف أنّ ايجاد الفعل لابدّ له من امرين سببه الّذي كلّف به الخلق. والامر الثاني الايجاد والخلق الّذي يصدر من الله تعالى كل أفعال الخلق هكذا. فباعتبار مباشرة الاسباب يسند الفعل إلى الله تعالى ولقد وصل الاسناد إلى السبب أن يقول ربّنا عزّ وجلّ لسيّدنا عيسى عليه الصلاة والسّلام (**وَاِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ** * المائدة: ١١٠) فنسب اليه الخلق والايجاد باعتبار التصوير

والنسخ كما اسند اليه ابراء الاكمه والابرص وإحياء الموتى لما أنّه تسبب في ذلك و لم يطلق ذلك ربّنا الاّ لانه تعالى يجيز لغيره من خلقه أن يعبر بمثل تلك العبارات دون أن يكون فيها شيء متى كان القلب ينطوي على ما للخلق وما للخلاق فتسند إلى كل ما يليق به.

وإذ احاط القارئ بكل هذا عرف حق المعرفة اين دين الله واين تلك الاحكام بالشّرك على من يخاطب في إستغاثته احباب ربنا بما لا يكون ايجادا وخلقا الاّ من ربّنا عزّ وجل. وعلمت ما ذا من الاثم الموبق على من يقتل مؤمناً لتعبير سائغ لغة وشرعاً كتلك التعبيرات التي هي موضوع كلامنا وعلمت اي جرم يرتكبه من ينطوي لاهل الإيمان على العداوات الخطرة ويواجههم بالمخاطبات الجافة الخشنة ويعاملهم بالمعاملات التي لا تليق الاّ باعداء الله الكافرين مع أنّ الله تعالى يجيز ما يمنعون وهو الّذي باسمه يفعلون ما يفعلون من المنكر مع أوليائه وعباده الصّالحين ولو أنّ اولئك الناس قالوا لمن يعير بتلك العبارات الموهمة في نظرهم الافضل والاحسن أن تبدل هذه العبارات التي قد يفهم منها سوء أمن يسئ الظن بالمؤمنين بعبارات لا توهم ولا يفهم منها احد ما لعلّه يسئ ظنه بهم لو قالوا ذلك ما لقوا من يقول لهم انكم ابعدتم عن الحق وقلتم ما يعده الانصاف خطأ فإنّ ما لا يوهم خيراً مما يوهم بلا نزاع

هذا تحرير القول في هذا الموضوع الذي غال فيه ذلك الفريق الذي نشير اليه إلى درجة أن جعله من ابواب الكفر التي لا يمتري فيها انسان وقد عرف القارئ مما تقدم مبلغه فليحرص عليه فإنّه لا يجده الاّ في هذه العجالة التي اشتد حرصها على بيان الحق غير تابعة في ذلك المخلوق والله تعالى.

هل التردّد والتودّد إلى احباب ربّنا عبادة

واما القول بأن التردد إلى صالحي عباد الله تعالى والتردد اليهم واجلالهم والتقرب منهم على اي حال كانوا في درجة العبادة لهم وبهذه العبادة يكون الانسان مشركاً بالله تعالى مرتدا عن الملة الاسلامية فهو قول تقشعر منه أبدان العقلاء ولا

يليق أن ينظر اليه المؤمن الا بعين الازدراء والمقت، قول إذا قيل إنّه صدر من مجنون او ممن لا يعرف دين الاسلام وجد ذلك القيل ارتياحا في نفوس المؤمنين وصادف هوى في نفس كل من يعرف لدين الاسلام قدره ولو انّا قلنا بموجب ذلك القول لكان اكبر المشركين بالله عزّ وجلّ واعظم العابدين للخلق الخارجين عن الملة الاسلامية هم اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإنّ ما تقدم لنا حكايته عنهم من تعظيم الرسول صلّى الله عليه وسلّم شيء اليه المنتهى في اجلال الخلق وتعظيمهن ولا نظن ابدا أن يلحق بهم عبد في هذا الميدان مهما كان محبا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم او لغيره من الانبياء والأولياء واذن يكونوا اكبر المشركين كما قلنا لذلك التعظيم الّذي روينا بعض ما يدل عليه فيما سبق ويكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد اقرّ ورضي باكبر الشّرك. ولعل حضرات القائلين بأن ذلك التعظيم عبادة يفزعون من هذا ويضطربون ليفزعوا وليضطربوا وليرتقوا السماء وليترلوا إلى الارض فليس لهم من هذا مخرج إلى يوم القيامة. لقد قلنا لهؤلاء الناس ونقول ولكنهم لا يفهمون ولن يفهموا إنّ اجلال هؤلاء الاصفياء وتعظيمهم تعظعم لربهم الّذي عظمهم وانعم عليهم واخبر أنه معهم معية هداية وتوفيق ونصر واكرام.

اذن هذا التعظيم يفعله الناس طمعا في احسان ربهم وهربا من اهانته لانه يحسن إلى من احب احبابه ويهين من اهانهم ولهذا نجد الناس لا يعاملون الفسقة بتلك المعاملة الجليلة ابدا بل نراهم يعاملونهم بعكس ما يعاملون به الصالحين يفرّون من الفاسق اينما كان وربما رأيتهم يحولون انظارهم عنه إذا جالسهم لئلا تقع عليه وتراهم يتسللون من مجلسه واحداً واحداً يحملهم على ذلك فهمهم أنّ هذا الفاسق مغضوب عليه من ربه فهو شؤم على نفسه وعلى من جالسه والبعد عن الشؤم يمن وبركة.

ومختصر القول في حب الصالحين وزيارتهم والتردّد اليهم في رياض الرحمات التي يحلون بها أحياء وامواتاً. إنّ ذلك مهما بلغ من العظم عند المؤمن لم يتجاوز درجة الحب في الله تعالى. والحب في الله عزّ وجلّ معروف قدره في نظر الدّين من

أنّه اوثق عرى الإيمان. والّذي افهمنا أنّه اوثق عرى الإيمان حضرة نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم فلينظر القارئ اين هذا مما ننقله ونحكيه. نعم إنّ عجيبا أن يكون الشيء ارقى المقامات في دين الاسلام ثم يحكم عليه اناس بأنّه كفر واشراك. ليعلم هؤلاء الناس أنّ العبادة التي يعرفها المؤمنون هي نهاية الحب والخضوع والخوف والرجاء والطاعة والذل تقربا إلى المعبود بحق الّذي له نهاية الانعام والاحسان. وبيده الضر والنفع والاسعاد والاشقاء والاعزاز والاذلال في الدّنيا والآخرة.

هذه هي العبادة وهذا هو المعبود الّذي لا يرضى المؤمنون عن عبادته بدلا ولو احرقوا بالنيران ونشروا بالمناشير واني اتحدى كل من يقول إنّ الناس يعبدون احباب ربّنا أن يأتوا بمثال واحد فقط من المؤمنين يعتقد في نبيّ او وليّ أنّ له نهاية الانعام والاحسان وبيده الامر كله وبناء على هذا الاعتقاد يخضع له الخضوع كله ويتقرب اليه بشيء من العبادات أنّهم إن فعلوا ذلك ولن يفعلوا إلى قيام الساعة صدقنا كل ما يقولون وكنا معهم نحول بين الناس وبين اولئك الصّالحين نحميهم من الاشراك بهم.

إني اقول وكل عاقل يقول معي إنّ احقر واجهل واسفل وافسق مؤمن على وجه الارض لو قلت له تعال اسجد لفلان الوليّ او النّبيّ تعبده بذلك من دون الله او تقرب اليه باي نوع من انواع العبادة التي تعبد بها ربك او صرحت له بلفظ العبادة وقلت له تعال اعبد هذا الوليّ او النّبيّ ولو كان سيّد العالمين صلّى الله عليه وسلّم او ادعه أن يقضي لك حاجة من دون الله ما كان بينه وبينك إن كان يعتقد انك عاقل جاد في قولك الاّ القتال إن قدر عليك او الهجر طول حياته إن كان لا يقدر وكيف لا يفعل ذلك معك. وهو يعتقد انك تدعوه إلى شقائه الابدي وقد يشك في سلامة عقلك مهما تظاهرت له بذلك وبرهنت له عليه.

وبهذا تعلم أنّه يفترى الكذب على الله تعالى وعلى عباده من يقول إنّ محبي الأولياء يعبدونهم ويصدق عليهم قول الله تعالى (**مَا نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا اِلَىَ اللهِ زُلْفَى** * الزمر: ٣) فإنّ الآية تقول بصراحة ما نعبدهم فاثبتت أنّ اولئك المشركين كانوا

يعبدون الاصنام عبادة حقيقية كما يعبد المؤمنون ربهم الحق عزّ وجلّ، وقالت آية اخرى (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ اَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ** * البقرة: ١٦٥) فهذه الآية صريحة في أنّ عباد الاوثان كانوا يسووها بالله تعالى في المحبة بل اخبر ربّنا تعالى في آية اخرى أنّ اولئك المشركين كانوا ينظرون إلى آلهتهم نظرة اكبر من نظرتهم إلى رب العالمين ويرجحونها عليه. ذلك أنّهم كانوا إذا جعلوا لله تعالى قربانا وجعلوا لاصنامهم قرابين سمحوا لانفسهم أن يأخذوا مما جعلوه لله ويضيفونه إلى ما جعلوه لاولئك الحجارة اما العكس فلا تسمح به نفوسهم ابدا وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله (**وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْاَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشركَائنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ اِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلهِ فَهُوَ يَصِلُ اِلَى شُرَكَائِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ** * الانعام: ١٣٦)

ومما يدل دلالة قاطعة على أنّ اولئك المشركين كانوا يعتقدون أنّ تلك الحجارة آلهة حقاً تستحق العبادة تنفع وتضر وتفعل فعل الاله أنّ التعصب لاولئك الاصنام وصل من اولئك الناس لدرجة أن وقفوا امام السيوف والرماح والنبال وجها لوجه متعرضين للاهوال والحتوف مصممين التصميم كله على أنّهم اما أن يموتوا عن آخرهم محتفظين على عقيدة أنّ تلك الحجارة آلهة حقاً مع الله تعالى بل ارجح عندهم منه او يقضوا القضاء الاخير على من يدعوهم إلى عقيدة توحيد الله عزّ وجلّ ونبذ هذه الاصنام واعتقاد انها حجارة لا تضر ولا تنفع. نعم لقد استخفوا الموت واهواله عن أن يقبلوا هذه العقيدة، وكانت تلتهب قلوبهم نارا على من يمس تلك الحجارة بكلمة لا تناسب، وكانوا مملوئين بعقيدة أنّ تلك الآلهة تعطي وتمنع وتنصر وتخذل وتعزّ وتذلّ.

ولا ادل على هذا مما روته الصحاح عنهم أنّهم كانوا يقولون يوم احد بأعلى اصواتهم (اعل هبل) اي يا الهنا المسمى بهبل ندعوك ونطلب منك أن ترتقي وترتفع على اله المسلمين بقهره والقلة عليه دائماً كما ارتقيت وارتفعت عليه اليوم فانك إن

تماديت على ما نطلب منك من غلبة اله المسلمين نتمادى نحن على الانتصار على المسلمين كما انتصرنا عليهم اليوم. وهذا يدل قطعاً على أنّ القوم كانوا يعتقدون اعتقادا جازما أنّ الّذي نصرهم وخذل المسلمين هو آلهتهم. وجاء هذا النصر من أنّ تلك الآلهة غالبت اله المسلمين فغلبته ولهذا هم يطلبون من هبل الّذي هو احد آلهتهم أن يدوم على هذه الغلبة. ومن هو اله المسلمين عندهم؟ هو ربّ العالمين الّذي إن سئلوا عمن خلق السّموات والارض لاعترفوا بأنّه هو ومع ذلك ينطوون على أنّ آلهتهم تغلبه وتنصر عابديها على عابديه ولذلك كانوا يفتخرون على المسلمين في ذلك اليوم ويقولون لهم لنا العزى ولا عزى لكم اي اننا لما كان لنا الاله المسمى بالعزى قوينا عليكم بقدرته وغلبناكم وانتصرنا عليكم ولم يستطع ربكم أن يقاوم عزانا. ولو كان لكم العزى كما هو لنا ما جرى لكم اليوم ما جرى فإنّ العزى كان يحفظكم وينصركم كما حفظنا ونصرنا فامر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم المسلمين أن يردوا عليهم في الكلمة الاولى بقولهم (**الله اعلى واجلّ**) اي ليس الامركما تعتقدون من أنّ آلهتكم اعلى من ربّنا بل الامر هو بالعكس وافعل التفضيل يراعي عقيدة المخاطبين او هو على غير بابه وأن يردوا عليهم في الكلمة الثانية بقولهم (**الله مولانا ولا مولى لكم**) هذا لفظ البخاري.

وإذا كان ما نحكي هو عقيدة اولئك المشركين في اصنامهم فهل يستطيع اولئك الذين يسوون بين المسلمين الذين يحبون الأولياء ويتودّدون اليهم ويتردّدون على الاماكن التي هم بها وبين اولئك المشركين في أنّ كُلاًّ عابد اوثانا. اوثان المشركين الحجارة واوثان المسلمين الأولياء والانبياء هل يستطيعون أن يأتونا بمؤمن واحد من جميع انحاء الدّنيا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا يعتقد في الأولياء والانبياء كما يعتقد اولئك المشركون في اصنامهم ويعبد الأولياء والانبياء كما كان اولئك المشركن يعبدون آلهتهم إنّ طلوع السماء وتناولهم الشمس اقرب اليهم من أن يأتوا بذلك المؤمن الواحد.

واذن لا مناص لنا من أن نواجههم ولا مؤاخذة بأنّهم يرمون المؤمنين بما لا وجود له الاّ في اذهانهم. وسيرون عاقبة هذا (**يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * الاَّ مَنْ اَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** * الشعراء: ٨٨-٨٩)

لو سمعوا لي

ولوسمع لي هؤلاء الناس لقلت لهم اقلعوا عن هذه الظنون الكاذبة وتطهروا من تلك الخيالات الخاطئة وتورّعوا عن احكامكم التي تصدرونها على المؤمنين كل يوم بدون عقل ولا روية فانكم تُرَتِّبُونَ على تلك الظنون وهاتيك الاحكام آثاراً هي منتهى البشاعة والفظاعة فإنّ من يحكم بالشّرك على واحد لا يرى حرجا في قتله واراقة دمه تقربا إلى الله تعالى وهذا ما انتم عليه ويراه العالم كله منهم فانّكم ما دخلتم جهة من الجهات الاّ فتكتم فتك الجبابرة وبطشتم بطش من لا يعرف الشفقة ولا الرحمة. ومن رآكم وانتم تذبحون عباد الله المؤمنين الموحدين جزم كل الجزم انكم تتلذذون بقتلهم وترتاحون لابادتهم ولا يخيل له انكم لو امكنكم أن تطهروا المعمورة من آثار المؤمنين لفعلتم فرحين مسرورين لا ترون اي بأس في استحلال فروجهم واموالهم ظانين انكم بهذا كله تنتصرون للتوحيد على الوثنية والوثنيين. اني انصحكم ثم انصحكم وليس عليَّ الاّ ذلك أن تثوبوا إلى رشدكم وتفكروا في عاقبة ما أنتم عليه وترجعوا إلى ما قاله العلماء في الحكم بالكفر فانكم تجدونهم شددوا في ذلك كل التّشديد حتّى صرّحوا أنّ العالم لا يجوز له أن يقدم على الحكم بكفر مؤمن الاّ إذا سد في وجهه كل باب يمكن أن يصل منه إلى ايمانه أمّا لو وجد بابا واحداً ذلك حاله فلا يجوز له ابدا أن يحكم عليه بالكفر مهما كثرت الابواب القاضية بتكفيره حملا لحال المؤمن على الصّلاح وبعدا عن موبقه إن ذلق فيها الحاكم هوى على ام رأسه هويا آخره شقاء عظيم وهل رأيت بلاء يقع فيه الرجل المؤمن اعظم من أن يفتي بكفر مؤمن آخذاً على عهدته أنّه من اهل الخلود الابدي في النّار غضب عليه ربه غضبا لا يرضى عنه بعده ابدا هذا في الآخرة واحكام المرتد في الدّنيا

تصورها فقط تدور له على الرؤس وتنقطع الاكباد اسى وحسرة على من تجرى وتنفذ فيه تلك الاحكام. إنّ هذا شيء عظيم ثم عظيم إذا تعلق بمؤمن واحد فكيف إذا تعلق بمئات وآلاف ومئات آلاف بل بالعالم الاسلامي كله في اي جهة من جهات الدّنيا.

لهذا كله اقول لكم واشدد في القول واجب عليكم وجوباً هو آكد الواجبات عليكم بعد الإيمان أن لا تتعجلوا على المؤمنين في احكامكم وراجعوهم وانظروا هل عندهم من موجبات الشّرك شيء؟ وموجبات الشّرك معروفة فإن رأيتم تلك الموجبات فاحكموا ولن تجدوا ذلك في اجهل المؤمنين وإن لم تجدوا. وهذا هو الواقع فامسكوا السنتكم واغمدوا سيوفكم عن عباد الله تعالى ولا تؤاخذوني إذا قلت لكم راجعوا موجبات الكفر فادرسوها درسا جيدا واعرفوها معرفةً لا تقل عن معرفتكم للشس وانتم تروها ليس دونها سحاب فإنّه ليس بلاء يصيب الانسان في الدّنيا والآخرة الاّ واصله الجهل. فاقتلوا الجهل قتلا في هذا الباب حتّى إذا ما اصدرتم حكمكم على مؤمن بالكفر يكون حكما صحيحاً وتحسنون الإحسان كله لو محوتم من الواح اذهانكم هذا الباب كله باب التكفير واراقة دماء المسلمين فإنّه اخطر شيء عليكم ولو انصفكم لغضبتم من انفسكم في هذا الباب فانكم لا تقفون في تكفيركم عباد الله تعالى إلى حد عامة الناس التي قد يصدقكم الجاهل سوء الظن في تكفيركم لهم بل تتجاوزون ذلك إلى الحكم على العلماء الاجلاء ورثة الانبياء وقادة الامة ومفزعها إذا دجت مشكلة في اي درجة كانوا من العلم ولو كانوا شيوخ شيوخ الاسلام.

وموضع العجب أنّ الحكم بالكفر وقدره ما شرحنا يصدره اجهل واحد منكم على اي واحد من غيركم لا يتوقف في حكمه مهما كانت درجته في الجهل والانحطاط ودرجة غيره في العلم والارتقاء ومتى اصدر حكمه هذا لا تتردّدون كلكم في صدقه واصابته كبد الصواب.

واحب أن تقولوا لي، إذا كنتم تحكمون على علماء الاسلام بالكفر وهم المرجع عند الاختلاف فما يفعل المسلمون معكم إذا اختلفتم معهم في شيء؟ هل يتحاكمون إلى علمائهم ام يتحاكمون اليكم فإن قلنا إنّهم يتحاكمون إلى علمائهم تذكرنا أنّهم عندكم كافرون ولا يجور أن ينتدب الكافر كفر اشراك لأن يكون حكما فإنّ الحكم في ارقى درجة والكافر كفر اشراك في احط درجة.

وإن قلنا إنّهم يتحاكمون اليكم ولا مسلم على وجه الارض الاّ انتم في نظركم رأينا أنّ ذلك هو المتعين الّذي لا ترضون غيره والنتيجة لهذا انكم تكونون الخصم والحكم هذا تحديد موقفكم فاعرفوه. ويمكن للناظر هنا أن يظن انكم انما اصدرتم حكمكم حتّى بكفر العلماء لتتخلصوا منهم فإنهم هم الحكم المرضي الحكومة عند الناس وهم الذين تسمع لهم الامة إن حكموا لكم او عليكم فإذا ما وفقتم لأن تفهموا الامة إنّ هؤلاء العلماء الذين تجلونهم كل الاجلال وترجعون اليهم في كل اموركم كافرون مشركون لا يصح أن تسمع لهم كلمة ولا يؤمنوا على حكم فانكم بذلك تكونون نجحتم نجاحا ليس بعده من نجاح ولكني اؤكد لكم انكم لا يمكنكم بحال أن تصلوا من الامة إلى ذلك الحال فأريحوا انفسكم واسمعوا ما قدمت لكم من نصح.

هل تجوز زيارة القبور؟

هذا عنوان يتبادر إلى ذهن القارئ منه إنّ هناك اناسا يخالفون في جواز زيارة القبور. وأنا اقول له إني لذلك وضعته وازيدك أنّ اولئك الناس الذين يخالفون في جواز زيارة القبور يشددون في تحريمها تشديداً عظيماً ولذلك تراهم ينظرون إلى من يجيز تلك الزيارة او يفعلها بعين الاحتقار والازدراء ويسمونه (قبوريا) ولا تعجب إذا قلت لك إنّهم يمنعون الناس من زيارة القبور منعا قهريا ويمدون ايديهم بالضرب المؤلم إلى من لم يمتثل نهيهم.

لا اقول ذلك نقلا عن غيري حتّى يجد الشك سبيلا إلى نفسك فيما انقله لك

بل انا الّذي انقله ونقلي عن حسّ. فلا يخطر ببالك اي شكّ فيه، ولعلك تجد واحداً غيري واثنين وعشرة ومئات وآلافا يوافقوني في نقل ذلك اليك. وهذا جهل بالدّين إلى حد يجعل السامع به يعجب أن يكون في الدّنيا من المسلمين لليوم، من يصل جهله بدينه إلى هذا الحد الّذي ذكره وكتابته فضيحة من اكبر الفضائح لمن ينسب اليه وكيف لا يكون فضيحة وهو جهل بمذاهب المسلمين كلها؟ فهي تجيز تلك الزيارة وتشرح للزائر آدابها وهو جهل كذلك بسنة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنّه صلّى الله عليه وسلّم زار القبور بنفسه وعلّم اصحابه كيف يزورون القبور وكان منهم ذلك في حياته الدّنيوية صلّى الله تعالى عليه وسلم.

اما زيارته هو صلّى الله عليه وسلّم فيدل عليها ما رواه مسلم عن ام المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلّى الله تعالى عليه وسلّم اخبرها أنّ جبرائيل جاءه فقال له إنّ ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم وأنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم جاء البقيع فقام طويلا واطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات وانها رضي الله تعالى عنها قالت له كيف اقول لهم؟ فقال (**قولي السّلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنّا إن شاء الله بكم للاحقون**) بل روى مسلم عن امنا السيّدة عائشة رضي الله تعالى عنها أنّ زيارة البقيع كانت عادة للنّبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهذا لفظها. كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم كلما كانت ليلتها من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: (**السّلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجّلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. اللّهمّ اغفر لأهل البقيع الغرقد**).

واما زيارة المؤمنين للقبور في عهده صلّى الله تعالى عليه وسلّم وتعليمه لهم كيف يزورون فاسمع شيئاً مما يدل على ذلك. روى البخاري ومسلم حديث المرأة التي كانت تزور قبر صبي لها وتبكي، فلم ينهها صلّى الله تعالى عليه وسلّم عن

زيارتها وانما قال لها (**اتقي الله واصبري**) وقال لها (**الصبر عند الصدمة الاولى**) وروى مسلم أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان يعلّم الصّحابة إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول (**السّلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات وإنّا إن شاء الله بكم للاحقون. اسأل الله لنا ولكم العافية**).

نعم كان منهيا عن زيارة القبور في صدر الاسلام والناس قريبوا عهد بجاهلية ثم نسخ ذلك بقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبفعله.

اما فعله فقد سمعته واما قوله فهو (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوزوها**) رواه مسلم من حديث ورواه غيره وانا لا ادري ما ذا يحصل للناس من الضّرر في زيارة القبور حتّى يمنعها اولئك الناس ذلك المنع القاطعة والّذي اعلمه عن تلك الزيارة انها الدواء الّذي لا نظير له للقلوب التي قست ثم قست. ولهذا قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّها تُرِقّ القلب وتدمع العين وتذكّر بالآخرة فزوروها ولا تقوا هجراً**) رواه البيهقي. وقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ولاتقوا هجرا**) نهي عن آفة من آفة زيارة القبور التي من اجلها لا تجوز الزيارة. وهذه الآفة اكثر ما تكون من النساء فإنّ الواحدة منهن إذا رأت قبر ابنها او ابيها او اخيها او زوجها طيب المعاشرة هاجت عاطفتها. وعواطف النساء رقيقة وحينئذٍ يكون منها من انواع الجزع ما تهتز له السّموات ولذلك قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**لعن الله زوارات القبور**) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم.

ومن آفات زيارة القبور أنّ الناس يخرجون اليها في بعض الجهات بحالة تنافي الانسانية فيختلط الرجال بالنساء في الطرق وعلى المقابر اختلاطا لا يرضاه عقل ولا دين وعلى المقابر يأكلون ويشربون ويتبرزون وينامون ويفعلون ما يفعلون مما يستحي القلم عن تسطيره فالزيارات التي هذا حالها لا تجوز لهذا العارض لا لأنها زيارات وعلى مثل هذه الزيارات يحمل قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**لان يجلس احدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر**) رواه مسلم.

وإن لم نفهم لزم أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم واصحابه ما كانوا عاملين بمثل ذلك الحديث الناهي عن الجلوس على القبور. وذلك أنّ سيّدنا مالكا رضي الله تعالى عنه روى في موطئه أنّ سيّدنا عليا رضي الله تعالى عنه وكرّم وجهه كان يتوسد القبور ويضطجع عليها ومعروف من هو سيّدنا عليّ علماً وديناً.

وروى البخاري عن سيّدنا خارجة بن زيد أنّه قال رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه وأنّ اشدنا وثبة الّذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتّى يجاوزه. وقال عثمان بن حكيم اخذ بيدي خارجة فاجلسني على قبر واخبرني عن عمه يزيد بن ثابت أنّه قال انما كره ذلك الجلوس على القبر لمن احدث عليه وقال نافع كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه يجلس على القبور. روى كل هذا البخاري ومنه يعلم القارئ أنّ الصّحابة رضي الله عنهم كانوا يفهمون أنّ النّهي عن الجلوس على القبور كان مقيدا بجلوس خاص بل ثبت في الصّحيح عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه جلس بنفسه على القبور. وقد روى سيّدنا انس رضي الله عنه أنّه قال شهدنا دفن عمّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم جالس على القبر. وروى الطبراني في (الكبير) و(الاوسط) جلوس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على قبر سعد بن معاذ يوم دفن. وروى الطحاوى[١] بسند صحيح عن سيّدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه أنّه قال انما نهى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن الجلوس على القبور لحدث غائط او بول.

وبعد فإنّا نقول لاولئك الذين يمنعون زيارة القبور نرجوكم أن تقرؤا هذا فقط لتروا بانفسكم انكم في واد ودين الاسلام في واد آخر ولعلكم إذا رأيتموه اقلعتم عما انتم عليه ولا نظن بكم الا ذلك بعد أن تروا أنّ رسولنا صلّى الله عليه وسلّم امام الجميع زار القبور. وكانت زيارتها عادته وزارها اصحابه في حياته وهو بنفسه علمهم كيف يزورونها وتبعهم على ذلك كل هذه الامة من عهدهم إلى اليوم

---

(١) أحمد الطحاوي الحنفي توفي سنة ٣٢١ هـ. [٩٣٣ م.] في مصر

وهذه كتب العلماء حنفيّة ومالكية وشافعية وحنبلية وغيرهم بها بيان تلك الزيارة وكذلك دواوين السنّة النبوية مفهمة ببيان جوازها والندب اليها وكيف تكون ومن رأى كل هذا ثم أنكره ولم يعجبه فلا حيلة لنا فيه وأمره إلى ربه والله تعالى اعلم.

هل في القبر عذاب ونعيم؟

انكر عذاب القبر ونعيمه اناس ينتسبون إلى الاسلام وقد برهنوا بانكارهم هذا على جهل فاحش بدينهم فإنّ الكتاب والسنّة ناطقان بما يكون في القبر من نعيم وعذاب نطقا لا يجرأ على انكاره مسلم واليك البيان.

قال ربنا عزّ وجلّ في كتابه (**اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذَابِ** * المؤمن: ٤٦) أفهمتنا هذه الآية أنّ فرعون وقومه يعرضون على النار غدوا وعشيا وهذا العرض لا يخلو اما أن يكون في الدّنيا او القبر او في الآخرة اما في الدنيا فلم يكن ذلك قطعاً واما في الآخرة فالآية تقول بصراحة تبين حالهم هناك (**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذَابِ** * غافر: ٤٦) فاذن هذا العرض ليس في الآخرة وإذا انتفى أن يكون في الدّنيا والآخرة تعين أن يكون في القبر هذا دليل الكتاب على ما نقول.

واما السنّة الصّحيحة فورد منها شيء كثير يدل على ذلك المعنى فقد روى الشّيخان البخاري ومسلم والنّسائي[١] أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم خرج بعد ما غربت الشمس فسمع صوتاً فقال (**يهودية تعذب في قبرها**).

وروى (النّسائي) ومسلم واللفظ له أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القدر**).

وروى (الشّيخان) والترمذي و(النّسائي) و(أبو داود) أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم مرّ على قبرين فقال (**انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**) اي في نظر الناس (**اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الآخر فكان لا يستتر من بوله**) ثم دعا بعسيب رطب

---

(١) أحمد النّسائي توفي سنة ٣٠٣ هـــ. [٩١٥ م.] في رملة

فشقه اثنين. فغرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال (**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**).

وروى (التّرمذي) عن هانئ مولى سيّدنا عثمان رضي الله تعالى عنهما أنّ سيّدنا عثمان رضي الله تعالى عنه كان إذا وقف على قبر بكى حتّى تبل لحيته قيل له اتذكر الجنّة والنّار ولا تبكي وتذكر القبر فتبكي فقال اني سمعت رسول الله صلّى ألله تعالى عليه وسلّم يقول (**القبر اول مترل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده ايسر منه وإن لم ينج منه فما بعده اشد منه**) قال وسعمته صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول (**ما رأيت منظرا قط الاّ والقبر افظع منه**) قال هانئ وسمعته ينشد على قبر:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة * والاّ فانّي لا اخالك ناجيا

وروى (البخاري) و(مسلم) و(أبو داود) و(النسائي) أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (ان العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه أنّه ليسمع خفق قرع نعالهم إذا انصرفوا عنه اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمدا؟ فاما المؤمن فيقول اشهد أنّه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النّار ابدلك الله به مقعدا في الجنّة فيراهما جميعا. واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب مطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الاّ الثقلين) وهذا الحديث يثبت شيئاً آخر غير مقصود الترجمة وهو سؤال القبر.

وورد في أحاديث اخرى السؤال عن ربنا عزّ وجلّ وديننا زيادة عن السؤال عن نبيّنا ولهذا السؤال هو فتنة القبر الّذي فيه يقول الله تعالى (**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَآءُ** * ابراهيم: ٢٧) وفي هذا القدر كفاية وفوق الكفاية للمسلم الّذي يريد الوصول إلى الحق من طريقه والله الموفق.

هل تجوز زيارة نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلم؟

لعل القارئ الكريم يفزع لرؤيته هذه الترجمة ويقول ما ذا جرى حتّى تفرد زيارته صلّى الله تعالى عليه وسلّم بترجمة خاصة وانت فيما سبق برهنت بالادلة القاطعة على أنّ زيارة اي منتقل من هذه الدار جائزة بل مندوب اليها ومرغوب فيها هل هناك قيد يخرجه صلّى الله تعالى عليه وسلّم من ذلك الاطلاق ويجعل زيارته وحده غير مندوب اليها ولا مرغوب فيها؟

فاقول لك رويدا يا اخي اعذرني في افراد هذا البحث بترجمة خاصة فإنّ اولئك الناس الذين عنهم حكينا فيما سبق منع زيارة القبور منعوا زيارته صلّى الله تعالى عليه وسلّم واختصوها في المنع بتشديد شديد جدا. جعلهم يستبيحون مقاتلة زائريه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وصنفوا في هذه المسألة بعينها مصنفات واصدروا فتاوى تفهم اهل الاسلام إنّ شد الرحال إلى زيارته صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا يجوز. اما لو شد المؤمن رحله إلى زيارة مسجده صلّى الله تعالى عليه وسلم للصلاة فيه فذلك جائز ودليلهم الوحيد الّذي هذبوه في كل مصنفاهم وفتاويهم قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**لا تشد الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى**) رواه الشّيخان (البخاري ومسلم) وغيرهما. واني اعجب ثم اعجب أن يفهم ذو عقل منع زيارته صلّى الله تعالى عليه وسلّم من هذا الحديث مع فهم جواز شد الرحال إلى المدينة المنورة بانواره صلّى الله تعالى عليه وسلّم لأجل الصّلاة في مسجده صلّى الله تعالى عليه وسلّم وانما عجبت ثم عجبت من ذلك الفهم لأن المدينة المنوّرة بانواره صلّى الله تعالى عليه وسلّم ما كان لها اي قيمة بين البلاد قبل هجرته صلّى الله تعالى عليه وسلّم اليها. وهذا المسجد الكريم مسجده صلّى الله تعالى عليه وسلّم لولا اضافته اليه عليه الصّلاة والسّلام لكان ككل المساجد لا فضل له على اي مسجد من مساجد الدّنيا. فالمسجد انما عظم هذه العظمة وصارت الصّلاة فيه بالف صلاة في سواه هذه المساجد لانه المسجد الّذي اختاره صلّى الله

تعالى عليه وسلّم وبناه والّذي يشرفه بالصّلاة فيه والّذي كانت تهمى فيه الرحمات والبركات لخطوته بحلول شخصه الكريم فيه صلّى الله تعالى عليه وسلم.

وإذا كان الامر هكذا فهل من المعقول أن يقال إنّ هذا المسجد له بركات تعود على المسافر اليه فلهذا يجوز شد الرحال اليه. واما الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم الّذي ما عظم المسجد الا بنسبة اليه فلا بركة فيه تعود إلى زائريه واذن لا يجوز أن تشد الرحال إلى زيارته إنّ هذا انما يقوله المجانين الذين لا يعون ما يقولون او يقوله عدو الاسلام ورسول الاسلام واما المؤمنون الّذي له حظ من العقل فلا يمكن أن يخطر بباله هذا المعنى السخيف. والحديث الّذي يستند اليه اولئك الذين يريدون أن يحولوا بينه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبين امته في ناحيته وما يذهبون اليه في ناحية اخرى فإنّه يتكلم عن المساجد خاصة يقول للناس انتم عقلاء يجب أن تصان اعمالكم عن العبث الّذي لا فائدة فيه فاوصيكم أن لا تسافروا وتتحملوا متاعب السفر ومشاقه من اجل أن تصلوا بمسجد من مساجد الدّنيا فاهمين أنّ له فضلاً على غيره لا تفعلوا ذلك فانكم تتعبون في سفركم بلا فائدة تعود عليكم لأن المساجد كلها في مستوى واحد لا فضل لبعضها على بعض لكن لا تفهموا أنّ ذلك على عمومه بل في الدّنيا مساجد ثلاثة لها ميزة على غيرها من المساجد، المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة المنوّرة والمسجد الاقصى بالقدس هذه المساجد وحدها لو شددتم الرحال اليها، لا يضيع تعبكم بل يعود عليكم من الثواب بمضاعفة ثواب الصّلاة فيها ما يوازي تعبكم وزيادة.

وانما امتازت هذه المساجد الثلاثة لأن المسجد الحرام امر ببنائه فبناه سيّدنا ابراهيم خليل الرّحمن عليه السّلام وكان يساعده في بنائه سيّدنا اسمعيل عليه السّلام ثم هو بجوار بيت الله الحرام قبلة العالمين. فلذلك البناء وهذا الجوار العالي نال من الشرف ما جعل الصّلاة فيه مائة الف صلاة فيما سواه من المساجد.

واما مسجده صلّى الله تعالى عليه وسلّم فعظمته لما قدمنا ثم هو بجوار بيته

صلّى الله تعالى عليه وسلّم ولا يشك مؤمن في أنّ بيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم مهما علا شرفه وعظم قدره لا يصل ابدا إلى شرف بيت رب العالمين. لهذا كانت الصّلاة في مسجده صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالف صلاة فيما سواه ليشير التفاوت في عظم الثواب إلى التفاوت في شرف الجوار. ولأن المسجد الاقصى بناه سيّدنا يعقوب عليه السّلام بعد أن بنى المسجد الحرام جده سيّدنا ابراهيم عليه السّلام باربعين سنة كما جاء في حديث ورد أنّ الّذي ابتدأ بناءه سيّدنا دواد عليه السّلام واتمه سيّدنا سليمان عليه السّلام وهو غير معقول بالنسبة للمسافة التي بينهما. والحديث بها متفق عليه ويمكن أن يكون الّذي كان منهما عليه السّلام تجديدا. ثم كان هذا المسجد مصلى انبياء بني إسرائيل عليهم السّلام وكان بجوار بيوتهم وبجوار روضاتهم التي هم بها بعد انتقالهم إلى الرفيق الاعلى عليهم السّلام ولا يخفى أنّ جوار الانبياء وإن كان رفيع القدر عظيماً لا يصل إلى درجة كرم جواره صلى الله تعالى عليه وسلم. لهذا كانت الصّلاة في المسجد الاقصى بخمسمائة صلاة فيما سواه من المساجد كما ورد. هذا التجديد في الكل بحديث رواه البيهقي في (شعب الإيمان).

هذا ما يستطيع الانسان أن يفهمه من السر في التفاوت بين هذه المساجد الثلاثة وبين غيرها وفي تفاوت الثواب بينها هي.

ولنعد إلى الكلام مع المانعين زيارته صلّى الله تعالى عليه وسلّم فنقول لو فهمنا أنّ النّهي عن شد الرحال في الحديث المذكور عام في كل سفر الاّ السفر إلى هذه المساجد للزم أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو الّذي نطق بهذا الحديث وعليه انزل ما كان فاهما له او كان يفهمه ولكنه ما عمل بمقتضاه وبقى غير معمول به او غير مفهوم حتّى جاء هؤلاء وفهموه وعملوا به. ذلك أنّه صلّى الله عليه وسلّم كان يسافر للجهاد ويأمر بالسفر له وبالسفر لتعليم العلم وتبليغ الشريعة وبالسفر للقضاء بين الناس واقامة العدل بينهم وهي اسفار لم تكن إلى هذه المساجد بل إلى غيرها. وكان اصحابه رضي الله عنهم يسافرون للتجارة والى ما يهمهم من شؤون الدّنيا في

اي ناحية من نواحي الارض وهو صلّى الله تعالى عليه وسلّم يعلم ذلك ويقرّه ولا ينكر عليه بل شدّ الرحال اليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم الّذي هو موضوع النزاع كان في حياته صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنّ الوفود كانت تفد اليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم من انحاء الارض مسافرين له لم يبعثهم على ذلك الاّ حب لقائه صلّى الله تعالى عليه وسلّم يرى هذا ويقره بل ويحرص عليه بما كان يثبت به تلك الوفود من الجوائز التي كان يمنحهم بها وهو الآن في روضته الشّريفة مثله وهو حي تماما كما برهنا على ذلك سابقاً فزيارته الآن لا تختلف ابدا عن زيارته قبل أن ينتقل إلى الرفيق الاعلى ونبه هو صلّى الله تعالى عليه وسلّم على ذلك في قوله (**من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي**) رواه الدارقطني في سننه والبيهقي وابن عساكر والطبراني في (معجميه الكبير) و(الاوسط).

وليس ما تقدم هو الّذي يلزم على فهمنا ذلك الحديث كما يفهمه اولئك الناس بل يلزم كذلك أن نحبس انفسنا في الدوائر التي نحن مقيمون بهاحبسا لا مخرج منه ابدا لانا إن خرجنا منها فقد سافرنا إلى غير المساجد الثلاثة ويلزم كذلك أن لا يجوز لنا السير في الارض للاعتبار والعظة وقد امرنا ربنا عزّ وجلّ بهذا السير في كتابه وحرضنا عليه في غير آية من كتابه فهل يتناقض ربنا العليم الخبير فيأمر بالسير في الارض بكتابه وينهانا عنه في سنة رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلم.

ويلزم ايضاً أن لا نسافر لصلة ارحامنا إذا كانوا بجهات بعيدة وقد امرنا ربّنا بهذه الصلة وشدد علينا فيها. ووعد من يقوم بها أن يصله وتوعد من اخلّ بها أن يقطعه.

ويلزم كذلك أن يكون علماء الاسلام من اول هذه الامة إلى اليوم في خطإ عظيم حيث أنّهم يعقدون في كتبهم الدّينية الابواب والفصول يذكرون فيها زيارته صلّى الله تعالى عليه وسلّم ما يتعلق بها من ترغيب فيها ومن آداب ينبغي أن تراعى في القيام بها. وهل يسمح عاقل أن يلتزم كل تلك اللوازم الشنيعة من اجل كلمة

فلتت من رجل عاش في سخط الامة ومات في سخطها مبعدا بالسجن عن الناس لئلا يطير شرره عليهم ووصل سخط علماء عصره عليه إلى درجة أن ضللوه وفسقوه وبدّعوه وحكم بعضهم عليه بالكفر والخروج من الملة الاسلامية. بل كفّر بعضهم من يطلق عليه لقب شيخ الاسلام والف هذا في ذلك ما ابان به وجهة نظره فهل رجل ذلك حاله يصح أن يلتفت اليه فضلاً عن أن يحترم إلى درجة أن يقلد فيما يذهب اليه.

ولو رأى القارئ ما اثبته عليه علماء عصره من الكذب والتدليس في النقول حتّى الأحاديث ليؤيد ما يريد أن يذهب اليه. ولو رأى أنّ بعضهم اثبت عليه عقائد تتعلق بخالق السّموات والارض في غاية الشفاعة لفرّ هاربا واضعا يده على رأسه مستعيذا بالله تعالى من غضبه وانتقامه هذا هو الرجل الّذي افتتن به الناس اليوم لحد أنّهم عادوا اهل الاسلام من اجله ونبذوا مذاهب ائمة الاسلام وهداة الخلق لمذهبه.

واني بما احمل من لقب عالم اسلامي آمر واشدّد في الامر كل مؤمن أن يشد رحله إلى زيارته صلّى الله تعالى عليه وسلّم وله على ذلك ما قاله هو عليه الصّلاة والسّلام فقد قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم **(من زار قبري وجبت له شفاعتي)** رواه الدارقطني والبيهقي وغيرهما.

وقال **(من جاءني زائرا لا يعلمه حاجة الاّ زيارتي كان حقاً عليّ أن اكون له شفيعاً يوم القيّمة)** رواه الطبراني في (معجمه الكبير). والدارقطني[١] في (اماليه) وابن المقري[٢] في (معجمه) وغيرهم.

وقال **(من زارني متعمّداً كان في جواري يوم القيامة)** رواه العقيلي[٣] وغيره. وهو شيء لا يسمعه مؤمن ويهدأ له بال حتّى يتشرف بالمثول بين يديه صلّى الله

---

(١) علي الدارقطني توفي سنة ٣٨٥ هـ. [٩٩٥ م.]

(٢) ابن المقري أحمد المالكي توفي سنة ١٠٤١ هـ. [١٦٣١ م.] في مصر

(٣) محمّد العُقيلي محدث الحرمين توفي سنة ٣٢٢ هـ. [٩٣٤م.]

تعالى عليه وسلّم وهل بي جنون حتّى اصدر امري للمؤمنين أن لا يزوروا رسولهم وولي نعمتهم الّذي له في عنق كل مؤمن منة محال أن يقوم بشكرها؟ ومن يستطيع أن يكافئ من اخرجه من نار ابدية إلى نعيم ابدي. إنّ من يأمر الناس أن لا يزوروا سيّد الوجود وصفوة الخلق لا يدري ما ذا يفعل أنّه يحول بين عباد الله وبين رحمة الله فإنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم رحمة الله للعالمين فليعرف ذلك، اولئك المانعون ليعلموا في اي موقف هم؟

واني احب أن يعلم القارئ المؤمن أنّ الاجماع على طلب زيارته صلى الله تعالى عليه وسلّم طلبا اكيدا لم يخالف في ذلك لا عالم ولا جاهل ولا اسود ولا ابيض ولا رجل ولا أمرأة. بل صرح بعض هداة الامة أنّ هذه الزيارة واجبة فرارا من الجفاء الّذي رمى به صلّى الله تعالى عليه وسلّم من لم يزره فإنّه قال عليه الصّلاة والسّلام فيما رواه ابن النجار **(من لم يزرني فقد جفاني)** قال **(ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر)** وهذا شيء يخيف اهل الإيمان.

نعم لم ير الناس و لم يسمعوا من عهده صلى الله تعالى عليه وسلّم لهذا العهد الّذي نحن فيه الآن احداً يخالف في طلب هذه الزيارة الكريمة، الاّ هذا الرجل الّذي نشير اليه ومن اغتر به من عصره لليوم وهم افراد يعدون على الاصابع بين امة باسرها تعد بمئات الملايين عندهم هذه الزيارة بعد الحج الّذي هو احد اركان الاسلام. وليفهم القارئ معنى هذا اللفظ الضخم بعد الحج ولو كان لهؤلاء المانعين عقل وروية لسكتوا عن الجهر بهذه الشنيعة وهم يرون عباد الله تعالى بالآلاف والملايين تبعثهم الاشواق المقلقلة اليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم فيتركون اوطانهم واحبابهم واموالهم يتابعون المسير ليلا ونهارا يبتهلون إلى ربهم أن يطيل آجالهم حتّى يصلوا اليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإذا وصلوا فلا تسأل عن مبلغ ما يقوم بهم من مسرات ثم مسرات فإنّ ذلك شيء انما يعلمه العليم الخبير. ومن قرأ عبارات العشاق لذلك المقام الكريم عرف أنّ المؤمنين في عالم وهؤلاء المانعين في عالم آخر. ولو دنا

القارئ ممن تشرف بذلك المقام في طريق ايابه إلى بلاده حيث يلقى الاحباب والابناء والاوطان والاموال يسمع آنات تتلوها وزفرات تتصاعد اثر زفرات حنينا إلى الرّجوع ثم الرّجوع إلى ذلك المقام الرفيع مقام اجل عبد رآه هذا الوجود مقام الشفيع المشفع احب خلق الله إلى الله واوجه اهل الوجاهة عنده تعالى صلّى الله تعالى عليه وسلّم ورزقنا زيارته مرات ثم مرات في عفو وعافية اللّهمَّ آمين.

تعالى ربنا أن يكون جسماً

قال الله تعالى وهو اصدق القائلين (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** * الشورى: ١١) ذلك قوله تعالى عن نفسه في كتابه الكريم وهو في نفي عام ينطق في صراحة ليس بعدها صراحة أنّه تعالى لا يشبهه شيء ولا يشبه هو تعالى شيئاً من هذا العالم علوية وسفلية. هكذا وصف ربنا نفسه وهو وحده الّذي يعلم حقيقة نفسه فهو وحده الّذي يعلم كيف يصفها وليس لاحد كائنا من كان أن يستقل بوصفه علت كلمته ولو كان نبيا مرسلا او ملكاً مقرّباً. فإنّ بيننا معشر الخلق وبينه عزّ وجلّ التباين التام هو قديم ونحن حادثون وهو خالق ونحن مخلوقون فلو كان مثلنا لكان مخلوقا مثلنا او كنا خالقين مثله وهذا باطل اذن لا صلة بيننا وببنه تعالى يمكن معها لاي مخلوق أن يحيط علماً به عزّ وجلّ حتّى يصفه باي وصف. اذن هو عزّ وجلّ متره عن المادة وكل خصائص المادة. ومن هنا اخذ القول المعروف (**كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك**) اذن العقول معقولة عقلا تاما عن أن تحوم حول هذا الحمى المقدس باكثر مما وصف تعالى به نفسه الّذي منه قوله تعالى (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** * الشورى: ١١) هذا اصل قاطع لا نزاع فيه يرجع اليه كل نص جاء في شريعتنا يوهم ظاهره خلاف ذلك

اذن للاستواء في قوله تعالى (**اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** * طه: ٥) معنى ما يناسب ربنا عزّ وجلّ خلاف ما يوهمه ظاهرا للفظ وهو مما لا خلاف فيه بين ائمة الهدى من اول هذه الامة إلى اليوم.

وهاك امثلة تفهم منها كيف يقول في هذا اولئك الهداة رضي الله تعالى عنهم

عن امنا الجليلة السيّدة ام سلمة رضي الله تعالى عنها انها قالت في هذا الاستواء (الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والاقرار به إيمان، والجحود به كفر) رواه ابن مردويه واللالكائي.

وقال فيه سيّدنا ربيعة بن عبد الرّحمن رضي الله تعالى عنه: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا الصدق) رواه اللالكائي.

وقال فيه تلميذه الامام مالك بن انس رضي الله تعالى عنه استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف. وكيف عنه مرفوع وقال للسائل عن ذلك وانت رجل سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل رواه البيهقي.

وإذا كان سيّدنا مالك رضي الله تعالى عنه يرى السائل عن هذا مبتدعا ولا يتردد في الحكم على مجرد سؤاله هذا بأنّه بدعة من اجلها يهان الرجل ويطرد من مجلس العلم الّذي لا يطرد منه مسترشد.

فما ذا يظن القارئ به رضي الله تعالى عنه إذا رأى قوما لا يسألون فقط عن كيفية هذا الاستواء؟ بل يتهجمون بكل جرأة على شرحها وبيان معناها ليس ذلك لانفسهم خاصة فكان يرمون الامر بل يتجاوزونها إلى غيرهم. ولا يقتصرون في بيان ذلك الكيف على ألسنتهم تشرح ذلك لكل من يظفرون به من الامة بل تعدوا ذلك إلى بيانه باقلامهم ليبقى بعدهم ما بقيت الدّنيا فكتبوا كتبا ملئوا الارض بها كلاماً وعينوا فيها هذا الكيف كل التعيين فقالوا إنّ ربنا عزّ وجلّ له العلو من جميع الوجوه فعينوا له تعالى جهة والّذي له جهة له مكان قطعاً وعينوا هذه الجهة وذلك المكان فقالوا إنّه على العرش بذاته ولئلا يخطر على البال معنى يؤول هذا تاويلا يليق به عزّ وجلّ قالوا إنّ العرش يئط ويصوت حقيقة به تعالى كما يئط ويصوت الرحل تحت الراكب المستعجل و لم يكفهم كل هذا في بيان غرضهم بل جنوا وقالوا إنّ ربنا تعالى يدني نبيّنا محمداً صلّى الله تعالى عليه وسلّم يوم القيام ويقعده بجانبه على العرش إلى

هذا الحد وصل هؤلاء الناس في شرح كيفية هذا الأستواء الّذي اتفق ائمة الهدى أنّه غير معقول وكيف يعقل هذا الاستواء مع قوله تعالى (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**).

ولو انا نزلنا انفسنا من هؤلاء الناس منزلة سيّدنا مالك من سائله ما وجدنا كلمة تؤدي ما في نفوسنا من ناحيتهم ولولا انّا بصدد ردّ مقالتهم هذه ما استجزنا لانفسنا أن نحكيها وصفاً لربنا وولي نعمتنا في الدّنيا والآخرة ولكنه مقام البيان يخرج إلى مثل هذه المضائق.

ولقد الف احد ائمة هؤلاء الناس قصيدة طويلة عريضة تعد بالآلاف احد عناوينها (فصل في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنّه ليس على العرش إله يعبد ولا فوق السّموات إله يركع له ويسجد) هذا العنوان فقط من التفت اليه فهم منه إنّ الرجل في غضب شديد على معتقدي تنزيه الله تعالى عن حلوله على العرش بذاته. ولا يرى ازاء هذا الاّ أن يرد عليهم ويفهمهم أنّ الخالق المعبود فوق العرش بذاته ويأبى أن يذكرهم الاّ بوصفين وصف الجهمية ووصف المعطلة.

اما الجهمية فنسبة إلى جهم بن صفوات[١] الّذي قال عنه هذا الرجل في نونيته هذه ما لا يقال ولا يعاد وهو تلميذ الجعد بن درهم الّذي ضحى به احد الولاة في آخر دولة بني امية خطب هذا الوالي يوم العيد الاكبر وبعد أن انتهى من خطبته قال ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم والى مضحّ بالجعد بن درهم ثم نزل فذبحه متقربا إلى الله تعالى بتطهير الارض منه.

واما المعطلة فيعني بهم من لا يوافقونه في عقيدة إنّ ربنا جسم قاعد على العرش بذاته فعطلوه باعتقادهم هذا من هذا الوصف مع أنّه موصوف به كما يزعمون. هذا حكم هذا الرجل على مخالفيه في طالعة عنوان واحد من عناوينه الكثيرة. ومعنى هذا أنّ الامة باسرها جهمية ومعطلة في هذه العقيدة، مع انها عقيدة المسلمين في كل عصر.

---

(١) جهم بن صفوان السمرقندي قتل سنة ١٢٨ هـ. [٧٤٥ م.] في خراسان

بل غلا هؤلاء الناس ثم غلوا في حكمهم على من خالفهم حتّى حكموا عليهم بالشّرك بل جعلوهم شرا من المشركين ولسنا نقول هذا دعاوي مجردة، بل نقولها معها ادلتها التي لا تقبل طعنا وكلها من نونية هذا الرجل واسمع ما يقول.

والفوق وصف ثابت بالذات من * كل الوجوه لفاطر الاكوان

لكن نفاه الفوق ما دافوا به * جحدوا كمال الفوق للديان

بل فسروه بأن قدر الله أعــ * ــلى لا بفوق الذات للرّحمن

واسمع:

ان العلو له بمطلقه على التــ * ــعميم والاطلاق بالبرهان

له العلو من الوجوه جميعها * ذاتاً وقهرا مع علو الشان

واسمع:

الله فوق العرش فوق سمائه * سبحان ذي الملكوت والسلطان

ولعرشه منه اطيط مثل ما * قد اط رحل الراكب العجلان

واسمع:

بل عطلوا منه السّموات العلى * والعرش اخلوه من الرّحمن

واسمع ما يقوله: لسان المتره يلوم المجسم على اعتقاده ذلك:

وزعمت أنّ محمداً يوم اللقا * يدنيه رب العرش بالرضوان

حتّى يرى المختار حقا قاعدا * معه على العرش الرفيع الشان

وزعمت أنّ لعرشه اطأ به * كالرحل اط براكب عجلان

واسمع ما استحسنه في كتاب آخر له وانشده وهو:

فلا تنكروا أنّه قاعد * ولا تنكروا أنّه يقعده

اى اعترفوا ايها الناس واعتقدوا اعتقادا لا يشربه انكار أنّ ربّنا قاعد على العرش وأنّه يقعد نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بجانبه يوم القيامة واسمع:

واعلم بأن الشّرك والتعطيل مذ * كانا هما لا شكّ مصطحبان

ابدا فكل معطل هو مشرك * حتما وهذا واضح التبيان

واسمع ما هواشد:

لكن اخو التعطيل شرّ من اخي الـــ * إشراك بالمعقول والبرهان

واسمع ما يتضمن أنّ ابا حنيفة رضي الله تعالى عنه يوافقه على الحكم بالكفر على كل من يتره ربه عن أن يكون جسما قاعدا على العرش قال:

وكذلك النعمان قال وبعده * يعقوب والالفاظ للنعمان

من لم يقر بعرشه سبحانه * فوق السماء وفوق كل مكان

ويقر أنّ الله فوق العرش لا * يخفى عليه هواجس الاذهان

فهو الّذي لا شكّ في تكفيره * لله درك من امام زمان

هذا الّذي في الفقه الاكبر عندهم * وله شروح عدة لبيان

ولقد عجبت وطال عجبي لما رأيت هذا مسندا إلى هذا الامام الاعظم في كتابه الفقه الاكبر وراجعت هذا الكتاب من اوله إلى آخره فلم ار فيه اشارة إلى هذا القول والّذي وجدته فيه يناقض هذا النقل كل المناقضة وهذا ما يقوله رضي الله تعالى عنه في ذلك الكتاب عن ربّنا عزّ وجلّ لا حدّ له ولا ضدّ له ولا ندّ له ولا مثل له، له يد ووجه ونفس فما ذكر في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلاكيف ولا يقال إنّ يده قدرته او نعمته لأن فيه ابطال الصفة وهو قول القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفات بلا كيف.

هذا كلام الامام في هذا المقام وهو ناطق بأنّه رضي الله تعالى عنه كبقية السلف في الإيمان بالمتشابه دون تعيين كيف بل اول كلمة من هذا الكلام ترد على هذا الرجل اكبر ردّ فإنّه رضي الله عنه يقول لا حدّ له وهذا الرجل يحدده تعالى ثم يحدده واين هذا من هذا؟ فهذا الرجل رغم دعواه الامامة والاجتهاد المطلق يروج بدعته هذه بالكذب على الامام أبي حنيفة رضي الله عنه. وهذا الفقه الاكبر بين ايدينا فليراجعه من شاء وغير غريب أن يكذب هذا الرجل فإنّه مبتدع داعية إلى

بدعته غال فيها كل الغلوّ وكل مبتدع هذا شأنه لا يتوقى الكذب لينصر بدعته كما قرره العلماء رضي الله عنهم.

تركت متن الفقه الاكبر الّذي احالنا عليه واخذت أقلّب في صحائف شرحه للملا عليّ القاري لعلّي اعثر على هذه المقالة، وبعد تعب كثير عثرت عليها ومعها الحكم عليها بالكذب ولم اعثر عليها الاّ بعد أن انتهى المتن وما يتعلق به وجدها في اوائل المسائل التي الحقها الشارح بشرح الكتاب وهذا ما عثرت عليه.

قال رحمه الله وما روي عن أبي مطيع البلخي[١] رحمه الله أنّه سأل ابا حنيفة رحمة الله عليه عمن قال لا اعرف ربي في السماء هو ام في الارض فقال قد كفر لأن الله تعالى يقول (**الرّحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** * طه: ٥) وعرشه فوق سبع سمواته قلت فإن قال إنّه على العرش ولا ادري العرش في السماء ام في الارض؟ قال هو كافر لانه أنكر كونه في السماء فمن أنكر كونه في السماء فقد كفر، لأن الله تعالى في اعلى عليين وهو يدعى من اعلى لا من اسفل انتهى.

والجواب أنّه ذكر الشّيخ الامام ابن عبد السّلام[٢] في كتابه حل الرمؤر أنّه قال الامام ابوحنيفة رحمة الله عليه من قال لا اعرف الله تعالى في السماء هو أم في الارض كفر لأن هذا القول يوهم إنّ للحق مكاناً ومن توهم إنّ للحق مكاناً فهو مشبّه انتهى. ولا شكّ أنّ ابن عبد السّلام من اجلّ العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح شارح عقيدة الطحاوي مع أنّ ابا مطيع رجل وضاع عند اهل الحديث كما صرح به غير واحد. هذا كلام العلامة ملا عليّ القاري ومنه يعلم امور:

الامر الاول: إنّ تلك المقالة ليست في الفقه الاكبر وانما نقلها عن أبي حنيفة رحمة الله عليه ناقل فيكون اسنادها إلى الفقه الاكبر كذبا يراد به ترويج البدعة.

---

(١) حكم ابومطيع البلخي الحنفي توفي سنة ١٩٩ هـ. [٨١٤ م.] في بلخ

(٢) عبد السّلام بن محمّد بن غانم المقدسي توفي سنة ٩٧٨ هـ. [١١٠٧ م.]

الامر الثاني: إنّ هذا الناقل مطعون فيه بأنّه وضاع كذاب لا يحل الاعتماد عليه في نقل يبنى عليه حكم فرعي فضلاً عن اصلي فالاعتماد عليه وحاله ما ذكر خيانة يريد الرجل بها أن يروّج بدعته.

الامر الثالث: إنّ هذا النقل صرح امام ثقة هو ابن عبد السّلام بما يكذبه عن أبي حنيفة رحمة الله عليه بالنقل الّذي نقله عن هذا الامام الاعظم رضي الله تعالى عنه فاعتماد الكذاب واغفال الثقة خيانة يراد بها تأييد بدعته وهي جرائم تكفي واحدة منها فقط لأن تسقط الرجل من عداد العدول العاديين لا اقول عن عداد العلماء او اكابر العلماء او الأئمة المجتهدين ويعظم الامر إذا علمنا أنّ الخيانات الثلاث في نقل واحد وهو مما يزعم الناظر في كلام هذا الرجل على أن لا يثق بنقل واحد ينقله. فإنّه لا فرق بين نقل ونقل فإذا ثبتت خيانته في هذا جاز أن تثبت في غيره وغيره.

اما الامام يعقوب الّذي هو أبو يوسف رحمة الله عليه صاحب الامام الاعظم رحمة الله عليه فلم اعثر له على كلام كهذا بعد البحث الطويل فلعلّه كذب آخر غير ما تقدم، بل لا شكّ في أنّه كذب يروج به هذا الرجل بدعته ويجعل ابا يوسف كالامام من اسلافه في اعتقاد هذا البلاء العظيم.

قد يقول قائل لعل الرجل لا يعلم حال أبي مطيع ولا يكون اطلع على التّكذيب؟ فاقول أمجتهد مطلق دونه كل مجتهد كما يدّعي هو وشيخه وكل مفتتن بهما ولا يعرف الكذابين الوضّاعين أن ذلك ليس بمعقول كما أنّه ليس من المعقول أن يطالع الرجل شروح الفقه الاكبر دون أن يعرف مذهب الامام في المتشابه وذلك في فاتحة الكتاب فإذا لم يكن رأى تكذيبا لهذا النقل الاّ ذلك لكفى. زد على ذلك أنّ العز بن عبد السّلام[١] قبل هذا الرجل بزمن وكتبه يتهافت عليها الصغير والكبير لعلمه وفضله فلعدم اطلاع هذا الرجل على كلام العز لا يرضاه هو لنفسه ولا يرضاه له محبوه لانه يكون غفلة عما بين اليدين وهل يرضى لنفسه امام دونه كل

(١) عزالدّين عبد العزيز عبد السّلام الشّافعي توفي سنة ٦٦٠ هـــ. [١٢٦١ م.]

امام في نظر نفسه ونظر المغرورين به. وانا نناقش هولاء المساكين مناقشة هادئة ننظر هل يرضى العقل بهذه العقيدة؟ عقيدة إنّ ربنا عزّ وجلّ جالس على العرش بذاته قديم عندكم ام حادث؟

فان قلتم حادث انقطع الكلام بيننا وبينكم من اول خطوة. فإنّ الذي يعتقد حدوث الخالق لا يخاطب والكلام معه ضائع.

وإن قلتم أنّه قديم كما هو اعتقاد المسلمين وعليه الشرائع الألهية والعقلاء من اول الدّنيا انتقلنا إلى سؤال آخر وهو أقديم هذا العرش الّذي فوقه ربّنا القديم ام حادث.

فإن قلتم إنّه قديم انتهى الكلام بيننا في هذه الخطوة الثانية فإنّه لا خلاف بين الاديان كلها في أنّ كل ما عدا ربّنا حادث بما في ذلك العرش.

وإن قلتم إنّه حادث قلنا لكم أكان ربّنا القديم على هذا العرش الحادث قبل أن يوجد ام لا.

فإن قلتم كان انتهى الكلام معكم في هذه الخطوة الثالثة فإنّ الّذي لم يوجد محال أن يتصور العقل أن يكون محل كون وقرار عليه فإنّ ذلك يقتضي أنّه موجود والفرض أنّه معدوم.

وإن قلتم لا انتقلنا إلى سؤال آخر وهو كيف استوى ربّنا بذاته على العرش بعد أن وجد هذا العرش؟ هل تغير ربّنا عما كان عليه قبل وجود العرش وبهذا التغيير صار على العرش ام لم يتنير ومع ذلك صار على العرش؟

فإن قلتم تغير حتّى صار على العرش قلنا لكم معنى هذا أنّه تحرك وانتقل عما كان عليه حتّى صار على العرش ومعروف أنّ الحركات والسكنات من اخص خواص الاجسام، فعلى هذا يكون ربّنا جسما واذن يكون حادثا فإنّ كل جسم حادث بلا نزاع واذن يكون ليس بإله والمتفق عليه أنّه إله.

وإن قلتم لم يتغير ومع ذلك صار على العرش. قلنا هذا ليس بمعقول فإنّه قبل أن يخلق العرش ما كان على العرش قطعاً فإذا كان على ما كان عليه بعد وجود

العرش لم يتغير كان معنى هذا أنّه ليس على العرش قطعا كما كان قبل وجود العرش وتناقض إن تقولوا إنّه على ما كان عليه ومع ذلك صار على العرش والى هنا سدت جميع المنافذ في وجوهكم وظهر لكم انكم تقولون في ربّنا ما لا يقبله نقل ولا عقل.

فإن إلتزمتم ذلك وتماديتم على مقالتكم هذه بالغنا في بيان فساد ما انتم عليه وقلنا لكم إذا كان ربّنا فوق العرش بذاته كما تزعمون فقولوا لنا أبينهما اتصال وتماس كما يتماس الجالس منا بمجلسه ام لا؟ فإن قلتم لا كان عجيبا فإنّ عبارتكم صريحة في الاتصال والتمكن والمماسة فانكم تقولون فوقه بذاته وتقولون قاعد او جالس او يجلس بجانبه غيره فإذا لم يكن مع هذا تماس ولا اتصال ولا تمكن فلا فوقية حينئذٍ ولا ذات ولا قعود ولا جلوس ولا اجلاس وبهذا تسجلون على انفسكم انكم تقولون ما لا تعقلون.

وإن قلتم نعم اثبتم على انفسكم اثباتاً قاطعا انكم تقولون إنّه تعالى جسم فإنّه لا يتصل بالمكان ويتمكن من الجلوس عليه الاجسام. ومن يقول إنّ ربنا جسم نقول له ولا نكني انت تؤمن برب غير رب العالمين فإنّ رب العالمين يصف نفسه بقوله في كتابه (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** * الشورى: ١١) وإذا كان لا مثل له كان غير جسم قطعاً والّذي يؤمن برب جسم يقول إنّ ربه الّذي يؤمن به مثل جميع الاجسام العلوية والسفلية واين هذا ممن ليس كمثله شئ.

علم هذا الفريق علماً ليس بالظن أنّ إلهه جسم كالاجسام. فالتزم أن يثبت له مكاناً يحل فيه كسائر الاجسام فإن محالا أن يكون جسم في غير محل يحل فيه.

واما نحن فنتره ربّنا عن كل هذا ولا نتردد في الحكم بأن من يؤمن به يؤمن بغير رب العالمين والّذي نقوله إنّ ربنا كان قبل المكان عرش وغيره وخلق العرش وغيره من هذا العالم وهو بعد الخلق على ما كان عليه متزها عن الجسمية وعن لوازم الجسمية. فلا مكان له لانه كان قبل المكان ولا يحتاج إلى المكان والاّ فكيف كان مستغنيا عنه قبل خلقه.

يا ربنا لك الحمد على حلمك هذا الّذي لا يتناهى على عبيدك الذين يقولون فيك ما لا يناسب قدرك نعم لا احد اصبر منك يا مولاي على اذى تسمعه كما يصفك رسولك صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنّ بعض عبيدك يقول انك لست بموجود وانت الّذي لولاك ما كان موجود فإنّه ليس بمعقول أن توجد الاشياء انفسها او توجد هي وحدها بلا موجد فإنّ ايجادها انفسها يقتضي انها موجودة معدومة متقدمة متأخرة فاعلة منفعلة في آن واحد وهو محال ووجودها وحدها بلا موجد فيه حدوث بلا محدث وفعل بلا فاعل وهو محال كذلك.

ويقول بعض عبيدك إنّ لك شركاء لا يحصرون كلهم يستحقون العبادة معك ولو كان الامر كما يقولون لأمكن أن يختلفوا فلا يكون من هذا الوجود شيء وهو مشاهد الوجود.

ويقول بعض عبيدك إنّ لك اولادا. وبديع السّموات والارض الّذي بهذه القدرة الباهرة ايّ حاجة له بالولد الّذي انما يقصد ليكون قوة وعونا للوالد.

ويقول بعض عبيدك إنّ لك زوجة والزوجة تتخذ للولد. وقد علم غناك عنه فمحال أن تكون لك زوجة ثم الزوجة تكون من وادي زوجها فلو كانت لكانت الها آخر فيمكن الاختلاف فيلزم المحال وكذلك يقال في الولد.

ويقول بعض عبيدك الذين نتكلم معهم الآن انك جسم جالس على العرش كجلوس احدنا في مكانه وقد تبين فساده بما سبق.

كل هذا وما ماثله مما لا يليق بجلالك وعظمتك يا مولاي يقوله من يقوله وانت تسمعه وتحلم على من يقوله بل وترزقه وتغدق عليه ما تغدق من النعم التي لا تحصى وإذا تنبه لخطئه يوماً واناب اليك ونزهك عما يقول واعتقد فيك ما انت اهله بدلت سيئاته حسنات وعفوت عنه وغفرت له وجعلته من احبابك الذين اعددت لهم دار كرامتك الابدية لهم فيها ما اشتهت انفسهم انك يا مولاي غفور رحيم عفو كريم فلك الحمد حمدا يوافي نعمك ويكافئ مزيدك.

ولنعد إلى ما كنّا فيه فنقول إنّ هؤلاء الناس الذين يقولون إنّ ربنا على العرش بذاته على بدعة من اشنع البدع واقبحها واجرئها على الله عزّ وجلّ وابعدها عن الحق كما انها برهان من اوضح البراهين على سخافة العقل الّذي يقبلها ويصدق أنّ ربنا كما تقتضي وكل الّذي تمسك به هؤلاء الناس ويؤيدون به هذه البدعة ظواهر آيات وأحاديث يجب أن تفهم على غير هذا الظاهر فرارا من المحال الذي يترتب عليه ونحن نعلم وكل مسلم يعلم إنّ العقل اصل الشّرع واساسه وعليه بني فلا يمكن بحال من الاحوال أن يكون في هذا الشّرع ما يقف العقل في وجهه ويعانده وينابذه.

والّذي اتفقت عليه الأئمة إنّا إذا رأينا في الكتاب او في السّنّة ما ظاهره يصطدم مع العقل وجب صرفه عن هذا الظاهر ليتلائم ويتفق مع العقل وفي الكتاب والسّنّة كثير من هذا صرف عن ظاهره دون اي توقف في صرفه ذلك.

ولو انّا اخذنا بكل ظاهر من ظواهر الكتاب والسّنّة دون أن تعمل عقولنا فيه لانتقلنا في عشية او ضحاها من صفوف المسلمين الخلص إلى الكافرين الذين لا ريب في كفرهم.

وبعد: فكل الآيات والأحاديث التي جاءت تدل على أنّ ربنا استوى على العرش لم تقل آية منها ولا حديث إنّ ربنا استوى على العرش بذاته وهذا القيد (بذاته) من اختلافات هؤلاء الناس اكاذيبهم على الله ورسوله. ونحن نقول في هذا كما يقول سلفنا الصّالح رضي الله تعالى عنهم في المتشابهات كلها. إنّ له معنى لائقا بربّنا هو يعلمه ونحن لا نعلمه. ونُنَزِّهُ ربّنا عن ظاهره هذا ولا نعتقده فيه ابدا وبهذا نبرأ من التشبيه والتعطيل.

وإذا أبى هؤلاء الناس الاّ الاخذ بما يقتضيه هذا الظاهر قلنا اذن صار الاخذ بظواهر الشريعة قاعدة لكم في مثل هذا مما جاء يثبت ظاهره لربنا صفات تشبهه بخلقه، فانتم اذن تقولون إنّ ربنا تعالى في السماء اخذاً لظاهر قوله تعالى (**ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ** * الملك: ١٦) فإنّ من يفهم هذا النص على ظاهره

يقطع بأنّه تعالى مظروف في السماء والسماء ظرف له هو داخلها مع الملائكة وهذا غير كونه تعالى على العرش قطعا فهل نأخذ بالنصين معا فنقول إنّه تعالى على العرش وفي السّموات في آن واحد ام كيف الحال وتقولون إنّه تعالى في الارض كما أنّه في السماء كما يقول عزّ وجلّ (**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَآءِ اِلَهٌ وَفِي اْلاَرْضِ اِلَهٌ** * الزخرف: ٨٤) وكما يقول تعالى (**وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي اْلاَرْضِ** * الانعام: ٣) فهاتان الآيتان تقولان بحسب ظاهرهما إنّ ربّنا تعالى وتقدّس في الارض كما أنّه في السماء فكيف يكون ربّنا على العرش وفي السماء وفي الارض في وقت واحد؟ وإذا لاحظنا مذهبكم الّذي يقول بذاته قلنا إنّكم تقولون إنّه تعالى بذاته في كل من السموات والارض والعرش فيكون ربّنا على مذهبكم ذوات ثلاثة. ولعلكم تقولون إنّه في كل بذاته وهو واحد. وإذا قلتموها وجدتم لكم نظيرا يقول إنّ الثلاثة واحد. بل وتقولون إنّه تعالى مع كل انسان كما يقول عزّ وجلّ (**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَثة اِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ اِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ اَدْنىَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ اَكْثَرَ اِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ اَيْنَ مَا كَانُوا** * المجادلة: ٧) وإذا اضفنا إلى ذلك أنّه مع كل انسان بذاته لزم أنّه تعالى ذوات تعدّ بالملايين وبملايين الملايين.

وكذلك تقولون إنّه تعالى فوق صراط مستقيم بذاته كما يقول سبحانه (**اِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** * هود: ٥٦) وهو مثل (**اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** * طه: ٥) تماما فما قيل فيها يقال هنا.

وتقولون كذلك إنّه تعالى (**يَاْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ** * البقرة: ٢١٠) إنّ مذهبكم هذا يقول إنّ ذوات ربّنا وامكنته لا تتناهى ابدا وكل هذه وما ماثلها وهو كثير محالات لا يقول بها احد لكنا لو تقيدنا بالظاهر من النصوص الشّرعية صرنا اليها ولا بد. اذن لا بدّ من الاستنارة بنور العقل في مثل هذه النصوص وجناية كبرى على الدّين أن يهدد العقل ولا يلتفت إلى ارشاده في فهم كتاب ربّنا وسنة رسوله.

كل هذا نقوله توضيحا للمقام في ذاته وتساهلا مع هؤلاء الناس ولو أنّا ضيقنا

عليهم ودققنا في محاسبتهم ما تكلمنا معهم كلمة واحدة ولرأيناهم احقر من أن يخاطبوا. وهل يستحق أن يخاطب من يقول إنّ ربّنا يجلس احد خلقه بجانبه على العرش يوم القيامة. ولعل جاهلا محبا للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول هذا غاية التعظيم لنبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم فما ذا فيه؟ فاقول ولكنه غاية في نقص ربّنا عزّ وجلّ وهل من العقل أن يعظم المؤمن الرسول بما يكون نقصا في ربّ الرسول؟ وهل ذلك الاّ كما كان من قوم سيّدنا عيسى عليه الصّلاة والسّلام في تعظيمه؟ ومن من العقلاء يرضى أن يصف ربه بأنّه قاعد على العرش قعودا يشاركه ويقارنه ويجاوره فيه احد خلقه إنّ هذا القران لا يرضاه العقل ابدا.

والّذي تصرح به هذه المقالة إنّ هؤلاء الناس يختارون إنّ ربّنا عزّ وجلّ لا يساوي العرش ولا يزيد عنه وانما ينقص عنه. فإنّه لولا نقصه هذا عندهم ما وجد فيه مكان يجلس فيه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم واني لارى المناقشة مع هؤلاء الناس بعد نقل هذا النص عنهم لا معنى لها لاثبات أنّهم يعتقدون الجسمية في ربّنا عزّ وجلّ وبهذا النص ايضاً اصبحنا لا نستغرب اعتقادهم إنّ ربّنا تعالى جسم ذاهب في الكبر والثقل إلى حد لا تتصوره العقول وكيف تتصور العقول كبر وثقل جسم لا يحمله العرش الاّ بصعوبة وعناء لدرجة أنّه يئط به ويصوت حقيقة كما يئط ويصوت رحل الراكب تحته. والعرش معلوم أنّ السّموات والارض بالنسبة له شيء صغير فإنّ الجميع في جوفه يحيط بها كما يحيط الظرف الكبير بالمظروف الصغير.

واني ازيد القارئ بصيرة بعقيدة هؤلاء الناس فاترك هذا التلميذ واعرج على شيخه الّذي لا يعجبه حتّى سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولا سيّدنا عليّ ابن أبي طالب كرّم الله وجهه وفي نظره إنّ كل الامة في نهاية الغباوة والجهل والبعد عن الحق فليسمع القارئ نقلا عنه في غاية الضخامة يليق بمشيخته ومركزه العظيم.

قال لا حيّاه الله ولا بيّاه إنّ الله اعظم من كل شيء واكبر من كل خلق و لم

يحمله العرش عظما ولا قوة، ولا حملة العرش حملوه بقوّتهم ولا استقلوا بعرشه ولكن حملوه بقدرته وقد بلغنا أنّهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم حتّى لقنوا (**لا حول ولا قوّة إلاّ بالله**). فاستقلوا به بقدرة الله وارادته ولولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحملة ولا السّموات ولا الارض ولا من فيهن. ولو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم اكبر من السّموات السبع والارضين السبع؟ انتهى هذا الكلام بعجره وبجره.

ولعل القارئ تعتريه دهشة ويسارع اليه انكار انّ هذا النقل صادر عن ذلك الرجل المسكين واني احول بينه وبين ذلك الانكار وارجوه أن يراجع المجلد الخامس والعشرين من كتاب (الكواكب الدراري) لابن ذكنون الحنبلي وهو محفوظ بالخزانة الظاهرية بدمشق. ليراه بعينه هناك بالحرف الواحد ضمن كتاب ردّ به هذا المسكين على كتاب (اساس التقديس) للفخر الرازي ومن ذلك المجلد نقله بحاثة معروف وبخطه الكريم وصل إليّ. وهذا النص لا يبقى معه في نفس ايّ انسان ادنى شكّ في أنّ القوم يعتقدون من قرارة نفوسهم إنّ ربنا جالس على العرش حقيقة بدرجة من الثقل جعلت حملة العرش على قوّتهم الهائلة لا يقرون على حمل العرش وفوقه ربهم تعالى ولشدة ذلك الثقل وقعوا وقوعا جثوا فيه على ركبهم ولم يستطيعوا أن يقفوا معتدلين حتّى لقنهم فائدة (**لا حول ولا قوّة إلاّ بالله**) فلما لقنوها امكنهم أن يحملوه عزّ وجلّ ولولا تلك الفائدة لعجز العالم كله سمواته وارضه وانسه وجنه وملائكته أن يحملوه -تنزه وتقدس- وبينما انت في غيبوبة لدهشتك من عظم وثقل هذا الجسم إذ تسمع هذا الرجل يقول إنّه تعالى لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة. فتستقل به وتحمله بقدرته ولطف ربوبيته.

هكذا يقول هذا الرجل المسكين وهو كلام يصح أن يكون وصفاً لمعنى خيالي روائي لا وصفاً لرب العالمين تعالى وتقدس. واني لاظن إنّ الوثني يَسْمُو بصنمه عن

هذا الخيال المضحك ولست اتصور استعدادا يصدر عنه مثل هذا التحريف الاّ استعداد قدماء المصريين وتصوراهم في آلهتهم اما استعداد اسلامي فمعاذ الله ثم معاذ الله أن يخطر على فكره مثل هذه السخريات.

ولسنا نترك هذا الكلام على فساده دون أن نناقشه فنقول الانسان إذا ادعى أنّ الله يتصف بكذا وجب عليه أن يثبت ذلك بدليل شرعي لا مغمز فيه فهل من هذا الوادي قول هذا الرجل وقد بلغنا الخ. حتّى يثبت لاثبات ما وصف ربه به؟ لقد بحثت ثم بحثت عن اصل يصح أن يرجع اليه كلام هذا الرجل فلم اجد شيئاً ابدا لا في كلام ربّنا ولا في سنة نبيّه لكني رأيت كلمات نقلت عن وهب بن منبه الرجل المعروف بأنّه اخباري يكثر من حكاية الإسرائليات التي غالبها لا اصل له تلك الكلمات تحكي عجز الملائكة عن حمل العرش حتّى لقنوا الحوقلة وباقي النقل السّابق ليس بموجود اصلاً مع تلك الكلمات فهي من زيادات هذا الرجل من غير شك ليروج بدعته ومع ذلك لا يحل للرجل العالم أن يحكي مثل هذا الكلام الإسرائيلي سندا لحكم فرعي او عقيدة ما دام لا سند له من كلام الله ولا كلام رسوله. بل كلام الله وكلام رسوله ينكرانه كل الانكار ثم كيف لو شاء لحملته بعوضة مع تلك المبالغات الهائلة في وصف ضخامته وعظمه وثقله تعالى. ومع العلم بأن البعوضة من اصغر ما خلق الله عزّ وجل. هل يتغير ذلك الجسم من تلك الحال إلى صغر وخفة يناسبان البعوض ام يبقى على ما هو عليه ومع ذلك تقله البعوضة وتقوى على حمله وهو عليها.

إن اخترتم الاول لزمكم أنّ ربنا يتغير ولو قام التغير بربّنا كان حادثا بلا نزاع وهو محال. وإن اخترتم الثاني لزم محال ايضاً فإنّ العقل لا يستطيع أن يتصور جرما في نهاية الصغر والضعف يقوي ويتسع لحمل جرم في نهاية الكبر والثقل وكل منهما على ما هو عليه وقد عد ربّنا أنّ دخول الجمل في سم الخياط محال. وعلق على وجوده دخول الكفّار الجنّة وإذا كان هذا محالا فكيف لا يكون الف الف محال ذلك

الّذي تختارونه وإذا بطل هذا وذاك كان هذا الكلام المنقول من هذا الرجل المسكين كاذبا لا محالة لا يجوز أن ينسب إلى الشرائع السماوية الحكمية ولا أن يتصف بمضمونه مولانا الّذي يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص وبهذا النقل الكاذب الخاطئ الجنوني اصبحنا لا نتردد في أنّ القوم لا يرون من النقص في شيء أن يعتقدوا أنّ ربّنا عزّ وجلّ جسم محدود وأنّه قاعد وجالس على العرش قعودنا على امكنتنا وأنّ العرش يقله بصعوبة وعناء لحد أنّه يئط ويصوّت من ثقله عليه لا يكنون في هذا ولا يعنون معنى مجازيا وأنّه قادر على أن يتشكل من صغر إلى كبر وبالعكس وعلى أن يثقل ويخف، ويخف ويثقل وهذه صفات لا نعرفها لربّنا عزّ وجلّ الّذي خلق السّموات والارض وما فيهما واليه المصير وانما هي صفات لربّ آخر تخيله هؤلاء الناس ورضوه ربّا لانفسهم. وقد عالجناهم بما تقدم لينبذوا هذا الاله الّذي بتلك الصفات الخيالية الخرافية. فإن تبعونا فالخير ارادوا لانفسهم والاّ فليهنؤا به ثم ليهنؤا.

واما نحن فنكفر بإله هذا وصفه ولا نرضاه ربا لنا ابدأ لانا اعقل من أن نرضى لانفسنا فضيحة كهذه لا نظن أنّ الرجل العاقل يفتضح باكبر منها. نعم نحن نرفع قدر العقل عن أن يلتفت لمثل هذا الاّ بغاية الاحتقار والازدراء والمقت ولا نصدق ابدا أن يصغي لمثل هذا وصفاً للخالق المعبود الاّ المجانين واشباه المجانين وذلك ما نسجله هنا ونلفت له نظر قوم افتتنوا بهذا الرجل المسكين وتلميذه ذلك افتنانا اداهم لأن يقلدوهما التقليد الاعمى مع الاستماتة في حبهما والدفاع عنهما وتقديسهما التقديس الّذي يندهش له كل من يعرفه وبينما تراهم مع هذين الرجلين هكذا إذا تراهم يرمون الأئمة الاربعة بكل داهية ويروهم احقر من أن يقلدوا وهم الذين وقع الاجماع من الامة كلها من عهدهم لليوم على أنّهم جديرون بقيادتها في دينها. ولذلك اتبعتم بما فيها من أولياء وعلماء وملوك وسواهم من فضلاء العالم. وانما اتبعهم ذلك الاتباع لما كانوا عليه من فرط الورع وسعة العلم ونفوذ البصيرة وقوم

هذا حالهم لا ينتظر لمقلدهم الماشي وراءهم الاّ الوصول إلى ما يريد من السعادة في الدّنيا والآخرة.

نعم نرجو أن يلتفت اولئك المفتتنون بهذين الرجلين إلى ما نحكي عنهما من سوء عقيدة ما سمع الدهر بمثلها ومن يد خائنة تعودت أن تكذب وتدلس وتنقل الحقائق الدّينية على غير وجهها وفي غير مواضعها وقد تقدمت عينه من ذلك عن هذا الرجل وعن تلميذه ومن رجل خاطئة لا يعجبها السير الاّ في سبيل من لا يوثق بهم من اهل الاهواء والاغراض كما وصف الشّيخ بذلك بعض معاصريه، وكما نراه بأعيننا في كتبهما. وكذلك تجدهما إذا استدلا نقلا كل ما هب ودب مما لا حقيقة له تعرف ولا اصل له يوصف. يهيم في اوديته هذا الرجل وتلميذه ويوردان منه ما يوردان. وهما يعلمان قيمته وقدره جريا وراء بدعتهما هذه التي استحكمت ثم استحكمت في نفوسهما حتّى افقدتهما العقل والرشد. نعوذ الله من البدع وآثارها ومن قلوب تتأجج وتلتهب غضبا على كل عباد الله خصوصاً احباب ربّنا عزّ وجل. ذلك فوق ما الرجلان عليه من طيش ورعونة لا حد لهما. ومن نظر في كتبهما نظرة بسيطة تيقن ما اقول واناس هذا حالهم من الظلم الفاحش أن يكونوا ائمة لخير امة اخرجت للناس. ولعلّه لا يتردد عاقل في أنّ من يمشي وراء امثال هؤلاء هالك ثم هالك.

وعجبنا العاجب أن يتعصب هؤلاء الناس لهذه المقالة الجنونية لحد أن يختصوها بقسط عظيم من عنايتهم حتّى الفوا فيها المؤلفات التي لا تحصى ولقد بلغت الجرأة بأحد هؤلاء المساكين أن يسمي رسالة الفها في هذا الموضع باسم (اثبات الحد لله عزّ وجلّ وأنّه قاعد وجالس على العرش) هذا العنوان وحده كاف وفوق الكفاية لاثبات المقصود. فانظر كيف لم يسنح مؤلفها محمود بن أبي القاسم الدشتي من قوله (قاعد وجالس) لا تكفيه مادة الجلوس وحدها ولا مادة القعود وحدها وفي كل منهما غنية ولكنه جمع بينهما بصيغة اسم الفاعل التي تفهم التلبس بالفعل ليفيد

غرضه ثم مؤكدا بعد تأكيده كل التأكيد بقوله (اثبات الحد لله عزّ وجلّ) فإنّه تعالى إذا كان محدودا كان جسما في مكان قاعدا وجالسا او على اي شكل كان لأنّ المحدود هكذا يكون لقد رفع هذا الرجل برفع الحياء عن وجهه وجاهر بما عليه القوم مجاهرة لا تحتمل صرفا ولا تأويلا وإذا كان اسم الرسالة فقط يفيد كل ما ذكرنا فما ذا عسى أن ينتظره القارئ من المعنون له.

ومعلوم أنّ هذه الطائفة إذا كتب احدهم في مثل هذه المعاني اجلب بخيله ورجله. لا يرقب الاًّ ولا ذمة لا في رب ولا في مربوب بجولات لا حدّ لنشاطه فيها لا تخلو الاّ في ميادين البدع والمبتدعين.

وإنّا بعد هذا البيان نجزم أنّ القارئ صار في اماكنه أن يقيد هؤلاء الناس بقيد من حديد ويجمع ايديهم إلى اعناقهم. ثم يقبض على تلك الاعناق باصابع من فولاذ قبضا لا يستطيعون الإفلات منه بحال فليحرص عليه ثم ليحرص فإنّه مما انفرت به هذه الرسالة والله تعالى اعلم.

الأجتهاد والمجتهدون

الاجتهاد المطلق مقام رفيع كم حاول الوصول اليه فحول فقضوا وهم في هذه المحاولة ومحبوب شاسع المزار كم سافرت اليه ابطال على نجائب الهمم عشرات السنين قطعوا فيها من شعابه واوديته ومهامهه الكثير ثم الكثير ثم كلت رواحلهم وانقطعت دون أن يدنوا منه. وميدان كم هم أن يترل فيه فرسان، ولكنهم بعد أن رأوا اهل السباق فيه رجعوا مقتنعين أنّهم ليسوا من رجال هذا الميدان وانما كان الاجتهاد بهذه المترلة لانه قيادة عامة للامة بأسرها ويزيد في خطورة هذه القيادة انها مقيدة بسلوك سبيل واحد هو سبيل الله تعالى الّذي ارسل لبيانه لنا سيّد انبيائه صلّى الله عليه وسلّم فالقائم في هذا المقام ينوب عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في بيان تلك السبيل للناس كافة لا يشتبه على اي سالك مترل من منازلها الا وهو مستعد للارشاد اليه وهذه الطريق بجانبها سبل اخرى لا يحصيها العد ولا يأتي عليها

البيان. وما من سبيل منها الاّ وعلى رأسه ما لا يعد ولا يحصى من شياطين الانس والجن يدعون اليه السالكين مؤكدين كل التأكيد أنّه سبيل الله تعالى حقاً اما سبيل الله الّذي هو سبيله بلا ريب فيقولون فيه بلهجة جازمة أنّه سبيل مضلة مهلكة لا يلاقي مسالكها الاّ الردى ولا ينتهي الاّ إلى الشقاء. ولا يقولون ذلك مطلق قول بل يردفونه ببراهين عدد المطر كل برهان له مقدماته ونتائجه. والمضلون لا يعدمون من الاباطيل ما يسمونه براهين ويدندنون ثم يدندنون حول مقدماها ونتائجها ليقوموا حق القيام بوظائفهم الاغوائية.

ولا شكّ أنّ قيادة ذلك شأها في منتهى الدقة والخطر كيف لا؟ والمتصدر لها وراءه امة لم تسر خلفه خطوة الاّ بعد أن فهمت منه أنّ الطريق الّذي كلف الله عباده بسلوكه هو عين الطريق الّذي يسلكه ومعنى هذا أنّه إن ضل ضلّت رراءه كل الامة وقد علمت أنّ المضلات كثيرة ثم كثيرة وايّ خطر فوق هذا الخطر؟

وإن شئت فقل في تحديد هذا القائد إنّ الامة لم تسر خلفه الاّ بعد أن سمعت حكمه بأنّ كل ما يستنبطه من الاحكام التكليفية ويدعو العالم إلى العمل به دلّ عليه الكتاب والسّنّة جزئية جزئية وهو حكم لا يجرؤ على اصداره الاّ رجل مخصوص رجل عرف من اللغة العربية لغة ونحوا وبيانا ما يكفي لفهم الكتاب والسّنّة فما يعتمد على الوضع العربي والذوق العربي فإنّ من لا يعرف ذلك من العربية لا يؤمن عليه أن يفسّر الآية او الحديث بمعنى في ناحية والمعنى الّذي وضع له اللفظ او التركيب في ناحية اخرى ويحيط مع هذا بآيات وأحاديث الاحكام لئلا يفزع إلى القياس في حادثة وفي الكتاب والسّنّة ما يدل على حكمها.

ومعلوم أنّه لا قياس مع وجود النص وليس ذلك فقط الّذي يعرفه بل يضيف اليه معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسّنّة لانه إذا لم يعرف ذلك ربّما اصدر حكما تكليفيا يتعب الناس في امتثاله وهو منسوخ ولا ينتصر على هذا بل يحيط معه علماً بما اجمع عليه العلماء قبله لئلا يقود الناس إلى ما يخالف اجماع العلماء وما إلى

هذا ينتهى ما يحيط به بل عليه مع ذلك أن يعلم من فن الحديث دراية ما يميز به صحيح الحدبث من حسنه، من ضعيفه، من موضوعه لئلا يختلط عليه الامر فيحكم في الحل والحرمة مستنداً إلى حديث ضعيف او يجيز أن يعمل الناس بالموضوع وكل لا يجوز ولا يقف الامر في علمه إلى هذا الحد بل وعليه أن يعلم من علم الاصول. اصول الفقه ما به يفهم متى يفيد الدليل الوجوب او الحرمة او الندب او الكراهة او الاباحة وما ذا يعمل لو تعارض دليلان نص وظاهر او ظاهر وعكم او محكم ومفسر او منطوق ومفهوم او عام وخاص او مطلق ومقيد او كانا من واحد واتفقا قوة وضعفا او اختلفا. وكيف يتصرف إذا لم يجد في حادثة كتاباً ولا سنة ولا اجماعا وما إلى ذلك مما لو جهله المتصدر للقيادة لم يدر اين سبيل الله واين غيرها من السبل المضلة.

كل هذا يجب أن يحيط به علماً من يقول اني مجتهد.

ولهذا كله اساس يجب أن يكون قبل الكل وهو الاعتقاد السليم البعيد عن البدعة والاستقامة التي تنكسر عندها سهام المطاعن دون أن تخدشها بخدش لأن المجتهد قدوة في عمله واعتقاده.

فإذا كان مبتدعا قاد الناس إلى بدعته فاوردهم المهالك وإذا كان غير مستقيم شكك الناس في امانته فنبذوه او مشى وراءه في اعوجاجه من لا يشك فاورد الموارد وعلى كل لا يصلح أن يكون اماماً.

ولما كان الاجتهاد هذا طول سبيله وعورته لم يكن في عهد النّبوّة وهو ابرك الاعصار واجلها من هذا الطراز العالي الاّ افراد وقد كانوا عربا نزل القرآن وجاءت السّنّة بلغتهم مع ما كانوا عليه من الذكاء الفطري الّذي ما سمع الدهر بمثله ثم مع ذلك ما كانوا يحتاجون لعلم كثير ما ذكرنا فإنهم كانوا يتلقون الشريعة من مهبطها صلّى الله عليه وسلّم يسمعونها من لسانه الكريم تخرج من بين شفتيه الكريمتين لا معلّم ولا استاذ لهم غيره صلّى الله عليه وسلّم وهو سيّد المعلّمين واستاذ الاساتذة ولا تنس أنّهم في اناتهم مغمورون في بركاته لا تغرب عنهم شمس انواره ولا ينقطع مدد

اسراره عنهم لحظة من ليل او نهار ومع كل هذا لم يصل منهم رضي الله عنهم إلى هذا المقام مقام الاجتهاد المطلق الاّ افراد قليلون كما قلنا لك. وكان باقيهم رضي الله عنهم يرجعون في معاملهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلّم او إلى اولئك العلماء الذين نشير اليهم. فإنهم كانوا يفتون بما تعلموه منه وهو بعد لم ينتقل إلى الرفيق الاعلى صلّى الله عليه وسلم.

واحب أن يعلم القاري مع ما تقدم أنّ الصّحابة رضي الله عنهم لم يكونوا في حفظهم بدرجة نعقلها نحن اليوم. ومن يعقل أنّ رجلاً تقرأ عليه قصيدة طويلة مرة واحدة فيحفظها ويعيدها كما سمعها. ويبلغ حفظه لها إلى درجة أن يعيدها مرة ثانية من آخر بيت منها راجعا إلى اول بيت حتّى ينتهي منها كما كان من سيّدنا عبد الله ابن عبّاس رضي الله عنهما.

علم سيّدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القوة فيهم فكان اذا حدثهم الحديث لا يعيده اكثر من مرتين وتكون قراءته امامهم ثلاث مرات كافية لأن يحفظه اضعفهم حفظا، وبذلك يكون قد تأكد كل التأكيد عند الباقين. هذا نقول عن اناس حضروا الاسلام في عنفوان شبابه ونهاية فتوته وكانوا في فرح به لا يحد فانهم كانوا قبله في ظلمات بعضها فوق بعض عميا لا يبصرون صما لا يسمعون بكما لا يتكلمون كالانعام بل هم اضل كانوا ينحتون الحجارة: بايديهم يزيلون منها ما يزيلون ويبقون ما يبقون ويصوّرونها كما يشاؤون. ثم يضعونها بايديهم حيث اشتهوا ثم يقبلون بعد ذلك كله على عبادتها كما يعبد المؤمنون ربّ العالمين.

وقد كانت تنزل بهم اعوام شديدة يجوعون فيها فإذا آلمهم مس الجوع بادروا إلى آلهة صنعوها من عجوة فتناولوها واكلوها ثم تبرزوها وقد كانوا قبل ذلك بلحيظات يعبدونها ويعتقدون انها آلهة حقا تضرّ وتعطي وتمنع فلما اشرقت عليهم شمس الاسلام تبددت عنهم ظلمات ذلك الكفر الشنيع وانفتحت ابصارهم وبصائرهم واسماعهم وانفتقت السنتهم فسمعوا الحق ونطقوا به وكما يشاء نظروا وعملوا.

فلو كان هذا المقام مقام الاجتهاد هينا لينا لكان كل هؤلاء الناس على الذروة العليا من الاجتهاد بكل تلك العوامل التي وصفناها لك وحيث كانوا مع الاجتهاد كما ذكرنا دلّ ذلك على أنّ مقام الاجتهاد بلغ من الاستعصاء التمنع، اسمى ما يتصوره المتصورون في مقامات البشر وزاد هذا المعنى وضوحا ما كان في القرن الثاني والثالث بعد ذلك القرن الكريم قرن الصّحابة رضي الله تعالى عنهم فإنّ السواد الاعظم في هذين القرنين الجليلين كان في درجة التقليد الصرف و لم يتجاوز هذه الدرجة الاّ افراد ايضاً. وتستطيع أن تعلل وصول اولئك الافراد إلى هذا المقام بمعنى لا يجعله غريبا عند النفس. ذلك المعنى هو قربهم رضي الله تعالى عنهم من عهده المبارك صلّى الله تعالى عليه وسلّم وتشرفهم برؤية اصحابه رضي الله تعالى عنهم او برؤية من رآهم او رأى من رأى من رآهم. وقد شهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بأن هذه القرون الثلاثة خير القرون واخبر أنّ الله تعالى يفتح الجيش فيه واحد من الطبقة الرابعة من اصحابه ببركة ذلك الواحد. فإذا اختصت هذه القرون الثلاثة بقادة الخلق وهداهم وائمتهم كان هذا الاختصاص في غاية الظهور. واني ارجو واشدد في الرجاء أن يكون هذا المعنى على بال القارئ فإنّ به كان اولئك الناس ائمة القرن الثاني والثالث اعاجيب. وكيف لا وانت تسمع الليث بن سعد رضي الله تعالى عنه يخبر عن نفسه أنّه لو املى ما يحفظ لوقر مركبا وتسمع الامام الشّافعي رضي الله تعالى عنه يخبر انه كتب حمل بعير عن الامام محمّد بن الحسن صاحب الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم في اول قدمة قدمها عليه وهو بالضرورة لا يكتب الاّ ما يحفظ وإذا كان هذا حفظه عن واحد ممن لقيهم فكيف بحفظه عن الباقين وهم كثيرون وكثيرون.

وتسمع أنّ الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه كان يحفظ الف الف حديث باسانيدها. ويعرف كيف يقول في ايّ واحد من ايّ اسناد من كل تلك الاسانيد ويعرف لما ذا قال فيه ما قال. نعم كانت صدورهم سجلات لا يمحى ما

نقش فيها ما حيوا ولذلك كان احدهم يحدثك اليوم الحديث وتسأله عنه بعد عشرين سنة فيسترده لك دون أن ينقص او يزيد حرفا واحداً. وانت لليوم وبعد اليوم تقرأ إنّ اصح الأسانيد ما كان عن مالك عن نافع عن ابن عمر لقوة ضبط سيّدنا مالك رضي الله تعالى عنه وحفظه. وساعد على هذا الحفظ الباهر ان هممهم كان واحداً! هو هم آخرتهم لم تشتت افكارهم في اودية الدّنيا و لم تتفرق اهواؤهم في شعابها وسباسبها وما كان لها في انفسهم اي مقدار إن اقبلت استخدموها فيما يرضى ربهم. كما تسمع أنّ سيّدنا مالكا رضي الله تعالى عنه قاسم سيّدنا الامام الشّافعي ماله مرات.

وكما تسمع إنّ سيّدنا الامام الشّافعي رضي الله تعالى عنه عاد من اليمن إلى مكّة بمال جزيل فضرب خيمة جلس فيها قبل دخول البلد وفرق كل ما كان معه. وقام وليس بيده من كل ذلك المال درهم ولا دينار.

وكما تسمع أنّ ابا حنيفة رضي الله تعالى عنه رأى رجلاً يتوارى منه فناداه وسأله لماذا هذا التوارى؟ فاخبره أنّه مدين له بعشرة آلاف درهم من زمن بعيد فقال سبحان الله أبلغ بك هذا الامر إلى هذا الحد؟ جعلتك في حل فاجعلني في حل مما دخل في قلبك متى كنت تلقاني وكان رضي الله تعالى عنه ينفق مثل ما يصرف على نفسه واهله اما ماكان يواسي به تلاميذه من المال فهذا كان الّذي لا يحصى وسيق إلى سيّدنا مالك رضي الله تعالى عنه مال كثير ورآه سيّدنا الامام الشّافعي رضي الله تعالى عنه وكأنه اعجبه فوهبه له كله.

وإن ادبرت عنهم لا تلتفت اليها قلوبهم. ولهذا تسمع أنّ سيّدنا أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه كان يمكث الايام محبوسا في بيته لا يجد من اللباس ما يصلح لخروجه ومع ذلك كانت تهدى اليه الهدايا الكثيرة فيردها فلاموه على ذلك فقال رضي الله تعالى عنه انها ايام قلائل وتنقضي.

واناس هذا شأنهم في الاقبال على الآخرة وعدم الاهتمام بالدّنيا ليس بغريب

أن يصلوا إلى ذلك المقام الرفيع. خصوصاً إذا كانوا من الورع كما تسمع عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنّه تخرج عن الاستظلال بظل حائط مدينة لئلا يكون ذلك نفعا جره قرضه.

ومن تعظيم العلم إلى مثل ما تسمع عن سيّدنا مالك من أنّه كان إذا اراد أن يجلس للتحديث يغتسل ويتعطر ويلبس احسن ثيابه ويسرح لحيته ويتجمل ثم يجلس.

ولدغته يوماً عقرب ست عشرة مرة وهو يحدث فكان يتغير ويتلوى ولا يقطع حديث رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم تعظيماً له.

ومن الخوف من الله تعالى إلى مثل ما تسمع عن سيّدنا أحمد بن حنبل أنّه بال في طست وهو مريض مرض الموت دماً عبيطا. فرأى ذلك الدم طبيب فقال في سيّدنا أحمد رضي الله تعالى عنه هذا رجل فتت الحزن كبده.

وكما تسمع أنّ الامام ابا حنيفة رضي الله تعالى عنه دعي للقضاء فامتنع عنه فضرب في ذلك بالسياط وحبس بل ومات في الحبس ولما سمع اشفاق المشفقين عليه وهم يقولون ما ذا عليه لو ولى واتقى هذه السياط؟ قال سياط الدّنيا ولا سياط الآخرة.

ومن الاجتهاد في طاعة الله تعالى كما تسمع أنّ الامام ابا حنيفة رضي الله تعالى عنه مكث يصلّي الفجر بوضوء العشاء اربعين او خمسين سنة.

وكما تسمع أنّ الامام أحمد كان يصلّي في اليوم والليلة ثلاثمائة ركعة فلما مَرِض وتقدمت سنه كان يصلّي مائة وخسين ركعةً.

وكما يقول عنه من عاشره ما رأيته افطر الاّ يوماً واحداً افطر واحتجم.

وكما تسمع أنّ ابا حنيفة حجّ اكثر من خمسين حجّة.

ومن الامانة في العلم بدرجة لا تخطر على افكارنا اليوم كما تسمع عن سيّدنا مالك رضي الله تعالى عنه يقول اني لافكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة ما اتفق لي فيها رأى إلى الآن. ويقول من احب ان يجيب عن كل مسألة فليعرض نفسه على الجنّة والنّار وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب ويقول ادركنا اهل العلم ببلدنا

وأنّ احدهم إذا سئل عن المسألة كأنما الموت اشرف عليه ويقول اني اخاف أن يكون لي من المسائل يوم اي يوم.

ومن التقلل في المآكل والمشارب والزهد فيها إلى مثل ما يقول الامام الشّافعي رضي الله تعالى عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة.

وكما تسمع سيّدنا مالكا يقول لقد استحييت من ربي من كثرة ما اتردد على بيت الخلاء وكان لا يذهب اليه الاّ كل يومين مرة.

وليس ما ذكر هو كل ما ساعد اولئك الافراد على وصولهم إلى مقام الاجتهاد بل كان هناك مساعد اي مساعد فوق ما ذكر وهو ان الوقت كان وقت تبليغ الشريعة فكان تعلم العلم وتعليمه هو الميدان الّذي يتسابق فيه الرجال إذ ذاك حتّى كان الواحد يسافر لاجل التثبت من حديث واحد شهرا كاملا.

ولما أنّ الوقت كما قلنا كان ادعاء العلم إذ ذاك محفوفا بالخطر. فلا يفتح احد فاه بتلك الدعوى الاّ وتجد هداة الامة كلهم اتجاه اليه ينظرون. أمحق هو فيما يدعي؟ ثقة فيما يقول؟ ضابط لما يسمع؟ يستند في علمه إلى ركن شديد إذا استند اليه لا ينهار به؟ قدوة حسنة في عقيدته وعمله فإذا توفرت هذه الشروط تركوه والناس يبلغهم ما يبلغ وامنوا الناس من ناحيته وإن كان غير ذلك اخذوا على يديه وسدوا عليه المسالك ورفعوا اصواتهم اينما كانوا يبينون للناس قدره ويحذرونهم من اخذ دينهم عنه ومن لم تصل اليهم اصواتهم لبعدهم او لأنّهم لم يجدوا بعد كتبوا اليهم الرسائل والكتب التي بين ايدينا منها لليوم السرج المنيرة والشموس التي تغرب شموس السماء وهي لا تغرب وكم بهذه الكتب افتضح ناس وانفض الناس من حول اناس. وهل تنتظرمنهم فوق أنّهم ربما قالوا في الرجل أنّه لا يساوي بعرة ولقد وصل تحريهم ومبالغتهم في وضع كل انسان في مترلته اللائقة به أنّ بعضهم ذهب إلى أنّ سيّدنا أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه محدث فقط وليس من فريق الفقهاء المجتهدين.

وبين يدينا اليوم كتاب (**الانتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقهاء**) المالك والشّافعي وأبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم وهو للحافظ ابن عبد البر رضى الله تعالى عنه وهو بالضّرورة لم يقل ما قال الاّتابعا لرجال في ذلك العهد.

هذا قولهم في أحمد بن حنبل ومعروف من هو أحمد بين الامة الاسلامية من عصره لليوم وهو الذي يقول فيه بعض معاصريه كأنه جمع له علم الاولين والآخرين

هذه الرقابة العلمية الشديدة على رجال ذلك العصر جعلت اولئك الافراد يبالغون ثم يبالغون في استيفاء ما به لا تمسهم تلك الرقابة والرقابة العليا عندهم رقابة ربهم عزّ وجلّ كما تقدم ما يفهمك ذلك، لهذا وصلوا إلى ما ارادوا وفوق ما ارادوا.

ولو اردنا أن ننقل للقارئ ثناء رجال العلم وحملة الشريعة في ذلك العصر على هؤلاء الأئمة لطال بنا الكلام ثم طال فإنّ كل امام من هؤلاء الأئمة المشهورين الف في فضله مؤلفات تعد بالمجلدات فما ذا عسى أن ننقل؟ غربت شمس اولئك الأئمة رضي الله عنهم و لم تر الدّنيا شمس امام بعدهم لهذا اليوم.

نعم انتهت تلك القرون وانتهى من تسمع وصفهم من رجالها ولم نسمع بعدهم أنّ رجلاً ادعى الاجتهاد المطلق وسمح أن تتبعه الامة كما تتبع اولئك الأئمة رضي الله عنهم لم نسمع ذلك وإن كان جاء بعدهم الكثير الطيب من العلماء الذين تطيش عقولنا اليوم لسماع وصفهم حفظاً ودينا والسر في أنّهم لم يدعوا تلك الدعوى مع فضلهم ذلك أنّهم كانوا علماء حقا، عرفوا قدر انفسهم وقدر اولئك الأئمة فرأوا الفرق بينهما كبيراً والبون بعيداً فوقفوا عند حدهم ورحم الله أمرأً عرف قدر نفسه وهكذا انت لا تجد انساناً يعرف قدر انسان آخر الاّ إذا كان من واديه في علمه فالمرء إذا كان عالماً يعرف قدر العالم. وإذا كان سياسيا يعرف قدر السياسي. وإذا كان حائكا يعرف قدر الحائك وإذا كان صائغا يعرف قدر الصائغ وإذا كان حدادا يعرف قدر الحداد وإذا كان زارعا يعرف قدر الزارع وهكذا فالجاهل لا يعرف قدر العالم ولا الحائك يعرف قدر السياسي ولا الزارع يعرف قدر

الحداد ولا الحداد يعرف قدر الصائغ وهكذا وبارك الله في العلم ولا حرمنا منه فهو أبو كل الفضائل ومنه ما نتكلم فيه ولقد حدث الجلال السّيوطي نفسه رضي الله تعالى عنه أن يدعي هذه الدعوى دعوى الاجتهاد المطلق فكادت تسمع من فمه حتّى قامت عليه قيامة العلماء في عصره وعرفوه قدره فسكت. ووقف عنه حده والسّيوطي من يعلم القارئ حفظاً واتقانا وهذه كتبه تملأ الدّنيا في كل فن من فنون العلم بل اين السّيوطي ممن سبقه من علماء الاسلام في احاطتهم ويقظتهم. ومع ذلك لم تسمح انفسهم أن يدعوا تلك الدعوى كما قلنا لك ولو ادعوها ما قبلت منهم ولكانوا جاهلين بمقدا ر الامة.

هذا امام الحرمين[١] رضى الله تعالى عنه يقول ما تكلمت في علم الكلام كلمة حتّى حفظت من كلام القاضي أبي بكر[٢] وحده اثني عشر الف ورقة يعني اربعا وعشرين الف صحيفة هذا يحفظه في فن واحد عن رجل واحد من اهل ذلك الفن. وقال يوماً لتلميذه الامام الغزالي يا فقيه فتغير وجه الغزالي كأنه يستصغر هذا الوصف على نفسه فقال له افتح هذا البيت ففتح مكاناً فوجده مملوءا بالكتب. فقال له ما قيل لي يا فقيه حتّى اتيت على هذه الكتب كلها يعني حفظاً وكان امام الحرمين رضي الله تعالى عنه رجلاً شافعياً عاديا يتبع الامام الشّافعي رضي الله تعالى عنه لم يدّع الاجتهاد وهو يحفظ كتبا تملأ بيتا.

وهذا السرخسي رحمة الله عليه[٣] يكتب كتابه المبسوط وهو ثلاثون جزءا وكان إذ ذاك في السجن ليس له من المراجع الاّ صدره وهو إذا استدل لمذهبه او لمخالفه نقلا او عقلا يخيل لك أنّ الجبل يزول ودليله لا يزول. ثم يؤيّد مذهبه بخدش مذهب مخالفه بما لا تشك معه أنّ مذهبه هو الحق. ولا تعجب ايها القارئ فإنّ هذا

---

(١) امام الحرمين عبد الملك الشّافعي توفي سنة ٤٧٨ هـ. [١٠٧٩ م.] في نيشابور
(٢) القاضي ابو بكر محمّد الباقلاني توفي سنة ٤٠٣ هـ. [١٠١٣ م.] في بغداد
(٣) شمس الأئمة أبو بكر محمّد بن أحمد المتوفى سنة ٤٨٣ هـ. [١٠٩٠ م.]

الرجل نقل مترجموه أنّه كان يحفظ اثني عشر الف كراس اي اربعين الفا ومائتي الف صحيفة إذا كان الكراس عشر ورقات هذا حفظ السرخسي الّذي مات في القرن الخامس كامام الحرمين المتقدم ومع ذلك لم يدّع الاجتهاد بل كان رجلاً حنفياً يتبع الامام ابا حنيفة رضي الله تعالى عنه.

وإذا كان ذلك حفظ اولئك المتأخرين فما ظنك بحفظ تلاميذ الأئمة كالامام محمّد الّذي تقدم أنّ الشّافعي رضي الله تعالى عنه كتب عنه حمل بعير في اول قدمة قدمها عليه. ولا يظن أنّ الشّافعي كتب كلّ ما عنده من العلم. ومن راجع طبقات العلماء واخبارهم وقف من هذا على العجب العجاب وقد يقع ما نحكي غريبا في نفوس اهل هذه الازمنة نظرا لفشو الجهل وضعف القوة الحافظة.

مات العلماء رضي الله تعالى عنهم ومات معهم علمهم وخلف من بعدهم خلف ليسوا في العلم هنا ولا هناك رأوا في انفسهم أنّهم علماء وأنّهم ائمة لخلو الزمان عن الأئمة وكان اول هؤلاء على ما نعلم رجل رأيناه نحن باعيننا كان عند نفسه في السماء، وعند غيره من عارفيه لا يزيد عن امثاله قدر نقير إن لم ينقص عنهم وبين يدينا لليوم بعضهم هوّن هذا الرجل مقام الاجتهاد وتكلّم في سهولته ثم تكلّم حتّى اوقع في نفوس سامعيه أنّ هذا الاجتهاد في امكان كل انسان. ثم مات وكلامه يرنّ في آذان من حضروا دروسه وتغلغل في قلوبهم ما فقهوه عنه فتقدم اناس منهم إلى تلك الدعوى بقلوب كلها جرأة واستهانة بما تقدموا اليه. ثم تبع هؤلاء آخرون ثم سار ورائهم آخرون وصار كل واحد من هؤلاء داعية إلى الاجتهاد المطلق حتّى غدوا اليوم لا يحصرون فاصبحنا وقد امتلأ القطر من هذا الصنف صنف المجتهدين كل مجتهد منهم عند نفسه دونه بمراحل اكبر امام تقدم. ولذلك تراهم ينظرون إلى الأئمة رضوان الله عليهم بعين الأحتقار والازدراء. ويتكلمون فيهم بما يفهم سامعهم أنّ اولئك الأئمة كانوا السبب الوحيد في كل بلية نزلت وتنزل بالمسلمين ويصرحون بأن هذا الشرّ لا ينقطع ما دام من مقلدي هؤلاء الأئمة فرد

واحد على ظهر الارض.

اما إذا تحققت فكرتهم وهم المصلحون العظماء عند انفسهم بأن سلك وراءهم طريق الاجتهاد المطلق كل انسان ولو لم ير مجلس علم طول حياته فحينئذٍ تتغير الحال ينقلب الشرّ خيراً والبؤس يسارا والخمول نباهة والشقاء سعادة والضعف قوة. ومن جالس هؤلاء الناس وقرأ ما يكتبون تعجب كل العجب من حملاتهم المتتالية على كل من لم يوافقهم على منهجهم وهم يسيرون في هذا وراء رجلين سبقاه من عصور إلى ما كان يدعي. وهما الرجلان اللذان عنهما كتبنا ما كتبنا في الفصل السّابق ولقد كان لسانهما في هذا الميدان ميدان الطعن على الأئمة ورميهم بالدواهي والطعن على مقلديهم احدّ من السيف واحرّ من الجمر فورث هذا عنهما من اعجباه ووراءهما سار.

إنّ هذا وحده يدل دلالة قاطعة على أنّ هذه الطائفة من اولها إلى آخرها ليست من الامامة بل ولا من العلم، في شيء. فإنّ كتاب ربنا عزّ وجلّ يقول (**وَالَّذِينَ جَآؤُا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِاخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا** * الحشر: ١٠) هذه الآية نقرؤها ونسمعها كل يوم وهي تعلمنا العطف والرحمة على جميع المؤمنين موجودين او لحقوا بربهم وتطلب منا أن نسأل ربنا عر وجلّ أن يرزقنا الصفاء والمحبة لهم. وتخص من سبقونا بالإيمان أحياء وامواتاً فتدعونا أن نطلب لهم منه عزّ وجلّ المغفرة كما نطلبها لانفسنا ومن سبقنا من الأئمة والعلماء بعدهم لم يستثنهم الله تعالى ممن سبقونا بالإيمان. بل ورد النّهي عن سب الاموات لما أنّهم افضوا إلى ربهم. بل ورد أن الساعة لا تقوم حتّى يلعن آخر هذه الامة اولها.

ومن هذا تعلم أنّ الطعن على اولئك الأئمة ومن تبعهم من العلماء ممن سبقونا بالإيمان مخالف لصريح القرآن وخروج على وصاياه وآية من آيات القيامة. خفت هذه الدعوى دعوى الاجتهاد على أولئك الناس لأنها لا تكلفهم رجوعا إلى نتائج

ابحاث ائمة هذا الدّين من عهد نزوله لليوم فإنّ ذلك التحقيق لا يطيقونه ولا يصبرون عليه وانما الّذي يعشقونه ويموتون في هواه دعوى الاجتهاد لأنها دعوى لذيذة طنانة رنانة فتجد احدهم يقول ما يقول ويعمل ما يعمل. فإذا سألته على اي مذهب ما تقول وتفعل؟ اجابك بكل تبجح بجج. على مذهب الكتاب والسّنّة وهو جواب يتضمن أنّ القوم يجزمون أنّ مذاهب الأئمة الاربعة خارجة عن الكتاب والسنّة. وما خرج عنهما ضلال مبين بلا تردد فتكون الامة من صدرها الاول لليوم في ضلال مبين.

ويتضمن أنّ الكتاب والسّنّة بقيا بلا فهم لهذا الزمان القريب من الساعة. فلما تشرف الوجود بحضراتهم انكشفت خفاياهما وتبينت للناس احكامهما وانا لا ادري ما قيمة هذا البيان. وقد مضى من الامة شبابها واطيب حياتها واصبحت في دور الهرم والشّيخوخة. إنّ امة تمكث خمسين وثلاثمائة والف سنة تتخبط في دياجير الجهالات والضلالات. وكتاب ربها وسنة نبيّها بينها لا تفهمهما ولا تعمل بهما لا يشك عاقل انها احط امة رآها هذا الوجود. هذا قدر هذه الامة المحمّديّة عند حضرات مجتهدي زماننا لكنا نرى كتاب ربنا وسنة نبيّنا يصرحان بخلاف ذلك. يصرحان بأن هذه الامة (**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) فليقل لنا حضرات مجتهدينا من نصدق؟ أنصدقهم هم؟ ام نصدق ربنا ورسول ربنا؟ اني اخشى أن يطعن اولئك الناس على ما نذكر من الكتاب والسنّة. لأن مذهبهم في الحكم على الدليل بالصحة وبالبطلان موافقته لهواهم او مخالفته. فإن وافق صح وإن كان موضوعا. وإن خالف كان باطلا وإن كان في اعلى درجات الصحة. والّذي يظهر أنّ هؤلاء الناس لا يغضبون ممن يقول لهم يا ابناء الضّالّين والضالات لأن الّذي يحكم على امة باسرها حتّى ائمتها وعلمائها لا يغضب لذكر افراد آبائه بالضلال وإنّا نترك هذا لهم.

وهل يدري القارئ من هم اولئك المجتهدون؟ الجواب أنّهم طبقات مختلفة من امثال الذين اخبرناك عنهم فيما تقدم من أنّهم وصلوا إلى حد أنّهم أنكروا سنة رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم وبعضهم اضاف إلى انكار السّنّة ما فعله بالكتاب وهو في حكم انكاره وقد سبق ما يفهمك ذلك وبعضهم يرى الحديث الّذي لا مطعن في صحته فيقول إذا لم يفهمه او خالف هواه هو صحيح السند ولكن معناه غير صحيح.

وبعضهم يرى أنّ الدّين كله أن يكون مع الناس ظريفا لطيفا يوافقهم على كل ما يهوون ولا تغضب احداً منهم ولو بكلمة حق تقولها له. إذا فعلت ذلك كنت لا بأس عليك حتّى ولو تركت الإيمان.

وبعضهم يرى أنّ الاجتهاد والاستنباط هو شتم هذه الامة وطعنا في الصميم من دينها وعرضها وهذا الوصف وإن كان عاما في جميع هذه الطوائف له مزيد اختصاص بهذا البعض وبين يدينا اليوم مجتهدة روى لها احد العلماء وهو موجود للآن. حادثة تدل على غيرة سيّدنا عمر رضي الله عنه على النساء فكان جوابها على تلك الرّواية قولها عمر هذا الرجل منحط. هذا حكمها الّذي اداها اليه اجتهادها. وعلة هذا الحكم أنّه غيور وهذه العلة موجودة عند كل مؤمن. وهي عند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم اشد وكذلك ربنا غيور. ولهذا حرم الفواحش كما اخبر عنه نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم فما ذا تقول حضرة المجتهدة؟

واني اعجب من هذه المجتهدة التي تقول هذا سيّدنا عمر الذي لم ير هذا الوجود كثيرا من امثاله بعد النبيّين. اتفقت على ذلك كلمة الموافق والمخالف وكيف يكون منحطا يا حضرة المجتهدة من لو سلك فجا لها به الشيطان وسلك غير فجه كما نطق به الحديث الصّحيح.

ومن احكام هذه المجتهدة التي استنبطها وجاهرت بها أنّ الرجل لا يجوز له أن يباشر المرأة بعد أن تحمل لأن باقي الحيوانات هكذا، متى حملت الانثى لا يقربها الذكر وهو حكم من مواقف العقول فلنتركه لها دون اي خدش.

ولا اكثر على حضرة القارئ من ذكر اصناف هؤلاء المجتهدين وطبقاتهم واختلاف نحلهم ومذاهبهم ومبلغ ما وصلوا اليه من البعد عن الدّين الحق بسبب

اجتهادهم ذلك. ولعلّ القارئ يعجب من أن يكونوا مجتهدين وبعيدين عن الحق لا تعجب ايها المؤمن، فإنّ ذلك نتيجة لازمة لاجتهاد لا يعتمد على مقدماته اجتهاد كل مقدماته الدعاوى الطويلة العريضة التي لا اساس لها الاّ الجهل الطويل العريض والغرور الّذي لا نهاية له وصفاقة الوجه التي لا تؤثر فيها القوارع مهما قست وهل لاجتهاد هذا قدره الاّ نتيجة واحدة هي الضّلال والاضلال.

والّذي جرأ هؤلاء القوم على تلك الدعوى عدم تقديرهم لمقدماتها او نتائجها التقدير المناسب لها وقد سبق أن قلنا إنّ درجات اي طائفة انما يعرفها افراد هذه الطائفة لا الغريبون منها فلجهل اولئك الناس بالاجتهاد والمجتهدين ادعوا ما ادعوا. وكيف يعد من طبقات اهل العلم من لا يجيز أن يقلد احد احداً ويوجب على الكافة أن يجتهدوا وإن غضبوا وابوا الاّ أن يحسبوا انفسهم من العلماء فليتحملوا إذا الحكم عليهم بأنّهم ينكرون قول الله عزّ وجلّ (**وإذا جَآءَهُمْ اَمْرٌ مِنَ الاَمْنِ اَوِ الْخَوْفِ اَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُولِ وَاِلىَ اُولِي الاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** * النساء: ٨٣) وقوله تعالى (**فَسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** * النحل: ٤٣).

فان الآية الاولى تخبر أنّ العقول تتفاوت وهناك امور تخفى على عقول ولا تخفى على عقول ولامت قوما على مباشرتهم ما يخفى عليهم وجهه. وافهمتهم أنّ الواجب كان أن يردّوا ذلك إلى من لا يخفى عليه. فكان يرشدهم إلى الحق فيه بعلمه وهذا غير ما يقولون.

والآية الثانية تقول في وضوح أنّ من الناس من تعرض له احوال لا يعلمها وحينئذٍ عليه أن يسأل من يعلمها. وهذا كذلك غير ما يقولون ثم الحس يشهد لما نقول فانك ترى في الناس من تعالجه الايام والشهور بل وطول حياته على أن يحفظ آية من القرآن بل أن يخرج حرفا واحداً من مخرجه فلا يستطيع. فكيف يكون مثل هذا مجتهدا؟ **بيت:**

لقد هزلت حتّى بدا من هزالها * كلاها وحتّى استامها كل مفلس

كيف يعرف من العلم شيئاً من ينكر السنّة. وهي بيان الكتاب كما يقول عزّ وجلّ (**وَاَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ اِلَيْهِمْ** * النحل: ٤٤) وهل عرفنا نحن كثيرا مما كلفنا به الاّ بالسنّة فقد جاء الكتاب بتكاليف الفاظها الدّالة عليها تدل لغة على غيرها. فلولا أنّ السنّة بينت أنّ الشّرع نقلها من معانيها اللغوية إلى تلك المعاني الشّرعية لكنا متمثلين التكاليف بمجرد فهمنا تلك المعاني اللغوية والعمل بما تتضمنه كيف يعرف من العلم شيئا بل كيف يعقل من ينكر الكتاب مع السنّة وهو لا يكون مجتهدا الاّ بالكتاب والسنّة؟ بل كيف يكون هذا مؤمنا؟

وإن شاء القارئ أن يلمس جهل هؤلاء الأدعياء فليقل لايّ واحد منهم ارجوك أن تخبرني عن فلان المحدث ما قيمته بين المحدّثين؟ او احب أن اسمع من لفظك المبارك حديثاً نبويا واحداً بسنده او اكون شاكرا لو افهمتني من ايّ واد من اودية الدلالة دلالة هذا الدليل على هذا الحكم؟ وتذكر له حكما ودليله او اقبل يدك الكريمة كما علمتني كيف اعمل إذا حدثت حادثة وليس لها في الكتاب والسنّة دليل صريح ولكني وجدت فيهما اشباها كل شبيه له حكم غير حكم الاشباه الاخرى لو قلت له هذا وما اشبهه من المسائل التي لا تخفى على طلبة العلم فضلاً عن الأئمة المجتهدين ما درى ما يقول فضلاً عن أن يجيب عنه.

ولقد اردت يوماً أن اسير غور امام كبير من هؤلاء الأئمة فسألته عن مسألة ذات وجهين احدهما معتقده فسارع إلى الجواب بما يعتقد فرأيت أن احدش هذا الجواب خدشا بسيطا فما كان اسرعه إلى الرّجوع عن جوابه بمجرد سماعه هذا الخدش فضحكت وقلت هكذا يكون الاجتهاد وهكذا يكون المجتهدون.

كيف يصدق القارئ أن يكون امثال من ذكرنا مجتهدين لا سيّما إذا علم أنّهم من الاعوجاج بحيث إنّ بعضهم لا يصلّي ولا يصوم ولا يزكّي ولا يحج ولا يتهيب امورا اخرى لها المكان الاول في باب الرذيلة، وفي فطنة القارئ ما يغنينا عن تلويث القلم في تلك القاذورات.

ومن الجراءة على الفتوى بدرجة انك لو وجهت إلى اجهلهم ادق مسألة لأجاب عنها فورا بدون تأمّل ولا روية. وربما لو وجهت هذه المسألة إلى سيّدنا جبرائيل وميكائيل واسرافيل وجميع الانبياء والمرسلين واتباعهم العلماء الراسخين لوقفوا امامها موقف الحيرة والارتياب.

ومن الرغبة في الدّنيا والشغل بها بحيث لا يتحرك الاّ لها وربما كانت صلاته وصيامه لها إن كان يصلّي ويصوم.

ومن الغفلة عن الله تعالى بدرجة أنّهم بادروا إلى ما نحكي عنهم من التلاعب بدين الله تعالى لما ايقنوا أنّهم لا يعاقبون على اعتقاد يعتقدونه ولو كان كفراً بالله تعالى ولا على قول يقولونه ولو كان يعتدي على الاديان كلها ولا على فعل يفعلونه ولو بلغ ما بلغ من باب الرذيلة متى غفلت عنهم عين القانون الارضي وكانوا في مأمن في يده وتيقنوا مع هذا أنّ العصر لا يزن كل ما ينتسب إلى العلم بميزان النقد الصريح العادل كما كان في العصور التي قدمنا لك الكلام عنها ولو شابه هذا العصر تلك العصور فيما نقول لكان حمى العلم اعزّ من أن يحوم حوله الادعياء وكيف يحومون وفي ذلك تكون فضيحتهم التي تدخل معهم القبور؟

ومن سوء الاعتقاد بالحالة التي حكينا لك بعضها فيما مضى ومن الخيانة في العلم والتصرف في نصوصه بدرجة لا يعلم القارئ مداها الاّ إذا تناول كتاباً من كتبهم وقرأه من اوله إلى آخره وراجع نقولة مراجعة دقيقة لا اقول أنّهم يتصرفون في الفاظ النصوص فقط بل اقول إنّ تصرفهم في معاني ما ينقلون اشد واشمل هؤلاء هم مجتهدوا زماننا الذين ملأوا الارض تشنيعا على من يخالفهم ويحذر الجهلة عن التقليد.

إني اصرح والقي تصريحي هذا بين اظهر الناس جميعا اليوم إني منضم إلى علماء الامة الذين قرروا أنّ باب الاجتهاد مغلق وأؤكّد انا أنّه صفح في هذه الازمنة بصفائح من فولاذ وكيف لا اصرح بذلك وانا ارى بعيني آثار اعتقاد جواز الاجتهاد تفسد في الارض فسادا عظيماً ليس معنى ما اقول إنّ العقل يمنع أن يوجد مجتهد في

هذه الاعصار او فيما بعدها إنّ هذا لا نقوله ولا نرى من يقوله في زمرة العقلاء لانه حكم على الله تعالى بأنّه منع فضله عن الناس وسد عليهم هذا الباب او أنّه ليس بقادر ان يخلق من فيه استعداد الاجتهاد والاول حكم يحتاج إلى وحي ولا وحي. والثاني كفر بالله عزّ وجلّ ولكني رأيت فسادا عظيماً ينفذ إلى الناس في دينهم ودنياهم فسددت كما سدّ غيري ينبوعه ولمحت استعدادات ضعيفة شرحت اثرها، وحكمت أنّ هذه استعدادات غير استعدادات الاجتهاد. هذا كل ما فعلته وهو ظاهر كل الظهور من كلامي لمن يتأمله ولا يطير بالكلمة يسمعها دون أن يدري من اين جاءت والى ايّ واد ذهبت.

ولست ارى علاجاً لهذه الحالة التي تمثل الفوضى في العلم اقوى واظهر تمثيل الاّ رقابة دينية فعالة تقف كل انسان عند حده. وإن لم يقف ادبته الادب الرادع الّذي يجعله عبرة لغيره بعد أن يفيده هو الفائدة المقصودة. واما ترك الناس هكذا حبلهم على غاربهم يقول كل امرئ في دين الله ما يقول ويفعل ما يفعل فهذا ما لا يرضاه عقل ولا دين. نعم لقد وصلت الفوضى العلمية اليوم إلى حالة لا تحتمل وكيف تحتمل وقد وصلت إلى حد أنّ اكبر عالم ديني لو تكلم بكلمة دينية ينصح بها عباد الله وله عليها ما له من الأدلة والبراهين من كتاب ربه وسنة رسوله، لقام عليه ما لا يحصى من الشبّان والشابات فسلقوه بالسنة حداد، ومزّقوا عرضه تمزيقا وجعلوه في الجهل الوحيد الفريد وكثير من هؤلاء يعجز عن قراءة آية واحدة وقد لا يكون رأى في حياته حديثاً واحداً وكثير منهم ثم كثير لم يقف موقف عبودية لربه في كل حياته ولكنه الجهل والغرور وعدم الحياء وعدم الرادع وحسبنا الله ونعم الوكيل

لقد ازرى هؤلاء الجهلة بالمجتهدين وفضحوا العلماء وهوّنوا الدّين وصغّروا من شأنه وجعلوا الاجتهاد العوبة من الألاعيب وأضحوكة من الاضاحيك وما كنت اظن أن تصل الجراءة على الاجتهاد في دين الله إلى هذا الحد ولولا أني ارى هؤلاء الناس بعيني ما صدقت ما يقال عنهم، وكيف اصدق أن يكون في طبقات المجتهدين

الذين نتيجة اجتهادهم دين تدين به الامة. انسان ربما لم ير بعينه كتاباً في الشريعة ولا جلس طول حياته بين يدي عالم ديني جلسة واحدة وكل الّذي عنده من المؤهلات وجه صفيق لا يعرف الحياء ولا يعرفه الحياء وكل ما كان اقوى في هذه الصفة يكون الامام الاكبر الاشهر وإن شئت أن ترى وتلمس الفرق بين مجتهدينا واهل الاجتهاد الصّحيح فقل مجتهدنا ربما لم يركع لله تعالى ركعة واحدة لا فرضاً ولا نفلا وابوحنيفة رحمة الله عليه يصلّي الفجر بوضوء العشاء اربعين او خمسين سنة وكل ليله ركوع وسجود.

مجتهدنا قد لا يكون صام يوماً واحداً حتّى ولا في رمضان وابن حنبل يصوم الدهر كله لا يفطر الاّ يوماً واحداً احتجم فيه.

مجتهدنا لا يقف عند سؤال مهما دق وإستعصى ومالك بن انس يقف في مسألة واحدة بضع عشرة سنة لم يتفق له فيها رأى قاطع. ويسئل عن ثمان واربعين مسألة فيقول لا ادري في اثنتين وثلاثين منها ويبكي من الفتاوى والمسائل ويقول إني اخاف أن يكون لي من المسائل يوم اي يوم.

مجتهدنا قد لا يكون رأى حديثاً واحداً ويغضب كل الغضب ممن يتردد في الاعتراف باجتهاده وابن حنبل يحفظ الف الف حديث كما يقول أبو زرغة[١] ولم يكتب سوادا في بياض الاّ حفظه كما قال ابنه عبد الله. ومع ذلك لا يتفق معاصروه على أنّه من الفقهاء المجتهدين.

مجتهدنا لو حفظ حديثاً في الصباح ينساه في المساء لغلبة النسيان على الاذهان في هذا العصر غلبة لا تكاد تتصور. وما كان يعرف هذا النسيان في علماء السلف فضلاً عن مجتهديهم بل كانت صدورهم سجلات لا تمتد يد المحو الى ما بها بحال ولذلك حفظ الله بهم الدّين ولو كانوا مثلنا ما وصل الينا من دين الله كلمة وقد سبق التنبيّه على ذلك.

---

(١) أبو زرعة أحمد الرازي توفي سنة ٣٧٥ هـ. [٩٨٥ م.] في مكّة المكرّمة

مجتهدنا يقبل قدميك لو عرفته بعظيم اي عظيم من عظماء الدّنيا ولو وهما ولو كان من اكفر الكفّار ويرى صحبة هذا والتردد اليه شرفاً لا يقاربه شرف. واهل الاجتهاد الحق يفرون من خلفاء المسلمين ويخطبون لتلك الصحبة فيأبون كل الاباء بل يكرهون اكراها عليها ويهانون رجاء أن يقدموا عليها فيتحملون ما يهددون به وهو اليم. ولا يسمحون أن يصحبوا اولئك الخلفاء وقد سبق ما يدل على ذلك.

مجتهدنا يتهالك على المال ولا يبالي من ايّ واد وصل اليه ولو من الربا او من مال يتيم. وابوحنيفة يتحرج من ظل حائط مدينه.

مجتهدنا ربما اقتحم اخطر موبقة وهو يضحك لجراءته على الله بل ربما كفر بالله العظيم وخلع ربقة الاسلام من عنقه فاهما أنّه بذلك وصل إلى ذروة مقام الاجتهاد، وائمة المسلمين في بكاء وعويل وانتحاب خوفا ووجلا على انفسهم أن يكونوا مغضوبا عليهم من ربهم مع أنّهم في طاعته ليلا ونهارا طول حياتهم لا تستثني واحداً منهم.

سمع الشّافعي رحمة الله عليه حديثاً في الرقائق فاغمي عليه حتّى قيل مات. وسمع قارئا يقرأ قوله تعالى (**هَذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ * وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ *** المرسلات: ٣٥-٣٦) فتغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديداً وخرّ مغشيا عليه. فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين. اللّهمَّ خضعت لك قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين. الهي هب لي جودك وجلّلني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك.

وكان أبو حنيفة يصلّي بالليل ويبكي من خشية ربه حتّى يرحمه جيرانه من كثرة بكائه.

وتقدم أنّ سيّدنا مالكاً كان يبكي ويقول اني اخاف أن يكون لي من المسائل يوم ايّ يوم.

وتقدم أنّ سيّدنا أحمد بلغ به الخوف من الله تعالى إلى أنه كان يبول الدم.

مجتهدنا إذا ذكر عنده ائمة الاسلام، لسانه السيف البتار في اعراضهم يمزقها تمزيقاً وتراه عند ذكر اولئك الهداة كان حمى اخذته فاذهبت عقله وجعلته يهذي بما لا يعي وما كان ائمة الاسلام هكذا فهذا الامام الشّافعي رحمه الله تعالى لما زار ابا حنيفة في قبره ترك القنوت في صلاة الصبح ادبا معه ولم ير من المناسب أن يجاهر هذا الامام الاعظم بالخلاف على مرأى منه ومسمع. وكان يتوسّل به إلى الله تعالى اعتقادا منه أنّه جدير بذلك وقال فيه الناس كلهم عيال على أبي حنيفة في الفقه وقال في سيّدنا مالك رضي الله تعالى عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب. وقال في سيّدنا أحمد بن حنبل تلميذه خرجت من بغداد وما خلفت بها افقه ولا اورع ولا ازهد ولا اعلم من أحمد وقال فيه ايضاً. **شعر**:

قالوا يزورك أحمد وتزوره * قلت الفضائل لا تفارق مترله

ان زارني فبفضله او زرته * فلفضله فالفضل في الحالين له

وقال لمن معه قميص أحمد اما القميص فلا افجعك فيه. ولكن بله وارفع إلى الماء لاتبرك به.

ويقول مالك يخاطب الشّافعي رحمة الله عليه لما سأله عن أبي حنيفة رحمة الله عليه رأيت رجلاً لو ناظرك في هذه الستارة أن تكون ذهبا لقام بحجته.

وقاسم الشّافعي ماله غير مرة اعترافا بفضله. واستحسن الشّافعي مالا عظيماً اهدي اليه فاهداه له كله فكلمه أن يبقي له دابة يركبها فابى. واستعظم أن يركب تربة على دابة وطئها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بقدميه.

وقال أحمد رحمه الله تعالى في الامام الشّافعي رحمه الله تعالى كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فهل لهذين من خلف؟

مجتهدنا ربّما كان لم يحفظ القرآن من آية واحدة. وإذا كان يحفظه كله فقد لا يكون تجاوز عدد الاصابع في ختمه. وابوحنيفة رحمة الله عليه يحصى ما قرأه من ختمات القرآن فيكون سبعة آلاف ختمة.

هذه مقارنات ذكرناها مرغمين وفي النفس ما فيها من ذكرها وانما ذكرناها لينفذ منها القارئ إلى حيث يرى اين ائمة زماننا من ائمة الاسلام حقاً ولولا مقام البيان ما سمحت نفسي بهذه المقارنة ابدا ومن يرضى أن تقرن الملائكة بالكلاب؟

ثم ارجو أن يفهم المطلع الكريم اني انما كتبت هذا الفصل أبين به مقام الاجتهاد لمن لعلّه لا يعرف قدره. ورجاء أن يراه بعض اولئك المجتهدين المساكين. ويكون به بقية من الشعور الحي. فيحس بأنّه ترك الجادة وركب الصعب وحاد عن سبيل الامان إلى سبيل الخطر المحقق وكي يطلع عليه اناس ربما وقع في نفوسهم استحسان ما يقوله (**اولئك المفتونون**) وقياما بما يجب على العلماء من محاربة البدع إذا رفعت رأسها ومن القضاء على الباطل إذا حاول أن يلبس ثوب الحق. وايّ قيمة للعالم إذا لم يقف في وجه المعاندين حدود الله اللاعبين بدينه الخارجين على اوليائه واحبابه. إنّ العالم جندي من جنود الله عزّ وجلّ بل هو القائد الاعلى لجنود الله فإنّ كل مؤمن جندي من جنود الله ولعلّه لا يخالفني احد في أنّ من العار العظيم والفضيحة التي لا تدانيها فضيحة أن يؤتى الاسلام في صميمه وقادة حراسه ينظرون مكتوفة ايديهم مقيدة ارجلهم خرسا السنتهم لا يبدون ولا يعيدون أنّ الجهاد باللسان والقلم في هذا العصر ليس بأقل من الجهاد بالسنان في زمن الجهاد. واني لأرى واجباً على العلماء خصوصاً في هذا الزمن الّذي تموج فيه الفتن كموج البحر أن يبيّنوا للناس ما يرضاه ربنا من اعمالهم وما لا يرضاه حتّى لا يبقى لاحد عذر في جهل ما هو عليه من بلايا ورزايا دينية ودنيوية.

وإني اعود فاقول لاولئك الزاعمين أنّهم مجتهدون إذا لم تعلموا ايها الناس ما تفعلون فاعلموا انكم تلعبون بالنّار او تمزحون مع البحر وهو غضبان فإن كان لكم طاقة بالنّار او بالبحر فتمادوا على ما انتم عليه والاّ فالفرار الفرار من هذا الموقف المذهل والله تعالى اعلم.

الشفاعة

نحن في زمن اتسع فيه الخرق على الراقع. فإنك لا تلتفت إلى طائفة لتفهمها قدر بعدها عن الجادة الاّ وتبدو لك طائفة اخرى اشد بعدا عن المنهج القويم والكل في حاجة قصوى لأن تعالجهم حتّى تقتلع من انفسهم شجرة الزيغ التي اضلتهم. وتغرس مكانها شجرة الرشاد والارشاد. نعم لقد اصبحنا في زمن سادت فيه الفوضى في العقائد لدرجة أن يجهر بالكفر الصريح من كان بالامس يتظاهر بالإيمان الصادق دون أن يجد من يلتفت اليه التفات استغراب وانكار. وسادت فيه الفوضى في العلم لحد أن اصبحت دفة الارشاد بايدي شبان وشابات لو سألت احدهم عن ربه لحار كيف يقول. ومع هذا لو تكلم اكبر رأس من هداة الخلق العلماء بكلمة ينفر بها عن رذيلة او يحرض على فضيلة لقام عليه اولئك الاولاد كالكلاب الضارية فنهشوا عرضه نهشا ورموه بالدواهي مما جعل العلماء اليوم في انكماش. حطموا اقلامهم وخزنوا السنتهم في افواههم وتركوا الامر لاولئك المفسدين يفتحون كل يوم من ابواب جهنم ما يفتحون ويدعون الناس إلى ولوجها واقتحامها ويتهافت الناس تهافتا إلى ما يدعونهم اليه حتّى اصبح العمل كالعلم والاعتقاد فوضى لا يميز صحيحه من فاسده ولا يكفر احد في ايقاف هذا الامر عند حد وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نقول بهذه المناسبة انا بصدد أن نتكلم مع كثير من الناس أنكروا حتّى الشفاعة يوم القيامة وهي ثابتة بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنكارها عجيب ثم عجيب إذا صدر من رجل يؤمن بالله واليوم الآخر.

اما ما يثبتها من كتاب الله تعالى فآيات كثيرة. منها قوله تعالى (**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ الاَّ بِاِذْنِه** * البقرة: ٢٥٥).

ومنها قوله عزّ وجلّ (**وَلاَ يَشْفَعُونَ الاَّ لِمَنِ ارْتَضَى** * الانبياء: ٢٨) ومنها قوله تعالى (**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السّموات لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا اِلاَّ مِنْ بَعْدِ اَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَرْضَى** * النجم: ٢٦).

فان الآية الاولى تثبت الشفاعة باذنه عزّ وجلّ والآية الثانية تثبت الشفاعة لمن ارتضى ربنا أن يشفع. والآية الثالثة كالاولى تثبت شافعين باذنه عزّ وجلّ وقيد هذا الاذن يفهم أنّ الشفاعات كرامات يكرم الله تعالى بها من يشاء من عباده ليرى الخلق فضله عنده لا انها كشفاعاتنا هنا يصمم احدنا على الامر ينقذه من العقوبات فيكلمه شفيع من ارباب الوجاهة أن ينقض ما ابرم فيكون ذلك في الحال يحمله على ذلك رهبة منه او رغبة فيه إنّ الشفاعات التي بهذا المعنى مستحيلة على ربنا عزّ وجلّ لانه إذا اراد شيئاً نفذه. ولو عارض فيه جميع العالمين وارادوا أن لا ينفذ والرغبة والرهبة لا يتصف بهما لانه رب كل شيء القادر القهار.

واما ما يثبت الشفاعة من السّنّة الصّحيحة فكثير. من ذلك حديث الشفاعة المشهور الّذي اتفق على روايته البخاري ومسلم ورواه غيرهما وفيه ثم يقال (**يا محمّد ارفع رأسك، سل تعط واشفع تُشَفَّعْ**) ومن ذلك قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**شفاعتي لاهل الكبائر من امتي**) رواه التّرمذي عن سيّدنا جابر. وقال سيّدنا جابر من لم يكن من اهل الكبائر فما له وللشفاعة؟ وكذلك روى هذا الحديث النّسائي وابودارد وأحمد وابن حبان والحاكم.

ومن ذلك قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء والعلماء والشهداء**) رواه ابن ماجة.

ومن ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم (**يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته**).

ومن ذلك ما رواه الشّيخان وغيرهما من حديث طويل (**ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللّهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**) قيل يا رسول الله وما الجسر قال (**دحض مزلّة فيه خطاطيف وكلاليب وحَسْكٌ**) تشبيه ظاهر (**تكون بنجد فيها شويكةٌ يقال لها السَّعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب. فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس مدفوع في نارجهنم حتّى إذا خلص المؤمنون من النّار فو الذي نفسي بيده ما من احد منكم بأشد مناشدة لله في**

استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخواهم الّذين في النّار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلّون ويحجون، فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النّار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النّار إلى نصف ساقه والى ركبتيه ثم يقولون ربّنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربّنا لم نذر فيها ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه. فيخرجون خلقا كثيرا. ثم يقولون ربّنا لم نذر فيها مما امرتنا احداً ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربّنا لم نذر فيها خيراً).

وكان ابوسعيد راوي هذا الحديث يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا إن شئتم (**اِنَّ اللّٰهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَاِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ اَجْراً عَظِيماً** * النساء: ٤٠) فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الاّ ارحم الرّاحمين فيقبض قبضة من النّار فيخرج منها اقواما لم يعملوا خيراً قط. يعني غير الإيمان قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنّة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة بذور البقل في حميل السيل ما يحمله السيل من الطين. الا تروها تكون إلى الحجر او إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر واخيضر. وما يكون منها إلى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك ترعى بالبادية، قال (**فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنّة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنّة بغير عمل عملوه ولا خير قدّموه**) ثم يقول ادخلوا الجنّة فما واءلتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احداً من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا. فيقولون يا رب وما افضل من هذا فيقول احل عليكم رضائي فلا اسخط عليكم بعده ابدا.

هذا بعض ما ورد من كتاب ربنا وسنة نبيّنا يدل على أنّ الشفاعة واقعة يوم القيامة فمن لم يؤمن بها مع كل هذا فانّي ابشّره بما بشّره به رسول الله صلّى الله

تعالى عليه وسلّم فيما رواه ابن منيع وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام (**شفاعتي يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من اهلها**) وقد عد العلماء هذا الحديث من المتواتر. فمن احب أن لا تناله الشفاعة من المؤمنين فليتماد على انكاره الشفاعة ومن احب أن تناله فليصدّق ربّه ونبيّه ويوافق اهل السّنّة والجماعة في الاعتراف بها ليكون معهم من الناجين.

ولعل كل ما قدمنا من الموضوعات وضّح كل الوضوح بما اوردنا عليه من دلائل قاطعة وبراهين ساطعة لا يمكن لمن اوتي نصيبا من الفهم أن ينكر شيئاً منها الاّ إذا كان لا يبالي بضحك الناس عليه إذا أنكر الشمس وهي في كبد السماء.

واني تعمدت أن اوضّحه كما رأى القارئ ليعرفه اناس لا يعرفون وليصحح به اناس آخرون عقائد في نفوسهم تنافيه، وليراه اناس غير هؤلاء وهؤلاء غلاظ شداد على المؤمنين فيتبين لهم أن لا حق لهم في تلك الغلظة والشّدّة، فيخففوا من وطأهم الثقيلة. وليزداد به الذين آمنوا ايمانا. فإنّه إن شاء الله نور (**يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىَ النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىَ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** * المائدة: ١٦) والله تعالى اعلم.

شهادة العلماء الاعلام لكتاب غوث العباد ببيان الرشاد

اختصرناها من تقريظ الطبعة الاولى نظرا لضيق المقام

بسم الله الرحن الرّحيم

نحمد ربنا عزّ وجلّ على جزيل آلائه ونشهد أن لا اله الا الله شهادة من عرف الحق فعمل به وعلّمه فإنّ ذلك هو الّذي يدعى في ملكوت السّموات عظيماً. ونشهد أنّ سيّدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ذو الجاه العظيم والمقام الاسمى. اللّهمَّ صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى اخوانه الانبياء وعلى من تبعهم حريصا على سلوك نهجهم، فإنهم بركة الامم في كل زمان.

اما بعد فقد اجلنا جياد الافكار في ميادين هذه العجالة الكريمة التي سميت بحق (**غوث العباد ببيان الرشاد**) فإذا هي حق صراح. وما ذا بعد الحق الاّ الضلال. تؤيده حجّة دامنة. وهل يقف في وجه دامغ الحجج الاّ مبطل مكابر. تعبر عنه عبارة ما ارقها وما ادقها. ومن يستطيع أن يخدش بيان ملك البيان يذود عن احباب الله انبياء وأولياء فوق ما يذود الاسد عن عرينه في غضبة لهم على من يستخف بشأنهم. انما تشبهها غضبة البحر إذا هاج. ومن في قلبه ذرة من الإيمان ثم لا يغضب لاحباب ربّنا إذا استخف بشأنهم تحرى عقائد معيّنة فشرح الصّدور بشرح ما عليه فيها الامة المحمّديّة في مشارق الارض ومغاربها في هذا العصر. وفي جميع عصور الاسلام المتقدمة لا نعرف فيها سوى ما شرح. وهل إذا تكلم الحق يعرف المؤمنون سوى ما يتكلم به؟ ونحن لا يقع منا موقع الغرابة أن تكون هذه العجالة بهذا المقدار ومؤلفها حضرة صاحب الفضيلة الشّيخ مصطفى ابوسيف الحمامي احد علماء الازهر وخطيب المسجد الزينبيّ الّذي ما رأيناه وقف موقفا الاّ رأينا الحق بجانبه يحوطه من كل نواحيه حفظه الله وزاده توفيقا ليرينا كل يوم آية من آياته يؤيد بها الحق ويخذل الباطل.

وانا في هذا المقام لا يسعنا الاّ أن ندعو الامة باسرها إلى اعتقاد ما تضمنته هذه العجالة ونبذ ما عداه والله الهادي إلى سواء السبيل.

يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء ختم حرر في ٥ محرم سنة ١٣٥٠ هـ.
محمّد البيلاوي خطيب المسجد الحسيني ونقيب الاشراف بالديار المصرية
السيّد محمّد بن محمّد زباره اليمني أمير القصر السعيد بصنعاء اليمن

محمود أبو دقيقه مدرس بتخصيص الازهر
محعمد عبد الفتاح العناني المدرس بكلية الشريعة الاسلامية
محمّد محمّد البحيرى من علماء الازهر الشّافعية بالقسم الثانوي

محمّد حبيب الله الشنقيطي خادم العلم بالحرمين الشّريفين وفقه الله دسوقي عبد الله العربي من هيئة كبار العلماء محمّد زاهد[1] الكوثري وكيل المشيخة الاسلامية بالآستانة سابقاً محمّد حنفي بلال وكيل الحرم الزينبيّ واحد علماء المالكية.

خاتمة الطبع

الحمد الله الّذي وفقنا لطبع كتاب غوث العباد فإنّه لما كان في كتاب البصائر بيان احوال ابن تيميّة وبعد ما طبع الكتاب المذكور وصل إلى كتاب غوث العباد فيه تأكيد ما اقول ومزيد تفصيل وتحقيق في بعض المسائل فإنّ صاحب البيت ادرى بما فيه. اردت أن الحقها بكتاب البصائر تأييداً ومن الله التأييد وبه الاعتصام وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله وصحبه اجمعين.

العبد الاواه محمّد حمد الله الداجوى
٢٠ رمضان المبارك سنة ١٣٨٥ هـ.

([1]) محمّد زاهد الكوثري توفي سنة ١٣٧٠ هـ. [١٩٥١ م.] في مصر

فهست مَضَامين البَصَائر لمنكري التوسّل بأهل المقابر

الموضوع **رقم الصفحة**

فهرست غوث العباد ببيان الرشاد

دُعَاءُ التَّوْحِيد

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوٌّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِّي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَاُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ الْحَكِيمِ الآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

دُعَاءُ الاسْتِغْفَار

اَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب – **دار الحقيقة للنشر والطباعة** – هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ. [١٩١١ م.] بمنطقة –**أيوب سلطان إستانبول**– وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في –**دار الحقيقة للنشر والطباعة**– وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الارواسي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٠٠١/١٠/٢٦ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين.

اسماء الكتب العربية التي نشرها مكتبة الحقيقة